الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامـعة : البليدة . 2 . (علي لونيسي)

كلـية : الآداب واللّغات

قـسم : اللّغة العربيّة وآدابها

رصف القَصَص ودلالاته في القرآن الكريم

(سورة نوح . عليه السلام . أنموذجا)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في : **اللّغة العربيّة**

تخصص: دراسات لغويّة نظريّة

إعداد الطالب : **إشراف الأستاذ الدكتور:**

يحـيى بوعتـو **عمّار ساسي**

السنة الجامعية : 2023 /2024 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامـعة : البليدة ـ 2 ـ (علي لونيسي)

كلـية : الآداب واللّغات

قـسم: اللّغة العربيّة وآدابها

رصف القَصَص ودلالاته في القرآن الكريم

(سورة نوح ـ عليه السلام ـ أنموذجا)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في : **اللّغة العربيّة**

تخصص: دراسات لغويّة نظريّة

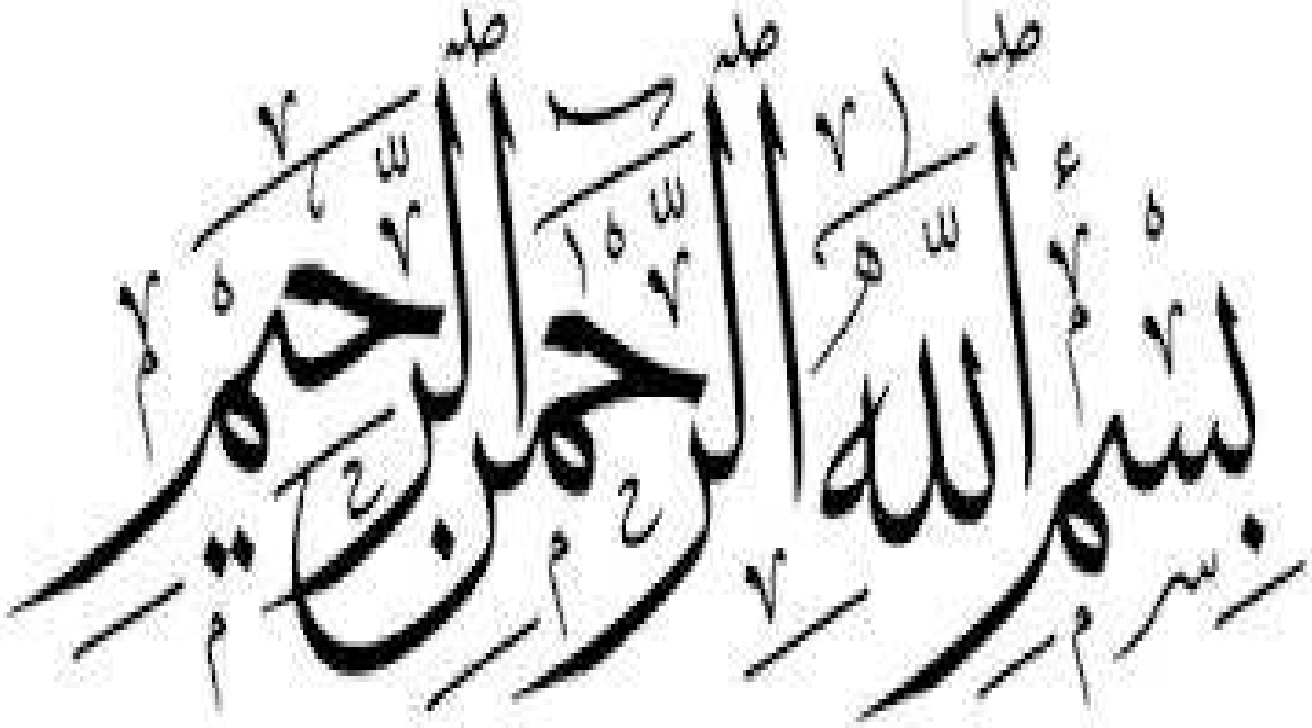
إعداد الطالب:

يحيى بوعتو

أمام اللجنة المشكلة من :

الاسم و اللقـــب	الرتـــــــبة	الـــجامعة الأصلية	الصـفـة
عماد بن عامر	أستاذ	البليدة ـ 2 ـ	رئـــــــيسا
عمّار ساسي	أستاذ	البليدة ـ 2 ـ	مشـــــرفا ومقررا
موسى إسماعيل	أستاذ	الجزائر ـ 1 ـ	عضوا منـــاقـشا
عبد الرحيم قرمودي	أستاذ محاضر ـ أ ـ	المركز الجامعي تيبازة	عضوا منـــاقـشا
سيدي محمد بن كعبة	أستاذ محاضر ـ أ ـ	البليدة ـ 2 ـ	عضوا منـــاقـشا
نعيمة سغيلاني	أستاذ محاضر ـ أ ـ	البليدة ـ 2 ـ	عضوا منـــاقـشا

السنة الجامعية : 2023/ 2024م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

. إلى روح والدتي الطيّبة الكريمة أظلّها الله تعالى عنده في جنّات ونهر بسحائب الرضوان والرحمة...

. إلى الوالد الكريم أطال الله عمره، وأحسن عمله.

. إلى زوجتي أمّ محمد التي صبرت عليّ، وكانت لي سندا وعونا، وإلى أبنائي وبناتي.

.. إلى العلماء والباحثين شموع الهدى ومصابيح الدجى.

. إلى كلّ من سما بلغة الضاد، وجعلها في خدمة القرآن الكريم والعلم النافع.

ـ إلى كلّ من طوّق عنقي حبل علمه ومعروفه وإحسانه...

أهدي هذا العمل.

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله تعالى على عظيم نعمته، وجليل منّته، هداني ووفقني وفتح لي أبواب فضله وكرمه، ويسر لي الطريق لإنجاز هذا البحث، راجيا عفوه ورضوانه، فهو مبدأ الحمد ومنتهاه لا أحصي ثناء عليه تعالى هو كما أثنى على نفسه.

ثمّ إنّني لألهج بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور الفاضل **عمّار ساسي** الذي احتضن هذا البحث بإشرافه، وغمرني بعطفه، وأفاض علي من كريم خُلقه وفضله، وأريحيّة طبعه، وأمدّني من علمه وتجربته، وأفادني بتوجيهاته ونصحه المخلص، وعونه السخي، فله منّي أسمى عبارات الشكر والتقدير والعرفان بالجميل، فجزاه الله خيرا على خدمة العربيّة، وترسية الدّراسات القرآنية لتكون هداية للعقول، فيستقيم بها الحال، ويجمل بها المآل.

. والشكر موصول إلى كلّ أساتذتي ومن كان له فضل وإحسان عليّ عبر مشواري الدّراسيّ والعلميّ في جميع مراحل تعليمي.

ملخص:

تتفوّق اللّغة العربيّة وتتألق بما تحمله بين ثناياها وتنطوي عليه من أنماط التعبير اللّغوي الفصيح، ومن أساليب الكلام المتنوعة، وخاصة بعد ما اكتسبته من ثروة لفظية ودلالات جديدة من لغة التنزيل الحكيم، إذ القرآن الكريم قد أثّر بشكل واضح في السليقة العربيّة، ورسم لها منحى دلاليا جديدا لم تعهده من قبل، واستنّ لها أساليب بلاغيّة مكّنتها من ارتقاء سلّم الخلود بخلود هذا النّص القرآني المعجز...

وكذلك من خلال معايشتها للتنوّع الثقافي، وتفتّحها على المستجدّات اللسانيّة، ومسايرتها للتطوّر الحاصل مع تعاقب الأزمنة، فلم تكن اللّغة العربيّة في منأى عن هذا التطوّر الذي مسّ جوانب من أبنيّتها وتراكيبها وبخاصة الجانب الدلالي.. . وهذا التطوّر لم يخرج عن إطار نظامها اللّغوي الخاص بها، وهو ما يجعلها مرنة تستوعب كلّ جديد ونازلة، مع الحفاظ على خصوصيتها.

فهذا وغيره هو ما وسّع رقعة تزاحم الدلالات، وغموض بعض المعاني، وعدم إدراك الغرض من الكلام، والمقصود من الخطاب في كثير من الأحيان إلّا بقرائن تُرشّح الدلالة المقصودة، وترفع الغموض الحاصل، وتدفع اللبس والتشويش والتعمية.

ويعتبر الرّصف اللّغوي من بين أهمّ القرائن في دراسة أنماط تعابير اللّغة العربيّة وتراكيبها، وترجيح دلالات أساليب كلامها وخطابها، بيد أنّ مفهوم الرّصف وتخصيصه بالدراسة والبحث، وضبط أسسه وقواعده، وبلورته للوصول به إلى نظريّة قائمة بذاتها لم ينل الحظ الوافر من الاهتمام والدّراسة العلميّة الموضوعيّة في تراثنا اللّغوي العربيّ الزاخر، ولا حتى في الدّراسات الحديثة . حسب اطلاعي . وإن كانت هناك إشارات رصفيّة، ونتفات لمفهومه صريحة؛ أو بمسمّيات مختلفة قريبة منه ودالة عليه، نحو : السبك والحبك والتأليف...قديما، والتّضام والتوارد والمصاحبة وتوافق الوقوع...حديثا.

فبالإمكان تأسيس هذا العلم إذا ما تضافرت الجهود وفق ما تقتضيه خصوصيات اللسان العربيّ.

ولمّا وجدتّ موضوع الرّصف اللّغوي منفسحا للدّراسة، وقابلا للمزيد، تزايد عندي الاهتمام به محاولة مني لبلورة رؤية أوسع لمفهومه، ولملمة أشتاته بعد خروجه من دائرة المفهوم المعجمي والتركيبي إلى مفهوم أوسع يستوعب جميع الوحدات اللّغويّة الممتدّة من الصوت إلى النّص.

فعملت على تنزيل هذه المفاهيم الرّصفيّة على القصة القرآنيّة من خلال الدّراسة الموسومة بـ **(رصف القصص ودلالاته في القرآن الكريم . سورة نوح أنموذجا .)** قصد الوقوف على السمات الأسلوبيّة الفارقة، والدلالات المعجزة من خلال نظمها الدقيق، ورصفها المحكم، وأسلوبها الآسر، وبيانها الساحر... فتبادرت إلى خلدي تساؤلات قامت عليها **إشكاليّة هذا البحث**، منها :

. هل آيات القصة القرآنيّة المرصوفة رصفا خاصا في سورة نوح، والموزّعة توزيعا محكما تتساوق

صوتا وإيقاعا وبنية وتركيبا ودلالة مع مسار قصة نوح عليه السلام ودلالتها العامة ؟
. وهل هي في الوقت نفسه منسجمة مع المعاني العامة للسورة التي هي فيها، ومتناغمة معها دلاليا إلى درجة الإعجاز؟ ...
. وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في الأكثر الغالب.
. ومن **أهمّ الأسباب** التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع رغم خطورته هي تلك الحقائق المبهرة المنطوي عليها القرآن الكريم، وقد استوقفني بعضها من خلال معايشتي للقرآن الكريم المستمرّة، وهناك أمور دقيقة معجزة في نظمه لفتت انتباهي نحو: . استعمال القرآن الكريم لألفاظ متداولة في اللسان العربي ورصفها بدقة متناهيّة إلى درجة الإعجاز، بحيث لا يمكن استبدال لفظة مكان لفظة من قبيل الترادف في الظاهر؛ أو قريبة في معناها.
فرصف كلمات القرآن الكريم وآياته وسوره وقصصه بطريقة خاصة ومعيّنة لا يمكن أن تكون مرصوفة رصفا عاديا، فهي فوق ذلك.
هذا من جانب، ومن جانب آخر ما يتسم به القرآن الكريم من سمات التجدد واستمرارية العطاء التي يتفرد بها . لا نجدها في غيره . تفرض البحث فيه مجددا وعلى الاستمرار.
وتكمن **أهميّة هذه الدراسة** إجمالا في : معرفة السياقات اللّغويّة المحتملة الاستعمال، وترشيح الدلالة المقصودة من الكلام والخطاب، وخاصة دلالات القصص القرآني الدقيقة والمعجزة.
وكذلك الوقوف على تراكيبيب خاصة ذات دلالات دقيقة، وأخرى خاضعة لمعيار الرّصف غير العادي، تقترن وحداتها اللّغوية اقترانا يخضع لمجال العلاقات التلاؤميّة الأفقيّة مشكلة بذلك وحدة دلاليّة ثابتة، مفارقة ألفاظها لمعناها المعجمي الحرفي، تعمل على الاقتصاد اللّغوي، من أهدافها خدمة اللّغة العربيّة والارتقاء بها، وتطوير مهارات الناطقين بها قصد اكتسابهم ملكة لسانها المضري، وترقية فكرهم وأفكارهم، وبناء الأفراد وعيا واتزانا، والمجتمع علميا وحضاريا.
. **ومن أهمّ نتائج البحث** : أنّ القرآن الكريم هو النّص القداسي المعجز، والأصل المتجدد، والعطاء السخيّ الدائم والمستمر في تأصيل اللّغة العربيّة وتطويرها، وفتح الآفاق أمام ترقيتها وتفوّقها بالمزاوجة بين الأصالة والمعاصرة، فتنحيّته عن ميادين اللّغة العربيّة من أكبر الأخطاء وأخطرها.
. أنّ للرّصف الصحيح الحسن (العادي وغير العادي) . وذروته الرّصف القرآني المعجز، ومنه القَصص . فائدة لها أهميّة بمكان في ترقيّة اللّغة، وتطوير المهارات اللّغويّة للناطقين بها، واكتساب ملكتها، وهذا من خلال الرّصد الدقيق لإمكانات التأليف، وأنماط التعبير، وإعادة الرّصف وتنوّعه، وتعدد الاستعمال، وتوسع الدلالة، فكلّ ذلك وغيره يستفاد منه في النسج على منواله، وانتحاء سمته...
. يمكن استثمار الدّراسة الرّصفيّة للقصَص القرآني في بناء الفرد والمجتمع المتزن الواعي على جميع الأصعدة ومناحي الحياة، فيحسن بذلك الحال، مع استشراف المستقبل فيجمل المآل.

فهرس المضامين

الإهداء .....

الشكر والتقدير .....

ملخص: .....

فهرس المضامين **3**

مقدّمة : **1**

البـــــاب الأول : مفهوم الرّصف ودلالته في القرآن الكريم **17**

الفـصل الأول : مـفـهوم الرّصـــف **18**

1 . الرّصف لغة واصطلاحا: **20**

2 . قـيمة الرّصف وفائدته : **37**

3 . مفهوم الرّصف عند علمائنا القدامى : **41**

4 . مفهوم الرّصف عند المحدَثين : **53**

5 . الرّصف والمصطلحات المتقاربة دلاليا : **58**

5 . 1 . الاتساق والانسجام 58

5 . 2 . الرّصف والسياق : 62

5 . 3 . الرّصف وعلم المناسبة 73

5 . 4 . الرّصف والنّظم 76

6 . علاقة الرّصف بالبلاغة والبيان، والفصاحة، وثنائية اللّفظ والمعنى : **90**

6 . 1 . الرّصف والبلاغة والبيان : 90

6 . 2 . الرّصف والفصاحة: 100

6 . 3 . الرّصف وثنائيّة اللفظ والمعنى : 116

الفصـــل الثانـــي : الرّصف في القرآن الكريم **17**

1 . القرآن الكريم **128**

1 . 1 . لغة واصطلاحا : 128

1 . 2 . أسماء القرآن الكريم 134

1 . 3 . جاذبية القرآن الكريم وقوة تأثيره 140
2 . الأحرف السبعة :..... 141
2 . 1 . ما معنى الأحرف السبعة ؟ 144
2 . 2 . هل المصحف الإمام اشتمل على الأحرف السبعة ؟ 150
3 . القراءات القرآنية 154
3 . 1 . القراءات لغة : 154
3 . 2 . القراءات اصطلاحا :..... 155
3 . 3 . أقسام القراءات : 156
3 . الفرق بين القراءة المتواترة والصحيحة والقراءة الشاذة 165
4 . ترجمة القرآن الكريم..... 172
5 . الإعجاز في القرآن الكريم : 177
5 . 1 . الإعجاز لغة واصطلاحا :..... 177
5 . 2 . الإعجاز في الرّصف القرآني : 185
6 . رصف القرآن ودلالاته 195
6 . 1 . رصف الحركات في القرآن الكريم :..... 195
6 . 2 . رصف حروف المباني في القرآن الكريم : 196
6 . 3 . رصف حروف المعاني في القرآن الكريم :..... 199
6 . 5 . رصف التركيب القرآني :..... 204
6 . 6 . رصف سور القرآن الكريم حسب ترتيبها في المصحف الشريف ودلالاتها : 205
7 . القصص القرآنـي : 208
7 . 1 . القَصص لغة واصطلاحا : 208
7 . 2 . مفهوم القصص القرآني : 210
7 . 3 . الهدف والغاية من القصص القرآني :..... 212
7 . 4 . خصائص القَصص القرآني 214
7 . 5 . القَصص القرآني وقِصص الخَلق..... 215
7 . 6 . هل في القصص القرآني تكرار؟..... 218
7 . 7 . رصف القصص القرآني..... 220
الفصـــــل الثالث : مفهوم الدلالة وقيمتها في القرآن الكريم 125

1 . علم الدلالة : 228

1 . 1 . مصطلح العلم والدلالة : 228

1 . 2 . تعريف علم الدلالة اصطلاحا : 232

1 . 3 . **أنواع المعنى :** 237

2 . الجهود الدلالية عند العلماء العرب القدماء والمحدَثين : 238

2 . 1 . عند العرب القدامي : 238

2 . 2 . الدلالة عند المحدثين العرب : 246

3 . أسباب التطور الدلالي وتغيّره : 247

3 . 1. المحور الداخلي : 247

3 . 2. **المحور الخارجي :** 248

4 . الدلالة القرآنيّة ومستويات الدّرس اللّغوي ومظاهره :..... 265

4 . 1 . **الدلالة الصوتيّة في القرآن الكريم :** 266

4 . 2 . الدلالة الصرفيّة في القرآن الكريم : 284

4 . 3 . الدلالة التركيبيّة في القرآن الكريم : 301

3.3.4 **الالتفات :** 306

4 . 4 . الدلالة والجوانب التداوليّة : 308

4 . 5 . **الوصف القرآني البديع والتماسك الدلالي المعجز:** 313

الباب الثاني : وصف قصة نوح علية السلام ودلالاتها في سورة نوح 226

الفصل الأول : وصف سورة نوح ودلالات قصته..... 325

1 . التعريف بسورة نوح 326

1 . 1 . عدد آياتها : 326

1 .2 . عدد كلماتها : 326

1 . 3 . **عدد حروفها :** 326

1 . 4 . **فاصلتها القرآنيّة**..... 327

1 . 6 . ترتيبها من حيث النزول 327

2 . القراءات القرآنيّة في سورة نوح وتوجيهاتها : 328

3 . معالم سورة نوح عليه السلام ومحاورها الكبرى :..... 333

4 . تخصيص سورة نوح بقصة نوح عليه السلام : 341

5 . رصف سورة نوح عليه السلام ومناسباتها 342

5 . 1 . المناسبة بين اسم السورة ومحاورها : 342

5 . 2 . مناسبة رصف آيات سورة نوح عليه السلام :..... 343

5 . 3 . التناسب بين مطلع سورة نوح وخاتمتها :..... 343

5 . 4 . دلالات رصف سورة نوح عليه السلام بين سورتي المعارج والجنّ من حيث ترتيب المصحف الشريف :
..... 344

5 . 5 . **دلالات رّصف سياقات قصة نوح عليه السلام :.....** 357

5 . 6 . دلالة رصف سورة نوح من حيث ترتيب النزول :..... 363

6 . تناسب الألفاظ مع الامتداد الزمني لقصة نوح عليه السلام : 371

7 . الإيقاع القصصي في سورة نوح : 375

7 . 1 . **الإيقاع المفرد في قصة نوح : .....** 382

7 . 2 . **إيقاع الشخصية الجماعية : .....** 383

7 . 3 . الإيقاع القصصي العام في قصة نوح عليه السلام : 386

الفصل الثاني : دلالات رصف المستويات اللّغويّة في سورة نوح 408

1 . رصف المستوى الصوتي ودلالاته في سورة نوح : 397

1 . 1 : الأصوات الثنائية . القائمة على علاقة الأخوة :..... 420

1 . 2 . رصف صفات الحروف ودلالاتها في سورة نوح : 425

1 . 3 . الحركات (المصوتات القصيرة) : 432

1 . 4 . الإيقاع الصوتي في سورة نوح :..... 433

1 . 5 . دلالات الفواصل في سورة نوح :..... 439

1 . 6 . دلالات المقاطع الصوتية في سورة نوح 446

1 . 7 . الدلالات فوق المقطعية :..... 456

2. الدلالات الصرفيّة في رصف سورة نوح :..... 458

2 . 1 . **صيغ المبالغة في الأسماء : .....** 458

2 . 2 . صيغ الأفعال : 461

3 . الدلالات التركيبيّة في رصف سورة نوح :..... 462

3 . **1 . الدلالات النّحويّة : .....** 462

3 . 2 . الشقّ البلاغي والبياني في سورة نوح :..... 469

4 . الجوانب الدلاليّة في سورة نوح : 478

4 . 1 . الدلالة المعجمية : 478

4. 2 . دلالات الرّصف والسياق... 480

4 . 3 . رصف الحقول الدلاليّة في سورة نوح : 512

الخاتمة : 517

. فهرس المصادر والمراجع 522

الملاحق 538

..... 539

فهرس الآيات 542

فهرس الأحاديث النّبويّة 561

فهرس الأبيات الشعريّة 562

معجم المصطلحات (عربي . انجليزي) 564

مقدّمة :

لبسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين والصلاة والسلام على نبيّه المجتبى وصفوة خلقه سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وجميع صحابته ومن اقتفى أثره وتمسك بهديه إلى يوم الدين...

إذا كانت اللّغة العربيّة زاخرة بموروثها الثرّ، وبثروة لفظيّة يندر نظيرها، وأصول بناء لا تدانى من كثرتها، وتلوين أنماط تعبير قلّ مثلها، وإبداع دلالي عبر عصور متلاحقة زمنيا تبهر متأمّلها، فإنّ القرآن الكريم كان ولايزال موئل العربيّة وحصنها الحصين، وموطن الفصاحة وإشراقها، وإعجاز بلاغتها وبيانها، ونبعها الفياض المتدفق المعطاء الكريم المتجدد، أمدّها بصرح ممرّد من الألفاظ وصنوف البلاغة والفصاحة وسحر البيان، وأساليب دونها كلّ أساليب أعجزت البلغاء الأقحاح، وتعابير وتراكيب لم يعهدها العرب . وهم أهل الفصاحة والبيان . في استعمالاتهم التي ألفوها وعليها فصاحة لسانهم، فالقرآن الكريم هو ملاذ العلماء والباحثين، وغايتهم للتّثبت والتّحقق، ومنهلهم للاقتباس والتفكر والإبداع.

ولا عجب أن أشير في هذا الصدد إلى أنّ القرآن الكريم . كما قالت الدكتورة عائشة بنت الشاطئ . قد أثّر في السّليقة العربيّة، ووضع لها أبعادا ما كانت تعرفها من قبل، واستنّ للعرب أساليب بلاغيّة جديدة مكّنت العربيّة من ارتقاء سلّم الخلود المرهون بخلود هذا النّص القداسيّ المعجز، وهو الذي بلغ شأوا في الوثاقة لا يدانى، ووصل إلى مستوى من البلاغة والفصاحة لا يجارى، بحيث تصبح

تنحيته عن ميدان الدرس الأدبيّ، وعن مشكلات وجودنا اللّغوي من أكبر الأخطاء، وأخطر المزالق"[1].

وأمام ما تميّزت به اللّغة العربيّة من خلال ما تنطوي عليه من أنماط التعبير اللّغوي الفصيح، ومن أساليب الكلام الكثيرة المتنوعة، وخاصة بعد ما اكتسبته من ثروة لفظية ودلالات جديدة من لغة التنزيل الحكيم والقرآن المبين، ومن مسايرتها للمستجدات اللّغويّة، وتطوّراتها مع تعاقب الأزمنة، ومعايشتها للتنوّع الثقافي، واستيعابها لكلّ جديد ونازلة توسعت بذلك رقعة الدلالات وتزاحمت في بعض الأحيان، ممّا تسبب ذلك في غموض بعض معاني ألفاظ الكلام والخطاب وتشويشها، وعدم وضوح دلالاتها، فلا يرفع الغموض ولا تتضح الدلالة إلّا بقرائن.

والرّصف اللّغوي يعتبر من أقدر القرائن وأهمّها في دراسة أنماط تعابيرها وتراكيبها، وترجيح دلالات أساليب كلامها وخطابها، إذ الرّصف اللّغوي له دور كبير في إيضاح التعالق بين وحداتها اللّغويّة وترابطها، وتناسق نماذجها وأشكالها، وانسجام مبانيها مع معانيها، ورفع لبس معانيها ودفع غموضها، وإبراز أسرار تراكيبها وإعجازها، وتجليّة مكامن روعتها وبلاغتها، وسحر بيانها وفصاحتها، والوقوف على دلالاتها وإيحاءاتها، وبلوغ مرامي مرادها، وإصابة أغراضها ومقاصدها، وكشف اللثام عن نظمها الدقيق المحكم.

بيد أنّ مفهوم الرّصف وتخصيصه بالدراسة والبحث، وضبط أسسه وقواعده، وبلورته للوصول به إلى نظريّة قائمة بذاتها لم ينل الحظ الوافر من الاهتمام والدّراسة العلميّة الموضوعيّة في تراثنا اللّغوي العربيّ الزاخر، وإن كانت هناك إشارات رصفيّة، ونتفات لمفهومه صريحة؛ أو بمسمّيات مختلفة قريبة منه ودالة عليه، نحو : السبك والحبك والتأليف...وهذا عند علمائنا القدامى أمثال :

---

[1] . بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن، كتاب العربيّة الأكبر، منشورات مؤتمر الأدباء السابع، القاهرة 1966م . ص 12

الجاحظ في البيان والتبيين، والباقلاني في إعجاز القرآن، وعبد القاهر الجرجاني في الدلائل وغيرهم... فتعتبر إشاراتهم للرّصف المنطلق والقاعدة البحثيّة في هذا الفنّ الدقيق، فبالإمكان انتداب لفيف من باحثين أكْفَاء في التخصص للتنقيب في هذا التراث الواسع، وتأسيس هذا العلم وفق ما تقتضيه خصوصيات اللسان العربيّ.

كما أنّ هناك بعض الدّراسات الرّصفيّة لباحثين جادين، ومؤلفين متألقين من اللّغويين المعاصرين، مع اختلافهم في استعمال وتحديد مصطلح الرّصف بمسمّيات مختلفة، بناء على خلفيّاتهم العلميّة، وتأثرهم بالنّظريات اللسانيّة الغربيّة الحديثة؛ أو حسب المعيار الرّصفي المتبع، فمنهم من أعطى اهتماما وعناية لمفهوم الرّصف من خلال الجانب المعجمي والتركيبي، ومنهم من ركّز على نمط التعبير كوحدة دلاليّة...فمن هؤلاء :

. الدكتور أحمد مختار عمر استعمل مصطلح (توافق الوقوع) دلالة على الرّصف في كتابه (علم الدلالة)

. أمّا الدكتور تمام حسان فقد استعمل مصطلحي (التوارد والتّضام) في كتابيه الخلاصة النّحوية، واللّغة العربيّة معناها مبناها، وكذلك الدكتورصبري السيّد استعمل مصطلح (التّضام)

. واستعمل الدكتور محمد علي مصطلح (انتظام التتابع)

. واستعمل الدكتور أبو الفرج مصطلح (المصاحبة)...

ناهيك عن بعض المقالات على قلّتها التي أفردت الرّصف بالبحث؛ أوتناولته بين ثنايا طيّاته مثل : مقال الدكتور كمال علوش (نظرية الرّصف وأفاق بناء معجم تاريخي للتعبير الاصطلاحي العربي)، والمقال المتميّز للدكتورة زينب عادل كعيد خلف العاني (الرّصف وعلم لغة النّص)، ومقال للأستاذين يوسف سليمان الطحان، والأستاذ ببهان حسون السعدون (مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم . دراسة أسلوبيّة .).

فجميع ما أشرت إليه بعد اطلاعي على بعض ما كتب في هذا المضمار، والنّظر والتأمل برويّة في البعض الآخر ألفيته جهدا كبيرا مشكورا.

ولمّا وجدتّ موضوع الرّصف اللّغوي خصبا للبحث، منفسحا للدّراسة، وقابلا للمزيد تزايد عندي الاهتمام به محاولة مني لبلورة رؤية أوسع لمفهومه، باعتباره موضوعا لغويّا قابلا للدّراسة الموضوعيّة العلميّة، فتوصلت بعد لملمة أشتاته إلى أنّ الرّصف هو : (استغراق لجميع وحداته اللّغويّة المنتقاة التي يستدعي بعضها بعضا والممتدّة من الصوت إلى النّص تحقيقا وتقديرا واحتمالا، القابلة للترابط نحويا والتعالق دلاليا وفق نظامها اللغويّ الخاص وفي سياق محدد، لإفادة غرض مقصود، ودلالات مقطعيّة وفوق مقطعيّة).

ولتنزيل هذه المفاهيم الرّصفيّة وقع اختياري على القصّة القرآنيّة وتخصيص سورة نوح أنموذجا للدّراسة الموسومة بـ : (**رصف القصص ودلالاته في القرآن الكريم سورة نوح . عليه السلام . أنموذجا**) قصد الوقوف على السمات الأسلوبيّة الفارقة، والدلالات المعجزة من خلال نظمها الدقيق، ورصفها المحكم، وأسلوبها الآسر، وبيانها الساحر...ولم يتأت هذا التصوّر إلّا بعد طول تأمل وإمعان، فرجعت في ذلك إلى كثير من التصانيف والكتب والدّراسات البحثيّة بنسب متفاوتة حسب ما يقتضيه البحث، أذكر منها :

. كتب التفاسير والقصص القرآني مثل : الكشاف للزمخشري، وروح المعاني للألوسي، والتحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور، وفي ظلال القرآن للسيّد قطب، وقصص الأنبياء للشيخ محمد متولي الشعراوي...

. وكتب علوم القرآن وعلم المناسبة نحو : البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي، والإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي، والبرهان في تناسب سوّر القرآن للإمام الثقفي، ونظم الدرر للإمام البقاعي...

. وكتب النظم والإعجاز مثل : الإعجاز في القرآن للإمام الباقلاني، ودلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، وإعجاز القرآن والبلاغة النبويّة للرافعي، والتناسب البياني في القرآن للدكتور أحمد أبو زيد، والإعجاز البياني في القرآن الكريم للدكتور عمار ساسي، ونظريّة النّظم للدكتور صالح بلعيد...

. وكتب علم الصوت والقراءات القرآنيّة، ومنها : سرّ صناعة الإعراب للإمام ابن جنّي، النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري، وبحوث ودراسات في علوم اللسان للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وعلم الصوت العربي للدكتور قاسم البريسم...

وكتب أصول الفقه الإسلامي ، نحو : المستصفى للإمام أبي حامد الغزالي، والإحكام في أصول الأحكام للإمام الآمدي، وأصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ...

. وكتب النّحو والبلاغة والدلالة، مثل : الكتاب لسيبويه، والمفتاح للسكاكي، والإيضاح للخطيب القزويني، وعلم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر... وغيرها من المصنّفات والكتب والأطروحات والمقالات في مجالات متعددة لها علاقة بالموضوع، وربط ذلك بالدّراسات الحديثة ما أمكن مع مراعاة خصوصيّة الموضوع، فكلّ ذلك أفادني في دراستي البحثيّة، وأفدت منها أيّما إفادة، فالفضل بعد الله عزّ وجلّ وتوفيقه يعود إلى أصحاب هذه التّصانيف والكتب والأطاريح، والبحوث المتخصصة، ومع ذلك أقرُّ . وأنا على يقين . بأنّ الدّراسة الرّصفيّة للقصص القرآني محفوفة بالمزالق، ولها خطورة بمكان، وهي مرتقى صعب، وبحر غائر في العمق لا ساحل له، متناثرة دُرره، فلا يمكنني الإحاطة بجوانبها المتباعدة، بل البحث فيها، ومعالجة مواضيعها تنوء به العصبة أولو القوّة من تخصصات كثيرة مجتمعة، لأنّها تنفسح لمباحث كثيرة تفسيريّة وأصوليّة وصوتيّة ونحويّة وبلاغيّة ودلاليّة...يأخذ بعضها بأعناق بعض.

وما هذه الدّراسة إلّا محاولة منّي أتقرب بها إلى الله أولا من باب الاجتهاد، والاجتهاد باعث للحركة

العلميّة واستمرارها، ثمّ ثانيا لإثارة هذا الموضوع للباحثين من أجل دراسة القصص القرآني دراسة رصفيّة بشكلّ موسع يربط القصص بعضها ببعض قصد الوقوف على الإعجاز القصصي والعبر غير المتناهية لتكون هداية للعقول في كلّ وقت وآن، فيستقيم بها الحال، ويجمل بها المآل، وتنتفع بها الأجيال...

وهذه دراسة في اعتقادي لازالت بكرا منفسحة للبحث، قد تضاف إلى النمط السردي للقصص الذي لا يخلو هذا الأخير من فائدة.

دوافع البحث :

من الدوافع التي حفزتني على خوض هذا الموضوع، والإقدام على دراسته بعد تردد لازمني لخطورته، واتخاذه حقلا لبحثي هذا منها ما هو موضوعي، ومنها ما هو ذاتي، أجملها في ما يلي :

1 . من خلال معايشتي للقرآن الكريم، وتصفحي لمجموعة من كتب تفسير القرآن العظيم وعلومه، وما أشار إليه بعض الباحثين في هذا الصدد لفتت انتباهي أمور، واستوقفتني حقائق مبهرة في القرآن . المعجزة الخالدة . دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع رغم خطورته، ومن بين هذه الأمور:

. استعمال القرآن الكريم لألفاظ متداولة في اللسان العربي ورصفها بدقة متناهيّة إلى درجة الإعجاز، بحيث لا يمكن استبدال لفظة مكان لفظة من قبيل الترادف في الظاهر؛ أو قريبة في معناها، فرصف كلمات القرآن الكريم وآياته وسوره وقصصه بطريقة خاصة ومعيّنة لا يمكن أن تكون مرصوفة رصفا عاديا، فهي فوق ذلك.

. تراكيب عجيبة مرصوفة بطريقة بديعة لم يعهدها العرب في أساليبهم الكلامية، ولا في استعمالهم المألوف في لغتهم، تثير الدهشة، وتحضّ على التأمل.

. انسجام الآيات الكريمة، وما ذكر من مشاهد القصّة القرآنيّة في السورة التي فيها من الانسجام الدقيق ما يتساوق ومنحاها الدلالي العام...

2 . دراسات العلماء والباحثين للجوانب اللّغويّة والدلاليّة من خلال البحث القرآني مع كثرتها تبقى قليلة، وهذا لما يتسم به القرآن الكريم من سمات التجدد واستمرارية العطاء التي يتفرد بها . لا نجدها في غيره . تفرض البحث فيه مجددا وعلى الاستمرار.

3 . قناعتي التامة . حسب اطلاعي . أنّ موضوع الدّراسة الرّصفيّة بنظرة شموليّة وخاصة رصف القرآن الكريم ومنه رصف القصص ما زال بكرا وفي حاجة ماسّة إلى دراسة مفصّلة، وبحث معمّق دقيق، يمسّ جميع زواياه، ويعالج قضاياه معالجة علميّة موضوعيّة.

4 . محاولة لملمة شتات هذا الموضوع وجمعه، واستعاب جوانبه للخروج برؤية شاملة تحدد مفهوم الرّصف بنظرة متكاملة من أقل وحدة دالة قابلة للتحليل والتصنيف إلى أكبرها في انسجام تام بين المبنى والمعنى، وتأثيره على دلالات الكلام ومقاصده.

. الإشكاليّة :

الدّارس للقرآن الكريم، والمتأمل فيه بإمعان، وما أشارت إليه الأيّات الكريمة من أمر بتدبره نحو قوله تعالى ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا٨٢**﴾ [النساء: 82]، وأخرى تكشف سرّ إعجازه من خلال إقامة التحدي نحو قوله تعالى ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا٨٨**﴾ [الإسراء: 88]، ومنها ما تحثّ على الاعتبار مثل قوله تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ ١١١**﴾ [يوسف: 111]، ومنها ما ندبت أولي الألباب والنهى للتفكر، ورغّبتهم في إعمال العقول قصد جلب ما يصلح لهم وينفعهم في الدارين، ويدرأ كلّ ما فيه مفسدة دنيويّة

وأخروية نحو قول الله تعالى ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ١٧٦**﴾ [الأعراف: 176]

....فمن خلال هذه النّصوص القرآنية مجتمعات أو متفرقات؛ زرفات أو وحدانا، وغيرها في كتاب الله تعالى التي تشدّ الانتباه، وتوقظ الضمير، وتحرك العقل السليم نحو التفكر والتدبر في آي القرآن الكريم، والغوص صوب دلالاتها ومعانيها غير المتناهية تبادرت إلى خلدي وتزاحمت جملة من التساؤلات عن جانب من هذه الدلالات المرتبطة بالقصة القرآنيّة، فمن خلالها كان تصوّر **الإشكاليّة المطروحة** لهذا الموضوع، والتي حصرتها في قصة نوح عليه السلام من خلال سورة نوح كأنموذج للدراسة الرّصفيّة للقصص القرآني . على النحو التالي :

. هل آيات القصة القرآنيّة المرصوفة رصفا خاصا في سورة نوح، والموزّعة توزيعا محكما تتساوق صوتا وإيقاعا وبنية وتركيبا ودلالة مع مسار قصة نوح عليه السلام ودلالتها العامة، وفي الوقت نفسه هل هي منسجمة مع المعاني العامة للسورة التي هي فيها، ومتناغمة معها دلاليا ؟

. ويمكن من خلال هذا التساءل الأساس أن تتفرع عنه تساؤلات أخر منها :

هل تكرار بعض الأصوات أكثر من غيرها في سورة نوح، وتوظيف أبنية وصيغ معيّنة ورصفها رصفا دقيقا محكما، وبروز لافت لجمل اسميّة و فعليّة في رصف السورة تعتبر سمة أسلوبيّة قابلة للدراسة والتحليل؟ وهل تتماشى ومسار قصة نوح عليه السلام ؟

. هل دلالات قصة نوح عليه السلام . وخاصة الدلالات الإعجازيّة . تستنبط بمعزل عن ضميماتها من القصص؟ أم ينظر إليها من خلال الرّصف الترتيبي للقصص؟

. هل مسار قصة نوح ودلالاتها العامة تتساوق بطريقة إعجازيّة وتتناغم تناغما تاما مع الترتيب الرّصفي لسوّر القرآن الكريم في المصحف الإمام، والترتيب النّزولي للسوّر القرآنيّة؟.

فحاولت جاهدا من خلال هذه الدّراسة الرّصفيّة في هذا البحث فكّ شِفرة بعض هذه التساؤلات

وتساؤلات أخرى، والوقوف على جوانب إعجازيّة، ودلالات منقطعة النّظير.

. **أهميّة الموضوع :**

كثير من البحوث والدراسات العلميّة ينطوي سرّ أهميّتها من خلال عناوينها التي وسمت بها، فلا يبذل القارئ جهدا كبيرا حتى تتضح له الأهميّة المتوخاة من معالجة الموضوع المطروق ودراسته، ولكن تقليد البحث الأكاديمي دأب على إبراز هذه الأهميّة وكشفها، والتي يمكن الإشارة إليها في هذه الدّراسة من ثلاثة جوانب على الأقل :

. **اللّغوي** : بحيث تكمن أهميّة الدّراسة الرّصفيّة في ما تحمله من قيمة علميّة تؤهلها من معرفة السياقات اللّغويّة المحتملة الاستعمال ودلالاتها المقصودة، ودلالات حقولها، وهذا من خلال تراصف الوحدات اللّغوية، وإعادة رصفها ، وتحديد مجالات ترابطها وتلاؤمها وتضامّها بطريقة دقيقة من حيث تعالقها نحويا ودلاليا.

. تعمل الدّراسة الرّصفية على ضبط الدلالات المتنوعة للوحدات اللّغوية المختلفة

. تعيّن قرينة الرّصف الدلالة المتوخاة من الألفاظ المرصوفة بطريقة خاصة وترشيحها عن غيرها مقطعيا كانت أو فوق مقطعيّة

. ضبط دلالات الكلمات المصاحبة لضميماتها على أنماط تعبيرية معيّنة مع مراعاة سياقاتها التي سيقت فيها. .

. الرّصف معيار حاسم للتمييز بين التماثل اللفظي (الهومونيمي) الناتج عن المطابقة التامة في نطق أصواتها، ومنه الإشتراك اللفظي، وخاصة التضاد منه

. الوقوف على رصف تركيبي خاص خاضع لمعيار الرّصف غير العادي، يعمل على الاقتصاد اللّغوي، تقترن وحداته اللّغوية اقترانا يخضع لمجال العلاقات التلاؤميّة الأفقيّة مشكلة بذلك وحدة

دلاليّة ثابتة مفارقة ألفاظها لمعناها المعجمي الحرفي.

. **الإعجازي** : الدّراسة الرّصفيّة للقصص القرآني من خلال معالجة القصّة برؤية شاملة ولجميع أبعادها ومن زوايا متعددة تكمن أهميّتها في كشف رصف وحداته (الصوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة) بطريقة إعجازيّة وأسلوب متفرد، ودلالات متواشجة، ومعان مترابطة فيما بينها، ومتعالقة بعضها ببعض مشكلة بذلك مسار القصّة القرآنيّة بطريقة عجيبة، وتصوير بديع لتقلّب أحداثها وإبراز سياقاتها عبر منحناها الزّمني كأنّها ماثلة للعيان؛ يعيش القارئ في خضمّها بأحاسيسه ووجدانه.

القِيَمِي : بما أنّ سلوك العنصر البشري وتصرفاته متشابهة إلى حدّ كبير في كلّ وقت وحين رغم تعاقب الأزمنة واختلاف العصور والأمصار جاء القصص القرآني لتقويم ما هو فاسد منها ومنحرف، والرجوع به إلى أصل فطرته ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ٣٠**﴾ [الروم: 30 ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ١٣٨**﴾ [البقرة: 138]

وقصة نوح عليه السلام . من بين القصص القرآني . من خلال دلالاتها ومعانيها لها أهميّة بمكان في معالجة كثير من القضايا المتعلقة بالجانب العقديّ والسلوكي والتربوي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ... قال تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ١١١**﴾ [يوسف: 111]، إضافة إلى تثبيت قلوب المؤمنين، وزرع الأمل في نفوسهم، والتطلّع إلى الآفاق المنشودة والاستشراف المستقبلي المأمول.

. المنهج :

وقد اعتمدت المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي في استقراء الأسرار، وربط الأطروحات بعضها ببعض، وإذا ما كانت المباحث الرّصفيّة ومطالبها تتطلب مناقشة وتحليلا كان المنهج الوصفي التحليلي هو الرائد، وقد تطلّبت بعض المطالب مناهج أخر (التاريخي والمقارن ...).

ومن شق آخر فقد عملت على تدقيق المصادر والمراجع وتوثيقها ما وسعني ذلك،

خطة البحث :

اقتضت طبيعة هذا الموضوع رغم تشعّبه أن يدرج في بابين كبيرين بالإضافة إلى مقدّمة وخاتمة، شمل الباب الأول ثلاثة فصول، وضمن كلّ فصل من فصوله مباحث حسب ما اقتضته المعالجة، وتضمّن الباب الثاني على فصلين، مدرجة تحت كلّ فصل منهما مباحث، حاولت من خلالها أن أوازن بها العمل ما استطت، وأن أستوفي بها خطة البحث العامّة وبنيته.

تناول **الباب الأول : (مفهوم الرّصف ودلالته في القرآن الكريم)**

عالج الفصل الأول منه الموسوم بـ **(مفهوم الرّصف)** من خلال مبحثه الأول الرّصف لغة واصطلاحا، وقيمة الرّصف وفائدته في مبحثه الثاني، وفي المبحث الثالث والرابع على التوالي مفهوم الرّصف عند علمائنا القدماء (بداية من سيبويه وابن المعتز...ومرورا بالجاحظ والباقلاني...إلى عبد القاهر الجرجاني)، وعند المحدَثين (أمثال أحمد مختار عمر، وتمّام حسّان، وصاحب النّظريّة السياقيّة جون فيرث وأتباعه)، وتطرق المبحث الخامس إلى العلاقة بين الرّصف والمصطلحات المتجانسة معه (السياق، المناسبة، الاتساق والانسجام، والنّظم) وهذا مع الوقوف على بعض الفوارق الدقيقة، وتركزت دراسة المبحث الأخير على أهميّة الرّصف وعلاقته بالبلاغة، والفصاحة، واللفظ والمعنى.

أمّا الفصل الثاني **(الرّصف في القرآن الكريم)** فعالج مبحثه الأول تعريف القرآن لغة واصطلاحا، وأسماء القرآن الكريم وأشهرها، وتناول المبحث الثاني مفهوم الأحرف السبعة، وهل هي مثبتة في المصحف؟ وما الحكمة منها؟، أمّا المبحث الثالث فركّزت فيه على القراءات القرآنيّة وأقسامها (المتواترة، والصحيحة . المستفيضة، والشاذّة .)، وحاولت أن أوضح مصطلح (القراءة الشاذّة)

من خلال الدّراسة البينيّة، بين الشاذّ في القرآن والشاذّ في المصطلح الحدِيثي، وبين الشاذّ في القرآن والشاذّ في المصطلح النّحوي، وماهي الفائدة من القراءة الشاذّة؟

وعالج المبحث الرابع ترجمة القرآن الكريم، والمبحث الخامس مفهوم الإعجاز في القرآن الكريم، والإعجاز في الرّصف القرآني . رصف القرآن ورصف الأحاديث النبويّة، ورصف القرآن ورصف العرب، أمّا المبحث السادس فتناول أمثلة من دلالات رصف القرآن الكريم في أبواب متعددة (دلالات رصف الحركات، ورصف حروف المباني، ورصف حروف المعاني، ورصف الكلمات، ورصف التركيب، ورصف السوّر)، وانسجاما مع عنوان البحث أفردت مبحثا سابعا لمفهوم رصف القصص القرآني ، تناولت فيه القصص لغة واصطلاحا، مفهوم القَصص القرآني وقِصص الخلق، وخصائص القَصص القرآني والهدف والغاية منها، وهل القصص فيها تكرار؟، وأمثلة من دلالة رّصف القصص القرآني

وتناول الفصل الثالث (**الدلالة وقيمتها في القرآن الكريم**)، عالج مبحثه الأول علم الدلالة (الدلالة لغة واصطلاحا، تعاريف علم الدلالة وعلاقتها بالرموز والعلامات اللّغويّة وغير اللّغويّة)، وركّز المبحث الثاني على أنواع المعنى، أمّا المبحث الثالث فتطرق إلى الجهود الدلاليّة عند العلماء العرب القدماء (اللّغويين . المعجميين، والنحاة والصرفيين، والبلاغيين، والمفسرين، وعلماء أصول الفقه الإسلامي)، وتناول مبحثه الرّابع الدلالة عند المحدَثين العرب، وأشار المبحث الخامس إلى أهمّ أسباب التطوّر الدلالي كالاستعمال ومنه المجاز والحقيقة.... أمّا المبحث الخامس فعالج الدلالة القرآنيّة ومستويات الدّرس اللّغوي (الدلالة الصوتيّة في القرآن الكريم . دلالة الحرف، والنبر، والتنغيم، ودلالة المقاطع .... والدلالة الصرفيّة في القرآن الكريم . دلالة الصيغ : بين دلالة الفعل والاسم في الاستعمال القرآني، وبين دلالة الاسم والاسم في الرّصف القرآني، وبين دلالة الجمع والجمع . والدلالة التركيبيّة في القرآن الكريم . تطرقت فيها إلى مفهوم

المركب الإسنادي ومقيّداته، وظاهرة الالتفات البلاغيّة، والمظاهر التداوليّة وخاصة عند علماء أصول الفقه، والتماسك الدلالي المعجز، والرّصف القرآني المثير للدهشة، والرّصف البديع والدلالة الدقيقة).

أمّا الباب الثاني الجامع لفصلين متكاملين خصصا لدراسة سورة نوح (أنموذجا) فانصبّ البحث فيه عن (**رصف قصة نوح عليه السلام ودلالاتها في سورة نوح**)، عالج الفصل الأول (**رصف سورة نوح**) تطرقت في مبحثه الأول إلى التعريف بسورة نوح من حيث عدد آياتها وكلماتها وحروفها، ونوع فواصلها، وترتيبها المصحفي والنزولي، أمّا المبحث الثاني فخصصته للقراءات القرآنيّة في سورة نوح وتوجيهاتها، كما تناول المبحث الثالث معالم سورة نوح ومحاورها الكبرى، وعالج مبحثها الرابع الحكمة من تخصيص سورة نوح بقصة نوح عليه السلام، وفي المبحث الخامس تطرقت إلى رصف سورة نوح ومناسباتها (المناسبة بين اسم السورة ومحاورها، ومناسبة رصف آيات سورة نوح، والتناسب بين مطلع السورة وخاتمتها، والدلالة الرّصفيّة لسورة نوح بين سورتي المعارج والجنّ، ودلالة رصف سورة نوح من حيث ترتيب النزول مع الترجيح المعلل)، وأشرت في المبحث السادس إلى بديع تناسب الألفاظ المستعملة في القصة مع المنحى الزمني لقصة نوح عليه السلام، وتناول المبحث الأخير من هذا الفصل **الإيقاع القصصي في سورة نوح**، تضمّن (الترتيب المعجز ودلالته، وإيقاع الشخصية الجماعية، والإيقاع القصصي العام في قصة نوح).

وتناول الفصل الثاني من الباب الثاني (**رصف المستويات اللّغويّة ودلالاتها في سورة نوح**) عالج مبحثه الأول **رصف المستوى الصوتي ودلالاته في سورة نوح**، مهدت له بالوقوف على أصوات اللّغة العربيّة بين القدامى والمحدَثين من حيث الاختلاف في بعض المخارج والصفات . مفهموم الحركة، وهل هي فونيم مثل الصوامت؟، وما الفرق بين الحركة وأحرف المدّ واللين؟ .

وعرجت فيه على الضاد القديمة والحديثة وألفوناتها، وصفات الأحرف المختلف فيها بين القدامى والمحدَثين، كما وقفت على دلالات الأصوات الثنائية القائمة على علاقة الأخوة في سورة نوح، ورصف الصفات المتضادة (الجهر والهمس، الاستعلاء والاستفال، الشدّة والرخاوة، الإطباق والانفتاح) في سورة نوح وتناسبها مع دلالات السورة، وقصة نوح عليه السلام، وأشرت إلى دلالة الحركة (المصوّت القصير) في سورة نوح، ودلالات الإيقاع الصوتي من خلال رصف سورة نوح (التجمع الصوتي، تكرار الألفاظ، تنوع الفواصل والمقاطع).

كما تناول المبحث الثاني **الدلالات الصرفيّة في رصف سورة نوح المخصوص،** اشتمل على صيغ المبالغة في الأسماء والأفعال وتناسب دلالاتها مع المنحى الدلالي العام لقصة نوح عليه السلام، . أمّا المبحث الثالث الدلالات التركيبيّة في سورة نوح فقد تضمّن دلالات الأفعال وتوزيعها المعجز في رصف السورة . دلالات جمل الحدث (الحدث المنتهي، والحدث القائم، والحدث المنتظر).

. دلالات الجمل الاسميّة . الأسماء النكرة سمة أسلوبية في سورة نوح ودلالاتها.

. دلالات الصوّر البلاغية والبيانية في سورة نوح (التشبيه، والمجاز بنوعيه المرسل وبالاستعارة، والكناية، والبديع).

كما أشرت في المبحث الرابع إلى بعض **الدلالات المعجميّة في رصف السورة،** بالإضافة إلى **الدلالة في سورة نوح** : دلالات الرّصف والسياق : رصف الحروف، رصف الكلمات، رصف الجمل وشبه الجمل، رصف الآيات والخطاب. هذا من شقّ، ومن شقّ آخر وقفت على بعض دلالات وإيحاءات الحقول الاسميّة والفعليّة من خلال رصفها المخصوص في النّص القرآني لسورة نوح.

ولقد توّج هذا البحث بخاتمة تضمّنت جملة النّتائج المتوخاة من معالجة هذا الموضوع ودراسته، وبعض المقترحات.

وأملي أنّ يكون هذا البحث قيمة إضافيّة إلى بحوث الدراسات اللّغويّة القرآنيّة التي نال أصحابها فضل السبق ابتداء، وأرجو أن يكون قد أضاف لها شيئا جديدا ولو كان يسيرا.

وأشير في الأخير إلى أنّ هناك بعض العوائق اعترت مسيرة هذا البحث . وهي طبيعة البحث العلمي . وقد واجهتني في مضمار معالجته جملة من الصعوبات منها :

. صعوبة مسلك هذا البحث لتعلقه بالدّراسة القرآنيّة، لأنّ الدّراسات القرآنيّة صعبة المنال، منوطة بالمزالق، محفوفة بالمخاطر... والإقدام على بحث مثل هذا بعيد ما بين جوانبه، وممتدّة أغواره نوع من المغامرة، ولعلّ الإجتهاد يشفع لنا في ذلك.

. تشعّب الدّراسة الرّصفيّة في القصص القرآني، وتعدد مشاربها لا تُحدّ ببحث محدود الصفحات مرتبط بوعاء زمنيّ غير كاف لإعمال الفكر، والتثبّت والتدقيق، والتعمّق في البحث أكثر...

. وما كان لهذا البحث بعد توفيق الله وعونه أن يستوي على سوقه، ويصل إلى هذا المستوى لولا توجهات أستاذي صاحب الأفضال الأستاذ الدكتور : عمار ساسي الذي غمرني بعطفه، وأفاض عليّ من جميل خُلقه، وكريم فضله، وأمدني بعلمه وإرشاداته، فإنّ له من طول الباع، ونفث اليراع، ورائق التحليل، وعالي التعليل ما يجعل علمه نضارا، وتخريجاته نثارا، ولاأزال منه إلى الساعة على طريقة تقتنى، وفائدة تجتنى، فله منّي شكري الضافي، وجميل اعترافي، فجزاه الله كلّ خير، وأثنّي بشكري الصافي لكلّ من ساعدني من قريب أو بعيد (ومن لا يشكر النّاس لا يشكر الله).

والله الموفّق للسّداد، نسأله أن يجعل هذا العمل مُدنيّا من رضاه، مبعدا عن غضبه، ونرجو من الله تعالى القبول والنفع به في الدارين.

البـــــــاب الأول :

مفهوم الرّصف ودلالته في القرآن الكريم

الفـصل الأول : مـفـهوم الرّصــف

1 . الرّصف لغة واصطلاحا

2 . قيمة الرّصف وفائدته

3 . مفهوم الرّصف عند علمائنا القدامي

4 . مفهوم الرّصف عند المحدَثين

5 . الرّصف والمصطلحات المتقاربة دلاليا

6 . الرّصف والبلاغة والبيان، والفصاحة، وثنائية اللفظ والمعنى

تمهيد :

كثير من النّظريات اللّغويّة الحديثة المرتبطة باللسانيات الغربيّة سواء منها ما تعلّق بمستويات اللّغة الصوتية والصرفية والتركيبية؛ أو ما تعلّق بالحقول الدلالية والمعجمية والتداولية... التي يستفيد منها الدرس اللساني المعاصر في معالجة ودراسة القضايا اللّغويّة وظواهرها العديدة لها أصول في تراثنا اللّغوي العربي الأصيل، وهذا بشهادة اللسانيين الغربيين أنفسهم، والحقّ ما شهد به الغير قبل شهادة أنفسنا لأنفسنا.

فعلى سبيل المثال في مجال الدراسات الصوتية قال اللساني البريطاني جون فيرث :" نشأت الدراسات الصوتية في أحضان لغتين مقدستين هما السنسكرتية (لغة الهند القديمة) والعربيّة "[1]، وقال يوهان فك :" ولقد تكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديرة بالإعجاب . بعرض اللّغة الفصحى، وتصويرها في جميع مظاهرها... حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد"[2].

وقال فيشر في مقدمة معجمه (المعجم اللّغوي التاريخي) :" إذا استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر يحقّ له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها حسب أصول وقواعد غير العرب"[3].

وأمّا من علمائنا المحدَثين فنذكر عبده الراجحي الذي كشف في بحوثه العلمية عن أصالة المنهج، والدرس اللّغويّ العربي عند علمائنا القدامى، فقال :" إنّ دراستهم . العلماء العرب . للغة لم تقتصر

---

[1]. البريسم قاسم، علم الصوت العربي . في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، الناشر إفريقيا الشرق . المغرب .2018 ص 05

[2] . عمر مختار أحمد ، البحث اللّغوي عند العرب، عالم الكتب القاهرة، ط الرابعة 1402هـ 1982م ص 149

[3] . عمر مختار أحمد ، البحث اللّغوي عند العرب ص 149

على مستوى واحد، وإنّما شملت ما يدعو إليه المنهج الحديث، فدرسوا الأصوات، والصرف، والنحو، والدلالة، وتناولوها تناولا وصفيا على ما ظهر مما قدمناه من وصفهم للأصوات المفردة ... وعلى ما ظهر من فهمهم للنحو، بأنّه دراسة الجملة، ومن دراستهم للفضائل النحوية في مقدمات كتبهم، ثمّ ما ظهر من دراستهم على المستوى الدلالي، سواء كان على مستوى المعجم؛ أو مستوى المعنى عموما، وبخاصة فيما أشرنا إليه من إدراك ابن جني لما يعرف (بسياق الحال)... "[1].

ويعتبر الرّصف اللّغوي حقل من حقول الدراسة اللّغوية له أهميّة بمكان في دراسة أنماط تعابير اللّغة العربيّة، ومعالجة أساليب كلامها وخطابها، بيد أنّ مفهوم الرّصف وتخصيصه بالدراسة والبحث، وضبط أسسه وقواعده، وبلورته علميا للوصول به إلى نظريّة قائمة بذاتها لم ينل القسط الكبير والحظ الوافر في الدرس اللّغوي العربي القديم .كما ستوضّحه مباحث هذا الفصل . إلّا ما كان من إشارات رصفيّة صريحة، ومسميات متقاربة من حيث المفهوم كالسبك،والحبك، والتأليف...أو ما يؤكد أصالة الرّصف بأصالة نظرية النّظم لإمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني، وهذا لوشاجة العلاقة فيما بينهما، وارتباطهما الوثيق الملتحم، فبهذا العمل اللساني الكبير حاز به علماؤنا الأوائل فضل السبق، وإن كان هناك لفيف من علمائنا المحدَثين وباحثينا الجادين من اعتنى بهذا البحث اللّغوي الدقيق.

ومهما تعددت البحوث اللّغويّة المرتبطة بالقرآن الكريم؛ أو تكررت فهي قابلة للبحث مجددا، لأن القرآن لا تنقضي عجائبه، ومتجدد العطاء، سخيّ في كلّ عصر ومصر، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدّراسة الرّصفيّة مرتبطة بالنّص القرآني القداسي لكشف الدلالات المعجزة، والفوائد الجمّة.

---

[1] . الراجحي عبده فقه اللغة في الكتب العربية . دار النهضة العربية بيروت . 1979 م ص 183

. مفهوم الرّصف (Collocation)

1 . الرّصف لغة واصطلاحا:

1 . 1 . الرّصف لغة :

ذكرت المعاجم العربية معاني عدة لمادة (ر، ص ، ف) رصدت أهمها على النحو التالى:

الانتظام والتتابع والضم : وهو ضم الشيء بعضه إلى بعض.

قال أحمد بن فارس :" رصف (الراء . الصاد . الفاء) أصل واحد منقاس مطرد وهو ضم الشيء بعضه إلى بعض فالرَّصَف ضم الحجارة بعضها إلى بعض ، والحجارة نفسها رصف"[1].

قال الزمخشري :" وجرى الماء على الرَّصَف والرِّصاف.

قال العجاج : من رَصَف نازع سيلا رَصَفا ..."[2].

وجاء في لسان العرب :" يقال للقائم إذا صفّ قدميه رَصَف قدميه وذلك إذا ضمّ إحداهما إلى الأخرى، ورَصَف ما بين رجليه قربهما ، ورُصِفت أسنانه رَصفا ورَصِفت رَصفا... تصافت في نَبْتَتِها، وانتظمت واستوت...ورَصَف الحجر... بناه فوصل بعضه ببعض .... والرَّصَف الحجارة المتراصفة، واحدتها رَصَفَة "[3] .

وذكر في القاموس المحيط :" الرَّصَفَة واحدة الرَّصَف لحجارة مرصوف بعضها إلى بعض في

---

[1] . ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس زكرياء(ت 395هـ)، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمر دار الفكر العربي، ط2 ، 1428هـ 2/ 299

[2] . الزمخشري جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ)، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود دار المعرفة بيروت لبنان ص165

[3] . ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط الثالثة، 1414هـ، 9/119. 120

مسيل"[1].

. **الشدّ :** ومنه " الرَّصَفَ مصدر رصفت السّهمَ أرصفته إذا شددتَ عليه الرِّصاف، وهي عقبة تُشدّ على الرّعضِ، والرّعْضُ مدخل سِنْخِ النصل..."[2].

وفي القاموس المحيط :" رَصَفَ السّهمَ شذَ على رُعَظِه عقبة (مدخل سِنِخِ النصل أي مدخل النبال من النصل)"[3].

. **الإحْكام** (أو الشيء المحكم): جاء في أساس البلاغة :" ومن المجاز رجل رَصيف محكم العمل"[4]، وكذلك " عمل رَصيف، وجواب رَصيف، أي محكم رصين"[5]، و" بيّن الرَّصافة محكم"[6].

. **الانسجام والتلاؤم :** وهذا المعنى للرّصف يستنبط بمفهوم المخالفة من خلال ما ذكر في المعاجم على غرار قول الرازي في الصحاح :" هذا أمر لا يرصف بك، أي لا يليق بك"[7]، وبمفهوم المخالفة الذي يرصف يليق ويتلاءم وينسجم

. **التقارب :** " رجل مرتصف الأسنان متقاربها"[8].

---

[1] . الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، القاموس المحيط، مراجعة د/ محمد الاسكندراني دار الكتاب العربي بيروت لبنان 2008م . ص874

[2] . ابن منظور لسان العرب 9/ 120

[3] . الفيروز آبادي القاموس المحيط ص874

[4] . الزمخشري أساس البلاغة 165

[5] . ابن منظور لسان العرب 121/9

[6] . الفيروز آبادي القاموس المحيط ص874

[7] . الجوهري الفارابي أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393)، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط الرابعة، 1407هـ 1987م . 55/6

[8] . الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص874

. وهناك معاني أخرى للرّصف منها : .

المعارضة : قال ابن فارس :" فلان رصيف فلان أي يعارضه في عمله"[1].

. **الرفق** : ذكره صاحب اللسان فقال :" الرَّصافة بالشيء **الرفق** به...والرِّصافة الرفق في الأمور" [2].

وقد استدلّ صاحب اللسان بقول عمر رضي الله عنه (أوتي في المنام فقيل له تصدّق بأرض كذا، قال: ولم يكن لنا مال أرْصَف بنا منها، أي أرفق بنا وأوفق لنا)[3].

ويمكن أن أسجل في هذا الصدد أنّ كلّ من الانتظام والتتابع والإحكام والتلاؤم والانسجام والشدّ هي من أهم المعاني اللغوية للرّصف المذكورة سلفا التي تتصل بهذا البحث، بل هي من خصائص الرّصف اللّغوي التي تقترب من معناه الاصطلاحي وتتصل به اتصالا وثيقا.

. كما أشير ههنا أنّ من أقرب الألفاظ من حيث المعنى للرّصف لفظ التراص من مادة (ر . ص . ص) في القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ٤**﴾ [الصف: -4]

قال الزمخشري :" وتراصفوا في الصلاة والقتال، وتقول تراصفوا ثمّ تقاصفوا " [4]

وقال أيضا :" وترا صفوا في الصلاة وارتصّوا "[5].

وقال الفيروز أبادي :" وتراصفوا في الصف تراصوا "[6].

---

[1] . ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللّغة 399/2

[2] . ابن منظور، لسان العرب 9 / 121

[3] . المصدر نفسه 9 / 121

[4] . الزمخشري، أساس البلاغة ص165

[5] . المصدر نفسه 165

[6] . الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص874

1 . 2 . الرصف اصطلاحا :

تعددت تعاريف أو تعريفات الرّصف اصطلاحا على قلتها . حسب اطلاعي . بين العلماء والباحثين حسب منطلقاتهم اللسانية ، وخلفياتهم العلمية ، فمنهم من اقتصر في تحديده لحدّ الرّصف على الجانب المعجمي؛ أو ضم المعجمي إلى التركيبي، ومنهم من تعداه إلى الجانب النّصي (رصف الجمل والفقرات) وبعضهم توسع وأضاف الجانب الصوتي مكملا للجوانب المذكورة سلفا ليخرج بذلك الرّصف من مجرد ضم ألفاظ متآلفة مع بعضها بعضا في جملة؛ أو جزء منها يحسن السكوت عليه لإفادة غرض معين إلى أبعد من ذلك، كما سيأتي بيانه تصاعديا على النحو التالي :

أ . تعريف الرّصف اصطلاحا من خلال الجانب المعجمي أو ضم التركيبي إلى المعجمي :

قالت زينب عادل كعيد خلف العاني :" فقد عُرّف . الرّصف اصطلاحا . غالبا على الجانب المعجمي أو بضمّ التركيبي إلى المعجمي؛ أو يُعرّف في أكثر من موضع، وتحت مسميات تتفرع منه، ولا يخرج في أيّ منها عن جانب المعجم؛ أو التركيب النحوي"[1].

. عرّفه مبارك مبارك فقال :" **هو أن تتتابع الكلمات في جملة وفقا لنظام اللّغة التي هي منها** "[2].

. وفي معجم علم اللّغة النظري جاء بعنوان (Collocation) وبمعنى" **النظام أو تتابع الكلمات في الجملة تبعا لنظام معين؛ أو بمعنى منظومة،** أي : مجموعة كلمات متتابعة في جملة؛ أو جزء منها"[3].

---

[1] . العاني زينب عادل كعيد خلف، الرّصف وعلم لغة النّص، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب العدد 07 السنة 2012 م ص98

[2] . مبارك محمد مبارك معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنجليزي عربي، دار الفكر اللبناني ط1 1995 ص52

[3] . الخولي محمد علي، معجم علم اللغة النظري إنجليزي عربي، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ط3, 2009م ص 46

ومما هو ملاحظ في هذه التعريفات أنّ أصحابها اقتصروا على رصف الكلمات المتتابعة، والمتآلفة في الجملة تبعا للنّظام اللغوي الذي هي منه.

ويبدو أنّ هؤلاء ممّن يرون أنّ الجملة هي الوحدة اللسانية الكبرى التي يمكن أن تخضع للتحليل اللساني، بيد أنّ التوجه الجديد في الدرس اللساني، وبخاصة في العقود المتأخرة اعتنى بدراسة النّص (Text) والخطاب[1] (Discours) كأكبر وحدة لغويّة قابلة للتحليل والدراسة، والتوصيف اللساني، قال سعيد يقطين :" مع اللسانيين رأينا الحديث عن الخطاب وتحليله يختلف باختلاف الإطار النظري المنطلق منه، ومن الجملة كأعلى وحدة لسانية إلى الخطاب كوحدة جُملية كبرى قابلة للتوصيف اللساني"[2].

ومعنى ذلك أن نخرج بالتحليل اللساني " من إطار الجملة بصفتها الوحدة الكبرى إلى إطار أرحب بكثير تمثل الجملة فيه لبنة من لبنات كثيرة في المبنى الضخم المسمى بالنّص بصفته أكبر وحدة

---

[1] . . بين النّص والخطاب تعددت المفاهيم :

أ . هناك من يساوي بين النص و الخطاب و يرى الخطاب هو كل تعبير تجاوز الجملة أو هو قائم على مجموعة من العلائق تربط الجمل وحين يحلل الخطاب تكون الجملة أصغر وحدة في هذا التحليل

ب . ورأي يرى أنّ الخطاب أكبر من النص منهم ديبو جراند قال :"الخطاب مجموعة نصوص ذات علاقة مشتركة" ينظر روبرت دي بوجرند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة د . تمّام حسّان، عالم الكتب القاهرة مصر، ط الثانية 1428هـ 2007م ص72

وقال بعضهم الخطاب مجموعة فكرية وحدتها الصغرى هي النص في حين أن النص وحدتها اللغوية هي الجملة " ينظر ردّة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية مكة، ط الأولى 1424هـ . ص257

جـ - وذهب صاحب كتاب (إشكالات النّص) إلى أن النص أشمل من الخطاب " ينظر جمعان عبد الكريم، إشكالات النّص المداخلة أنموذجا، النادي الأدبي الرياض السعودية، والمركز الثقافي الدار البيضاء المغرب، ط الأولى 2009م ص39

[2] . يقطين سعيد، انفتاح النّص الروائي (النّص والسياق) –الناشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط1. 2001م . ص09

لغويّة يمكن تحليلها "[1].

. عرف تمام حسان الرّصف بمسمى **(التضام والتوارد)** فقال " أمّا التضام فهو تطلّب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى"[2]

. أشار أصحاب **المدرسة السياقية الفيرثية** إلى مفهوم الرّصف بين ثنايا دراستهم السياقية العملية قالوا تارة هو :" **الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخر معينة**"[3].

ومرة قالوا الرّصف هو :" **استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى**"[4].

وكلا التعريفين لا يخرجان عن نمط المعجمي التركيبي.

والذي يبدو أنّ الفارق بين التعرفين هو أنّ التعريف الأول دالّ على الرّصف العادي التواصلي قصد إفادة غرض معين.

أمّا التعريف الثاني فهو للرّصف غير العادي، بحيث تترابط وحدتان معجميتان كلّ واحدة منهما تستدعي الأخرى للدلالة على معنى معين لا يمكن الوقوف عليه إلّا بهما في رصف واحد، كأنّهما لفظة واحدة للدلالة على معنى معيّن، مثل : أزيز القدر، صليل السيوف، حمي الوطيس...

ب . الرّصف من خلال المستويين الصوتي والتركيبي:

يمكن أن يستنبط هذا المفهوم من إشارة محمود السعران أثناء تطرقه لنظم الكلام في الجمل؛ أو التركيب النحوي للجمل، حيث بيّن أنّ دراسة التركيب النحوي للجمل لا تكتمل حتى

---

[1] . الفقي صبحي إبراهيم، علم اللّغة النّصي بين النظرية والتطبيق دار قباء للطباعة و النشر القاهرة ط1 سنة 2000م 170/1

[2] . حسان تمام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية 1979م ص 94

[3] . ينظر عمر أحمد مختار،علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع الكويت ط1 1982 ص74

[4] . المرجع نفسه ص74

تدرس الصور التنغيمية مثلا، والدراسة الدلالية، أي دراسة المعاني لا يمكن أن تثمر ما لم تركز على دراسة الصوّر الصوتية والتنغيمية "[1]

كما كان أكثر وضوحا في إبراز قيمة الرّصف بالنّظر إليه من خلال مستويات اللّغة جميعا حينما وجه نقدا لفيرث لعدم إدراجه الرّصف في فهم معنى النّص اللّغوي، إلى جانب ما اشترطه لفهم معنى النّص أن يكون تحليله على المستوياتّ، ومن ضمنها المستوى الصوتي"[2].

ولكن من الناحية الموضوعية أشير إلى أنّ فيرث تطرق لقيمة الرّصف، وأدرجه في السياق اللغوي؛ أو اللفظي، وذكر أنّ الرّصف لا يهتم إلّا " ببيان مجموعة الكلمات التي تنتظم معها الكلمةّ "[3].

كما قارن بين التحليل النحوي والتحليل الرّصفي، وأهمية كل منهما في معالجة الكلمات فقال :" ففي حين يعالج النحوي مجموعة الكلمات (اسم / فعل / صفة) التي تحتوي آلاف الكلمات التي ليس لها علاقات متبادلة ذات أهمية دلالية يعالج الرّصف الكلمات المفردة التي لها علاقة متبادلة ذات أهمية دلالية "[4].

واقترحت زينب عادل " أن يشمل الرّصف . تعريفا ودراسة . المبادئ الصوتية السياقية ولاسيما تلك التي أكدها فيرث "[5].

جـ . تعريف الرّصف في ظلّ أقل وحدة لسانية (الصوت) إلى أكبر وحدة لسانية (النّص) :

يمكن أن أقف على تعريف للرّصف موسوم بالشمولية إلى حدّ ما لجوانب لغوية متعددة للباحثة

---

[1] . السعران محمود، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي القاهرة، ط الثانية 1997م ص105

[2] . ينظر السعران، علم اللغة ص251-254

[3] . عمر مختار أحمد ، علم الدلالة ص75

[4] . عمر مختار أحمد، علم الدلالة ص77

[5] . العاني زينب، الرّصف وعلم لغة النص ص99

زينب عادل كعيد خلف العاني، والتي عرّفته بقولها :" **الرّصف هو انتقاء الوحدات اللغويّة وضم بعضها إلى الآخر تبعا لنظام وعرف لغويّ معين، ولإفادة مضمون بعينه شاملا الوحدات المقطعية وفوق المقطعية، وممتدا على مستويات اللّغة من الأصوات إلى النصوص**"[1].

ومع ما يحمله هذا التعريف الاصطلاحي من فهم أوسع من سابقيه، وتوسع واضح لمفهوم الرّصف الذي لم يقف عند المستويين المعجمي والتركيبي فحسب، بل تجاوزه إلى إدراج أكبر وحدة لسانية قابلة للدراسة والتوصيف اللساني ألا وهي النّص، انطلاقا من أصغر وحدة لسانية وهي الصوت، غير أنّني وقفت على بعض الملاحظات والاستدراكات أحسب أنّها ضرورية، ولها قيمة إضافية، وهي على النحو التالي :

. الرّصف ليس معناه هو ضم الأجزاء أو الوحدات اللغويّة المنتقاة بعضها إلى الآخر فحسب، وإنّما الرّصف هو استغراق لجميع وحداته اللسانية المختارة والمنتقاة المثبتة والمقدرة والمحتملة التي لها قابلية الترابط، وذات شحنات خاصة يستدعي بعضها بعضا.

. توفر عنصر الترابط والتعلق : أي أن تكون الوحدات اللسانية المكونة للرّصف متصفة بصفة القابلية للتآلف والترابط نحويا والتعالق دلاليا في ما بينها، امتدادا من أقل وحدة لسانية (الصوت) إلى أكبر وحدة لسانية (النّص)، لأنّ بالنحو تتحقق البنية التركيبة للرّصف، وبالدلالة تتحدد أهداف التعبير والتواصل من الرّصف. .

كما لا يمكن الوصول إلى الغرض المقصود من الرّصف، وترجيح معناه، واستنباط دلالاته المقطعية وفوق المقطعية . في غالب الأحيان . إلّا من خلال سياقه (اللّغوي / غير اللّغوي) الذي هو فيه.

---

[1] . العاني زينب، الرّصف وعلم لغة النّص ص100

ومن خلال هذا التوصيف لمفهوم الرّصف وتصويره يمكن أن أضع تعريفا اصطلاحيا أكثر شمولية جامعا لما ذكر سابقا على النحو التالي : (**الرّصف هو استغراق لجميع وحداته اللّغويّة المنتقاة التي يستدعي بعضها بعضا، والممتدّة من الصوت إلى النّص تحقيقا وتقديرا واحتمالا، القابلة للترابط نحويا، والتعالق دلاليا وفق نظامها اللّغويّ الخاص، وفي سياق محدد لإفادة غرض مقصود ومضمون معين، ودلالات مقطعيّة وفوق مقطعيّة**).

شرح التعريف :

. **الاستغراق لغة** : من بين معانيه الاستيعاب، قال زين الدين الرازي في معجم مختار الصحاح :" الاستغراق : الاستيعاب"[1]

المقصود بالاستغراق : هو أنّ الرّصف يستوعب ويشمل جميع وحداته اللسانية . من الصوت إلى النّص؛ أو الخطاب، والذي تمثل فيه الجملة لبنة من لبناته في بنائه الضخم . المنتقاة والمكونة له يستدعي بعضها بعضا، سواء كانت هذه الوحدات محققة (مثبتة فيه)؛ أو مضمرة وغير ملفوظة ، بحيث لا يستقيم المعنى إلّا بتقديرها؛ أو بوجود قرينة لفظية أو حالية دالة عليها.

. تحقيقا (المثبتة) : وهي الألفاظ أو العبارة التي لا يمكن الاستغناء عنها نطقا وكتابة، لأنّ دلالة رصفها متعلقة بها، فبحذفها يتغيّر المعنى؛ أو يعتريه الغموض والتعميّة؛ أو يكون هذا لغوا من الحديث، نحو حذف الصفة إذا لم تدلّ عليها الحال في المثال الذي ذكره ابن جني :" ألا تراك لو قلت :...(رأينا بستانا) وسكتّ لم تفد بذلك شيئا، لأنّ هذا ونحوه ممّا لا يعرّى منه ذلك المكان، وإنّما المتوقّع أن تصف من ذكرت؛ أو ما ذكرت، فإن لم تفعل كلّفت علم ما لم تدلل عليه، وهذا

---

[1] . الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية بيروت صيدا، ط الخامسة، 1420هـ . ص 226

لغو من الحديث، وجَوْر في التكليف."[1]...

تقديرا : وهي كلّ لفظة؛ أو عبارة محذوفة؛ أو مضمرة لا يستقيم معنى رصفها إلّا بتقديرها، وهي في أصل الرّصف كالملفوظ، (أي كأنّها مثبتة في النّطق والكتابة)، وهذا كثير في كلام العرب تدلّ عليه القرائن اللّغويّة، وغير اللّغويّة، ومن أمثلته : ما ذكر ابن جني (في باب في أنّ المحذوف إذا دلّت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به إلّا أن يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع منه) قال في الخصائص :" من ذلك أنّ ترى رجلا قد سدّد سهما نحو الغرض ثمّ أرسله ، فتسمع صوتا فتقول : القرطاس والله ، أي أصاب القرطاس ، فـ (أصاب) الآن في حكم الملفوظ به البتّة وإن لم يوجد في اللفظ، غير أنّ دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به " [2].

. ومن أمثلته كذلك قوله تعالى (**حُرّمت عليكم المَيْتة والدّم)** الآية 3 المائدة

اختلف الأصوليون إلى مذهبين، هل هذه الآية الكريمة من المجمل الخفي أم من واضح الدلالة ؟ وسبب الاختلاف مردّه إلى أنّ الظاهر من هذا الرّصف؛ أو من سياق الآيات (السياق اللّغوي) يفهم منه تحريم العين نفسها.

. ذهب علماء الأحناف إلى " أنّ هذه الآيات مجملة، . أي غير واضحة الدلالة . فهي من المجمل الخفي، وتحتاج إلى البيان لتحديد مرادها، لأنّ العين لا توصف بالتحليل ولا بالتحريم، وإنّما الذي يوصف بذلك هو أفعالنا المتعلّقة بتلك الأعيان"[3]، " وبما أنّ بعض الأفعال ليس أولى من البعض الآخر فافتقر إلى بيان ما يحرم، فكان ذلك مجملا"[4]." وليس يدري ما ذاك الفعل فيحرم من الميتة

---

[1] . ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار، دار الكتاب العربي بيروت لبنان (د . ت) 2 / 371

[2] . ابن جني الخصائص 1/284-285

[3] . الزحيلي وهبة، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر بيروت لبنان، ط 21 . 2015م . 1 / 335

[4] . المرجع نفسه 1 / 335

منها، أكلها؛ أو النظر إليها؛ أو بيعها؛ أو الانتفاع بها، فهو مجمل لكثرة الأفعال"[1]

ولكن الشيخ محمد الخضري بك وهو ينتصر لمذهب الجمهور القائل بأنّ هذه الآيات وما شاكلها من واضح الدلالة، لا من المجمل الخفي قال ردّا على ما ذهب إليه الأحناف :" وهذا كلام فاسد، لأنّ عرف الاستعمال عيّن المراد كما يعنيه الوضع، وهو تحريم الفعل المقصود من العين"[2].

فجمهور الأصوليين اعتبروا مثل هذا الرّصف من واضح الدلالة بقرينة السياق غير اللّغوي، والمتمثلة في (عرف الاستعمال من التصرفات المقصودة)، " لأنّ التحليل والتحريم إذا أطلق في مثل هذا انصرف إلى التصرفات المقصودة في عرف الاستعمال، فيكون المراد من التحريم في كَون المراد من التحريم (**حُرّمت عليكم الميتة**) تحريم الأكل، لأنّه هو المطلوب الذي يعقل من تلك الأعيان... لأنّه هو المتبادر إلى الفهم، وما عقل المراد من لفظه لا يكون مجملا، لأنّ عرف الاستعمال عيّن المراد كما يعيّنه أصل الوضع اللّغوي"[3].

وبغض النّظر عن الاختلاف القائم بين الأصوليين ففهم المراد من هذه الآيات ومثيلاتها لا يتمّ إلّا بإعادة الرّصف وتقدير المحذوف أو المضمر، والاستعانة بالسياق غير اللّغوي.

ومثله كذلك قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان**)

ذكر الشيخ محمد الخضري بك استدلال الجمهور:" بأنّ العرف في مثل هذا التعبير قبل مجيء الشرع رفع المؤاخذة والعقوبة قطعا، فهو واضح في ذلك لا إجمال"[4]، فالحديث وإن نفى صفة الخطأ و النسيان فليس المراد ذلك عقلا ولا شرعا قطعا، وإنّما المراد رفع عقوبة وإثم هذه الأفعال، ويفهم هذا من إعادة الرّصف، ومن سياقه.

---

[1] . الخضري بك محمد، أصول الفقه، دار القلم بيروت لبنان، ط الأولى 1407هـ 1987م ص 138

[2] . المرجع نفسه ص 138

[3] . الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي/ 1 / 334

[4] . الخضري بك، أصول الفقه ص 139

. احتمالا : والمقصود بالاحتمال ههنا هو كلّ لفظ أو تركيب تحتمله اللّغة في رصف كلامي معين ولو بوجه من وجوهها، بحيث لا يفهم معنى الرّصف إلّا من خلال تبيينه، ومن أمثلته : كسر (الميم) لفظة (الأرحامِ) . أي بالخفض . في القراءة المتواترة التي تفرد بها حمزة بن حبيب الزيات . وهو من القراء السبعة . قال تعالى (**واتقوا الله الذي تسّاءلون به والأرْحَامِ**) 1 النساء، والتقدير المحتمل (به وبالأرحام)؛ أو هي من قبيل ما يطلق عليه عند بعض النحاة بـ(المحاذاة النحوية)، أي " بكسر الميم في (الأرحامِ) محاذاة للهاء في (به)"[1]، وهذا متداول في كلام العرب.

وقراءة الجمهور بنصبها (الأرحامَ)، فكثير من اللّغويين والنحاة خطّؤوا القراءة (بالكسر)، أي قراءة حمزة، وردّوها، وقالوا : إنّه ليس ذلك من كلام العرب، ولمزوا حمزة باللحن في القراءات، وما روي أيضا أنّ يزيد بن هارون أرسل إلى أبي الشعثاء بواسط لا تقرأ في مسجدنا قراءة حمزة. وما حكي عن المبرد أنّه قال : لا تحل القراءة بها، يعني قراءة (الأرحامِ) بالكسر"[2]. بحكم أنّه لا يمكن في كلام العرب أن يعطف على مضمر مجرور، لأنّه غير مسموع.

" والصواب : أنّ حمزة إمام مجمع على على جلالته، ومعقود على صحة روايته (قراءته، لأنّه من القراء السبعة، وقراءته متواترة)، والقراءة سنّة متبوعة متلقاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توقيفا، فلا يجوز لأحد أن يقرأ إلّا بما سمعه، ولا مجال للإجتهاد في ذلك.

وهي موافقة لكلام العرب . أي تحتمله اللّغة العربية ولو بوجه . وقد جاء في أشعارهم ونوادرهم ما يؤكد ذلك.

ولهذا اعتدّ بها ابن مالك في هذه المسألة، واختار جواز العطف على المضمر المجرور من غير

---

[1] . إبراهيم رجب عبد الجواد، موسيقى اللغة، دار الآفاق العربية، مدينة نصر القاهرة، ط الثانية 2008م ص 50

[2] . التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثارها في النحو العربي والفقه الإسلامين، دار الوعي للنشر والتوزيع الجزائر، ط 2008م ، ص 244

إعادة الجار وفاقا للكوفيين الذين أجازوا الخفض، واحتجوا بقول العجاج (وهو أحد فحول الرجاز وأحد القراء) كان إذا قيل له كيف تجدك؟ يقول : خيرٍ عفاك الله، يريد بخير.

وإذا كان البصريون لم يسمعوا الخفض في مثل هذا، ولا عرفوا إضمار الخافض، فقد عرفهم غيرهم وأنشدوا : رسمٍ دارٍ وقفت في طلله كدت أقضي الحياة من خلله

أراد وربّ رسم دار..."[1]

فكلّ الوحدات المختارة المتآلفة فيما بينها يستدعي بعضها بعضا خطيا في تماسك تام وانسجام عجيب وفقا لنظامها اللّغوي الذي هي فيه.

. **أمّا عنصر الترابط النّحوي والتعلّق الدلالي** : فهو من أهم العناصر التي يعتمد عليها الرّصف فيما بين وحداته اللسانية، فلا نحو من غير رصف، ولا رصف من دون دلالة.

فالترابط نحويا مثل الاسم المبتدأ يستدعي خبره، ويتعلق به سواء تقدم أو تأخر، والفعل يتطلب فاعلا؛ أو فاعلا ومفعولا؛ أو مفاعيل سواء تقدمت أو تأخرت لأغراض بلاغية، والجار متعلق بمجروره، والصفة والحال والتمييز تندرج في النمط التفسيري متعلقة بما قبلها، والجمل مرتبطة بعضها ببعض عطفا وتوكيد وتفسيرا ....إلخ.

بل :" إنّ مفردات المعجم تقع في طوائف، لكلّ طائفة منها طابعها الذي يطبع أسماءها وأفعالها بسمة خاصة تجمعها تحت ظلّ معنوي واحد، فمن الأفعال ما يتطلّب فاعلا عاقلا، نحو فهم وقرأ وخطب وأرشد، ومنها ما يتطلّب فاعلا مهاجما، نحو هزم واغتال وافترس، ومنها ما يتطلّب فاعلا حيّا وإن كان دون تخصيص، نحو أكل وشبع... عند ئذ تتحقق المناسبة المعجميّة التي يتطلّبها

[1] . التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثارها في النحو العربي والفقه الإسلامي، ص 244 . 245

التضام بين عناصر الجملة"[1].

والترابط النّحوي للوحدات المروصفة التي يستدعي بعضها بعضا لا يفي بالغرض وحده من حيث المعنى ما لم يكن هناك تعالق لوحداته دلاليا، فالعلاقة بينهما علاقة تلازم، وبخاصة في الرّصف غير العادي الذي تستعمل فيه المجازات والاستعارات والكنايات واللمسات الأسلوبية، فعلى سبيل المثال لا يمكن أن يقبل هذا الرّصف (شربت السماء) دلاليا رغم تعالق وحداته وصوابها نحويا من الجانب الشكلي إلّا إذا التمسنا له مخرجا مجازيا على الأقل وقرائن صارفة دالة.

وقد ذكر مثل هذا سيبويه في الكتاب " خلال تطبيقاته النّحوية ، ففي معرض حديثه عن أقسام الكلام الخاضع للقبول النحوي والرفض الدلالي كقولهم (حملت الجبل) فقال : إذ يجوز في حال المجاز" [2]، وعلى هذا النحو ذكر تمّام حسان مثالا في الخلاصة النّحويّة فقال :" أمّا إذا قلت : (قرأ الحجر دم النخلة) فإنّك ستجد مفارقة معجميّة بين (قرأ) والحجر، وبين (قرأ) والدم، وبين (الدم) والنخلة، فلا الحجر يقرأ، ولا هو يقرأ الدم، ولا الدم ممّا يخضع للقراءة، ولا النخلة من ذوات الدماء. وهكذا تنعدم علاقة التضام بين مفردات الجملة"[3] إلّا إذا سيقت هذه الوحدات الرّصفية مجازيا، لأنّ " المفارقة المعجميّة ليست شرّا كلّها، فلقد أرشدنا البلاغيون إلى جدواها في أسلوب المجاز، لأنّ هذا الأسلوب يعتمد على العلاقة والقرينة، ولكلّ منها أثر في علاج هذه المفارقة، فالعلاقة بين المعنيين تجعل بينهما رحما، وقربى تخفف من وقع المفارقة...وأمّا القرينة فبدلالتها على عدم إرادة المعنى الأصلي استبعدت فكرة المفارقة..."[4].

---

[1] . حسّان تمّام، الخلاصة النّحوية، عالم الكتب القاهرة، ط الثانية 1425هـ . 2005م ص 81

[2] . علوش كمال، نظرية الرّصف وآفاق بناء معجم تاريخي للتعبير الإصطلاحي العربي، مجلة الأثر في الآداب واللغات الصادرة عن جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد28 /2015/12م . ص50

[3] . حسّان تمام الخلاصة النّحوية ص 81

[4] . حسّان تمّام، الخلاصة النحوية، ص 81

. ومن جهة ثانية ذات أهمية بمكان أنّ الدلالة تكشف عن التعالق الدلالي بين الوحدات اللسانية المكونة للرّصف، وما التقديم والتأخير والإضمار والإظهار والتضييق والتوسع الذي يتم بين الوحدات اللغوية في رصف ما إلّا ما تقتضيه دلالته كاشفة بذلك سمات أسلوبية تتساوق والمعنى المراد من الكلام المرصوف بطريقة مخصوصة. .

ومن **السمات الأسلوبية** نحو قول الله تعالى﴿ **فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**٨٧﴾ [البقرة: 87] حكاية عن الذين كفروا من بني إسرائيل الذين كذّبوا الأنبياء والرّسل عليهم السلام من قبل، وقتلهم لفريق منهم كزكرياء ويحيى عليهما السلام، وكفرهم من بعد برسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، قال المسدي :" ومن الناحية العلمية يعتبر الأسلوبيّون أنّه كلّما تصرف مستعمل اللّغة في هياكل دلالاتها أو أشكال تركيبها بما يخرج عن المألوف انتقل كلامه من السمة الإخبارية إلى السمة الإنشائية، فأن تقول : (كذبت القوم وقتلت الجماعة) فإنّك لا تعمد إلى أي خاصية أسلوبية.

أمّا قوله تعالى ﴿ **فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**٨٧﴾ [البقرة: 87] فيحوي انزياحا؛ أو عدولا عن النمط التركيبي الأصلي بتقديم المفعول به أولا، واختزال الضمير العائد عليه ثانيا (فريقا كذبتموه)، فهذا انزياح متصل بالتوزيع ، أي بالعلاقات التركيبية ، معنى ذلك أنّ نفس الأدوات اللغوية المستعملة يمكن إعادة رصفها بما يزيل الانزياح ، وبالتالي السمة الأسلوبية " [1]

. **وفي مقام الإظهار** : مثل إظهار الاسم كالضمير في الرّصف، مثل قوله تعالى﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**١٧﴾ **[النمل: 17]**، فإظهار الضمير (هم) واقترانه بالفعل (يوزعون) جعل المعنى من هذا الرّصف العجيب في قمّة الوضوح والبيان، ولا يستقيم

[1] . المسدّي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار العربية للكتاب ط الثالثة (د . ت) ص163

معنى هذا الرّصف إلّا إذا رُصف على هذا النمط التركيبي الخاص، وعلى هذه الحال من بناء الفعل على الاسم، قال الجرجاني :" فإنّه لا يخفى على من له ذوق أنّه لو جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم فقيل(**وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير فيوزعون**) لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى، والمعنى قد زال عن صورته، والحال التي ينبغي أن يكون عليها" [1].

وهذا كثير في كلام العرب وفي القرآن الكريم، نحو قوله تعالى ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا٥**﴾ [الفرقان: 5]، وقوله أيضا ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ١٩٦**﴾ [الأعراف: 196].

. وهذا الإظهار أو التحقيق أو هذا الصنيع يقتضي في الفعل المنفي ما اقتضاه في المثبت ... في قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ٥٩**﴾ [المؤمنون: 59] يقيد من التأكيد في نفي الإشراك عنهم ما لو قيل (**والذين لا يشركون بربهم؛ أو بربهم لا يشركون**) لم يفد ذلك، وكذا قوله تعالى ﴿**لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ٧**﴾ [يس: 7] " [2].

. **أمّا المضمر أو المحذوف** من الألفاظ والجمل في الرّصف فأمرها عجيب، وعدم ذكرها في الرّصف أعجب، فلا يتبوأ أي رصف ذروة فصاحة ألفاظه وإشراقها، وبلاغة عباراته، وبيان الغرض من رصفها المخصوص ومعانيها إلّا بهذا النمط التركيبي الذي تحذف فيه مثل هذه الألفاظ وإلّا ثقل في السمع، وفقد الذوق، وخفتت دلالته، قال الجرجاني عن الحذف هو :" باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر، والصمت

---

[1] . الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، دار المدني جدة، ط الثالثة 1413هـ . 1992م . 1 / 137

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص144

عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1]، ولا يكون الحذف أو الإضمار إلّا بقرائن دالة " فالحذف يعتمد على اللّمحة الدالة، وعلى إشعاع السياق بالمضمون"[2]، نحو قوله تعالى ﴿ **وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً** ٥٩﴾ [الإسراء: 59] أي آية مبصرة، وفي الحديث النبوي الشريف (**إنّ الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**)[3] أي رفع إثم الخطأ، وهذا باب واسع أكتفي بما أشرت إليه من ومضات لعلّها تفي بالغرض.

. **السياق** : وأقصد بالسياق بنوعيه (اللّغوي / وغير اللّغوي)، فلا يمكن الاستغناء عنه لدوره الحاسم في ترجيح الدلالات والمعاني المتوخاة من الرّصف المقطعية وفوق المقطعية، وخاصة إذا تداخلت المعاني، وتزاحمت وأحدثت غموضا وتشويشا وتعميّة، وتعذر تصيد المعنى المراد، فيعتبر السياق من أقدر القرائن في رفع غموض الكلام المرصوف والتشويش الذي يعتريه في بعض الأحيان، فبفضل القرائن السياقية اللفظية المحققة والمثبتة في التركيب الرّصفي الخطي مقطعيا؛ أو الاستعانة بقرائنه فوق مقطعية كالإشارة والنبر والتنغيم . وهما تأدية صوتية للوحدات الرّصفية بطريقة خاصة لا يظهران في السلسلة الخطية، بحيث يتجلى دورهما المنوط بهما في التفريق بين دلالات الألفاظ، وترجيح المعنى المقصود من التركيب الغامض، والتفريق بين الأساليب " كمعاني الاستفهام والتعجب والإخبار وغيرها في الجمل ...ومن أجل التعبير عن بعض الأحوال النفسية كالحزن والفرحة والغضب وغيرها .."[4]، " ولاسيما إذا لم توجد صيغ نحوية خاصة تقوم بهذا

---

[1] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 146

[2] . عيد رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف . الإسكندرية مصر ط الثانية ص 94

[3] . ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه في باب طلاق المكره، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، فيصل عيسى البابي الحلبي (د. ت)، رقم الحديث 2043 . 1 / 659

[4] . الإبراهيمي خولة طالب، مبادئ اللسانيات البنوية، دار القصبة للنشر الجزائر ط 2000 ص183

التفريق "[1]، فدورها يتأكد من خلال المقام والظروف المحيطة،" وكلّما كان وصف المقام أكثر تفصيلا كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحا في النهاية"[2].

ومن أمثلة السياق غير اللّغوي من الدلالات فوق المقطعية المثال الذي ذكره صاحب الخصائص في ذمّ إنسان ووصفه بالضيق قال لو :" قلت : (سألناه وكان إنسانا)، وتَزْوِي وجهك، وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك : (إنسانا لئيما؛ أو مبخّلا؛ أو نحو ذلك)"[3].

. الوقوف على دلالة الرّصف المتزاحمة معانيه من خلال الدلالة فوق المقطعية بقرينة النبر والتنغيم مثل قولك في مدح إنسان والثناء عليه :" (كان والله رجلا) فتزيد في قوّة اللفظ بـ (الله)، وتتمكّن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها، أي رجلا فاضلا؛ أوشجاعا؛ أو كريما؛ أو نحو ذلك. وكذلك تقول : (سألناه فوجدناه إنسانا) وتمكّن الصوت بإنسان، فتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا؛ أو جوادا؛ نحو ذلك"[4].

2 . قيمة الرّصف وفائدته :

للرّصف قيمة معتبرة في الدرس اللساني، وفائدة كبيرة ألقت بظلالها على مستويات اللّغة، وجوانبها الدلالية والتداولية والنّغمية منها:

. معرفة السياقات اللّغوية المحتملة الاستعمال مع وحدات لسانية تنتمي إلى مجال دلالي معين.

. ترجيح دلالات الألفاظ المرصوفة بطريقة خاصة مقطعية وفوق مقطعية

---

[1] . التنويجي محمد و أ/راجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية –بيروت (د . ت) 1 /207

[2] . حسّان تمّام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها ص 346

[3] . ابن جني الخصائص 2 /371

[4] . ابن جني، الخصائص 2 / 371

. ضبط وتحديد دلالات الكلمات المختلفة المصاحبة لضميماتتها على أنماط معينة كنمط التعبير الإضافي نحو لفظة (أهل) مع مراعاة سياقها الذي هي فيه مثل :

. أهل البيت : تدل على الخاصة من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأزواجه

. أهل الجزائر : سكانها الأصليون وإن رحلوا عنها.

. أهل الدنيا : دلالة على الذين أعرضوا عن الآخرة في سياق ذكر الآخرة كقرينة مرجحة للمعنى، وإلّا لها معاني أخرى حسب سياقها.

. أهل الآخرة ....الخ.

. الرّصف معيار حاسم للتمييز بين الألفاظ المنتمية لما يطلق عليه بـ (الهومونيمي) عن غيره من الألفاظ، والمقصود بالهومونيمي : هو ذلك التماثل اللفظي الناتج عن النطق الواحد للأصوات"[1].

يمكن أن ندخل في هذا المعنى الاشتراك اللفظي وخاصة التضاد منه كلفظة (جلل) الدالة على معنيين متضادين (عظيم وحقير). .

. تحديد مجالات الترابط بطريقة عملية، وأكثر موضوعية ودقة، ذكر صاحب علم الدلالة نقلا عن أصحاب النظرية السياقية الفيرثية بأنّ " المعيار الشكلي للرصف يعتبر معيارا حاسما، لأنه أكثر موضوعية، ودقة، وقابلية للملاحظة "[2].

الدقة في إحصاء إمكانات التأليف، وأنماط التعبير، والاستفادة منها في النسج على منوالها .

يمكن بفضل تتبع أنماط التراكيب الخاضعة لرصف معين؛ أو نقول رصف خاص يسمى في المصطلح اللساني (الرّصف غير العادي) الذي " يتضمن اقتران بين ألفاظه وحروفه وصفاته

---

[1] . ينظر علوش كمال، نظرية الرّصف وآفاق بناء معجم تاريخي للتعبير الإصطلاحي العربي، ص52

[2] . عمر مختار أحمد ، علم الدلالة ص78

اقترانا يخضع لمجال العلاقات التلاؤمية الأفقية "[1] " بناء معاجم تعتمد أنماط التراكيب، والتغيرات الخاضعة لمعيار الرّصف، وترصدها على مستوى الدراسات اللّغوية والأدبية "[2] كما أشار إلى ذلك الدكتور علواش كمال في مقاله (نظريّة الرّصف)؛ أو بناء معاجم دلاليّة تمتاز بالاقتصاد اللّغوي، ووضوح الدلالة، وسحر البيان من خلال تتبع الرّصف غير العادي على سبيل المثال : اقتراح معجم دلالي خاص بتتبع الرّصف غير العادي في القرآن الكريم، والأحاديث النبويّة الشريفة، نحو : **في الرّصف القرآني** : (سيماهم في وجوههم) ـ (سَفِه نفسه) ـ (صبغة الله) ـ (فطرة الله) ـ (أي منقلب ينقلبون) ـ (يقبض ويبسط) ـ (ولا تنسوا الفضل بينكم)ـ (أخذته العزّة بالإثم) ـ (قضي الأمر) ـ (له الأمر والحكم) ـ (فبهت الذي كفر) ـ (خاوية على عروشها) ـ (في قلوبهم زيغ) ـ (آثم قلبه) ـ (كتابا مؤجلا) ـ (والكاظمين الغيض) ـ (انقلبتم على أعقابكم) ـ (ولكلّ وجهة هو مولّيها)ـ (وتحسبونه هيّنا وهو عند الله عظيم) ـ (قسمة ضيزى)...الخ

ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال : (حمي الوطيس) ـ (إنّ المُنْبَتَّ لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى) ....إلخ.

وهذا النّوع من الرّصف غير العادي يشكل بذلك وحدة دلالية واحدة " لا يمكن تجزئة عناصرها اللسانية، أو استبدالها، أو الحذف منها ، فهو يتميز بثبات بنيته الدلالية ، ومفارقة معناه الحرفي المعجمي لمعناه الاصطلاحي، ولا يمكن بأي حال من الأحوال نقض بنيته النحوية التي بني

---

[1] . حسن عبد الكريم محمود، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، جيل دار المعرفة الجامعية (د . ت) ص86.

[2] . ينظر علوش كمال، نظرية الرّصف وبناء المعجم التاريخي ص52.

عليها "[1].

. ومن فوائد الرّصف الحسن سحر البيان، جاء في الحديث الشريف (**إنّ من البيان لسحرا**)[2]، وفي القرآن قال الله تعالى في مطلع سورة الرحمن ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ٤**﴾ [الرحمن: 1-4]، وقال أيضا ﴿**وَما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليُبيّن لهم** ﴾ [إبراهيم: 4].

وبيان الكلام هو وضوح دلالته، وبلوغ المقصد، والغرض منه بفضل قوة رصف وحداته اللسانية المتآلفة التي يستدعيها السياق الذي هي فيه من بين الوحدات اللسانية المتزاحمة.

قال بدوي طبانة :" ومادة البيان في أصل استعمالها عند أهل اللّغة تدل على الانكشاف، والوضوح "[3]، وهذا ما أشار إليه الجاحظ قديما في البيان والتبيين، فقال :" وعلى قدر وضوح الدّلالة، وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلّما كانت الدّلالة أوضح وأفصح كانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدّلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عزّ وجلّ يمدحه، ويدعو إليه، ويحث عليه، وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخر العرب، وتفاضلت أصناف العَجَم"[4].

. أمّا الغموض والتشويش والتعقيد واللبس الذي هو نقيض البيان فيحصل كما قال الدكتور عمار

---

[1] . داوود محمد محمد، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار غريب للنشر القاهرة 2003 ص11

[2] . مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، ط 1374هـ . 1955م رقم الحديث 869 . 2 / 594

[3] ـ طبانة بدوي، البيان العربي، مكتبة الأنجلومصرية، ط 1962 ص 14

[4] . الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر (ت 255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر مؤسسة الخانجي القاهرة . ط الثالثة (د. ت) 1/ 75

ساسي "حين نلبس المعاني التي نريد التعبير عنها ألفاظا لا تناسبها، قد تكون أصغر منها أو أكبر"[1] فلا يستقيم رصفه.

3 . مفهوم الرّصف عند علمائنا القدامى :

قد يتوهم بعضهم أنّ الرّصف من المواضيع التي لقيت عناية كبيرة بالدراسة والتحليل والتصنيف عند المتأخرين، وبخاصة عند اللسانيين الغربيين، فيزعم أنّها من المواضيع الحديثة الغربية، بيد أن المدقق في الدراسة، والباحث بحثا موضوعيا في مفهوم الرصف . الذي أحاول تجليته في هذه الدراسة. فقد يجد بواكيره في تراثنا اللغوي العربي المترامي الأطراف.

قال عبد الفتاح البركاوي :" أمّا اللّغويون العرب فضربوا بسهم وافر في هذا المجال، وكشفوا عن المجالات المختلفة التي تستعمل فيها الألفاظ بأعينها، بحيث لو استعمل لفظ في غير ما يتلاءم معه كان ذلك خطأ"[2].

فلعلّ البدايات الأولى لمفهوم الرّصف ظهرت على أيدي لفيف من علماء اللسان العربي الفطاحل قديما أمثال: سيبويه وابن المعتز والجاحظ والثعالبي والجرجاني، وغيرهم كثير، الذين تناولوه بمسميات عديدة ، وأشاروا إليه بمفاهيم متقاربة من حيث المعنى تصريحا؛ أو تلميحا تفهم من سياق الكلام كما سيأتي، وهذا ليس رجما بالغيب، وإنّما هذا ما أكدته مصنفاتهم ومظانهم التي بين أيدينا، فحازوا بذلك فضل السبق، سأكتفي بما أشار إليه بعضهم من هؤلاء الأعلام لمفهوم

---

[1] – ساسي عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية في الآيات المحكمات العبادات والمعاملات، دار المعارف للإنتاج والتوزيع بوفاريك البليدة الجزائر ط 1423ه /2003م 1/ 124

[2] . البركاوي عبد الفتاح محمد، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار القاهرة ط1991 ص72

الرّصف، ومنهم :

. الرّصف عند سيبويه أبو عمرو قنبر (ت 175 هـ) :

يمكن للدارس أن يستنبط قيمة الرصف لدى سيبويه من خلال أقواله المتصلة بهذا المبحث في مواضيع متعددة مبثوثة في الكتاب تشير إشارة قوية بأنّ الرصف له أهمية بمكان في تجلية المعنى وإشراق الكلام، وحسن النّظم بفضل انتقاء واختيار الألفاظ من حيث التعريف والتنكير بالنسبة للأسماء، والأزمنة بالنسبة للأفعال، وتقديمها وتأخيرها حسب مقتضاها الدلالي، وتوظيف واستعمال كلّ لفظة من هذه الألفاظ مع وحدات لغويّة متواشجة فيما بينها مكونة مصفوفة رصفية متآلفة متجاذبة دالة على معنى وغرض معين منبثق من المقام والظروف التي تحيط بالكلام وحال المخاطب.

قال في الكتاب :" واعلم أن النّكرة أخف عليهم من المعرفة وهي أشد تمكنا لأنّ النّكرة أول ثم يدخل عليها ما تعرف به، فمن ثمّ أكثر الكلام ينصرف في النكرة "[1]هذا الحكم الذي توصل إليه سيبويه بعد تتبع واستقراء كلام العرب هو حكم عام يشير إشارة قوية لصياغة التراكيب العربية وإن كان الرصف أكثر تحديدا لدلالة الكلام فأومأ لذلك في قوله :" فإن قلت كان حليم؛ رجل، فقد فقد بدأت بنكرة، ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن النكور، وليس هذا بالذي ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة "[2]، لأنّ " المخاطب يريد أن يفهم وأن يعرف شيئا جديدا كان مجهولا لديه، وعلى المتكلم أن يراعي هذه الحاجة ويليها له، ولن يتحقق أن يكون له مدخل من البلاغة، ومراعاة لمقتضى حال المخاطب إلاّ إذا ابتدأ بالمعرفة، ولو أنّه بدأ بنكرة لخرج من دائرة الحسن، فضلا عن أن يكون

---

[1] . سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، ط الثالثة، 1408هـ . 1988م . 22/1

[2] . سيبويه، الكتاب 48/1

كلاما مستقيما"[1]، " فمدار الكلام على تأليف العبارة، فوضع الألفاظ في غير موضعها عند سيبويه دليل على قبح النّظم وفساده "[2] بسب رداءة الرصف وضعف سبكه ، فإذا قلت على سبيل المثال كما جاء في الكتاب :" قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك، وأشباه هذا"[3] لكان مثل هذا الرصف فاسدا وكلاما مشوشا غير واضح من حيث المبنى التركيبي والمعنى والبيان لافتقاره جملة من الشروط :

. عدم ترابط وتعالق وحداته اللّغوية وتنافرها بسب مخالفتها للنسج على منوال تراكيب اللّغة العربيّة، وخرق نظامها اللّغوي الذي هي منه.

. عدم مراعاة الجانب النّحوي الذي يعتبر ركن ركين في بناء رصف كلام دقيق منسجم إذا ما تواشج مع الدلالة.

- إشارة بشر بن المعتمر للرّصف (ت 210هـ) :

أشار ابن المعتز في أقدم ما عثر من الوثائق تعريفا بالبلاغة العربية لقيمة الرّصف من خلال حديثه عن منازل البيان وحسن الكلام فقال :" فإن كانت المنزلة الأولى[4] لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك وفي أول تكلّفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها، ولم تَصِر إلى قرارها وإلى حقّها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحُلّ في مركزها وفي نصابها، ولم تتّصل شكلها، وكانت

---

[1] . حسن عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة القاهرة ط 1985 ص03

[2] . التواتي بن التواتي، محاضرات في أصول النحو، دار الهدى الجزائر ط1 –2008 ص304

[3] . سيبويه، الكتاب 26/1.

[4] . مأخوذة من وثيقة في البلاغة لابن المعتز وهي من أقدم ما عثر وذكرت مراتب ثلاث؛ أو منازل ثلاث بعد أن أشار إلى الحديث عن تخيير الظرف الذي ينبغي أن ينشأ فيه الكلام مع اشتراط مطابقة اللفظ بمقامه ومعناه، لينتقل إلى المنازل.

الأولى : اختيار اللفظ العذب والسهل والمعنى الظاهر.

الثانية : توخي اللفظ مكانه المناسب و هذا ما أوردناه في نصه المثبت.

الثالثة : أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات و أخفها عليك. ينظر البيان والتبيين 1 / 135 - 139

قلقة في مكانها، نافرة من موضعها، فلا تُكْرِهْها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها"[1].

فحينما نتمعن في هذا الكلام النفيس وهو يتكلم عن منازل البيان وحسن الكلام فإنه يؤكد بأنه لا بيان ولا حسن للكلام واللفظة خارج رصفها الطبيعي الخاص بها الذي ينبغي أن تكون فيه مع ضميماتها القابلة للتآلف والترابط نحويا ودلاليا.

. الرّصف عند كلثوم بن عمرو العتابي (ت 220 هـ) :

ذكر صاحب كتاب الصناعتين نصا للعتابي في الباب الرابع المعنون بـ (البيان عن حسن النظم وجودة الرّصف والسبك) قال :" قال العتابي : الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنّما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا؛ أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى كما لو حول رأس إلى موضع يد؛ أو يد إلى رجل لتحولت الخِلقة، وتغيرت الحلية "[2].

علق أبو هلال العسكري على هذا النّص قائلا :" وقد أحسن في هذا التمثيل، وأعلم به على أن الذي ينبغي في صيغة الكلام وضع كل شيء منه في موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم"[3]، وما النّظم الحَسن إلّا بالرّصف الدقيق الذي عبر عنه العتابي بالصورة ، فإذا فسدت صورة الرصف تغيرت المعاني، وتهلهل النّظم وانحط .

. **الرّصف عند أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) :**

نال مفهوم الرصف عند الجاحظ حظوة كبيرة، واهتماما واسعا في مؤلفاته منطلقا في ذلك من نظرته العميقة المتفحصة لأساليب القرآن الكريم ونظمه المعجز، ورصفه الأخاذ، وبلاغته البديعة، وبيانه

---

[1] . الجاحظ، البيان والتبيين 1 / 137 . 138

[2] . أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق وضبط : مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى –1981ص161

[3] . المصدر نفسه ص 162

الساحر، ومفهوم البيان عنده يرتكز على دعامتين اثنتين :

الأولى : جودة السبك.

والثانية : التصوير والصياغة.

وكلا الدعامتين من العناصر الأساسية التي يرتكز عليها الرصف.

. **فجودة السبك :**" هو حسن توظيف الكلام، وترتيب المعاني على نسق خاص "[1]، ولا يتم هذا إلّا من خلال اختيار الألفاظ التي يستدعي بعضها بعضا في رصف خاص مقصور على غرض معين ومعنى مقصود، وهذا ما أشار إليه الجاحظ في قوله :" والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنّما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[2]، فعلى سبيل المثال ذكر في كتابه البيان والتبيين لفظتي (الجوع والسغب) ودقة توظيفهما في الرّصف المناسب لهما للدلالة على المعنى الدقيق لهما، فقال ما ملخصه " قد يستخفّ النّاس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن **الجوع** إلّا في موضع العقاب؛ أو في موضع المدقع، والعجز الظاهر، والنّاس لا يذكرون السّغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر **المطر**، لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلّا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر، وبين ذكر الغيث... لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحقّ بالذكر، وأولى بالاستعمال"[3].

ما نلحظه على هذا الكلام أن الكثير من النّاس يستعمل ويوظف في كلامه ألفاظا تساهلا؛ أو خطأ

---

[1] . بلعيد صالح، نظرية النّظم، دار هومه للنشر والتوزيع الجزائر ط2001 ص111

[2] . الجاحظ عمرو بن بحر أبو عثمان، الحيوان، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثانية 1424هـ . 3 / 67

[3] . الجاحظ البيان والتبيين 20/1.

في الظاهر أنّها من الترادف، تؤدي المعنى نفسه، وهي في الأصل ليست كذلك، بل لكل لفظة . وإن كانت متقاربة في المعنى مع مثيلتها . دلالتها الخاصة بها تلتقط من المعنى العام للكلام؛ أو من رصفها وسياقها، فالألفاظ تنسجم وتتراصف مع بعضها البعض في إطارها الدلالي ، وتفقد دلالتها والمعنى المقصود إذا وضعت في غير رصفها الأصلي .

. **التصوير والصياغة :** فحسن اختيار الألفاظ، وإجادة رصفها، وسبكها لا يكفي لحسن الكلام وبيانه عند الجاحظ إلّا بإدخال عنصر التصوير والصياغة الذي أشرنا إليه سابقا في قوله :" فإنّما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[1]، وهو " الجنس الذي يهتم بالمعاني، وهي ترصف رصفا خاصا، وتعقد على الكلم متعالقة متآلفة تعاضد بعضها البعض"[2] حتى تكون سهلة متحدة، كأنّها قطعة واحدة؛ أو لفظة واحدة سهلة الانقياد، يسيرة على أسلة اللسان.

جاء في البيان والتبيين :" وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أُفرغ إفراغا واحدا، وسُبِك سَبْكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان"[3].

. **الرَّصف عند أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ):**

أشار ابن قتيبة إلى أهمية الرّصف التي تكمن في انتقاء وحداته اللسانية وترتيبها على الوجه الذي يقتضيه المقام ، ووضعها في موضعها المناسب لها، مع مراعاة حال المخاطب، فقال في مقدمة كتابه أدب الكاتب :"... ونستحب له أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس النّاس رفيع الكلام ، ولا رفيع النّاس وضيع الكلام "[4]، كما ألفيته نبه عن أسباب الرّصف الفاسد ضمنيا، وأشار إلى شروط وكيفية الرّصف الحسن المنسجم لأكبر وحدة

---

[1] . الجاحظ، الحيوان 3 / 67

[2] . بلعيد صالح، نظرية النّظم ص111

[3] . الجاحظ، البيان والتبيين 67/1

[4] . ابن قتيبة أبو محمد بن عبد الله، أدب الكاتب، تحقيق : محمد الدالي، مؤسسة الرسالة (د . ت) ص18

لسانية قابلة للتوصيف والتحليل اللساني، وهي النّص والخطاب المتمثلة في انتقاء الكلمات والجمل المناسبة لمضمون الرّصف، وطريقة تأليفها وإلقائها، بحيث لا يناقض آخر الرّصف أوّله فقال :" وربّما صدّر الكاتب كتابه بـ (أكرمك الله)، و(أبقاك)، فإذا توسط كتابه وعدد على المكتوب إليه ذنوبا له قال (فلعنك الله وأخزاك)، فكيف يكرمه الله ويلعنه ويخزيه في حال؟ وكيف يجمع بين هذين في كتاب؟

وقال أبرويز لكاتبه في تنزيل الكلام (إنّما الكلام أربعة : سؤالك الشيء، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء، وخبرك عن الشيء، فهذه دعائم المقالات إن التُمس إليها خامس لم يوجد، وإن نقص منها رابع لم تتم، فإذا طلبت فأسْجِحْ (أي أرفق وسهل)، وإذا سألت فأوضح، وإذا أمرت فأحكم، وإذا أخبرت فحقق)"[1].

. أمّا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) :

فقد أشار إلى أهمية الرّصف . المتمثلة في مقاربة الكلمة أختها ومعاضدة شكلها . الذي به يحسن النّظم و يتساوق القول بالمعنى، وهذا كلّه من البلاغة التي قال فيها :" حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم، حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرب منها البعيد، ويحذف منها الفضول"[2].

. الرّصف عند أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (ت 395 هـ):

ذكر أبو هلال العسكري بأنّ جودة الرّصف وحسن السبك وقوة التأليف هي من أهم الركائز في وضوح الكلام، وإشراق معانيه وبيانها ، وإلّا اعتراه الغموض والتشويش، وسلك شعبة من التعمية

---

[1] . ابن قتيبة، أدب الكاتب ص 19

[2] . المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، البلاغة، تحقيق : رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينيّة القاهرة، ط الثانية، 1985م . ص 81

فقال :" وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف، ورداءة الرّصف والتركيب شعبة من التعمية، فإذا كان المعنى سبيا، ووصف الكلام رديّا لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة، وإذا كان المعنى وسطا، ورصف الكلام جيدا كان أحسن موقعا، وأطيب مستمعا"[1].

. الإمام أبو بكر الباقلاني (ت 403هـ) :

أشار إلى الرّصف في كثير من مواضع كتابه الإعجاز في القرآن، وخاصة الرّصف الحسن الذي به تعلو بلاغة الكلام ويسمو حسن بيانه، منها قوله :" :" فإنّ إحدى اللّفظتين قد تنفر في موضع وتزلّ عن مكان لا تزلّ عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه وتضرب بجيرانها، وتراها في مظانها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى لو وضعت موضعها في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار"[2].

. أمّا القاضي عبد الجبار وهو أبو الحسن عبد الجبار الأسد الأبادي (ت 415 هـ)

فذكر قيمة الرّصف الكبيرة . التي لا يغفل عنها ذو لب . في تجلية معنى الكلام، وإشراقه والغرض منه بفضل رصف الكلمات المختارة بعناية ووعي، وضم بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة يستدعي كلٌ الآخر نحويا ودلاليا فقال :" وإنّما تظهر ميزة الكلام في جزئه الثالث الذي هو ضم

---

[1] . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق : علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، العصرية بيروت، ط 1419هـ . ص161.

[2] . الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن ، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف مصر ط الخامسة . 1997م ص 184

الكلمات بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة، وهذه الطريقة تكون بالإبدال التي تختص به الكلمات؛ أو التقديم والتأخير الذي يختص به الموقع؛ أو الحركات التي تختص بالإعراب"[1] .

. الرّصف عند عبد القاهر الجرجاني أبي بكر بن عبد الرحمن (ت 471 هـ)

إذا ذكر عبد القاهر الجرجاني في المباحث اللّغوية تبادرت إلى الأذهان استواء البلاغة العربية على يديه، والمعالم الفاصلة لمعالجة النّظم، والأسس العلمية الدقيقة الواعية التي بنيت عليها هذه الدراسة اللسانية المتميزة، ممّا أهلتها لتصبح نظرية قائمة بذاتها اصطلح عليها بـ(نظرية النّظم)، لها قيمتها في الدّرس اللساني الحديث، فبلغت بذلك شأوا كبيرا، وحُق لها أن تتصدر مصاف النّظريات اللّغوية.

فمن خلال نظرية النّظم تطرق الجرجاني لمفهوم الرّصف الذي يعتبر الدعامة الأساسية والمحور المركزي الذي تدور حوله هذه النّظرية، فأشار في مواطن مختلفة إلى رصف الكلمات وترتيبها، وجودة سبكها، وحسن اختيارها، ومعرفة مواقعها المناسبة لها في الرّصف، وتعالقها وتآلفها فيه نحويا ودلاليا، وتوخي المعاني الدالة عليه، والغرض منه المتصور في الذهن، وكلّ ذلك لا يخرج عن أنماط التعبير الخاص باللسان العربي، والمنوال الجاري في تأليف الكلام على سمت كلام العرب، فلا يكون الرّصف واضحا جليا عنده، ولا غموض فيه ولا تشويش إلّا بما ذكر آنفا فقال :" وبتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كلّه، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب بكلّ من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة، وعلى ما

---

[1] . عبد المعطي عرفة عبد العزيز تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، دار الطباعة المحمدية القاهرة ط الأولى 1983م ص163 / ينظر بلعيد صالح نظرية النظم ص 104

ينبغي له"[1].

والألفاظ عنده على حد سواء،لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة؛ أو كلمات مفردة، إنّما تثبت لها الفضيلة، وتحصل لها القيمة، وتجتمع لها الملامح التمييزية من خلال ترابطها مع ضميماتها في رصف خاص يتلاءم معناها مع معنى سابقها ولاحقها القابلة للتعلق فيما بينها.

قال الجرجاني :" أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الفضيلة وخلاقها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها..."[2]، بل إنّ فصاحة الكلمات في مفهوم الجرجاني لا تكون متفرقة بددا بمعزل عن رصفها الخاص بها ، وإنّما تكسب فصاحنها وإشراقها بتجمعها وانتظامها أفقيا، وضمها على طريقة مخصوصة يستدعي بعضها البعض من خلال انتقائها الواعي، وحسن تموقعها في الموضع المناسب لها نحويا ودلاليا، القابلة للتعالق قال :" إنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنّما تظهر في بالضم على طريقة مخصوصة"[3]، أي رصف خاص.

. ويمكن أن نستشف العناصر التي يقوم عليها الرّصف من خلال نظرية النّظم للجرجاني في ما يلي:

. الغرض : والقصد يلزمه التفكير والتصور الذهني الذي به يتوخى الاستعمالات المعقولة، والترتيب المطلوب للوحدات اللسانية المفضية إلى دلالات واضحة، ومعاني تصيب الغرض، والمراد من الرّصف، قال الجرجاني :" لا يكون ترتيب حتى يكون قصد إلى صورة وصفة، وجملة الأمر أنّه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة ، إن لم يقدم فيه ما قدم، ولم

---

[1] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 82

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 46

[3] . الجرجاني دلائل الإعجاز ص 394

يؤخر ما أخر، وبدئ بالذي ثني به؛ أو ثنى بالذي ثلّث به لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة، وإن كان كذلك فينبغي أن تنظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة الصنعة "[1].

فكلّ رصف يفتقد للتصور والتفكير في ترتيب وحداته اللسانية ، ومخالفة مواقعها المناسبة لها دلاليا وفق المقصد والغرض المبتغى من ورائه يؤثر سلبا على المعنى ، ويحدث تعمية وتشويشا على القصد ، وفسادا واضطرابا في التأليف ، قال بلعيد صالح :" وكل مخالفة الكلمات لمواضعها المناسبة لها فساد ، والفساد إخلال بالمعنى والغرض ، وقد يؤدي ذلك إلى كلام محال، أو تشويش بين الكلمات ، فكل كلمة لها عشها المناسب لها والذي نبتت فيه ، فلا يمكنها أن تعيش خارجه"[2].

. مراعاة معاني النحو : ولا معنى للنحو إلا في تركيب ، فترتيب الوحدات اللسانية في رصف ما وضم بعضها إلى بعض لا يأتي كيف شاء ، وإنّما يخضع إلى قوانين درج عليها كلام العرب، ومنوال جار عليه أنماط التعبير العربي ، وهو ما عبر عنه ابن جني" بانتحاء سمت كلام العرب"[3] قال الجرجاني :" لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة عن معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى (فعل) من غير أن يريد إعماله في (اسم) ، ولا أن يتفكر في معنى (اسم) من غير أن يريد إعمال (فعل) فيه، وجعله فاعلا له أو مفعولا، أو يرد فيه حكما سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يريد جعله مبتدأ؛ أو خبرا؛ أو صفة؛ أو حالا؛ أو ما شاكل ذلك"[4].

وكان أكثر وضوحا في هذه المسألة حينما أشار إلى أنّ الكلمات تتعالق مع بعضها وتتجاذب في

---

[1] . المصدر نفسه ص 364

[2] . بلعيد صالح، نظرية النظم ص139

[3] . ابن جني، الخصائص 1 / 34

[4] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 410

رصف معين خاص وفق معاني النحو مشكلة بذلك صورة وصفة انعكاسية للتصوّر الذهني، أو الفكرة المرسومة، وقد قيل :" أول الفكرة آخر العمل، وأول العمل آخر الفكرة"[1]

قال الجرجاني :" وإن أردت أن ترى ذلك عيانا فاعمد إلى أيّ كلام شئت وأزل أجزاءه عن مواضعها. وضعها. وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في :

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ـ من نبك قفا حبيب ذكرى منزل

ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها "[2].

والجانب النحوي المراد عند الجرجاني هو ما ارتبط بالمعنى والتحم به، أمّا الاعتماد على الجانب الشكلي منه فحسب في أي رصف كان؛ أو تركيب رغم قبوله نحويا فإنّه مدعاة للتشويش والتعقيد ويشوبه الغموض بسبب افتقاده للحلقة الدلالية ، فكل رصف لغوي يكون مقبولا نحويا من الجانب الشكلي متنافرا من حيث المعنى مرفوضا دلاليا يخرج من دائرة البيان إلى دائرة الهذيان إلّا إذا التمسنا له مخرجا أسلوبيا انزياحا.

. **مراعاة الجانب الدلالي** : الأصل في الدلالة بأنّها امتداد طبيعي لأي تركيب أو رصف ما ، وإلّا لا قيمة له ، ولقد ركز الجرجاني على الجانب الدلالي في الكلام وأعطى له أهمية بالغة في تحديد الاستعمالات الممكنة المقرونة بالغرض المتوخى من هذه الاستعمالات ، وتخصيص كل استعمال برصفه الخاص به دلاليا فقال على سبيل المثال :" ... وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعا ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو مسرع، أو هو يسرع ، وجاءني قد أسرع ، وجاءني وقد أسرع ، فيعرف لكل ذلك موضعه ، ويجيء به حيث ينبغي له ، وينظر في الحروف

---

[1] . ابن قتيبة، أدب الكاتب ص 08

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 410

التي تشترك في معنى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كل ذلك في خاص معناه "[1]، فتعدد الرّصف لا يكون إلّا بتعدد الدلالات ، ولكل رصف معناه الخاص أو الملمح التمييزي أمام المعنى العام المشترك الذي يقتضي استعمالات متعددة ، وذكر في موضع آخر دقة الرّصف المرتبط بجانبه الدلالي فقال :" نحو أن يجيء بـ (ما) في نفي الحال، بـ (لا) إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ (إن) في ما يترجح بين أن يكون، وأن لا يكون، وبـ (إذا) فيما علم أنّه كائن"[2].

4 . مفهوم الرّصف عند المحدَثين :

المتابع للسانيات الحديثة الغربية والمطلع على ما أفرزته وأنتجته من نظريات كثيرة متعددة المشارب في الدرس اللغوي وبخاصة ذات الصلة باللسانيات الوصفية التصاقا أو امتدادا أول ما يلحظه التأثر الواضح لبعض الباحثين اللغويين الجادين العرب بهذه النظريات ومحاولة إسقاط كثير من أفكارها على الدرس العربي، واستثمارها في ما يخدم تطور اللسان العربي، فكلّ دراسة مبنية عند هؤلاء على خلفيته علمية تتساوق مع هذا الطرح المذكور سلفا.

فثلة من العلماء والباحثين تطرقوا إلى مفهوم الرّصف بمصطلحات خاضعة لهذا التأثير كمصطلح التضام والتوارد على غرار تمام حسان وصبري السيد، وتوافق الورود عند أحمد مختار عمر وغيرهم وفق المعيار الرّصفي المتبع، فمنهم من أعطى عناية واهتماما للجانب المعجمي التركيبي، ومنهم من ركز على نمط التعبير كوحدة دلالية ...

ومن أهم هذه المصطلحات المستعملة عند المحدَثين والدالة على مفهوم الرّصف :

---

[1] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 82

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 82

. التضام (Collocation)

ذهب إلى هذا كلّ من تمام حسان و محمود فهمي الحجازي، أمّا محمود فهمي الحجازي فقد تطرق إلى مفهوم الرّصف بمسمى أو مصطلح التضام من خلال كتابه مدخل إلى علم اللغة في المبحث الموسوم بـ (المعنى في العلاقات التركيبية)، فقال :" هناك علاقات تركيبية من أنواع مختلفة، والمقصود بالعلاقات التركيبية ارتباط أكثر من كلمة على نحو يجعل استخدامها متلازما لأداء المعنى"[1]، وذكر منها التضام ، فقال :" التضام يعني ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية يكون معناها مفهوما من الجزئيات المكونة لها"[2].

والمصطلح نفسه (التضام) استعمله تمام حسان دالا على مفهوم الرّصف كما صرّح بذلك في كتابه اللّغة العربيّة معناها ومبناها فقال :" التضام فهو تطلّب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى"[3].

كما عدّ قرينة التضام الرّصفية من أهم القرائن العلائقية في إيضاح الكلام وبيانه، وحسن تأليفه، وإفادته، فقال في الخلاصة النحوية :" إنّ تأليف الجملة من مفرداتها لا يتم بالمصادفة، بل تحكمه مبادئ وقواعد تتوقف عليها إفادة الكلام ، فالكلمة في الجملة يغلب أن تتطلب كلمة أخرى تقع في حيزّها بشروط خاصة تتصل بإحدى القرائن كالإعراب أو الرتبة أو الربط..."[4].

كما أشار في هذا المبحث إلى خاصية من خصوصيات الرّصف الحسن التي ينبني عليها، والمتمثلة في ترابط وحداته اللسانية التي يستدعي بعضها بعضا من خلال فكرة مطالب الحيّز في نظم الجملة، فقال :" ويتعدد طابع الحيز بين الافتقار والاختصاص والمناسبة النحوية والمعجمية :

---

[1] . الحجازي محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة . (د . ت) ص157

[2] . المرجع نفسه ص157

[3] . حسّان تمّام، اللغة العربية معناها و مبناها ص94

[4] . حسّان تمّام، الخلاصة النحوية ص 80-81

. أمّا الافتقار فمعناه أن لفظا ما لا يستقل بالإفادة، ولا يوقف عليه في الكلام غالبا، وإنّما يتطلب في حيّزه لفظا آخر لا غنى له عنه، وهذه هي السمة المشتركة بين الألفاظ الدالة على معنى عام حقه أن يؤدى بالحروف، ويترتب على مبدأ الافتقار ألّا يُستغنى بحرف الجر عن المجرور...ولا بالحروف المصدرية عن الفعل، ولا بالموصول عن الصلة وهلم جراً، وكذلك يفتقر المحذوف إلى دليل الحذف؛ أو إلى العوض...وتفتقر المبهمات إلى ما يخصصها من وصف؛ أو تمييز؛ أو إضافة ...

. أمّا الاختصاص : فمعناه أن يدخل الحرف على مدخول بعينه... فمعنى (إنّ) مثلا هو التوكيد، وهو معنى يمكن الوصول إليه بطرق مختلفة، ولكن (إنّ) تختص بالدخول على الاسم المبتدأ، ومعنى النفي هو معنى عام يمكن التعبير عنه بطرق مختلفة، ولكن (لم) تختص بالدخول على المضارع على حين تدخل (ما) أختها على الجملة الاسمية ... وهلم جراً ... ومعنى كل ما تقدم أنّ التضام قرينة على المعنى بحسب ما يرهص به حيّز اللّفظ من افتقار إلى لفظ آخر، أو اختصاص به؛ أو مناسبة بين هذا اللفظ وغيره؛ أو مفارقة بين اللفظين.

والمناسبة : إمّا أن تكون نحوية كما رأينا في الكلام عن الافتقار والاختصاص، وإمّا أن تكون معجمية، والمعروف أنّ مفردات المعجم تقع في طوائف، لكلّ طائفة منها طابعها الذي يطبع أسماءها وأفعالها بسمة خاصة تجمعها تحت ظل معنوي واحد، فمن الأفعال ما يتطلب فاعلا عاقلا نحو : فهم وقرأ وخطب وأرشد، ومنها ما يتطلب فاعلا مهاجما نحو هزم واغتال وافترس ....ولقد تسند فعلا من هذه الأفعال إلى من هو له، فتقول مثلا : (فهم التلميذ الدرس) عندئذ تتحقق المناسبة المعجمية التي يتطلبها التضام بين عناصر الجملة.

أمّا إذا قلت : (قرأ الحجر دم النخلة) فإنّك ستجد مفارقة معجمية بين (قرأ) والحجر، وبين(قرأ) والدم، وبين (الدم) والنخلة، فلا الحجر يقرأ، ولا هو يقرأ الدم، ولا الدم مما يخضع للقراءة، ولا

النخلة من ذوات الدماء، وهكذا تنعدم علاقة التضام بين مفردات الجملة."[1]

. توافق الوقوع : هو مركب إضافي يقصد به الرّصف اللّغوي كما صرّح بذلك أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة أثناء تطرقه للنّظرية الفيرثية السياقية فقال :" وهناك من أصحاب هذه النظرية من ركز على السياق اللغوي وتوافق الوقوع؛ أو الرّصف "[2]، وذكر من بين التعريفات عند أصحاب هذه النظرية التي ارتضاها لهذا المصطلح الرّصفي تعريفا يتساوق ومفهوم التوافق والوقوع؛ أو الرّصف بأنّه " استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى"[3].

ومثل بكلمة (منصهر) المرتبطة مع مجموعة من الكلمات قصد توضيح هذا التعريف، فقال :" ارتباط كلمة (منصهر) مع مجموعة الكلمات : حديد . نحاس . ذهب . فضة ...ولكن ليس مع (جلد) مطلقا ، وعدم تلاءم (جلد) مع هذه المجموعة لا يكفي لعدم صحة الارتباط؛ أو التوافق بين (جلد) و (منصهر)، ولذا يلجأ إلى الدليل الشكلي لإثبات عدم الملاءمة ، وسيثبت الدليل الشكلي أنّ الحديد والنّحاس والذهب...تتقاسم عددا من الترابطات مثل الصلابة والثقل والبريق والبرودة... التي لا توجد في مجموعة الجلد ، وإنّما يوجد بدلا منها صفات الخفة والليونة وانطفاء اللون "[4].

. مفهوم الرّصف عند فيرث (Firth) وأتباعه :

قال ألمان (Ullmann) :" هناك تطور هام للمفهوم العملي للمعنى تمثل في دراسة طرق الرّصف

---

[1] . حسّان تمّام، الخلاصة النحوية ص81

[2] . عمر مختار أحمد، علم الدلالة ص74

[3] . المرجع نفسه ص74

[4] . عمر مختار أحمد، علم الدلالة ص74

أو النظم (collocations) وهو ما ركز عليه فيرث وأتباعه"[1]، وإن كانت هذه الدراسة الرّصفية في حقيقتها امتدادا لنظرية السياق كما قال أحمد مختار عمر " فهناك من عدّ . هذه الدراسة . نظرية مستقلة (collocational theory) نظرا لما تميزت به من أحكام، وما وضع لها من قواعد " أشير إلى أهمّها على النّحو التالي :

. " بيان مجموع الكلمات التي تنتظم معها الكلمة.... ولمّا كان من المعتاد أن تنتظم الكلمة مع أكثر من مجموعة، وأن تقع في أكثر من سياق لغوي فقد ظهر مصطلح (الوقوع المشترك).

. ومصطلح (احتمالية الوقوع)، وضع فيرث ما سماه اختبار الوقوعية؛ أو الرّصفية (collocability) الذي يقوم على أساس تبديل المفردات المعجمية؛ أو تبديل أنواع السياق اللّغوي لإصدار الأحكام"[2].

. من خلال تتبع أنماط التعبير المتعددة والمتباينة استطاع فيرث (Firth) أن يميّز بين نوعين من الرّصف وهما : "

أ . الرّصف العادي الموجود بكثرة في أنواع مختلفة من الكلام.

ب . الرّصف غير العادي الموجود في بعض الأساليب الخاصة ، وعند بعض الكتاب المعينين."[3]يشترط فيرث لكمال المعنى المتوخى من رصف الكلام . وبخاصة الجملة . مراعاة الجانب النّحوي في تأليفها، وترابط وحداتها من خلال عنصر توافق الوقوع، وكذلك مبدأ التقبلية بين الناطقين بهذه اللغة التي ينتمي إليها هذا الكلام قال أحمد مختار عمر بأن فيرث " لا يعتبر

---

[1] . ينظر عمر مختار أحمد ص74 Meaning and style ;S.Ullmann ;Oxford ;1973.P09

[2] . ينظر عمر مختار أحمد علم الدلالة ص75 _ Semantic Fields And Lexical Structure .A.Lehrer ;Amsterdam-London ;1974 P174.

[3] . عمر مختار أحمد، علم الدلالة ص77

الجملة كاملة المعنى إلّا إذا صيغت طبقا لقواعد النحو، وراعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة،وتقبلها أبناء اللّغة، وفسروها تفسيرا ملائما، وهو ما أطلق عليه اسم التقبلية (acceptability)"[1] .

. الكلمات المتراصفة عند فيرث مرتبطة من حيث المعنى يفضي بعضها إلى بعض ، وهذا ما عبر عنه فقال :" أنّ قائمة الكلمات المتراصفة مع كلّ كلمة تعدّ جزءا من معناها"[2].

. مفهوم التحليل الرّصفي عند فيرث وأتباعه يختلف عن التحليل النحوي ، فهناك فرق بينهما :" ففي حين يعالج النحوي مجموعات الكلمات (اسم / فعل / صفة)التي تحوي آلاف الكلمات التي ليس لها علاقات متبادلة ذات أهمية دلالية . يعالج الرّصف الكلمات المفردة التي لها علاقة متبادلة ذات أهمية دلالية "[3].

5 . الرّصف والمصطلحات المتقاربة دلاليا :

كثير من المصطلحات اللّغوية تتقارب من حيث الدلالة مع الرّصف، وتتداخل في المعنى وتتقاطع، أذكر منها

5 . 1 . الاتساق والانسجام

قبل الخوض في ثنائية (الرّصف / والاتساق والانسجام)؛ . أو ما يطلق عليهما . أي الاتساق و الانسجام . في الدرس العربي القديم بـ (السبك والحبك) . أشير إلى أن الاتساق

---

[1] - عمر مختار أحمد علم الدلالة ص77 J.Lyons ;in Memory of Firth's Theory of meaning J.R.Firth ;ed P291

[2] . عمر مختار أحمد ،علم الدلالة ص 77 Theory of meaning P13

[3] - عمر مختار أحمد، علم الدلالة ص77

والانسجام كلٌّ متكامل، لا يمكن الفصل بينهما في الدرس اللّغوي.

فالاتساق : هو مجموعة علاقات الترابط الشكلي للبنية السطحية المنجزة لسانيا التي تقتضي الانسجام.

والانسجام : هو صور التماسك التجريدي للبنية العميقة المنجزة لسانيا، وتتجلى بوضوح من خلال الاتساق.

فالاتساق والانسجام هما وجهان لعملة واحدة، لا يمكن أن يدرس الأول بمعزل عن الثاني.

والاتساق في أصله يدلّ على الانتظام كما ذكر ذلك صاحب اللسان عن الفراء في تفسير قول الله تعالى ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ١٨**﴾ [الانشقاق: 17-18] وما وسق : أي وما جمع، قال :" والوسق ضم الشيء إلى الشيء ... وقيل كلّ ما يجمع فقد وُسِق ... والاتساق : الانتظام"[1].

فهذا الانتظام والاتساق " ناتج عن العلاقات الموجودة من الأشكال النّصية "[2].

وعلى هذا الأساس عرّف الباحث مفتاح بن عروس الاتساق اصطلاحا بأنّه :" مجموعة القواعد الشكلية التي تربط العناصر اللّغوية بتدرج تصاعدي من أصغر وحدة لغوية إلى أكبر وحدة "[3]، سواء كانت هذه العناصر اللّغوية منطوقة؛ أو مكتوبة.

ولا يمكن أن تتضح معاني هذه العناصر، وتدرك مقاصدها إلّا بالعلاقات القائمة فيما بينها، والمتشابكة من خلال النسيج الدلالي الذي ينعكس إيجابا على هذه الوحدات اللّغوية بفضل القواعد الشكلية التي تربط بعضها ببعض، مكونة بذلك بنية؛ أو وحدة كبرى ذات استمرارية دلالية منبثقة

---

[1] . ابن منظور، لسان العرب 10 / 380 . 381

[2] . قول (carter) ينظر بوقرة نعمان المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب . علم كتب الحديث . عمان ط1 . 2009 ص 81

[3] . بن عروس مفتاح، الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقارنة لسانية) ، مجلة اللّغة والأدب جامعة الجزائر العدد 7 ديسمبر 1997م . ص 431

من انسجامها التام.

فالانسجام كما عرّفه ديبوجراند هو :" معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النّص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم، والعلاقات الرابطة بين المفاهيم"[1] ؛ أو هو" الأبنية الدلالية المحورية الكبرى، وهي أبنية عميقة تجريدية "[2]، فالانسجام بهذا المفهوم يمثل البنية العميقة للنّص؛ أو الخطاب دلاليا.

ومع هذا فالصلة بين التماسك الدلالي، والتماسك الشكلي؛ أو السطحي (التماسك الظاهر) متداخلة ومتواشجة في كثير من الأحيان، ممّا قد يفضي إلى عدم الفصل بينهما"[3].

ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى أهم ميزة لكل منهما

. فالاتساق : هو التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللّغويّة (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب؛ أو خطاب برمته، " فهو يدرس الجوانب المعجمية، والعلاقات النّحوية في النّص من خلال أدواته ووسائله، كالإحالة؛ أو المرجعية (Reference) الإحالة المقاميّة (خارج النّص)، والإحالة النّصية، والاستبدال (Substitution)، والحذف(Elimination)، والوصل والفصل (conjuction /disjunction)، وإن كان الاتساق في الأصل مفهوما دلاليا.

وأمّا الانسجام فهو أعم من الاتساق " وأعمق منه، إذ يتطلب بناؤه من المتلقي"[4]، كاللوحات الإشهارية، والشعر، والحديث وغيرها التي لا تهتم بالإحالة والاستبدال ...الخ.

---

[1] . جميل عبد المجيد، البديع، بين البلاغة العربيّة واللسانيات النّصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1998م

[2] . بحيري سعيد حسن، علم لغة النّص . الشركة المصرية العالمية، ط1 .1997 ص132

[3] . العاني زينب خلف ، الرّصف وعلم لغة النّص ص 118

[4] . العاني زينب خلف ، الرّصف وعلم لغة النّص ص 118

فالانسجام يهتم بالعلاقات الدلالية؛ أو المعنوية في النّص من خلال آلية الربط الدلالي والمنطقي بين قضايا النّص؛ أو الخطاب.

علاقة الرّصف بالاتساق والانسجام:

فإذا كان الاتساق هو تناسب اللفظة مع أختها معجميا، وتستدعيها نحويا ودلاليا في تركيب مخصوص؛ أو تناسب الوحدات اللغوية المشكلة لبناء نص؛ أو خطاب معين له دلالات مقصودة، فإنّ الرّصف يتقاطع مع الاتساق في هذه الصفة، ويتداخل معه، ونكاد نقول بأنّ الرّصف هو الاتساق من هذه الناحية ويستوعبه، بل الاتساق عنصر محوري من عناصر الرّصف التي يرتكز عليها في تآلف وترابط وحداته اللغوية بفضل وسائله وأدواته الرابطة بين الألفاظ والجمل والفقرات.

أمّا صلة الانسجام بالرّصف فإنّها " تتراوح بعدا وقربا ، فهي بعيدة : لأنّها تنظر إلى المعاني الكلية والتي لا يمكن تأديتها بالعديد من الألفاظ وطرق رصفها من دون تقييد تفرضه تلك المعاني .

ويكون الانسجام قريبا من الرّصف ويتقاطع معه من حيث آلية الترتيب"[1].

فالانسجام يعتمد على الترتيب الدلالي المنطقي لأي نص أو خطاب ما وإلاّ اعتراه الغموض والتعمية والتشويش.

فالرّصف يتداخل مع الانسجام في هذه الآلية ، بل الترتيب بين الوحدات اللغوية المشكلة للرّصف من أساسياته التي يقتضيها المعنى المقصود منه دلاليا، وتطلبه الوحدات المتواشجة نحويا وذهب

[1] . ينظر العاني زينب كعيد، الرّصف ولغة النص ص 118

صاحب كتاب نحو النّص بأنّ بين الربط الرّصفي (الاتساق) والربط الموضوعي الدلالي (الانسجام) علاقة عضوية، فلا ينفك أحدهما على الآخر عند التحليل أو وصف البنية "[1].

5 . 2 . الرّصف والسياق :

أمّا التعريف لغة فالرّصف والسياق كلاهما اشربا معنى التتابع كما ذكرت ذلك بعض معاجم اللّغة العربيّة، وتقاطعت المفاهيم بينهما حتّى عدّ أصحاب النظرية السياقية الرّصف من السياق اللفظي الذي لا يهتم إلاّ" ببيان مجموعة الكلمات التي تنتظم معها الكلمة "[2]؛ أو " الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة"[3].

مثل كلمة (نفوق) تقول : نفوق جماعي للأسماك، ونفوق الإبل...وفي المقابل لا تتلاءم لفظة (نفوق)، ولا تقترن مع لفظة (الإنسان) في رصف واحد، فالنفوق والإنسان يتنافران، ولا تستدعي إحداهما الأخرى دلاليا، فهما لا ينسجمان؛ أو لا يقترنان، وإنّما تقول : مات الإنسان، ومعنى هذا أنّ الوحدات اللسانية المشكلة لرّصف ما منسجم لها علاقة ترابط حلقي في ما بينها من حيث المعنى لا تقبل الوحدات الدخيلة عنها، وقد أشار إلى هذا فيرث فقال :" إنّ قائمة الكلمات المتراصفة مع كلّ كلمة تعدّ جزءا من معناها"[4].

ويمكن القول بأنّ الرّصف ليس مرتبطا بالسياق اللّغوي فحسب بل هو في أصله استعمالات في غالبها مرتبطة بمواضع، ومواطن معيّنة، وظروف خاصة، ومناسبات متعددة، وسياق محدد

---

[1] . عبد الراضي أحمد محمد، نحو النّص بين الأصالة والحداثة، نشر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة مصر، ط الأولى 2008م ـ ص 112

[2] . عمر مختار أحمد، علم الدلالة ص75

[3] . ينظر المرجع نفسه ص 74 ـ 9 Meaning and style–

[4] . عمر مختار أحمد، علم الدلالة ص77 . 13Theory of meaning –

قال محمد مبارك :" ويتعدد الاستعمال خلال العصور، وفي مختلف المناسبات، وشتى البيئات يتم للكلمة أكثر من معنى، ويجتمع لها أكثر من دلالة، ويبرز أحدهما حين استعمال الكلمة في جملة معينة، وسياق محدد من الكلام...فلا يعين أحد هذه المعاني الموجودة بالقوة في لفظ الكلمات، ولا يخرجه من حيز القوة إلى حيز الفعل إلا استعمالها في جملة من الكلام، ولهذا كان للسياق قيمة كبرى في تحديد المعاني، وفهم الكلام"[1].

اختيار الألفاظ ، أو الطريقة التي ترصف بها"[2].

فإدراك دلالة الألفاظ، وفهم معاني الكلمات لا يكون إلّا بوضع كل لفظة؛ أو وحدة لسانية في رصف مخصوص الذي تشكله الظروف والملابسات التي قيل فيها، قال صاحب كتاب نظرية المعنى في النقد العربي :" وفكرة القالب أو السياق هذه فكرة هامة، وخصوصا في ما يتعلق بصلتها بالكلمات، فالكلمات لا تعدو أن تكون رموزا لأشياء كليّة هامة، وحينئذ ينبغي علينا أن نبحث عن الإطار؛ أولا، ثمّ نبحث عن الكلمات ثانيا "[3]، والإطار السياقي تدلّ عليه القرائن اللفظية (وهي من السياق اللّغوي)، والقرائن الحالية (وهي من السياق غير اللّغوي).

قال فهمي حجازي :" وما المعنى إلّا حصيلة المواقف التي استخدم فيها الرمز اللّغوي، ولذا فالوسيلة العلمية لمعرفة دلالة كل كلمة من الكلمات؛ أو عبارة من العبارات تتلخص في بحث الظروف والملابسات التي استخدمت فيها الكلمة، فاكتسبت معناها، وقدرتها الإيحائية "[4]، فعلى سبيل المثال : الآية الكريمة 48 في سورة الأحزاب قال الله تعالى ﴿ وَدَعْ أَذَاهُمْ ٤٨﴾ [الأحزاب: 48]، ذكر هذا الرّصف القرآني بين ثنايا الآيات الكريمات التي تبرز الغاية من إرسال النّبي محمد

---

[1] . المبارك محمد، فقه اللّغة وخصائص العربيّة ، دار الفكر بيروت لبنان ط الثانية 1982 ص182-183

[2] . . العاني زينب، الرّصف وعلم لغة النّص ص 120

[3] . ناصف مصطفى، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس بيروت ط الثانية (د . ت) ص 161

[4] . الحجازي فهمي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة (د . ت) ص13-14

صلى الله عليه وسلم، وهي الشهادة على النّاس، والدعوة إلى الله، وبشارة المؤمنين، وإنذار الكافرين والمنافقين...قال الله تعالى﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا٤٦ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا٤٧ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا٤٨**﴾ [الأحزاب: 45-48]، فهذا الرّصف القرآني (ودع أذاهم) يفهم منه معنيان في الظاهر :

. المعنى الأول : الخطاب لرسول الله صلى الله علي وسلم ، أمره الله تعالى بعدم إيذاء الكفار والمنافقين.

. والمعنى الثاني : أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يلتفت لإيذاء الكفار والمنافقين له، وأمره أن يتوكل عليه سبحانه ، فهو وحده تعالى يعصمه من شرهم وكيدهم وإيذائهم

﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا٨١**﴾ [النساء: 81]، وقال تعالى ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ٦٧﴾ [المائدة: 67]. فالسياق الخارجي (غير اللّغوي) الذي يتمثل في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم العطرة . وهي في هذا المقام تعتبر قرينة حالية . تثبت وتبين أنّ الإيذاء من الكفار والمنافقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه، فبذلك يترجح المعنى الثاني وهو المقصود من هذا الرّصف القرآني، قال تمام حسان :" لا يمكن أن يستفاد من التركيب ﴿ **وَدَعْ أَذَاهُمْ ٤٨**﴾ [الأحزاب: 48] من الذي كان يؤذي الآخر، ولكن قراءة السيرة النّبوية الطاهرة تدل على إيذائهم، (أي الكفار والمنافقين) إيّاه . صلى الله عليه وسلم . فالسيرة هي القرينة"[1] هذا من جهة السياق الخارجي، أمّا من جانب السياق القرآني فالآيات كثيرة تدل دلالة قاطعة على أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان ليصدر منه فعل الإيذاء أبدا، والله تعالى قال فيه ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً**

[1] . حسّان تمّام، الخلاصة النّحوية ص 24

لِلْعَالَمِينَ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]، وقال أيضا ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ١٥٩﴾** [آل عمران: 159 .

بل إنّ السياق القرآني يؤكد أن الإيذاء مصدره من المنافقين والكفار فقال في السورة نفسها﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا٥٧﴾ [الأحزاب: 57]،** ومن إيذائهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على غرار هذه الآية قولهم كما قال القرآن على لسانهم :

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ٤﴾ [ص: 4])

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ٥﴾ [الأنبياء: 5]

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا٥﴾ [الفرقان: 5]

وقالوا هو أبتر، فجاء الردّ القرآني **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ٣﴾ [الكوثر: 3].....**

. وفي مثال آخر من سورة ص في الآية الكريمة ﴿**﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ٣٣﴾** [ص: 33] اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية التي حكاها القرآن الكريم على لسان نبي الله سليمان عليه السلام، فجاء هذا الرّصف مرتبطا بما قبله بدلالة إحالة الضمير (**ها**) في سياق قصة سليمان عليه السلام لمّا عرضت عليه الخيل بالعشي وهو ينظر إليها حتى توارت الشمس عن الأنظار، قال أهل العلم : اشتغل بعرضها عليه حتى خرج وقت الصلاة، فأمر سليمان عليه السلام بضرب أعناقها وسوقها بالسيوف، لاشتغاله بها عن ذكر الله، قال الله تعالى﴿**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ٣١﴾** [ص: 31]

. فذهب بعض المفسرين في تأويل (**ها**) الضمير في قوله (ردوها علي) بأنّها عائدة على

الشمس، تطبيقا للقاعدة النّحوية أنّ الضمير يعود على الأقرب، وفي الآية الأقرب للضمير من حيث الرّصف هي الشمس التي عبر عنها القرآن بـ (**توارت بالحجاب**) وعقبها قال (**ردوها**)، هذا من جهة، ومن جهة ثانية بدلالة لفظ (**العشي**) في قوله تعالى ﴿**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ٣١**﴾ [ص: 31].

وذهب آخرون إلى أنّ (ها) الضمير في الآية تعود على (الخيل) بدلالة القرائن السياقية في الآية الكريمة ﴿**رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ٣٣**﴾ [ص: 33]، أي تقطيع أعناقها وسوقها جمع ساق.

قال تمّام حسّان :" والصواب أنّ الضمير يعود على الخيل بدليل أنّه بعد ردها طفق مسحا بسوقها وأعناقها، لأنّ (أل) في السوق والأعناق تفيد جنسا نسبيا مساويا لدلالة الضمير"[1] هذا من شق، ومن شق آخر (السياق غير اللّغوي)" لا يمكن لسليمان علية السلام أن يكون قد طلب إلى أعوانه أن يردوا الشمس، لأنّ ذلك تحد لسنن الكون"[2].

. كما يتضح جليا ارتباط الرّصف بالسياق من خلال بعض وحداته كحروف المعاني، والأدوات وغيرها، ففي كثير من الأحيان إذا وظفت في رصف معين ارتبطت بالسياق الخارجي (المقام الذي قيل فيه، والظروف المحيطة به)، لأنّ الأصل في هذه الحروف والأدوات لا يتم معناها إلّا بغيرها فمعناها من معنى الرّصف الذي تولّد في سياقه، فإدراك السياق الذي نشأ فيه رّصفها الذي هي منه يقرب المعنى المراد، ويفضي إلى تقاطر الدلالات الدقيقة والمعاني الهامشية للألفاظ المنتقاة، والمتساوقة لمعناه العام، نحو ما جاء في القرآن الكريم على لسان فرعون ﴿**قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ**

---

[1] . حسّان تمّام، الخلاصة النحوية ص 20

[2] . حسّان تمام، الخلاصة النحوية ص 20

النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى٧١﴾ [طه: 71] فهذا الرّصف ذكر في سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة الذين انتدبهم فرعون لمجابهة موسى عليه السلام، وإبطال ما جاء به حسب زعمه الفاسد، فما كان من السحرة قبل دخول الجولة الأولى إلّا أن ﴿**فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ٤٤**﴾ [الشعراء: 44] ولمّا تبين الحقّ للسحرة سفهوا ما كان يدعو إليه فرعون بإعلانهم إيمانهم بالله وحده لا شريك له أمام جميع الحضور، وصدقوا موسى عليه السلام بما أرسل به من ربّ العالمين، وقالوا كما جاء في القرآن ﴿**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ٤٧**﴾ [الشعراء: 47]، فاستشاط فرعون غضبا وقال(**لأصلبنكم**) فهددهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أي قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى؛ أو العكس، وزيادة في تعذيبهم لشفاء غليله، ويكونوا عبرة لغيرهم قال (**لأصلبنكم**)، الشاهد في هذا الرّصف هو توظيف حرف الجر (في) الذي تساوق والمقام الذي استعمل فيه، وأفضى على الرّصف دلالة المبالغة في التصليب التي يقتضيها هذا الرّصف في هذا السياق، ويصور لك هذا المشهد البشع كأنك تراه.

والتصليب يأتي بوضع شيء على شيء، وربطه ربطا محكما، فهنا جاء حرف الجر (**في**) بدلا من (**على**)، فلم يقل (**لأصلبنكم على جذوع النخل**)، ولكن قال(**في جذوع النخل**)

. ذهب بعض النحاة أنّ حروف الجر ينوب بعضها عن بعضّ وتدلّ على معناها، وعلى هذا المذهب فسّر بعض المفسرين أنّ حرف الجر (**في**) في هذه الآية بمعنى (**على**)، أي بعنى (**لأصلبنكم على جذوع النخل**)، بيد أنّ أسلوب القرآن الكريم دونه كلّ أسلوب . فهو في الطبقة العليا كما قال الرماني[1] من حيث تلاؤم حروفه، وانسجام كلماته، وإحكام بنائه، وذروة بلاغته، وفصاحة ألفاظه، وسحر بيانه . لا يوظف حرف ولا لفظ إلا وأعطى دلالة خاصة تضاف للدلالة

[1]– عمر أحمد مختار، البحث اللّغوي عند العرب ص 94

العامة، ولو غيرنا ووضعنا حرفا مكان حرف؛ أو لفظا مكان آخر. ممّا في زعمنا أنّه من المترادف . لأهدرت دلالته ومعناه الدقيق، ولو التمسنا الإعجاز في غير وحداته المكونة لرصفه الخاص فلن نستطيع إلى ذلك سبيلا، فحرف الجر (**على**) لو استعمل في هذا الرّصف بدل (**في**) لما أعطى الدلالة الدقيقة المتوخاة منه، ولا المعنى المطابق لمبناه، فالمقصود هنا المبالغة في التصليب حتى تختلف أضلعهم، وتدخل أجزاء أجسادهم المصلوبة في المصلوب عليه، والمعنى " لأصلبنكم في جذوع النخل تصليبا قويا، بحيث تدخل أجزاء المصلوب في المصلوب عليه، فكأنّه ليس عليه، بل هو داخل في حيزه ... فالمعنى لا يتم إلّا بهذا، ولا يستقيم هذا الرّصف القرآني إلّا بحرف الجر (**في**) الدالّ على أنّ شيئا داخل في شيء، أمّا (**على**) فإنّما تدل على أنّ شيئا يعلو شيئا في هذه الآية، والتمس الشيخ الشعراوي دليلا حسيا فقال :" يمكن أن تجرب هذا بنفسك، بأن تأتي بعود كبريت وتربطه على أصبعك بخيط، وتشدد الربط، فشدة الربط تجعل عود الكبريت يغوص في لحم أصبعك، فيصبح كأنّك لم تصلبه على أصبعك ، ولكن في أصبعك، وهذا مبالغة في التصليب"[1].

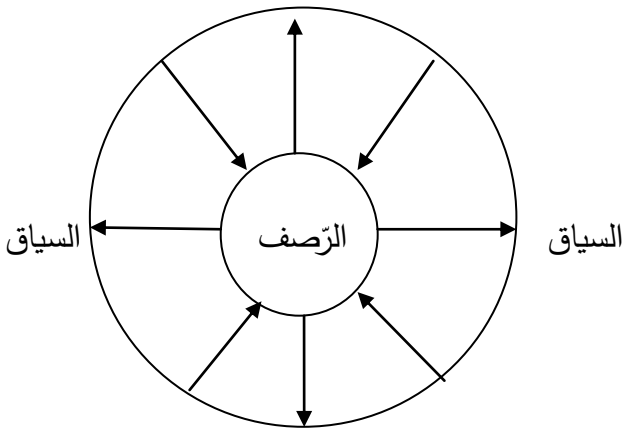
. وكذلك الحرف (**في**) الدالّ على المبالغة في التصليب يتساوق مع ما قبله وما بعده من الألفاظ الدالّة على المبالغة في التعذيب، ومنها السابق قطع الأيدي والأرجل من خلاف الآية (لأقطعن)، ومن اللاحق قوله (ولتعلمن).

والخلاصة : أنّ الرّصف مرتبط بسياقه، فالسياق يشمل الرّصف ويحتويه، والرّصف هو الصورة المشرقة للسياق، إذ من خلال الرّصف نستطيع أن نتصور السياق الذي نشأ فيه هذا الرّصف في

---

[1] . الشعراوي محمد متولي، قصص الأنبياء، جمع : منشاوي غانم جابر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان (د . ت) 3 / 1788

الغالب، ونرسم ملامحه، ونجلي معالمه، يمكن أن أشير إلى هذا المعنى من خلال هذا الشكل التوضيحي :



وعلى سبيل المثال لا الحصر يتضح هذا التفاعل بين السياق والرّصف جليّا في قصة موسى عليه السلام من خلال حدث جانبي بين نبي الله موسى عليه السلام، ورجل ناصح له ، قال الله تعالى في سورة القصص﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ٢٠**﴾ [القصص: 20] إذ نستطيع أن نحدد السياق العلاماتي، ونتصور الظروف التي بُذل فيها النصح بأدق تفاصيله من خلال هذا الرّصف القرآني العجيب

فلفظة أقصى المدينة ـــــ تدلّ على أنّ هناك أدنى المدينة

⇩ ⇩

مكان تواجد فرعون ـــــ مكان تواجد موسى عليه السلام

وكأنّ هذا الرّصف العجيب يصور لنا أطراف المدينة التي كان يحكمها فرعون الحاكم الظالم، وفي الوقت نفسه كان موسى عليه السلام يعيش في أكنافها معارضا لظلم فرعون، ومعتقداته.

فمكان تواجد فرعون هو أقصى المدينة الذي يعتبر أبعد نقطة عن مكان تواجد موسى عليه السلام، وهو أدنى المدينة .

. كلمة (**المدينة**) ـــ تدلّ على مكان آهل بالسكان، وموطن حضر . ليس ببدو، ولا قرية . زاخر بمستلزمات حياة المدينة في جميع المجالات.

. لفظة (**جاء**) ـــ تدلّ على حركة في زمن ماض من طرف إلى طرف، من أقصى المدينة إلى أدنى المدينة .

. حرف المعنى (**من**) يدلّ على الظرفية المكانية

. لفظة (**يسعى**) ـــ تحدد لنا حركة المشي؛ أو حالة المشي التي اختارها ناصح موسى عليه السلام عن وعي منه، وعن قصد، بحيث تتجلى دلالتها في هذا الرّصف القرآني من خلال استحضار مثيلاتها الدالّة على أنواع المشي واستعمالاتها.

. لم توظف لفظة (**يمشي**) : لأن المشي حركة عادية متصفة بالطمأنينة يستعملها جميع من يتحرك في ظروفه العادية، وهي أقل من السعي، فالقرآن الكريم استعملها مقترنة بطلب الرزق، قال تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ١٥**﴾ **[الملك: 15]** ، لأنّ الله تعالى ضمن الرزق لعباده وكفله لهم، فلا يطلب منهم إلّا حركة بسيطة، وتقديم السبب لهذا الرزق قال ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ٦**﴾ [هود: 6] .

. ولم تستعمل لفظتا (**الإسراع** و **السباق**) الدالان على الزيادة في الحركة أكثر من المشي والسعي، بحيث مستعملهما يلفت الانتباه والأنظار إليه، لخروجه على حركة المشي المعتادة، وفي القرآن الكريم قال تعالى ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ**

لِلْمُتَّقِينَ١٣٣﴾ [آل عمران: 133] وقال أيضا ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ٢١﴾** [الحديد: 21]- أمّا لفظة (**الفرار**) وهي أقصى السرعة فمرتبطة في الغالب بالخوف الشديد من شيء ما كالفرار من الزحف، أو الفرار من حيوان مفترس (**حُمُرٌ مستَنْفَرةٌ فَرّت مِن قسوَرَة**) **المدثر**)، أو الفرار إلى الله من عذاب الله ، قال تعالى ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ٥٠﴾** [الذاريات: 50]

فنوع حركة المشي، وسرعة الانطلاق تكون مرتبطة بالهدف المرسوم.

فلفظة (**يسعى**) في قصة موسى عليه السلام تصوّر لنا حالة حركة المشي التي استعملها ناصح موسى عليه السلام من نقطة الانطلاق، وهي (أقصى المدينة) المكان الذي تآمر فيه فرعون مع ملئه ضد موسى عليه السلام إلى(أدنى المدينة) المكان الذي يتواجد فيه موسى عليه السلام، بحيث استعمل هذا النوع من المشي . الذي يتوسط المشي والإسراع . على وعي منه، فهو لم يستعمل المشي العادي، لأنّه يريد أن يصل إلى موسى عليه السلام، ويخبره بما يكيدون له ، وينصحه بالخروج قبل فوات الأوان، وفي الوقت نفسه لم يستعمل السرعة المفرطة، لأنّه لا يريد أن يلفت الأنظار إليه حتى لا ينكشف أمره، وأمر موسى عليه السلام.

فلا يمكن الوصول إلى هذا التصوّر، وهذه الدلالات والمعاني إلّا من خلال هذا الرّصف القرآني العجيب، قال صاحب الدليل النظري في علم الدلالة :" لكن كلّ تلك المعاني المعجمية والصرفية مبهمة، ولا تكفي الواحدة منها في تبليغ خبر كامل، ولا في إفادة معنى تام للسامع، غير أن الوظائف النحوية المتولّد من مزج تلك الكلمات تجعلنا نقف على أن تلك الحركة قائمة، ومتلبسة بذات إنسانية فاعلة في الماضي، وهي مع ذلك تتصف بصفة عارضة لحدث المجيء، هي صفة الإسراع على سبيل الاقتران لحظة الفعل فقط، وكلّ ذلك في شريحة مكانية يجري فيها الحدث،

بدايته فيها الأقصى، ومنتهاه الأدنى مكان وجود موسى عليه السلام؛ أو مكان بذل النصيحة، وهذه معان لا تدلّ عليها لا الأصوات، ولا الصيغة الصرفية، ولا الدلالة المعجمية للألفاظ ..."[1]

إنّما الرّصف التركيبي هو الأقدر في إفادة معنى تام للسمع، ويصوّر سياق الكلام.

وعلماؤنا قديما بينوا بأنّ مقامات الكلام متفاوتة ومتباينة " فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يباين ويغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار؛ أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، وجميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الصبي، ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[2]، وهنا " يتدخل السياق الذي تقال فيه اللفظة؛ أو الجملة؛ أو النكتة؛ أو ما يشبه ذلك حيث يلعب السياق الكلامي دورا مهما في تأدية الكلام حسب المقامات، ويتنوع بتنوع المقام والحال"[3].

بل هناك كثير من الكلمات والألفاظ لا يمكن الوقوف على دلالتها إلّا من خلال رصفها وسياقها، قال مصطفي ناصف :" هناك في الحقيقة معنى يفهم من السياق أكثر ممّا يفهم من الوحدات الصريحة التي تؤلفه، أي أنّ السياق يعطي مدلولات التي لا يمكن أن تعزى بشكل مباشر بسيط إلى وحدة معينة؛ أو وحدات مضمومة بطريقة آلية "[4].

---

[1] . أبو زيد نواري سعودي ، الدليل النّظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، ط 2007م . ص 53

[2] . السكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثانية 1407هـ 1987م ص 168

[3] . بلعيد صالح، نظرية النظم ص 59 . 60

[4] . ناصف مصطفى، نظرية المعنى في النقد العربي ص 161

5 . 3 . الرّصف وعلم المناسبة

علم المناسبة[1] : علم كريم ودقيق لا يوفق لدقائقه ونكته إلّا الراسخ في علمي القرآن الكريم والبيان، لأنّه علم خاص يهتم بارتباط آي القرآن الكريم بعضها ببعض " حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني"[2]، يزيح اللثام عن أوجه المناسبة بين اللاحق من الآيات والسابق، ويكشف حقيقة رصف وقيمة نّظم الآيات والسور القرآنية.

قال ولي الدين الملوي :" قد وهم من قال : لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنّها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنّها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبيا وتأصيلا... والذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها؛ أو مستقلة، ثمّ المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟

ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له"[3].

وأشار السيوطي إلى علاقة علم المناسبة بالنظم والرّصف فقال :" الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذكر الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام؛ أو اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف

---

[1] . المناسبة : المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات؛ أو التلازم الذهني كالسبب و المسبب ... والنظيرين والضدين ونحوه " ينظر السيوطي الإتقان في علوم القرآن، ضبط : محمد سالم هاشم، دار الكتاب الحديث القاهرة ص 471

[2] . الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط الثالثة، 1980م . 1/ 136

[3] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 1 / 136

عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبين لك وجه النّظم مفصلا بين كل آية وآية، وفي كلّ سورة وسورة "[1].

فإذا كانت المناسبة في نظري تنضوي في مجال رحب وهو سياق النص أو الخطاب، وهي جزء منه، ففي رحابه تطلب أوجه المناسبة من وحدات النص المتعالقة مع بعضها البعض كأنّها وحدة واحدة متسقة المعاني، منسجمة المباني يرتبط أولها بآخرها، وآخرها بأولها " فمن محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا"[2].

فإنّ الرّصف من خصوصياته أن تتعالق وحداته في التأليف، سواء كانت صغرى كالكلمات؛ أو كبرى كالجمل تفضي إلى معان منسجمة، ومترابطة مع المعنى العام؛ أو الكلي للنّص.

فالرّصف والمناسبة يتقاطعان ويتداخلان في بعض الدلالات الهامشية؛ أو الفرعية التي تصب في مجرى الدلالة العامة المستوحاة من السياق الذي هما فيه، غير أنّ الرّصف أدق في تجلية بعض الدلالات والمعاني الدقيقة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسيره (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) أثناء تفسير قول الله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤**﴾ [الفرقان: 74] قال :" المناسبة لمّا وصفهم في الآيات المتقدمة بما دلّ على أنّهم أهل خير وكمال في أنفسهم وصفهم في هذه بما دلّ على محبتهم الخير، والكمال لغيرهم من قرابتهم أزواجهم وذريتهم، ومن سواهم... فلذا كان لزاما لتتميم وصف عباد الرحمن ذكر محبتهم الخير، والكمال لغيرهم"[3].

---

[1] . السيوطي الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر، الإتقان في علوم القرآن، ضبطه محمد سالم هاشم، دار الكتاب الحديث القاهرة، الكويت، الجزائر، ط الأولى 2004م . ص 473

[2]. الزركشي البرهان في علوم القرآن 1/ 136

[3] . ابن باديس عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينيّة والأوقاف الجزائرية، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة . الجزائر . ط الأولى 1982م . ص 316

فهذا الرّصف في هذه الآية الكريمة مرتبط ومتعالق مع ما قبلها من الآيات الكريمات، وهي كلّها أوصاف خيرية لعباد الرحمن كالتواضع والعبادة والاعتدال في الإنفاق، والتوبة النصوح ...إلخ المحصورة بين المبتدأ (عباد) في قوله تعالى ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا٦٣**﴾ [الفرقان: 63]، والخبر (أولئك) في قوله تعالى ﴿**أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا٧٥**﴾ [الفرقان: 75] فكان ختام هذه الأوصاف لعباد الرحمن بهذه الصفة الخيرية المتعدية للغير (**ربنا هب لنا من أزواجنا**).

فهذا الرّصف القرآني العجيب في هذه الآية الكريمة يتماشى ويتساوق مع ما قبله بل يتآلف ويتعانق متدرجا مع المعنى في وصف عباد الرحمن بخصال خيريّة تكاد تكون من خصائصهم النّفسية التي تعطيهم وتمنحهم هالة إيجابية يتميزون بها عن غيرهم، فلا تتوقف محبتهم للخير على أنفسهم فحسب، بل يتعدى للغير فيطلب لهذه الآية الكريمة الخاتمة لصفات عباد الرحمن وجه المناسبة بينها وبين الآيات المتقدمة عنها في وصف عباد الرحمن، وهو " لمّا وصفهم في الآيات المتقدمة بما دلّ على أنّهم أهل خير وكمال في أنفسهم وصفهم في هذه بما دلّ على محبتهم الخير، والكمال لغيرهم من قرابتهم، وأزواجهم، وذريتهم ومن سواهم "[1]، وهذا وجه التقاطع والتداخل بين الرّصف والمناسبة من خلال سياقهما الذي ينتميان إليه.

أمّا ما يتفرد به الرّصف من كشف وإبراز معان دقيقة في الآية نفسها فأذكر منها:

. دلالة تقديم الأزواج على الذريّة (**هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا**) " لأنّ الأزواج ألصق، ولأنّهم الأصل"[2].

. دلالة تنكير (**قرّة**) قال تعالى (**قرّة أعين**) " التنكير إنّما جنح إليه لأجل تنكير القرة، والمضاف

---

[1] . ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص 316

[2] . المرجع نفسه ص 316

لا يمكن تنكيره إلّا بتنكير المضاف إليه، ليكون السرور غير متناه ولا محدود"[1].

كما نلاحظ في هذا الرّصف العجيب استعمال جمع (**أعين**) بدل (**عيون**) مفردهما نفسه (عين)، لأنّ (أعين) على وزن (أفعل) وهي صيغة من صيغ جموع القلة، أمّا (عيون) على وزن (فعول) فهي صيغة من صيغ جموع الكثرة.

ولا شك أنّ عباد الرحمن . الموصفين بهذه الصفات المذكورة سلفا . هم فئة قليلة أمام غيرهم من بني البشر الغافلن، وهم كثر، فتساوقت وتناغمت لفظة (أعين) الدالة على جمع القلة مع سياق آيات القرآن الكريم التي أشارت إلى هذا المعنى على غرار قول الله تعالى ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ١٣**﴾ [سبأ: 13].

5 . 4 . الرّصف والنّظم

لا يكاد الباحث في هذا الحقل اللساني الدقيق لثنائية الرّصف والنّظم أن يقف على فارق فاصل بين المصطلحين لعسر التقاطه، وصعوبة تصيده بسبب التداخل وتقاطع العناصر المكونة لكلّ منهما، حتى يتخيل للناظر أنّهما مصطلحان لمفهوم واحد، أوكأنّهما مترادفتان، وممّا زاد هذه المسألة اللغويّة تعقيدا عدم التفريق الواضح بينهما لدى علمائنا القدامى، وحتى المحدّثين من حيث اللّغة والاصطلاح والمفهوم .

أولا : **من حيث اللّغة** : ذكرت في مبحث الرّصف لغة بأنّ من معانيه الجمع والضم، وهذا ممّا يتقاطع فيه مع النّظم، أي أنّ النّظم كذلك لغة بمعنى الجمع والضم، قال في اللسان :" النّظم : التأليف، نظمه ينظمه نظما ونظاما ونظَمه فانتُظم، ونظمت اللؤلؤ، أي جمعته في السلك، والتنظيم

[1] . الدرويش محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار اليمامة وابن كثير، دمشق، ط السابعة، 1999م 5 / 385

مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل، وكلّ شيء قرنته بآخر؛ أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته، والنّظم : المنظوم "[1]، ولعلّ هذا الاشتراك الحاصل بين الرّصف والنّظم في المعاني اللّغويّة كما أوردته المعاجم هو الذي حذا بكثير من علماء اللغة قديما وحديثا عدم التفريق الدقيق بين النّظم والرّصف والتأليف، وقد ذكرت آنفا أنّ ابن منظور قال : (النّظم هو التأليف)، ومن المحدَثين صاحب كتاب نظريّة النّظم أثناء تطرقه لمفهوم النّظم لغة تخاله يتكلم عن مفهوم الرّصف لما بينهما من تجانس كبير فقال :" مفهوم النّظم لغة بمعنى الجمع والضم والنظام والربط والتأليف، والذي يراد به ضم الكلمات المتخيّرة على الوجه الذي يقتضيه المنطق"[2].

ثانيا : من حيث المفهوم

أ . عند علماء العرب القدامى

ومن الذين تكلموا عن النّظم قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني الإمام أبو بكر الباقلاني(ت 403 هـ) و في رؤية الدكتور إبراهيم خليل أنّ أبا بكر الباقلاني يعتبر . حسب قوله .:" رائدا حقيقيا للنظر الأسلوبي، خلافا للكثرة من الباحثين الذين يؤرخون للأسلوبيّة العربيّة بعبد القاهر الجرجاني، ونظريته في النّظم التي تحدث عنها ببيان في دلائل الإعجاز في علم المعاني، وكنت قد لاحظت الشبه الكبير في موقف الجرجاني تجاه إعجاز القرآن، وموقف الباقلاني، ممّا جعلني أزعم تأثر اللاحق (الجرجاني) بالسابق (الباقلاني)"[3].

وقال في موضع آخر :" فصلب نظريّة النّظم التي جاء بها عبد القاهر موجودة في كتاب (إعجاز القرآن للباقلاني)، وما فعله عبد القاهر في (الدلائل) هو إعادة قراءة لمنهج الباقلاني في الكلام

---

[1] . ابن منظور، لسان العرب 12 / 578

[2] . بلعيد صالح نظرية النّظم ص 92

[3]. ينظر خليل إبراهيم، الأسلوبيّة ونظريّة النّص، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر . بيروت . ط1. 199 ص 11

على القرآن الكريم وإعجازه "[1].

وللإشارة هناك لفيف من العلماء القدامى من مهد لهذا العلم الذي استوى على يد إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني أمثال الجاحظ (ت 255هـ) من خلال إيماءات و ومضات دالة على النّظم والرّصف مبثوثة في مؤلفاته التي بين أيدينا، بل أفرد له كتابا في هذا الشأن الموسوم بـ (نظم القرآن) . والكتاب مفقود . نوه به في كتابه البيان والتبيين.

. وكذلك ابن قتيبة (ت 276 هـ) أشار إلى نّظم القرآن الكريم العجيب، ورّصفه أو تأليفه البديع المعجز من خلال كتابه (تأويل مشكل القرآن).

. كما أنّ أبا عيسى الرماني (ت 384هـ) في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) تطرق إلى سمة من سمات التأليف فقال :" دلالة التأليف ليس لها نهاية، كما أنّ الممكن من العدد ليس له نهاية يوقف عندها لا يمكن أن يزداد عليه "[2]، علق على هذا القول صالح بلعيد فقال :" تأملوا هذا الشرح العظيم لمعنى النّظم الذي لا تحده حدود، ومثله الأسلوب يتغير وفق معطيات تلحق به، وضمن محيط متغير"[3].

. أمّا الإمام أبو سليمان الحطابي (ت 388 هـ) فتحدث عن النّظم ملخصا ذلك في قوله لمّا تطرق إلى مفهوم الكلام بأنّه عبارة عن " لفظ حامل معنى به قائم، ورباط لهما ناظم "[4]، وأنّ كلا من الرماني والحطابي معاصر لأبي بكر الباقلاني، غير أنّهما توفيا قبله، وممّا لا يترك مجالا للشك

---

[1] . خليل إبراهيم، الأسلوبية ونطرية النّص، ص 17

[2] . الرماني علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام . دار المعارف مصر ط الثالثة 1976م . ص 107

[3] . بلعيد صالح، نظرية النّظم ص 102

[4] . الخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف سلسلة ذخائر العرب، ص 27

أنّ الإمام الباقلاني أفاد من أفكارهما، وتأثر بهما، وبمن قبلهما في هذا الصدد على قول إبراهيم خليل (تأثر اللاحق بالسابق)، ومع ذلك يقرر إبراهيم خليل أنّه " من الصعب التصوّر أنّه (أي الباقلاني) هو الذي تأثر بهما (أي الخطابي والرماني)"[1].

والذي يهمنا أكثر في هذا المبحث أن نقف على بعض مفاهيم النّظم والرّصف عند الباقلاني، وإن كان يستعمل مصطلحات عدة متداخلة كالسبك والأسلوب للدلالة على النّظم تارة ، وتارة أخرى يفهم منها الرّصف، ففي موضع من كتابه (إعجاز القرآن) يصرح بقيمة الرّصف الذي على أساسه تبنى البلاغة، وبه تنجلي قوة البيان وسحره، فقال :" فإنّ إحدى اللّفظتين قد تنفر في موضع وتزلّ عن مكان لا تزلّ عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه وتضرب بجيرانها، وتراها في مظانها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى لو وضعت موضعها في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار"[2].

وتارة يستعمل مصطلح (**السبك**) دلالة على النّظم أو الرّصف أو الأسلوب فكلّ هذه الثلاثة محتملة ومتداخلة، لأنّها تتقاطع في كونها ظاهرة فرديّة ذاتيّة، وهذا ما يستشف من قوله :" ولا يخفى على أحد أن يميّز هذه الصنعة سبك أبي نوّاس من سبك (مسلم)، ولا نسج ابن الرومي من نسج البحتري... وكذلك يميّز بين شعر الأعشى في التصرّف و بين شعر امرئ القيس، وبين شعر النابغة وزهير، وبي بين شعر جرير والأخطل...وكلّ له منهج معروف، وطريق مألوف"[3].

فالتفاوت الحاصل بين كلام البشر الناطقين بلغة واحدة هو تفاوت ذاتي مبني على توظيف

---

[1] . خليل إبراهيم، الأسلوبيّة ونظريّة النّص ص 17

[2] . الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن ، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف مصر ط الخامسة . 1997م ص 184

[3] . الباقلاني، إعجاز القرآن ص 121

المهارات المكتسبة في الكلام نثرا أو نظما، فتفاوت أسلوب عن أسلوب، وتألق نظم عن نظم، وسحر رصف عن رصف مرده إلى التوظيف الجيّد لهذه المهارات الشخصيّة، وهذا ما يفهم من كلام بالباقلاني :" فإذا كان الكلام العادي ينبني عن شخص المتكلم وصفاته فالأحرى بكلام الله سبحانه أن ينبني عن ذاته تعالى"[1]، " ومن هنا فإنّ أسلوب القرآن هو مظهر تفرده وتمايزه عن جنس الكلام الأنسي، وهو سرّ إعجازه، وسبب إخفاق القوم الفصحاء في معارضته والإتيان بسورة بل بآية من مثله ، فالقرآن معجز في أسلوبه الذي يسير على سنن ونمط متجانس دونما اختلال؛ أو اضطراب؛ أو تفاوت بين سورة وسورة؛ أو آية وآية؛ أو موضوع وموضوع، فهو على الدوام منفرد بذلك الأسلوب"[2] ، فالقرآن الكريم لا يدانيه شيء من كلام البشر فهو معجز، " لأنّه نظم خارج عن جميع وجوه النّظم المعتادة في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم "[3]، فالمقياس الذي ينظر إليه في أوجه إعجاز القرآن الكريم لا يمكن أن يكون هو المقياس نفسه الذي يطبق على كلام البشر من أشعار ونثر وخطب وأمثال وحكم، فالمقياس البياني على سبيل المثال يمكن أن يدلك على مواطن الاستحسان في شعر الشاعر، ونثر الناثر، وروعة بلاغتهما، كما جاء في الحديث الشريف **(إنّ من البيان لسحرا)** ، " ولكنّه مع وجوده في القرآن إلّا أنّه لا يكشف عن وجوه الإعجاز فيه، كما أنّ الغريب أو المأنوس من الألفاظ إذا كان يدل على مزيّة في الشعر أو النثر فإنّه لا يجوز أن يعد من وجوه الإعجاز القرآني سواء كثر في القرآن أو قلّ ، وكذلك السجع .. فلا يصح أن يقال

---

[1] . خليل إبراهيم، الأسلوبية ونظرية النّص ص 27

[2] . المرجع نفسه ص 24

[3] . الباقلاني، إعجاز القرآن ص 50

في القرآن سجع، وإن كانت الفواصل فيه تقوم مقام الأسجاع في كلام النّاس ، فليست هي مصدر إعجاز"[1].

فإعجاز القرآن الكريم في نظمه ورصفه . الذي دُونه كلّ نظم ورصف قائم على التناسب، وتسلسل الألفاظ والآيات في قوالب منظومة تتصل مقدماتها مع ما تنتهي إليه، قال الباقلاني :" ثمّ انظر في آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النّظم وبديع الرّصف، فكلّ كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، ضامتها ذواتها ممّا تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها، ثمّ من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصوّر لك الفصل وصلا ببديع التأليف، وبليغ التنزيل"[2].

ويمكن أن نلاحظ استعمال مصطلح الأسلوب ويراد به النظم عند الباقلاني في بعض المواطن من كتابه على سبيل المثال لمّا أشار إلى البلاغة والأسلوب، أي (النّظم) قال :" والأسلوب ليس البلاغة قطعا، لأنّها صفة تدل على تميز العبارة المنفردة، بينما الأسلوب مختص بمعنى آخر يشمل الفواتح والخواتم ، والمبادئ والمثاني ،والمطالع والوسائط والفواصل ، ويشمل ما في نظم السورة من حسن التخلص بين المعنى والمعنى، وبين المؤتلف والمختلف، والمتفق والمتسق"[3].

بيد أنّ الإمام عبد القاهر الجرجاني طور هذا المفهوم أو هذه الفكرة " وأسهب في شرح النظم الذي جعله لفظا أعم من لفظ الأسلوب"[4] بالبراهين الساطعة، والأدلة القويّة بعد الاعتراض على أدلة الآخر التي لا تتناسب مع طرحه، ولا تتماشى مع توجهات فكرته القائمة " على التحرر ممّا سبق،

---

[1] . خليل إبراهيم، الأسلوب ونظريّة النص ص 23

[2] . الباقلاني، إعجاز القرآن ص 190

[3] . المصدر نفسه ص 300

[4] . خليل إبراهيم، الأسلوب ونظرية النّص ص 29

وعلى الجدل في العرض ، وعلى العقل في التنظير"[1] ممّا أسفر كلّ ذلك على إعلان ميلاد نظريّة لغويّة رائدة وسمت (بنظريّة النّظم) لها شأو كبير في الدرس اللّغوي قديما، وقيمة بارزة في اللسانيات الحديثة، ومن أهم الأسس التي بنى عليها الإمام عبد القاهر نظرية النّظم :

. أولا : التفريق بين اللّغة والكلام :

ولعلّ الإمام الجرجاني تأثر في ذلك باللساني الكبير صاحب كتاب الخصائص أبي الفتح بن جني (ت 392 هـ) . الذي حاز فضل السبق في تحليل كثير من الظواهر اللغويّة وتعليلها، مثل ثنائية اللّغة والكلام . فوظفها كأساس في بناء نظريته (نظريّة النّظم).

ففرق بين اللّغة كنتاج جماعي يشترك فيها الجميع العام والخاص، والكلام الذي من سماته التمييزيّة أنّه فردي ذاتي يختلف من فرد لآخر، قال :" اعلم أنّا إذا أضفنا الشعر؛ أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلم وأوضاع لغة، ولكن من حيث تُوخّي فيها النّظم "[2].

فمن خلال هذه المقولة فرق كما قال إبراهيم خليل " بين اللّغة والكلام بشكل نمَّ على ذكاء مدهش"[3]. وكان يرى أنّ المزية في جودة الكلام ليس في الإلمام باللّغة والعلم بها من حيث هي ألفاظ وقواعد، فحتما أنّها لا تؤدي إلى حسنه وجودته، وإنّما المزية في جودة الكلام وحسنه هي في طريقة التصرف من حيث رصف هذه الألفاظ التي يستدعي بعضها بعضا نحويا، ودلاليا في رصف مخصوص الذي أشار إليه قي قوله :" فليس الفضل في علم بألفاظ اللّغة أو قواعدها، وإنّما هو

---

[1] . خليل إبراهيم، الأسلوبيّة ونظرية النّص ص 35

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 362

[3] . خليل إبراهيم، الأسلوبيّة ونظريّة النّص ص 35

في طريقة التصرف بهاتيك القواعد وهاتيك الألفاظ "[1] في إطار نسيج نظمه المحكم الذي أشار إليه كما ذكر" لا ننسبه (أي الكلام) من حيث هو كلم، وأوضاع لغويّة ولكن من حيث توخي فيها النّظم"[2].

وكان أكثر وضوحا في إبراز قيمتي النّظم والرّصف الذَين بهما يحسن الكلام، وتتجلى جودته في قوله :" واعلم أنّا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه، فتستند إلى اللّغة، ولكنّا أوجبناها للعلم بمواضعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأنّ الواو للجمع، والفاء للتعقيب بغير تراخ، وثمّ له بشرط التراخي، وإن لكذا وإذاً لكذا، ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت وألفت رسالة أن تحسن التخير، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه... وهو أنّ المزية لو كانت تجب من أجل اللّغة والعلم بأوضاعها، وما أراده الواضع فيها لكان ينبغي أن لا تجب إلّا بمثل الفرق بين الفاء وثمّ ، وإن وإذا، وما أشبه ذلك ممّا يعبر عنه وضع لغوي، فكانت لا تجب بالفصل وترك العطف، وبالحذف والتكرار، والتقديم والتأخير، وسائر ما هو هيئة يحدثها لك التأليف، ويقتضيها الغرض الذي تؤم، والمعنى الذي تقصد"[3]، وهذا التفريق بين اللّغة والكلام الذي اعتمده الإمام الجرجاني قديما كتوطئة في الكشف عن نظريّة النّظم هو نفسه الذي توصلت إليه اللسانيات الحديثة، ونادى به روادها، وبخاصة قطبها فرديناند دي سوسير(1875 . 1913م) الذي فرق بدوره بين اللسان والكلام فقال :" تتضمن دراسة اللّغة قسمين :

. **قسم أول :** وهو جزء أساسي، وموضوعه **اللسان** الذي هو مجتمعي في ماهيته، ومستقل عن الفرد، وهذه الدراسة على وجه التحديد سيكولوجية.

---

[1] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 163

[2] . ينظر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 362

[3] . المصدر نفسه ص 249 . 250

. **أمّا القسم** الثاني : فهو جزء ثانوي، وموضوعه ذلك الجانب الفردي في اللغة أي **الكلام** ، ويدخل فيه التصويت، وهذا القسم الأخير دراسة سيكولوجية، وفيزيائية معا"[1].

. ويمكن إجمال العناصر المتفاعلة في ما بينها والتي يضمها النّظم في العمليّة اللّغويّة ممّا يفهم من كتاب دلائل الإعجاز في ما يلي :

. اختيار الألفاظ والكلمات ذات صفات التعالق والترابط

. رصف الوحدات اللغويّة وحسن تأليفها كما تقتضيه خصائص الرّصف

. توخي معاني النحو

. مراعاة المعنى المراد

. ترتيب المعاني في النّفس.

ب . مفهوم النظم عند المحدثين والمعاصرين العرب :

لئن كان الإمام الجرجاني يعتبر حسب دراسات الباحثين هو أول من أرسى معالم علم النّظم الذي أحدث منعطفا في الدرس اللغوي، وغيّر بعض المفاهيم التي كانت تعتمد في التحليل اللساني إلّا أنّ ما جاءت به هذه النظرية من أفكار لسانيّة رائدة، ومعالم بارزة في الدلائل لازالت منهل اجتهاد الباحثين المهتمين في هذا المضمار، لما تحمله هذه المفاهيم من شحنات إيحائيّة، وتوسع كبير لمفهوم النّظم من خلال الآليات والوسائل المستعملة لإثباته والتدليل عليه، المبثوثة في كتاب دلائل الإعجاز، بحيث كلّ آلية مرتبطة بسياقها الذي هي فيه، للدلالة على مفهوم النظم ممّا فتح بابا لتعدد مفاهيمه لدى الباحثين، ومن أهمها :

---

[1] . دي سوسير فرديناند، محاضرات في علم اللسان، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق . المغرب . ط3 . 2016 ص 36

. القول الأول : النّظم هو الأسلوب : يرى بعض الباحثين أنّ النّظم هو الأسلوب، وهذا ما أكده خليل إبراهيم في كتابه الأسلوب ونظريّة النّص، وأشار إليه فايز الداية

. فأمّا خليل إبراهيم فتطرق إلى هذا المفهوم من خلال الموازنة التي أقامها بين الإمام الباقلاني والإمام عبد القاهر الجرجاني لمفهوم النّظم، فرجح بأنّ الإمام الباقلاني هو المؤسس لعلم النّظم ورائده، وأمّا الإمام عبد القاهر الجرجاني ففضله . حسب رأيه . يتجلى في " إعادة قراءة لمنهج الباقلاني في الكلام على القرآن الكريم وإعجازه ..."[1]، بل صرّح في غير موضع من كتابه الأسلوب ونطرية النّص بأنّ النّظم هو الأسلوب، فقال في موضع آخر:" ولدي الأسباب الكافية التي تجعلني أجد فيه (الباقلاني) رائدا حقيقيا للنظر الأسلوبي خلافا للكثرة من الباحثين الذين يؤرخون للأسلوبيّة العربيّة بعبد القاهر الجرجاني، ونظريته في النّظم، تلك النظريّة التي تحدث عنها وأوضحها بجلاء في دلائل الإعجاز في علم المعاني، وكنت قد لاحظت الشبه الكبير في موقف الجرجاني تجاه إعجاز القرآن، وموقف الباقلاني، ممّا جعلني أزعم تأثير اللاحق بالسابق "[2].

ولعلّ الذي جعل الدكتور خليل إبراهيم يجنح إلى أنّ (النّظم هو الأسلوب) هو اعتماده على ما أشار إليه الإمام الباقلاني في مواضع متعددة، بحيث صرّح فيها عن قيمة الأسلوب، وبخاصة الأسلوب القرآني الذي يتفرد به القرآن العظيم عن غيره من الأساليب الأخرى، وهو سمة دلالية بارزة تمايزه عن أجناس كلام البشري، منها قوله :" إنّ أسلوب القرآن هو مظهر تفرده وتمايزه عن جنس الكلام الإنسي، وهو سرّ إعجازه، وسبب إخفاق القوم الفصحاء في معارضته والإتيان بسورة بل بآية من مثله ، فالقرآن معجز في أسلوبه الذي يسير على سنن ونمط متجانس دونما اختلال أو

---

[1] . خليل إبراهيم، الأسلوب ونظرية النّص ص 17

[2] . المرجع نفسه ص 11

اضطراب؛ أو تفاوت بين سورة وسورة؛ أو آية وآية؛ أو موضوع وموضوع، فهو على الدوام منفرد بذلك الأسلوب "[1]، ويفهم من هذا كلام أنّ الإمام الباقلاني يتحدث عن نظم القرآن الكريم ،وإن لم يستعمل لفظ النّظم، واستعمل بدل ذلك لفظ الأسلوب ممّا حذا بخليل إبراهيم أن يزعم بأنّ الأسلوب هو النّظم، ومع ذلك اِعترفَ بأنّ الإمام عبد القاهر الجرجاني هو من طوّر فكرة الأسلوب القرآني التي جاء بها الإمام الباقلاني الدالّة على نظم القرآن الكريم، فقال :" ولقد طوّر عبد القاهر هذه الفكرة التي أشار إليها الباقلاني، وهي أنّ الأسلوب القرآني هو الدليل الساطع على إعجازه، واقتبس لفظة النّظم التي استخدمها الباقلاني مرارا وتكرارا "[2]، وأكثر من ذلك بل يشيد بشرحه لمفهوم النّظم الذي جعله أعم من الأسلوب فقال :" وأسهب عبد القاهر في شرح النّظم الذي جعله لفظا أعم من الأسلوب "[3].

ويمكن أن يفهم في هذا المنحى أيضا أنّ الدكتور فايز الداية أومأ بأنّ الأسلوب هو النّظم أثناء تطرقه إلى المفهوم الجديد لمعاني النحو من خلال مقدمته لدلائل الإعجاز، فقال :" فقد خرج عبد القاهر الجرجاني بالنحو العربي من دائرته المغلقة، ذلك أنّ معيار العربيّة الفصحى من القضايا الصوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة أمر مقرر يحفظ لها ديمومتها، وشرط للتواصل بين القديم وما يستحدث في الإماء المتلاحقة، ولكن الباب الذي وجهت إليه الأنظار في دلائل الإعجاز هو الدرس التطبيقي التحليلي للكلام العربي، فالتركيب تُدرس حالاته النحويّة الترتيبيّة في التقديم والتأخير، والتوليديّة بين البسائط من الجمل والمركبات، والنّظر في العناصر المصافة ودورها، وما يذكر، وما يحذف، والتلوينيّة في التعريف والتنكير، وفي التقريريّة والإثبات من طرف الإنشاء،

---

[1] . الباقلاني، إعجاز القرآن ص 26

[2] . خليل إبراهيم،الأسلوب ونظرية النّص ص 29

[3] . المرجع نفسه ص 29

وبضروبه من طرف آخر، فالنحو هاهنا يتحول إلى دراسة أسلوبيّة تعبيريّة تكون أداة في الميدان الفنّي الأدبي ، وكذلك في المجال العلمي الدقيق، وهذا فرع في الدرس ليس كسائر ما يتلقى، لأنّه يسعى لتحليل الكلام نفسه، لا كما اعتاد القوم من مراجعة للقواعد وأمثلتها ومشكلاتها النظريّة، إنّ هذه الطرائق النظريّة أساس لكل نحوي، إلّا أنّها تغدو جافة تفتقد الحيويّة إذا ما انفردت، ولم تكيّف المنطق إلى تحليلات أشار إليها عبد القاهر الجرجاني بمصطلح (معاني النحو)، التي تتطلب من الدارس فهما متكاملا للسياق ومراميه، وربطها للوظائف النحويّة بالأغراض والأفكار ..."[1].

. القول الثاني : النّظم هو التأليف : هو النّظم عند الدكتور صالح بلعيد، صرّح به في كتابه نظريّة النّظم قائلا :" وعلى العموم نفهم أنّ التأليف هو النّظم الذي يضم مجموعة من العناصر المتحدة في العمليّة اللّغويّة ليكون الكلام حسنا..."[2]، وذكر في موضع آخر تأثره بالجاحظ ومن جاء بعده من أساطين اللّغة العربيّة الذين اعتبروا النّظم هو التأليف، أو يفهم من كلامهم ذلك ، وهذا بعد أن ساق أقوالهم للتدليل على ذلك فقال :" ومن وراء هذا أستخلص أنّ مفهوم النّظم عند الجاحظ والذين جاؤوا بعده هو : التأليف والسبك، مثل وضع لآلئ في سلك..."[3].

. القول الثالث : النّظم بمعنى معاني النحو

فمن الباحثين الجادين الذين جنحوا إلى هذا المفهوم الدكتور عمار ساسي صاحب كتاب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، قال :" ظهور نظريّة النّظم على يد عبد القاهر الجرجاني في الدلائل

---

[1] . الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ؛ من مقدمة الدكتورين : فايز الداية ورضوان الداية، دار قتيبة، ص 11 وينظر ساسي عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم 1 / 234 . 235

[2] . بلعيد صالح، نظريّة النّظم ص 93

[3] . المرجع نفسه ص 111

توضيحا لأصول (علم المعاني)، وقد سماها (النّظم)؛ أو (معاني النحو) "[1]، وأشار إلى هذا المعنى في موضع آخر، فقال :" والإمام السكاكي هو أول من أطلق (علم المعاني) على الموضوعات التي سماها عبد القاهر الجرجاني (النّظم)، أو (معاني النحو)"[2].

وهذا المفهوم . أنّ النّظم هو معاني النحو . الذي ارتضاه الدكتور عمار ساسي هو ما يفهم من كلام الإمام الجرجاني في الدلائل، وصرح به في أكثر من موضع منها قوله :" واعلم أن ليس النّظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروعه... فيضع كلّا من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة، وعلى ما ينبغي له... "[3].

وفي موضع آخر قال :" فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النّظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلّا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه؛ أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده؛ أو وصف بمزيّة وفضل فيه إلّا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزيّة، وذلك الفضل إلى النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه "[4].

وللإشارة الدكتور تمّام حسّان يرى أنّ الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز لم يركّز

---

[1] . ساسي عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم 1 / 248

[2] . المرجع السابق 1 / 249

[3] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 81

[4] . المصدر نفسه ص 82 . 83

على النّظم، وإنّما انصبّ تركيزه على **التعليق**، قال في كتابه اللّغة العربيّة مبناها ومعناها :" وأمّا أخطر شيء تكلّم فيه عبد القاهر على الإطلاق لم يكن النّظم، ولا البناء، ولا الترتيب، وإنّما التعليق"[1]،" وقصد به (أي التعليق) في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النّحوية، بما يسمّى اللفظية المعنوية، والحالية"[2]، ثمّ قال :" وفي رأيي أنّ التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي...لأنّ التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل نفعا في التحليل اللّغوي لهذه المعاني الوظيفيّة"[3]

والخلاصة : يفهم ممّا ذكرت أنّ النّظم هو عبارة عن وعاء يستوعب جميع ما سبق.

ويمكن القول بأنّ النّظم هو : **(هو نسيج ممدود من العلاقات بين عناصر لّغويّة متفاعلة ومرتبة ترتيبا منطقيا في رصف كلامي قابل للتعدد بأسلوب مخصوص وفق نّظامه اللّغوي حسب معاني النحو، ودلالات مقصودة، وغرض معين)**.

وعلى هذا الأساس يمكن أنّ أقول أنّ الرّصف هو الركيزة الأساسية التي يعتمدها النّظم من حيث صلاحه أو فساده ، إذ أنّ العناصر التي يقوم عليها الرّصف وخصائصه هي في الغالب متقاطعة مع عناصر النّظم، والمتمثلة في :

. اختيار الوحدات الدلالية المتواشجة في ما بينها القابلة للتعالق نحويّا ودلاليّا.

. ترتيب معانيها في النّفس .

. توخي المعاني النحويّة.

. مراعاة السياق .

---

[1] . حسّان تمام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها ص 188

[2] . المرجع نفسه ص 188

[3] . المرجع نفسه 189

. يشمل اللفظ والمعنى ومعنى المعنى.

. يكشف عن الدلالات والمعاني التي لا تكشفها المعاجم...

. **أمّا أوجه الاختلاف بين النّظم والرّصف** : فيمكن حصرها في ما يلي كفروق بينهما :

. النّظم أوسع من الرّصف وبينهما خصوص وعموم، فالنّظم عام يحتوي الرّصف الخاص.

. الرّصف يتعدد في النّظم الواحد الممدود.

. النّظم متسق واحد تتفاعل أجزاؤه في سياق وأسلوب خاص.

. من خاصيّة النّظم حسن التخلص بين المعنى والمعنى، وبين المؤتلف والمختلف، والمتفق والمتسق.

6 . علاقة الرّصف بالبلاغة والبيان، والفصاحة، وثنائية اللّفظ والمعنى :

6 . 1 . الرّصف والبلاغة والبيان :

لا يتوهم أحد بأنّ بيان الكلام الأخاذ وسحر جاذبيته وروعة بلاغته يكون خلوا من المجاز، والاستعارة، والكناية، والتشبيه، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والاستخدام ...من مواضيع البلاغة ودروسها، ففي بعض المواضع، وفي سياقات معيّنة تستعمل بعض الكلمات الحسنة في رصف مخصوص من باب :

. التلطف للدلالة على معنى قبيح؛ أو معيب يطلق عليه مصطلح اللا مساس

. أو استبدال لفظة مستهجنة بلفظة حسنة مماثلة لها من حيث المعنى؛ أو قريبة منها، لما يعتري الأولى من نبو في السمع، وجسأة وثقل فيدفعها المتكلم بطبعه الفطري، بله المتلقي

. أو توظيف ألفاظ ذات شحنات إيحائية للدلالة على معنى فيه استعطاف، واستدراج ...

. الكناية :

فالكناية تكون أبلغ من الإفصاح، وأوقع على القلوب في مثل هذه المواطن التي تسموا بالذوق، وتهذب الطبع، قالت العرب قديما :" الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، والمجاز أبلغ من الحقيقة ..."[1]، ومن أمثلة ذلك في **التلطف** ما وظف في القرآن الكريم من ألفاظ إيحائية دالة على معنى الجماع في رصف بديع عجيب منها :

. الملامسة : في قوله تعالى ﴿ **أو لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾ [المائدة: 6] .

وقول أيضا ﴿ **مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ** ﴾ [البقرة: 236].

وقوله أيضا ﴿ **مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ٣**﴾ [المجادلة: 3]. .

المباشرة : قال الله تعالى ﴿ **وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ١٨٧**﴾ [البقرة: 187]

. **الإفضاء** : قال تعالى﴿ **وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا٢١**﴾ [النساء: 21]

. **الحرث** : قال تعالى ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ٢٢٣**﴾ [البقرة: 223]

. **الرفث** : قال تعالى ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** ﴾ [البقرة: 187]

وقال أيضا ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ١٩٧**﴾ [البقرة: 197]. . وكذلك من أمثلة هذا الباب لفظة **الغائط** كناية عن قضاء الحاجة قال الله تعالى

[1] . بلعيد صالح، نظرية النّظم ص 51

﴿ **أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ** ﴾ [المائدة: 6]فالغائط " وإن كان في أصل اللّغة للموضع المطمئن من الأرض ، غير أنّه قد اشتهر في عرفهم بالخارج المستقذر من الإنسان، حتّى إنّه لا يفهم من اللفظ عند إطلاقه غيره ، ويمكن أن يكون شهرة استعمال لفظ الغائط في الخارج المستقذر من الإنسان لكثرة مباشرته، وغلبة التخاطب به مع الاستنكاف من ذكر الاسم الخاص به لنفرة الطباع عنه، فكنّوا عنه بلازمه "[1].

. الألفاظ المستهجنة الثقيلة على السمع :

مثل لفظة (**البعاق**)، " فإنّه لا خلاف في أنّ لفظة (المزنة) و(الديمة) حسنة يستلذها السمع، وأنّ لفظة (البعاق) قبيحة يكرهها السمع، وهذه الألفاظ الثلاث من صفة المطر، وهي تدلّ على معنى واحد، ومع هذا فإنّك ترى لفظتي المزنة والديمة وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال، وترى لفظ البعاق وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل، وإن استعمل فإنّما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة؛ أو من ذوقه غير السليم"[2]، والمزن ذكر في القرآن الكريم قال تعالى ﴿**أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ٦٩**﴾ [الواقعة: 69] ، أي من السحاب ذات الماء.

. الوصل والفصل :

الوصل[3] والفصل [4] هو من مواضيع البلاغة الهامّة، فقد حذا ببعض البلاغيين القدامى أن جعلوه حدا للبلاغة نفسها، كما ذكر ذلك صاحب البيان والتبيين، قال :" قيل للفارسي ما البلاغة ؟

---

[1] . الآمدي الإمام سيف الدين أبو الحسن علي بن أبو علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام ، دار الكتب العلميّة، بيروت (د . ت) 1 / 37

[2] . عتيق عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت لبنان ص 15

2. الوصل : (هو عطف جملة على أخرى بالواو فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى) عند البلاغيين، ينظر عبد العزيز عتيق، علم المعاني ص 160

[4] . الفصل : بخلاف الوصل، (وهو ترك هذا العطف)، ينظر جواهر البلاغة ص 175

قال : معرفة الفصل من الوصل "[1]، وهذا لدقته، وصعوبة إدراكه، قال صاحب كتاب جواهر البلاغة :" لا يوفق للصّواب فيه إلّا من أوتي قسطا موفورا من البلاغة، وطبع على إدراك محاسنها ورزق حظا من المعرفة في ذوق الكلام، وذلك لغموض هذا الباب ودقة مسلكه، وعظيم خطره، وكثير فائدته"[2]، وبخاصة في الرّصف الجملي، والرّصف النّصي، إذ الجمل والتراكيب في اللّغة العربيّة تنتظمها غاية الاتصال أو الانفصال؛ أو ما بينهما.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ البلاغيين هم الذين قاموا بتأصيل هذه الظاهرة اللّغويّة، وأبدعوا فيها، وجعلوها فنا له حدود ومجالات، ولم يكن ذلك ضربة لازب، ولا إيجادا من عدم، كما بيّن ذلك الدكتور مصطفاوي عبد الجليل في كتابه ظاهرة الفصل والوصل بين النحو والبلاغة، وممن أوغل في هذا الباب،ودقق فيه الإمام عبد القاهر الجرجاني، قال الدكتور مبروك زيد الخير في كتابه العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم :" والحقيقة أنّ قانون الفصل والوصل عند عبد القاهر هو القانون الذي يحكم العلاقات السياقية النحويّة بين المعاني داخل المركب ألإسنادي الواحد ، كما يحكم تلك العلاقات بين الجمل بعضها ببعض داخل النص الواحد "[3].

والفصل والوصل عند عبد القاهر يقوم على ثلاثة عناصر أساسية وهي : الاتصال، والانفصال والعطف، أشار إليها في دلائل الإعجاز، فقال :" الجمل على ثلاثة أضرب :

. جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون العطف فيها البتة، لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه.

---

[1] . الجاحظ، البيان والتبيين 1 / 88

[2] . الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلميّة، ط السادسة، (د . ت) ص 196

[3] . زيد الخير مبروك، العلاقات الإسناديّة في القرآن الكريم دراسة نحويّة بلاغية، دار الوعي للنشر والتوزيع رويبة الجزائر ط الأولى 2011م . ص 198

. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلّا أنّه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثل : أن يكون كلا الاسمين فاعلا؛ أو مفعولا؛ أو مضافا إليه، فيكون حقها العطف. . وجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إيّاه ، ولا مشاركا له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلّا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا... فترك العطف يكون إمّا للاتصال إلى الغاية؛ أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين الحالين"[1].

فإن كان **الاتصال** كآلية من آليات الرّصف . كما يرى الدكتور مصطفى حميدة . ف" هو ارتباط ينشأ بين المعنيين داخل الجملة الواحدة؛ أو بين جملتين كانت العلاقة بينهما وثيقة تشبه علاقة الشيء بنفسه فتكون العلاقة مغنية عن الأداة الرابطة.

فالانفصال : هو انعدام العلاقة بين المعنيين، يستوي في ذلك انعدامها بين الجملة وما يجاورها، وانعدامها بين المكون وما يجاوره من المكونات، وإذا كانت العلاقة منعدمة بين طرفين فلا حاجة إلى الربط بينهما بأداة.

أمّا **العطف** الذي هو عمليّة ربط فمفهومه وسط بين الاتصال والانفصال، لأنّه عبارة عن علاقة تصطنعها اللّغة بين المعنيين داخل الجملة الواحدة؛ أو بين الجملتين، وذلك للنأي عن اللّبس في فهم إحدى الحالتين السابقتين، أي أمن لبس الارتباط أو لبس الانفصال... بمعنى أنّ اللّغة إنّما تلجأ إلى الرّبط حين ترى أنّ العلاقة بين الطرفين غير وثيقة، حتى تتفادى أن لا يفهم من تجاورهما

[1] . ينظر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 243

بلا ربط ..."[1].

. ومن أمثلة **الوصل** التي تتوفر فيها ضرورة التناسب التي يحسن به نحو قوله تعالى ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ١٤**﴾ [الانفطار: 13-14] .

وللإشارة انتقد الدكتور الشرقاوي صاحب كتاب (بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية) ما ذهب إليه الخطيب القزويني في الإيضاح بأنّ عطف الجمل يحمل دلالة بلاغيّة، بينما عطف المفردات لا يصح فيه ذلك، فقال في نقده له :" والحقيقة أنّ نسقا معينا للمعطوفات قد يعطي دلالة خاصة في مقام تختلف عن نسق آخر ذي دلالة أخرى في مقام آخر مختلف "[2]، وهذا ما تقتضيه دلالة اللفظ حسب الرّصف الذي هي منه، والمقام الذي تنتسب إليه، فكلمّا تعدد رصفها وانتقلت من نسق إلى آخر تعددت دلالتها، ودليله على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ٣٥**﴾ [عبس: 34-35] وقوله تعالى ﴿**يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ١١ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ١٤**﴾ [المعارج: 11-14]وقوله ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ٢٤**﴾ [التوبة: 24] .

" نلمح الآية الأولى بدأت بالأخ وانتهت بالبنين، وكانت الآية الثانيّة عكسها مبدوءة بالبنين، وعطف عليهم ما سوى ذلك، لأنّ الفرار يكون من القريب فالأقرب فالأكثر قربا، بينما يكون الفداء بالأكثر قربا وأغلى، وهو فلذة الكبد الولد.

---

[1] . د / مصطفى حميدة، ينظر نظام الارتباط والنظم في الجملة العربيّة ص 146 . 177 / ينظر زيد الخير مبروك، العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية . ص 198

[2] . الشرقاوي عفت، بلاغة العطف في القرآن الكريم . دراسة أسلوبية . دار النهضة العربية بيروت . ط الأولى 1981م . ص 122.

أمّا الآية الثالثة فلا علاقة للترتيب فيها بالحب ودرجاته، بل رتبت وفق الغاية التي يهدف إليها النّص، لأنّه من يكون تأثيره أكثر على صرف الولد عن الدَين والتضحية من أجله، والذي يبتدأ به في السياق، وتعطف عليه البواقي"[1].

3 . الاستعارة :

كما توظف الاستعارة في الرّصف بحيث تفضي عليه مزايا كثيرة، أهمّها المبالغة في التشبيه، والاحتراز من المجاز المرسل، قال في جوهر الكنز :" الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره، وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه احترازا من المجاز، فإنّه يقال كلّما ازداد التشبيه ازدادت الاستعارة حسنا، وفائدة الاستعارة أنّها تحدث للكلام مزيّة على ما لو استعمل على حقيقته "[2] " فالاستعارة تمتاز عن التشبيه وإن كانت في الأصل منه في أنّ وجه التشبيه بين المشبه والمشبه به أكثر وضوحا، فقولك (إنّ الإرهاب أعمى) وأنت تريد الإرهاب الصورة المتوحشة . أو تريد أشياء أخرى . فتثبت ما يخص المشبه به وهو العمى"[3].

. التشبيه :

التشبيه أسلوب من أساليب التفهيم، يستخدم في الرّصف قصد إيضاح المعنى المقصود، والاستفادة منه كأداة؛ أو وسيلة لنقل المعنى إلى المتلقي بطريقة في قمة الروعة، لها أثر خلاب في السمع الذواق، تقرب البعيد، وتجلي الدقيق، وتكشف اللثام عن الغموض، وترفع اللبس، تأمل قول الله تعالى ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ٢٤**﴾ [الرحمن: -24] وقوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ**

---

[1] . ينظر الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية . ص 113

1 . ابن الأثير نجم الدين أحمد بن إسماعيل جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة . دار النشر منشأة المعارف الإسكندرية، (د . ت) ص 55

[3] . بلعيد صالح، نظرية النظم ص 49

حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ٣٩﴾ [النور: 39].

. ومن التشبيه العجيب الذي يتضح به الكلام إيضاحا، وتنجلي به دلالته بإطلاق عنان تصوّر المعنى المقصود هو تشبيه غائب بغائب، كقوله تعالى في وصف طلع شجرة الزقوم ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ٦٥**﴾ [الصافات: 65] فشجرة الزقوم وطلعها من الأمور الغيبية في جهنّم، ورؤس الشياطين كذلك من الغيب الذي لا يشاهد حسا في دنيانا، فكان التشبيه غيب بغيب في هذا الرّصف العجيب أوضح ما يكون كما بيّن ذلك علماء البلاغة.

. المجاز :

لا يمكن الاستغناء عن المجاز لأهميته، والحاجة الملحة إليه، إذ لا يمكن بأيّة حال من الأحوال استيعاب المعاني غير المتناهية بالألفاظ المتناهية على جهة الحقيقة في كل شيء، لأنّ الألفاظ لا تحتمل ذلك، بل الاقتصار على استعمال الألفاظ من غير التصرف فيها . أي بقاءها على حقيقة وضعها . مدعاة لهدر المعاني والدلالات المتجددة والجديدة ، ومجلبة لغموض اللسان، وتعمية الكلام، وعدم بيانه وإفهامه، فيضيق أصحابها بذلك ذراعا .

فالمجاز هو " الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير، وتعني اختصارا : استعمال عرفي بحسب الطبع مركب من أمور مخترعة تحاكي أقوالا "[1].

فهو من الأساليب الأساسية التي توظف في رصف ما للتعبير عن معان ودلالات خرجت ألفاظها من حيز إلى حيز آخر من حيث المعنى . من الحقيقة إلى المجاز .

قال صاحب الطراز :" اعلم أنّ إطلاق لفظ المجاز على ما يفيده ليس على جهة الحقيقة، وإنمّا يطلق على جهة المجاز... فلأنّ الحقيقة في هذا اللفظ إنّما هو التعدي والعبور، وحقيقة ذلك إنّما

---

[1] . بلعيد صالح، نظريّة النظم ص 50

تحصل في انتقال الجسم من حيز إلى حيز آخر، فأمّا الألفاظ فلا يجوز ذلك في حقها، وإنّما تكون على جهة التشبيه، وهذا هو فائدة المجاز ومعناه..."[1].

والأمثلة في هذا الباب لا حصر لها، نذكر في هذا الصدد مثالا لتتضح أهمّية الرّصف في تحديد المعنى المجازي للفظ : .

استعمال كلمة (**قطع**) لدلالات مجازيّة متعددة بتعدد رصفها الذي هي منه مثل :

. (**فرّق**): في قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ١٦٠**﴾ [الأعراف: 160] ، قطعناهم أي فرّقناهم .

. (**عزل**) : قطع الأب الابن عن أخوته

. (**جرح**) : قطع خدّ صاحبه (أحدث خدشا أو جرحا فيه) ، وفي سورة يوسف ﴿**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١**﴾ [يوسف: 31] .

(**اجتاز**) : قطع مسافة الآمان .

(**أوقف**) : قطع الكلام ، في المثل العربي : (قطعت جهيزة قول كل خطيب) وهو مثل يضرب في فصل الخبر.

. ومنها ما ذكره الزبيدي في تاج العروس قال:" ومن المجاز قطع الخمر بالماء تقطيعا ، مزجها فتقطعت ، امتزجت وتقطع فيه الماء، قال ذو الرمة :

يُقطّع موضوع الحديث ابتسامُها تقطّعَ ماء المزن في نُزَف الخمر

[1] . ينظر بن حمزة يحي، كتاب الطراز . دار الكتب العلميّة لبنان (د . ت) 1/ 68

موضوع الحديث : محفوظه، وهو أن تخلطه بالابتسام كما يخلط الماء بالخمر إذا مزج"[1].

ويمكن أن نلاحظ التقارب من حيث المعنى المجازي لهذا الفعل في هذا السياق حتى *بين العربيّة والفرنسية إذا ما تمّ تعريب (Couper) فيه بـ (القطع)"* [2] *في هذا المثال بالفرنسية* (couper d'eau avec du vin).

وقد أشرت في هذا المقام إلى أنّ ما اصطلح عليه عند البلاغيين بعلم البيان محصور في المجاز بنوعيه (استعارة، ومرسل)، والكناية، والتشبيه هي عناصر أساسية في الرّصف اللّغوي، لا يمكن الاستغناء عنها مع تفاوت في الاستعمال حسب نوع الكلام، فالعلمي منه أقل توظيفا لها بخلاف الكلام الأدبي ...إلخ.

بيد أنّ بعض الباحثين ذهبوا إلى أنّ البيان لا ينحصر في هذه العناصر المذكورة سابقا، فهو أوسع بكثير، بل أوسع من البلاغة نفسها، قال الدكتور عمار ساسي :" وانطلاقا من مفهومنا للنّظام اللّغوي للعربية أنّ الصوت والمفردة والتركيب بشقيه الثابت والمتغير هي وسائل بيان جزئية متكاملة قلنا ذلك مجازا لأنّ النّظام اللّغوي للعربيّة كلّ لا يتجزأ، ومنه وصلنا إلى أنّ حقيقة البيان هي سمة جامعة وشاملة لكل ما أبان لك عن الأشياء والمعاني دقيقها وخفيها وفق سنن العرب في كلامها، وبهذه الدلالة يكون البيان أوسع من البلاغة، وشاملا لعلومها"[3].

وهذا المفهوم الجديد للبيان يتساوق والرّصف، لأنّ الرّصف يعتمد على كلّ الوسائل البيانية قصد توضيح المعنى المتوخى منه.

---

[1] . ينظر الحباشة صابر، المنحى الدلالي . دراسات في الاشتراك الدلالي ووجوه المعنى، في الهامش ص 106

[2] . ينظر المرجع السابق في الهامش ص 106

[3] . ساسي عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم 1 / 258

6 . 2 . الرّصف والفصاحة:

إذا كانت **البلاغة** من حيث المفهوم هي الإبانة عن المعنى من خلال وضع الكلام في موضعه من إيجاز وإطناب وتأدية معناه بألفاظ فصيحة صحيحة، وأساليب منتقاة بدقة لها تأثير وإقناع مع مطابقة لمقتضى الحال والمقام.

فإنّ **الفصاحة** مرتبطة في الأصل بوضوح الألفاظ، وإشراق الكلام قصد رفع الغموض ودفع اللبس وبيان المعنى، فكلّ من البلاغة والفصاحة يتقاطعان في إبانة المعنى، ويرجعان إلى معنى واحد

قال صاحب كتاب الصناعتين :" الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما لأنّ كلّ واحد منها إنّما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له "[1].

ولعلّ من العلماء القدامى الذي أعطى تصورا دقيقا لمفهوم الفصاحة هو ضياء الدين بن الأثير المتوفى عام (ت 637هـ) من خلال نقده لسابقيه ومعاصريه بعد رصد الاعتراضات ونقدها بطريقة علمية موضوعيّة، وممّا صدّر به بحثه في هذا الصدد قوله :" لم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه (الفصاحة) والبحث عنها، ولم أجد من ذلك ما يُعوَّل عليه إلّا القليل وغاية ما يقال من هذا الباب أنَّ الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللّغوي..."[2]

وخلص إلى أنَّ مفهوم الفصاحة كما قال :" وسأوضحه في كتابي هذا، وأحقق القول فيه، فأقول : إنّ الكلام الفصيح هو **الظاهر البيّن**، وأعني بالظاهر البيّن أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة، وإنَّما كانت بهذه الصفة لأنَّها تكون مألوفة الاستعمال

---

[1] . أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ص 07

[2] . ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق : أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة مصر للطباعة القاهرة، (د . ت) ص 90

بين أرباب النظم والنثر، دائرة في كلامهم، وإنَّما كانت **مألوفة في الاستعمال** دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها، وذلك أنَّ أرباب النظم والنثر غربلوا اللّغة باعتبار ألفاظها ... فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه، **حسن الاستعمال** سبب استعمالها دون غيرها، واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها"[1].

فابن الأثير اشترط لفصاحة الكلمة والكلام :

أولا : أن يكون **ظاهرا بيّنا**، أي الألفاظ دائرة في الاستعمال لا غرابة ولا غموضا فيها، ولا نبوا في السمع.

ثانيا : مألوفة الاستعمال، أي الكلمات المتداولة والمفهومة لكثرة دورانها على ألسنة الناطقين بلغة الضاد آنيا على المستوى الأفقي، ولاسيما بين النخبة منهم . مقاويل البلاغة وصنّاع النثر والنّظم . بخلاف النادر منها، والموسومة بالغرابة؛ أو المجهولة، " فكلّما كثر استعمال اللّفظة، وعرفها جمهور أكبر من العرب، وشاعت على ألسنتهم كانت أجود وأفصح، وعلى العكس من ذلك فكلّما قلّ استعمال اللفظة، وعرفها ناس من العرب قليلون كانت نادرة مجهولة، وعلى هذا فكثرة الاستعمال؛ أو قلته هو المعيار الصحيح الثابت الذي يمكن لنا أن نحكم أنّ هذا اللفظ فصيح معروف، وأنّ ذاك اللفظ نادر مجهول "[2]، فمن القليل المهجور والنادر جمع (**ذئب**) على (**ذِئَب**) كما في البيت الذي أورده أبو زيد الأنصاري في النوادر:

أمْسَوْا كَمَذْعُورَةِ الأَرْوَى إذا أَفْزَعَها عَرَجُ الضِبَاعِ تُبَارِي الأُسْدَ و**ذِّئَبَا**

وعَلَّقَ على ذلك أبو الحسن الأخفش فقال : فِعْلٌ و فِعَلٌ يقل جدا في الكلام، ولا أعلمه محفوظا،

---

[1] . ينظر المصدر نفسه ص 91

[2] . الأنصاري أبو زيد، كتاب النوادر في اللغة، تحقيق : د / محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق بيروت ط الأولى 1981 . ص 54

وهو عندي جمع **ذِئْبَةٍ** كقولك قِطْعَةٌ وقِطَعٌ، وسِدْرَةٌ وسِدَرٌ، وهذا مُطَّرِد معروف "[1].

كما أنّ ابن هشام يرى أنّ من النادر غير الفصيح " مخالفة اللّفظ للقياس، وخروجه عليه "[2]، ومثل هذا كثير لُمِز بعدم فصاحته كما تؤكده الأمثلة الكثيرة المبثوثة في كتب اللغة كالنوادر في اللغة لأبي زيد الأنصار، ونوادر أبي مسحل وغيرها.

ولكن هناك بعض الألفاظ رغم تطابق ما ذكرت عليها لا تعدّ من النوادر، نحو ما هو مخالف للقياس كلفظة (**استحوذ**) والقياس(**استحاذ**)، ومع مخالفتها للقياس فهي في قمة الفصاحة في رصفها الذي هي فيه، ولا تلمز بعدم الفصاحة، وقد استعملت في موضعين من محكم التنزيل قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا١٤١**﴾ [النساء: 141] وقوله أيضا ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ١٩**﴾ [المجادلة: 19].

فما شاع من الألفاظ عند العرب في الاستعمال هو من الفصيح وان اختلفت دراجات فصاحته، ولكن ليس كلّ العرب، وإنّما ما شاع من الألفاظ وكثر استعماله بين العرب الموثوق بعربيّتهم كما اشترطه السيوطي في المزهر فقال :" ثمّ علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيّتهم لها كثيرا؛ أو أكثر من استعمالهم ما معناها .. فالمراد بالفصيح ما كثر استعماله في ألسنة العرب، والمراد بالنادر ما قلّ استعماله في ألسنة العرب "[3].

وقد يعبر عن الألفاظ المأنوسة الاستعمال في اللسانيات الحديثة وبخاصة في المذهب البِنَوي

---

[1] . المصدر نفسه ص 493

[2] . المصدر نفسه ص 49

[3] . السيوطي، المزهر في علوم اللغة 1 / 187

والاتصالي باللّغة المستعملة في الحياة اليوميّة.

غير أنَّ اللسانيات الحديثة لا تفرق بين ما هو فصيح من الألفاظ وغير فصيح منها، وأن تكون مستعملة آنيا، المنتشرة أفقيا.

. **ثالثا : الحُسن** ، وإنَّما تكتسب اللّفظة حُسنها وإشراقها من استعمالها، وإن كان ابن الأثير يرى بالإضافة إلى الاستعمال بأنّ مسألة حسن اللّفظة؛ أو قبحها يرجع إلى الحس الذوقي عند العرب، فما استحسنه السمع العربي من الألفاظ فهي حسنة، وتعتبر فصيحة، ويكثر استعمالها وتداولها، وما استهجنه منها فهي قبيحة غير فصيحة، تهجر وتترك، والميزان في ذلك كلّه أنَّ الكلمات تشبه تماما الأصوات.

يمكن القول بأنّ الذي ذهب إليه ابن الأثير يصدق على قَبول اللّفظة كنتاج جمعي آني على المستوى الأفقي، فيتم توظيفها واستعمالها ودورانها في الكلام، وتستمر على المستوى التعاقبي محافظة على المعنى الأساسي؛ أو تكتسب من خلال استعمالاتها معان هامشية ثانوية تحدد من خلال سياقاتها، وهذا في أغلب الكلمات، وقد تهجر وتترك ولو بعد حين بسبب استهجانها والعدول عنها بغيرها، وهذا راجع لجملة من المعطيات أهمّها :

. التباسها بمعنى قبيح وارتباطها به.

. ثقلها على السمع بسبب تنافر حروفها، ونبوها، وغرابتها .

ومع هذه الشروط مجتمعة في الكلمة جميعا لا يمكن الوصول إلى فصاحتها الحقيقية التي بها يكون المعنى ظاهرا بيّنا لا تعمية فيه ولا لبس إلّا بإضافة شرط رابع يكاد يكون الشرط المحوري والأساس في فصاحة الكلمة والكلام والمتمثل في :

التموقع المناسب : والمقصود بالتموقع إدراج اللفظة في الموضع المناسب لها في درج الكلام ، ورصفها مع ضميماتها أو جاراتها من الكلمات المترابطة معها نحويا، والمتعالقة بها دلاليا في

رصف مخصوص. فإذا لم يوظف هذا الشرط على أحسن وجه، وبالكيفية التمامة تصبح صورة الكلمة خافتة، وينطفئ إشراقها، و يعتريها من الغموض والتعميّة ما يجعل الظفر بمعناها صعب المنال؛ أو تفسر دلالتها على غير ما قصدت له، فعدم وضع اللّفظة في عشها اللّغوي الملائم لها يؤدي إلى :

أولا : انطفاء إشراقها، وتراجع حسن فصاحتها في هذا الموضع، حتّى وإن كانت في الأصل فصيحة، فعلى سبيل المثال كلمة (**الأخدع**) .

قال الجرجاني :" تعجبك في مكان مثل كلمة (الأخدع) في بيت البحتري :

وإني وإن بلغتني شرف الغنى وأحققت من رقّ المطامع **أخدعي**

ولا تعجبك في بيت أبي تمام :

يا دهر قوّم من **أخدعيك**[1] فقد أضججت هذا الأنام من خَرُقك "[2].

ثانيا : تعدد المعاني وتزاحمها جملة في الذهن دون تحديد المعنى المراد، ممّا يسبب غموضا وغرابة نحو لفظة (**مُسرَّجا**) في بيت من قصيدة لرؤبة بن العجاج يقول فيها واصفا امرأة :

والسخط قطاع رجاء من رجا أزمان أبدت واضحا مفلّجا

أغر براقا وطرفـا أبرجا ومقلة وحاجبـا مزجـــجا

وفاحما ومرسنـا **مسرّجـا** وكفلا وعثا إذا ترجرجـــا

" والمعنى أنّ لهذه المرأة الموصوفة ثنايا بيضاء مفلجة، ومقلة واسعة حسنة سوداء، وحاجبا مدققا

---

[1] . الأخدعان : عرقان في جانبي العنق خفيا وبطنا

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 47

مقوسا، وشعرا أسودا فاحما، وأنفا كالسيف السريجي في دقته واستوائه؛ أو كالسراج في بريقه وضيائه "[1].

فكلمة (مسرّجا) . في البيت الثالث جاءت وصفا للأنف الذي أستعير له لفظ المرسن، أي الأنف الذي يُشد بالرسن . اختلف في تخريجها " فقيل من سرّجه تسريجا، حسنه وبهّجه، وقيل من قولهم : سيوف سريجية منسوبة إلى قين، يقال له سريج، شبه بها (السيوف) الأنف في الدقة والاستواء، وقيل من السراج، وهو قريب من قولهم سرِج وجهه بكسر الراء أي حسن"[2].

فاللّفظة إذا دلت على أكثر من معنى، واحتملت عدة معاني، وتزاحمت جميعا، " واختلف في المعنى المراد منها في موضعها، فإنَّها تكتسب بذلك صفة الغرابة التي تنتقص من درجة فصاحتها"[3].

. **ثالثا : التعقيد اللفظي :** وهو سبب من أسباب خفاء الدلالة، وصعوبة إدراك المعنى، وهذا راجع إلى وضع الكلمة؛ أو الألفاظ في غير مكانها المناسب لها في رصفها المخصوص، فقد تقدم لفظة أو تُؤخر بغير داع بلاغي؛ أو نحوي؛ أو يفصل بين المبتدأ وخبره؛ أو تقديم المستثنى على المستثنى منه ... الخ، فكلّ ذلك وغيره يكون سببا في تعقيد الكلام الذي لا يدرك معناه إلّا بعد إعادة رصفه، وترتيب ألفاظه وفق ما تقتضيه المعاني النحويّة والدلاليّة، ومن أمثلة ذلك ما يستشهد به البلاغيّون في هذا الباب بيت شعر من قصيدة للفرزدق يمدح فيها إبراهيم المخزومي، وهو خال الأمير هشام ابن الخليفة الأُموي عبد الملك بن مروان، يقول فيها :

ما مِثْلُه في النَّاسِ إلَّا مُملّكا أبو أمِّه حيٍّ أبوه يُقارِبه

---

[1] . عتيق عبد العزيز، علم المعاني ص 19

[2] . المرجع نفسه ص 18

[3] . عتيق عبد العزيز، علم المعاني ص 19

وسبب التعقيد أنّه فصل بين الألفاظ المترابطة والمتعالقة لغير داع بلاغيّ ولا نحويّ، فصل بين :

. المبتدأ (أبو أمه) وخبره (أبوه) بلفظة (حيّ)

. وفصل بين الصفة (حيّ) ومصوفها (يقاربه) ب (أبوه).

. كما قدّم المستثنى (مُمَلَّكا) على المستثنى منه (حيّ يقاربه) .

فوضع هذه الألفاظ في غير موضعها المناسب لها في الرّصف الذي هي فيه، وعدم ترتيبها وفقا للمعاني النحويّة لنظام اللّغة العربيّة ممّا أحدث تعقيدا لفظيا، وتعميّة في الدلالة، " وكان من حق الناظم أن يقول :

وما مثله في النّاس أحد يقاربه إلّا مملّكا أبو أمه أبوه "[1].

ففصاحة الكلام لا تكون إلّا بألفاظ بيّنة ظاهرة، مألوفة الاستعمال، كثيرة الدوران، الموصوفة بالحسن، المتموقعة في الموضع المناسب في درج الكلام الدالّ على معنى معين مقصود من رصفه، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام عبد القاهر الجرجاني فقال :" وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة عن الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها "[2].

فلا ينبلج إشراق فصاحة الكلمة بمعزل عن ضميماتها المتآلفة والمتعالقة في الرّصف الذي هي منه فلفظة (**اشتعل**) في الآية الكريمة ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤** ﴾ [مريم: 4] فهي" في أعلى المرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ولكن موصولا بها الرأس

---

[1] . ينظر عتيق عبد العزيز، علم المعاني ص 21

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 402

معرفا بالألف واللام، ومقرونا إليها الشيب مُنَكَّراً منصوبا"[1].

ولا يقف الإمام الجرجاني عند هذا الحدّ، بل راح يستنبط الدلالات من هذه اللفظة التي بلغت شأوا بلاغيّا أخاذا في هذا الرّصف القرآني العجيب، فقال:" إنّك ترى النّاس إذا ذكروا قوله تعالى ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ٤**﴾ [مريم: 4] لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة، ولم ينسبوا الشرف إلّا إليها، ولم يروا للمزية موجبا سواها، هكذا الأمر في ظاهر كلامهم، وليس الأمر على ذلك ، ولا هذا الشرف العظيم، ولا هذه المزية الجليلة، وهذه الروعة التي تدخل على النّفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة، ولكن لأن يُسلك بالكلام طريقُ ما يسند الفعل فيه إلى الشيء، وهو لما هو من سببه فيرفع به ما يسند إليه، ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده مبيّنا أنَّ ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى ذلك الأول، إنّما كان من أجل هذا الثاني، ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة ... وذلك أنا نعلم أنّ اشتعل للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللّفظ ... يبين أنّ الشرف كان لأن سلك فيه هذا المسلك، وتوخى به هذا المذهب، أن تَدَع هذا الطريق فيه وتأخذ اللّفظ فتسنده إلى الشيب صريحا فتقول : اشتعل شيب الرأس، والشيب في الرأس، ثم تنظر :

هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة ؟، وهل ترى الروعة التي كنت تراها؟

فإن قلت : فما السبب في أن كان (**اشتعل**) إذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضل؟ ولِمَ بان بالمزية من الوجه الآخر هذه البينونة ؟ فإنّ السبب أنّه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى الشمولَ، وأنّه قد شاع فيه، وأخذه من نواحيه، وأنّه قد استقرّ به وعمّ جملته حتّى لم يبق من السواد شيء؛ أو لم يبق منه إلّا ما لا يُعتدّ به، وهذا ما لا يكون إذا قيل : اشتعل

[1]. الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 402

شيب الرأس؛ أو الشيب في الرأس..."[1].

فوضع الكلمة في الموضع المناسب؛ أو التموقع الجيد لها مع الوحدات اللّغويّة المتجاذبة في رصفها المخصوص هو المعيار في قمّة فصاحتها وجودتها، وهذا ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار كما ورد ذلك عنه في كتاب أبي زهرة (المعجزة الكبرى)، قال :" اعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في إفراد الكلام وإنّما تظهر في الكلام بالضمّ على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضمّ أن يكون لكلّ كلمة ابتداء، وقد يجوز أن تكون هذه الصفة بالمواضعة التي تتناول الضمّ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام رابع، لأنّه إمّا أن تعتبر فيه الكلمة أخرياتها؛ أو موقعها، ولا بد من هذا الاعتناق في الكلمة، ثمّ لابد من اعتبار مثله في الكلمات إذا انضمّ بعضها إلى بعض، لأنّه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفيّة إعرابها وحركاتها وموقعها"[2].

ب . الرّصف وفصاحة الكلام :

كما للرّصف أهمّية بمكان في فصاحة الكلمة فكذلك لا تقلّ أهميّته في فصاحة الكلام من حيث تركيب وحداته وترتيبها متساوقة ووضوح دلالاته ومعناه فالأصل في فصاحة الكلام أنّه يجنح للسهولة والبساطة والانسيابيّة في نطق الألفاظ المرتبة خطيا على مستوى المحور التركيبي (الركني)، بعيدا عن التعقيد اللفظي والمعنوي، ولنا في كلام الله عزّ وجلّ المثل الأعلى في رصف كلماته وألفاظه بطريقة عجيبة ميسرة . ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ١٧**﴾ [القمر: 17] ، فهو في أعلى الفصاحة وذروة البلاغة وروعة البيان، فحروف القرآن وكلماته وآيته مرتبة

---

[1] . ينظر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 100

[2] . أبو زهرة محمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1998م . ص 93

ترتيبا دونه كلّ ترتيب، بخلاف ما تعاطاه النّاس في كلامهم، بحيث لو دخل في القرآن شيء من كلام النّاس لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه، وما وجدوا له تلك الحلاوة المعجزة، ولا اختل نظامه في آذان سامعيه، فعلى سبيل المثال لا الحصر تأمل هذا الرّصف العجيب في قوله تعالى ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ١٣٣**﴾ [الأعراف: 133] ، " فإنّها خمسة أسماء أخفها في اللفظ (**الطوفان والجراد والدّم**) وأثقلها (**القمّل والضفادع**)، فقدم (**الطوفان**) لمكان المَدَّين فيها حتى يأنس اللسان بخفتها، ثمّ (**الجراد**)، وفيها كذلك مدّ، ثمّ جاء باللّفظتين الشديدتين مبتدئا بأخفها وأبعدهما في الصوت لمكان تلك الغنّة فيه الغنّة في الميم المشددة (**القمل**) . ثمّ جيء بلفظة (**الدّم**) آخرا ، وهي أخف الخمسة وأقلها حروفا ليسرع اللسان فيها، ويستقيم لها ذوق النّظم، ويتم بها هذا الإعجاز في التركيب، وأنت فمهما قلبت هذه الأسماء الخمسة فإنّك لا ترى لها فصاحة إلّا في هذا الموضع، فلو قدمت؛ أو أخرت لبادرك التهافت والتعثر، ولأعنتك أن تجيء منها بلفظ؛ أو نظم فصيح "[1].

كما تجدر الإشارة في هذا المبحث إلى أنّ فصاحة الألفاظ ليست على سواء في مفهوم النّاس فمنها . ما يتفق على فصاحتها الجميع؛ أو أقول الجلّ على اختلاف مستوياتهم، لشيوعها بينهم، وكثرة دورانها على ألسنتهم، وكتاباتهم التي يتم بها التواصل، والتبليغ، ونقل الأفكار.

. ومنها ما هو فصيح عند بعضهم، كالنخبة من الأدباء والشعراء وطلبة العلم وآخرين، وهذه الألفاظ نفسها لا تتسم بالفصاحة عند غيرهم من النّاس لصعوبة إدراك معناها، وعدم وضوحها بسبب ما تحدثه من تعميّة وغموض لديهم، لا يرفع ذلك كلّه إلّا بالبحث عن معانيها ودلالاتها، ففصاحة الألفاظ على هذا المنوال هي درجات تختلف من فئة إلى أخرى. .

[1] . الرافعي، إعجاز القرآن ص 261

ومن الألفاظ ما كان فصيحا مستعملا مستساغا مألوفا في حقبة زمنيّة معينة، ومع تغير الظروف والأسباب والأجيال تغيرت هذه الألفاظ وخفت إشراقها، وانتقلت من وصفها بالحسن إلى القبح لالتصاقها بفعل مشين؛ أو قذارة؛ أو شيء مرتبط بالخوف والشؤم والدلالة عليه، فيستغني عنها المجتمع، وتصبح من الألفاظ المبتذلة ، وبذلك تضمحلّ فصاحتها وتنزوي ، وتحلّ محلّها كلمات أخرى أكثر تلطفا وقبولا تدلّ على معناها.

. وبعض الألفاظ الفصيحة بعد تقادم الأيّام تُخليَّ عنها للاعتقاد بأنّها غير فصيحة؛ أو هي من الدارجة العاميّة مثل لفظة "(خشّ) بمعنى (دخل) كلمة مبتذلة رغم أنّها عربية صحيحة"[1]، ولازالت تستعمل عندنا بين عامة النّاس في بعض مناطق من وسط الجزائر. وقد يعاد بعثها من جديد وتستعمل في التواصل والكتابة بين النخب...

هل الفصاحة بالطبع أم بالصنعة ؟

ذهب علماء اللسان العربي قديما في تعليل هذه المسألة اللّغويّة إلى اتجاهين :

. **الاتجاه الأول** : زعم بأنّ الفصاحة لا يمكن أن تتأتى إلّا لمن طبع عليها، ونشأ في عشها، وترعرع في كنفها، ورضع من ثدي اللّغة الأم التي تنتمي إليها فصاحة ألفاظها وكلامها، والتي لم تتلوث بلوثة اللحن، ولم تتأثر بلكنة العجمة، فهو بذلك أخذها بالطبع سجية؛ أو على السليقة، وهو العربيّ القح لغة وفصاحة، أمّا الدخيل فلا يمكن أن يكون فصيحا في لغة العرب، ولا يرقى مقام أهلها الفصحاء البلغاء.

. الاتجاه الثاني : يرى بخلاف ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول، ويمكن تلخيص ما ذهب إليه رواد هذا الاتجاه في نقطتين أساسيتين :

---

[1] . ينظر أنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط 2004م ص 108

. **الأولى** : إذ لو كانت الفصاحة بالطبع . وهي من مجموع موضوعات اللّغة العربيّة . لرفع إعجاز اللّغة العربيّة، ولم يبق لها صيت بين اللّغات، ولا سمات تمييزيّة فارقة، وهذا الذي ركز عليه قطب هذا الاتجاه بدون منازع الإمام عبد القاهر الجرجاني من خلال نقده المؤسس والقوي لمن احتفل بطبع الفصاحة، فقال :" فمن ذلك أنّك تجد كثيرا ممن يتكلم في شأن البلاغة إذا ذكر أنّ للعرب الفضل والمزية في حسن النّظم والتأليف، وأنّ لها في ذلك شأوا لا يبلغه الدخلاء في كلامهم والمولدين، جعل يعلل ذلك بأن يقول: لا غرو فإنّ اللغة لها بالطبع ولنا بالتكلف، ولن يبلغ الدخيل في اللّغات والألسنة مبلغ من نشأ عليها، وبُدئ من أول خلقه بها، وأشباها هذا ممّا يُوهم أنّ المزية أتتها من جانب العلم باللّغة، وهذا خطأ عظيم، وغلط منكر يفضي بقائله إلى رفع الإعجاز من حيث لا يعلم "[1]. .

الثانيّة : الفصاحة صنعة

وهذا ما أورده الإمام الجرجاني في دلائل الإعجاز في مواطن كثيرة، نذكر طرفا منها :

قال :" ولم أزل منذ خدمت العلم انظر في ما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على ما كان الخبئ ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضح لك القاعدة لتبني عليها، ووجدت المعول على أنّ ههنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا، وصياغة وتصويرا، ونسجا وتحبيرا... وجملة الأمر أنّك لن تعلم في شيء من الصناعات علما تمر فيه وتجلى حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب ويفضل بين الإساءة والإحسان، بل حتى تفاضل بين الإحسان والإحسان، وتعرف طبقات

[1] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 249

المحسنين، وإذا كان هذا هكذا علمت أنّه لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياسا ما، وأن تصفها وصفا مجملا، وتقول فيها قولا مرسلا، بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصل، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلام، وتعدّها واحدة واحدة، وتسميها شيئا شيئا، وتكون معرفتك معرفة الصّنع الحاذق الذي يعلم علم كلّ خيط من الإبريسم الذي في الديباج، وكلّ آجرة من الآجر الذي في البناء البديع، وإذا نظرت إلى الفصاحة هذا النّظر، وطلبتها هذا الطلب احتجت إلى صبر على التأمل، ومواظبة على التدبر، إلى همّة تأبى لك أن تقنع إلّا بالتّمام، وأن تربع إلّا بعد بلوغ الغاية، ومتى جشّمت ذلك، وأبيت إلّا أن تكون هنالك، فقد أممت إلى الغرض الكريم، وتعرضت لأمر جسيم..."[1].

والذي يمكن أن نميل إليه في هذه الظاهرة اللّغويّة أنّ فصاحة اللّفظة العربيّة من حيث هي لفظة مفردة في نطقها الصحيح، وتأدية حروف مبناها تأدية مطابقة لمخارجها وصفاتها وبنيتها الصرفيّة عشها الطبيعي هو بيئتها التي نشأت فيها، والذي نشأ فيها كان منها أكثر سلاسة وبراعة في فصاحتها وجريانها على لسانه، وهذا لا يعني أنّ غيره لا يستطيع أن يلحق به في فصاحتها إذا ما تمرّن على مجاراة أهلها في النطق الصحيح، وكثرة استعمالها، وهذا ما أشار إليه ابن جني في تعريفه للنحو بأنّ من أهداف تعلم النّحو العربيّ هو مجاراة من ليس من أهل اللّغة العربيّة في فصاحة أهلها، ومحاكاتهم لها، فقال النحو" هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس

[1] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 34 . 35

من أهل اللّغة العربيّة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها رُدّ به إليها "[1].

والفصاحة كما هي بالطبع يكتسبها المشتغل بها بالتعلم والمثابرة، وهذا ما نستشفه من قصة علي رضي الله عنه مع الأعرابي الذي أقرأه المقرئ قول الله تعالى أو سمعه يقرأ الآية الكريمة من مطلع سورة براءة ﴿ **أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ٣**﴾ [التوبة: 3] . قرأ (**ورسولِه**) بكسر اللام ، والصحيح بضمها (**ورسولُه**) .

قال الأعرابي برئت من رسول الله، فأنكر ذلك سيدنا علي رضي الله عنه لِما في ذلك من لحن ظاهر في تأدية لفظة (**رسوله**)، وتحريف لما يقتضيه معنى الرّصف الذي هي منه وفساده، فأمر علي رضي الله عنه بعد ذلك بما يُقوّم به اللسان، ويصون اللّغة، ويخدم الفصاحة ويرقى بها ويحفظ القرآن الكريم، " فرسم لأبي الأسود الدؤلي من عمل النحو ما رسمه ما لا يجهل موضعه"[2]، لأنّ اللغة والفصاحة كما تكونان بالطبع تكونان بالتعلم، والمران، والمثابرة عليها، وإلّا ما أهميّة صنيع أبي الأسود بأمر من سيدنا علي رضي الله عنه؟.

وقد أكد هذا المنحى ابن جني مذيّلا على هذا صنيع اللساني الرائد لأبي الأسود، فقال:" فكان ما يروى من أغلاط النّاس منذ ذاك إلى أن شاع واستمر فساد هذا الشأن مشهورا ظاهرا فينبغي أن يستوحش من الأخذ من كلّ أحد إلّا أن تقوى لغته، وتشيع فصاحته"[3].

وكذلك ما يفهم من كلام الجاحظ أيضا قوله :" ولو جالست الجهال والسخفاء والحمقى شهرا فقط لم تنق من أوضار كلامهم، وخبال معانيهم، بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا، لأنّ الفساد أسرع إلى

---

[1] . ابن جني، الخصائص 1 / 34

[2] . ابن جني، الخصائص 2 / 8

[3] . ابن جني، الخصائص 2 / 9

النّاس، وأشدّ التحاما بالطبائع، والإنسان بالتّعلم والتكلف، وبطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء، يجوّد لفظه، ويحسن أدبه..."[1].

وابن خلدون يرى لمن أراد بلاغة العرب وفصاحتهم حتى وإن لم يكن منهم الارتياض على الألفاظ بحفظ أشعارهم، والأمثال السائرة في كلامهم، والمران على استعمالها لتجري على لسانه، وتتحقق له بذلك ملكة اللسان العربيّ، فقال في مقدمته :" فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النّظم والنثر إنّما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب، ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر، ويتخلص من العجمة التي ربيَ عليها في جيله، ويفرض نفسه مثل ولد ينشأ في جيل العرب، ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي، حتى يصير كأنّه واحد منهم في لسانه "[2].

. أمّا من حيث فصاحة الكلام ومنها الكلمة التي هي وحدة من وحداته فلا يمكن إلّا من خلال البراعة في الصناعة، فالألفاظ من حيث هي ألفاظ مجردة لا تتفاضل في ما بينها كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني :" الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك ممّا لا تعلق له بصريح اللفظ "[3]، ويفهم من كلام عبد القاهرالجرجاني أنّ المقصود بفصاحة الكلمة :

. أولا : ليس أن تؤدى اللفظة العربيّة تأدية صحيحة من حيث مخارج حروفها، واتقاء تنافرها، والامتثال الجيد لصفات هذه الحروف فحسب . فهذا الجانب أدخل في فصاحة المتكلم منه في

---

[1] . الجاحظ، البيان والتبيين 1 / 86

[2] . ابن خلدون، المقدمة من تاريخ ابن خلدون 1 / 794

[3] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 46

فصاحة الكلمة، لأنّه يمكن للمتكلم أن يبلغ فيها الغاية بالطبع سجيّة في منشئها؛ أو التعلم والتمرن عليها حتى تكون عنده كالسجيّة إلّا إذا كان هناك عارض؛ أو عيب من عيوب النّطق لبعض الأحرف، ويمكن أن الإستدلال لهذا بقوله تعالى ﴿**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ٣٤**﴾ [القصص: 34] ، وممّا لا شك فيه أنّ موسى عليه السلام أرسل بأفصح وأبلغ كلام، لأنّه وحي من الله .

. ثانيا : إنّما الفصاحة الحقيقية للكلمة هي في حسن استعمالها في النّظم، وتمكنها بين جاراتها، ومؤانستها لضميماتها، وتموقعها الجيّد في الرّصف الذي هي منه، وما إشراقها وروعة فصاحتها وسحر بيانها إلّا عن تعالق معناها بمعاني أخواتها، ومعنى الرّصف المخصوص الذي يشملهم جميعا، قال الجرجاني :" وهل تجد أحدا يقول : هذه اللّفظة فصيحة إلّا وهو يعتبر مكانها في النّظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها، وهل قالوا : لفظة متمكّنة ومقبولة وفي خلافة قلقة ونابية ومستكرهة إلّا وغرضهم أن يعبروا بالتمكّن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، و بالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم"[1].

وعلى هذا الأساس ففصاحة الكلمة وسحر بيانها وحسن إشراقها، وروعة فصاحتها، ووضوح دلالتها ومعناها لا يمكن أن يكون لها ذلك إلّا من خلال توظيفها الجيد في رصفها الذي هي منه، ولا يمكن توظيفها الجيد والحسن إلّا من خلال انتقاء ضميماتها، واختيار جاراتها المتعالقة معها نحويا والمترابطة بها دلاليا، ولا يتأتى هذا إلّا لمن روّض لسانه على لسان العرب، وأتقن أساليبهم، وأوتي قسطا موفورا من بلاغتهم، ورزق حظّا من المعرفة في ذوق كلامهم، وتتبع معاني نحو لغتهم بوعي وإدراك، واستعمل الفكر فيها، فلا يتفاوت أمام الفصاحة من كانت لغته الأم العربية ونشأ في

---

[1] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 44 . 45

أكنافها؛ أو من اكتسبها ولحق بأهلها وهو ليس منهم إلّا من برع في ما ذكرنا آنفا، وملك ناصية اللّغة العربية، وأخذ بزمامها فانقادت له، وهذا ما يثبته واقع الفصاحة عبر مرّ الأزمان إلى يومنا هذا.

6 . 3 . الرّصف وثنائيّة اللفظ والمعنى :

من المواضيع التي شغلت علماء اللسان قديما وحديثا وحتى الفلاسفة موضوع المركب العطفي (اللفظ والمعنى) وبخاصة جانب المعنى منه، إذ المقاربة المحصورة في إطار البحث اللساني تتركز على الجوانب اللغويّة الصوتية والصرفيّة والنحويّة والمعجميّة والدلالية والتداولية، وبذلك تكون ذات أفق لساني محض مغاير تماما للأفق الذي يتطلع إليه الفلاسفة والمفكرون من سؤال البديهيات للمعنى، كي يتوقفوا عند التصوّر الشائع له، ثمّ يتم نقده للوصول بالاستدلال على تصوّره الجديد، والذي عليه بحثنا هو عناية واهتمام اللسانيين في دراساتهم اللّغويّة بهذا المركب العطفي (اللفظ والمعنى) وخاصة العلماء العرب.

ذكر في كتاب التعريفات الشريف الجرجاني مراتب المعاني فقال :" المعاني هي الصوّر الذهنية من حيث أنّه وُضع بإزائها الألفاظ.

. والصوّر الحاصلة في العقل سُميّت (مفهوما)

. ومن حيث أنّه مقول في جواب ما هو سميّت (ماهية)

. ومن حيث ثبوته في الخارج سميّت (حقيقة)

. ومن حيث إمتيازها على الأغيار سميّت (هُويّة)

المعلل هو الذي ينصّب نفسه لإثبات الحكم بالدليل، والمعنى ما يقصد بالشيء"[1].

وبيّن الكفوي في الكليات أنّ " المعنى مطلقا هو ما يقصد بشيء.

وأمّا ما يتعلّق به القصد باللّفظ فهو معنى اللّفظ، ولا يطلقون المعنى على الشيء إلّا إذا كان مقصودا.

وأمّا إذا فهم الشيء على سبيل التبعيّة فهو يسمى معنى بالعرض لا بالذات"[2]، " ومعنى ذلك أنّ المعاني هي الصوّر الذهنية المقصودة إمّا بالذات وهي الحقيقة، وإمّا بالعرض وهو المجاز، وضروب التعبير البليغ؛ أو الفني"[3].

ولقد اختلف العلماء في هذا المركب العطفي (اللّفظ والمعنى) إلى اتجاهين :

. فمنهم من درس اللّفظ مستقلا عن المعنى، وانحاز إلى جهة اللفظ بإقامة البراهين الدالة عليه، وتتبع الحجج والأدلة لصالحه، وما المعنى عند أصحاب هذا الاتجاه إلّا تبعا للفظ فقط

وقد أشار إلى هذا الجاحظ، فقال :" المعاني مطروحة في الطريق (الطرقات) يعرفها العجمي والعربي والبدوي ، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج "[4]، وكان أكثر وضوحا في هذه المسألة لمّا تعرض إلى مفهوم الشعر فقال بأنّه:" صناعة وضرب من الصيغ وجنس من التصوير، وهو يعوّل على إقامة الوزن، وتخيّر اللّفظ "[5]، وهذا من خلال مراتب الكلام

---

[1] . الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، دار الكتب العلميّة بيروت، ط الأولى 1403هـ 1983م ص 220

[2] . الكفوي أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، تحقيق : عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت . ص 842

[3] . جحيش عبد الفتاح، نظرية المعنى في الفكر النقدي عند العرب من الممارسة إلى التنظير، أطروحة دكتوراه (2018م)، قسم الآداب واللّغة العربيّة، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة الجزائر ص 18

[4] . الجاحظ، الحيوان 3 / 67

[5] . المصدر نفسه 3 / 67

العربيّ الخمس المتفاوتة تصاعديّا (النثر . المزدوج . السجع . الرجز . القصيد) يرى بأنّ المراتب الثلاث الأولى (النثر والمزدوج والسجع) دون الشعر، أمّا الشعر فهو (الرجز والقصيد)"[1]، ولا يكون الشعر شعرا عنده إلّا من خلال انتقاء الألفاظ الحسنة، وإقامة الوزن للكلام المنظوم الذي به يتميّز عن الكلام المنثور، وممّا سبق يتبين أنّ الجاحظ :" أعطى قيمة لحسن اللفظ أولا، ثمّ تحسن أكثر في النّظم، ولم يعط المعاني قدر ما تستحق، ولم ينظر إلى ما تفيده معاني النحو في ذات النّظم، بل نظر إلى الصناعة، وربّما يكون فتح الباب لشعراء الصنعة أن يقولوا شعرا تحسن فيه ألفاظه دون معناه، فطغى الشكل على المضمون، وخرجت معركة كبيرة من وراء ذلك في الخلاف بين أهل اللفظ وجماعة المعنى"[2].

أمّا ابن خلدون فإنّه غلّب اللفظ على المعنى، بل يرى المعنى تابع وفقط، قال في مقدمته :" اعلم أنّ صناعة الكلام نظما ونثرا إنّما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنّما المعاني تبع لها، وهي الأصل، فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النّظم والنثر، إنّما يحاول في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله، وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مُضر، ويتخلص من العجمة التي رُبيّ عليها في جيله، ويفرض نفسه مثل ولد ينشأ في جيل العرب، ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنّه واحد منهم في لسانه "[3].

وللإشارة كثير من اللسانيين المحدَثين من يقصي المعنى؛ أو نقول يُضيّق عليه في الدرس اللّغوي، لأنّه حسب منهجهم اللساني :

---

[1] . بناني محمد الصغير، النّظريات اللسانيّة والبلاغة الأدبية عند الجاحظ، ص 170 . 173 / ينظر بلعيد صالح، نظرية النظم ص 121

[2] . بلعيد صالح، نظريّة النظم ص 123

[3] . ابن خلدون عبد الرحمن بن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ضبط : أ خليل شحادة، مراجعة : سهيل زكار دار الفكر بيروت، ط الأولى 1401هـ 1981م ص 1 / 794 . 795

. إمّا أنّه متقلب وغامض، وعلى هذا الأساس يصعب تحديد الحالة اللسانيّة على ضوئه.

. وإمّا أنّه غير محسوس، وبالتالي لا يمكن أن يعوّل عليه في الدرس اللغوي الذي يخضع للملاحظة ، وعلى هذا الأساس أعطى مؤسس اللسانيات الوصفيّة الحديثة (دي سوسير) قيمة للقيمة اللّغوية على حساب المعنى، لأنّ اللّغة في نظره " لا يمكن أن تكون إلّا نظاما من القيّم المجردة، وتكمن قيمة الكلمة في خاصيتها التي تمكنها من تمثيل فكرة معينة "[1]. ومادامت دلالة الكلمة غير ثابتة، ومتأرجحة بين المعاني المتزاحمة، ولا يمكن أن يتعين لها معنى معين إلّا من خلال محامل؛ أو مصوّغات مساعدة؛ أو فضاءات سياقية خاصة.

فليست قيمة اللّفظ إذاً ثابتة ما دمنا نقتصر على ملاحظة أنّه يمكن مبادلته (وتعويضه) بهذا التصوّر؛ أو ذاك ، أي أنّ له هذه الدلالة؛ أو تلك، وينبغي بالإضافة إلى ذلك أن نقارنه بقيم أخرى مماثلة، وبألفاظ أخرى مقابلة، ولا يتعين هذا اللفظ تعيينا دقيقا إلّا بتضافره مع ما يوجد في سياقه، وخارجه من محامل ولوازم، ولمّا كان هذا اللفظ جزءا من نظام فليس له فقط معنى، بل له أيضا وعلى الأخص قيمة "[2].

وإن كان دي سوسير صرّح بأنّ هناك تداخل كبير بين القيمة والدلالة، فقال :" فإن نظرنا إلى القيمة من جهتها التصوّرية كانت بدون شك عنصرا من الدلالة، وحينئذ يصعب علينا أن نعرف كيف تتمايز الدلالة من القيمة، وكانت القيمة مستغرقة لها"[3]، وبعد عرضه لأمثلة من لغات متعددة استنتج أنّ بعض اللّغات تتسع ولا تتقيد، وتطابق معاني بعض الألفاظ بين لغتين في كثير من

---

[1] . مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط الرابعة . 2008م ص 129

2 . دي سوسير فرنديناند، محاضرات في علم اللسان، ترجمة : عبد القادر قنيني، إفرقيا الشروق، الدار البيضاء المغرب ط3 . 2016 ص 169

[3] . المرجع نفسه ص 167

المواضع يكاد يكون منعدم .

وخلاصة ذلك قال " لو كان من شأن الألفاظ أن تمثل تصوّرات سبق وضعها لكان لكلّ لفظ في كلّ لغة على حدة مقابلات متناظرة من جهة المعنى، ولكن الأمر على خلاف ذلك "[1]، لأنّ المعاني لم يتقدم وضعها وإعدادها من قبل.

أمّا " القيّم صادرة عن النّظام اللساني"[2]، والقيمة " تتعين بعلاقاتها مع سائر القيّم الأخرى لضروب المشابهة من تماثل ومقارنة وغيرها، ولولاها ما وجدت دلالة، ولا معنى، فعندما أثبت فقط بأنّ هذا اللّفظ يدل على شيء (ما)، وعندما اقتصر فيه على تداعي الصورة السمعيّة وارتباطها مع التصوّر فإني أكون قد قمت بعمليّة أن تكون صحيحة من بعض الوجوه، وأكون قد أخبرت عن الواقع، ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أني عبرت عن حالة لسانيّة في ماهيتها، وفي أوسع مداها"[3]، ومن هنا كان اهتمام دي سوسير بالقيمة اللّغويّة أكثر من الدلالة ومنها المعنى وفقا لمنهجه الذي يرى من خلاله أنّ معالجة القيمة اللّغوية أكثر فاعليّة في الدرس اللّغوي لارتباطها بنظامها اللساني قصد التعبير عن حالة لسانيّة في كنهها وماهيتها.

. أمّا أصحاب النّظرية السلوكيّة والإستغراقيّة (التوزيعية) فإنّنا نكاد أن نقول إنّهم لم يعتمدوا على المعنى في دراستهم اللسانيّة إلّا إذا ضاقت بهم السبل، ولم يجدوا لها مخرجا إلّا به، لأنّ المعنى ببساطة ظاهرة غير محسوسة، ولا يمكن إخضاعه للتجربة قصد الوصول إلى نتائج ثابتة[4]

---

[1] . المرجع نفسه ص 170

[2] . دي سوسير، محاضرات في علم اللسان . ص 171

[3] . المرجع نفسه ص 171

[4] . انتقد أستاذنا المرحوم عبد الرحمن الحاج صالح هذا الاتجاه . وبخاصة أصحاب النظريّة السلوكية . واصفا إيّاه بالتطرف فقال :" ثَمَّ الظن في هذه الأيام الأخيرة بأنّ السلوك اللغوي هو الذي يستحق وحده أن يؤخذ بعين الاعتبار في المشاهدات والعمليات الوصفية . أمّا ما توارى من الظواهر وما لا يمكن أن يلاحظ في ضمن هذا السلوك

تقول الدكتورة خولة طالب الإبراهيمي :" كما أنّهم يرون أنّ المعاني تحدد بألفاظها، فإذا جعلنا المعنى هو منطلقنا نقع في حلقة مفرغة، وهم إذ يرفضون الاعتماد على المعنى في دراستهم للغة يبتعدون عن الذهنيّة التي عرفت بها بعض اتجاهات البحث في اللّغة في أمريكا خاصة عند اللّغوي المشهور إدوارد سابير"[1].

بيد أنّ من علمائنا القدامى عبد القاهر الجرجاني ناقش هذه المسألة وعالجها معالجة لغويّة، وأقام الحجج والبراهين الساطعة على من فرق بين ثنائية اللفظ والمعنى، وبين أنّهما كل متكامل فقال رادا على رأي من انتصر للفظ دون المعنى :" واعلم أنّ الداء الدوي والذي أعيا أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه، وأقل الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزيّة إن هو أعطى إلّا فضل عن المعنى، يقول : ما في اللفظ لولا المعنى؟ وهل الكلام إلّا بمعناه ؟ فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر"[2] ، وفي مواضع متفرقة من كتابه دلائل الإعجاز أكد على تواشج ثنائية اللفظ والمعنى، وبيّن أنّ الألفاظ لو كانت خلوا من معانيها المقصودة من رصفها لما أفادت فقال :" إنّ العاقل يرتب في نفسه ما يريد أنّ يتكلم به "[3] فالألفاظ المؤلفة لكلام ما؛ أو رصف معين تقتضي ترتيبا حسب ترتيب المعاني في النّفس.

فالدلالة في حقيقة الأمر امتداد طبيعي لأي رصف؛ أو تركيب، فإذا افتقدت الدلالة منه دخل في دائرة الهذيان؛ أو اللغو على أقل تقدير، قال ابن جني :" فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها

فيجب أن لا يعتد به لغيابه عن الحواس ، وهذا ما أثر المذهب التجريبي المتطرف وبالخصوص المذهب البيهافيوري (أي السلوكي) وهو رد فعل على كل منهاج غير معتمد بظاهر الأمور ، فهو نوع من الظاهريّة المنهجيّة " ينظر مدخل إلى علم اللسان . مجلة اللسانيات الجزائر 1917م، معهد اللعلوم اللسانيّة والصوتيّة، المجلد الأول 1 / 16

[1] . الإبراهيمي خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر الجزائر ط 2000م ص 88

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 251

[3] . المصدر نفسه ص 405

(أي اللّغة) وحسنوها، وحموا حواشيها وهذبوها، وصقلوا غروبها وأرهفوها، فلا ترينّ أنّ العناية إذ ذاك إنّما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة للمعاني"[1].

ويتجلى ترابط ثنائية اللّفظ والمعنى بوضوح تام من خلال ترابط الألفاظ نحويا، وتعالقها دلاليا في رصف مخصوص يمنع تنافرها، ويرفع غموضها، ويبرز معناها المراد، قال الجرجاني :" لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها معنى، ويؤلف منها كلاما لم تر عاقلا يعتد السهولة فيها فضيلة، لأنّ الألفاظ لا تراد لأنفسها، وإنّما تراد لتجعل أدلة على المعاني"[2].

فسبب تشويش معاني الألفاظ وتعميتها راجع إلى عدم ترتيب الألفاظ حسب معانيها المنبثقة من رصفها الذي هي منه كما يقتضيه هذا الرّصف المخصوص" فحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرّصف والتركيب شعبة من التعميّة "[3].

فلا يمكن إدراك المراد من كلام ما، والوقوف على القصد والغرض منه إلّا باستيفاء رصفه لجميع وحداته المتعالقة والمترابطة مثبتة ومقدرة ومحتملة، فبفقد الرّصف وحدة من وحداته يعتري المعنى المراد منه تشويشا وتعميّة وانحرفا يغير منحاه الدلالي، قال ابن الأنباري :" إنّ كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلّا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه "[4].

والخلاصة : لا قيمة لمعنى ولا للفظ إلّا من خلال الرّصف، بل عناصر اللّغة من ألفاظ ونحو وصرف وبلاغة وأسلوب ودلالة لا قيمة لها إلّا في رّصف مخصوص، ونظم يحتويها، وحركتها في

---

[1] . ابن جني، الخصائص 2 / 217

[2] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 522

[3] . ينظر أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ص 161

[4] . السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللغة 2 / 397 . 398

سياقها الذي هي فيه.

ومع ذلك أشير في خاتمة هذا المبحث إلى أنّ هذا المركب العطفي (اللّفظ والمعنى) يحتاج إلى دراسة دقيقة، وتشريح أوسع كما قال الدكتور صابر الحباشة :" رغم كثرة دوران هذا المركب العطفي (اللفظ والمعنى) على الألسن فإنّنا لا نقف على من يشرح لنا هذا الزوج ، وكأنّ التواتر الشديد لاستعمال هذا الزوج في النقد والدراسات يعفينا من تجشم شرح الواضح وتفسير المبذول "[1].

وقد تساءل الباحث محمد صلاح الدين الشريف انطلاقا من العبارة الجاريّة على الألسن والتي مفادها (أنّ اللّغة عبارة عن صياغة لفظيّة تسم بعض المعنى المقصود)، فقال :" ألا يدلّ هذا التساؤل أنّه يفترض مسبقا أنّنا نعتقد أنّ اللّغة متمثلة في اللفظ لا في المعنى ؟

ألا يدل اتهامنا للّغة أنّها عاجزة عن تأدية المعنى كاملا، أنّنا نعتقد أنّ المعنى شيء خارج عن اللّغة، وعلى اللّغة توصلنا إليه ؟" [2]

ثمّ عكس التصوّر متسائلا فقال :" لو افترضنا مسبقا عكس ما مضى، وهو أنّ اللّغة هي في أساسها المعنى، أفلا يتحول السؤال تساؤلا في قدرة اللّفظ على التعبير عن اللغة ؟ "[3].

علق الدكتور صابر الحباشة على هذه التساؤلات فقال :" إنّ مثل هذه التنبيهات تسعفنا برؤية غير تقليدية لمقاربة المعنى واللّفظ، وهي طريقة في النّظر تحفزنا على طلب المعنى في صلب اللّغة

---

[1] . الحباشة صابر، المنحى الدلالي . دراسات في الاشتراك الدلالي ووجوه المعنى . دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط الأولى 1434هـ 2013م . ص 12

[2] . الشريف محمد صلاح الدين، الشرط والإنشاء النحوي للكون، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب بمنوبة تونس ط 2002 . 1 / 45 / ينظر الحباشة صابر المنحى الدلالي، ص 26

[3] . المرجع نفسه 1 / 45

وبين أعطاف النّظم، لا في النّفس؛ أو في الذهن فحسب"[1]، وهذا الذي أحاول أن أسعى إليه من خلال رصف الكلام ونظمه.

[1] . الحباشة صابر، المنحى الدلالي ص 27

الفصـــل الثانـــي : الرّصف في القرآن الكريم

1 . القرآن الكريم

2 . الأحرف السبعة

3 . القراءات القرآنية

4 . ترجمة القرآن الكريم

5 . الإعجاز في القرآن الكريم

6 . رصف القرآن ودلالاته

7 . القَصص القرآن

تمهيد:

القرآن الكريم هو الكتاب الخالد، والمعجزة الباقيّة بقاء الدهر، محفوظ من لدن حكيم خبير، قال الله تعالى في محكم التنزيل ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ٩**﴾ [الحجر: 9] لا تضارب بين ألفاظه وتراكيبه، ولا تناقض بين أساليبه، ولا اختلاف فيه " فلا تجد معنى يعارض معنى، ولا حكما يناقض أو يهدم حكما مع نزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة، كذلك لا نجد في عباراته (آياته) اختلافا في مستوى البلاغة، ولا تفاوتا في فصاحة التعبير، وإنّما كلّ ما جاء فيه في ميزان واحد من الجزالة والمطابقة لمقتضى الحال..."[1]، قال تعالى﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا٨٢**﴾ [النساء: 82]، فهو قائم على التحدي، فلو اجتمعت الإنس والجنّ أولهم وآخرهم على صعيد واحد، وبعقل رجل واحد على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، بل بسورة من مثله ما استطاعوا، ولن يستطيعوا ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا٨٨**﴾ [الإسراء: 88]

فالبحث اللساني في القرآن الكريم على كثرته قليل، لأنّ القرآن العظيم (حمّال أوجه) . كما قيل . ومَعِين لا ينضب، سخي معطاء على مرّ الأزمان لا تنقضي عجائبه، ولا تنته أسراره، " ورغم تحامل كثير ممّن زلت بهم أقدامهم من الشرقيين والمستشرقين على القرآن الكريم ومحاولة الطعن في بنائه وإعجازه إلّا أنّهم نكصوا على أعقابهم، وبقي القرآن راسخ القدم، باهر الآيات، معجز التراكيب والدلالات، ممّا يشهد به المنصفون من كلّ ملّة ونِحلة، لأنّه كتاب العربيّة الأكبر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبه كانت العربيّة ثريّة بألوان الأساليب، سخيّة في إعطاء

[1] . الزحيلي وهبة، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر بيروت لبنان، ط 21 . 2015م .1 / 417

التراكيب ..."[1].

فكلّ ظاهرة قرآنيّة متناولة قابلة للبحث ثانيّة ومن وجه ثان وثالث ورابع ...لأنّ المناهج متعددة ومتبايّنة الوجهة والمشرب.

وفي دراستي لظاهرة رصف القصص القرآني الذي جاء بطريقة عجيبة بديعة، ونُظم نظما فريدا منقطع النظير، دونه كلّ رصف ونظم ممّا تنتجه الأفهام البشريّة مهما بلغت من الجودة والسبك وقفت على دلالات ومعاني باهرة من حيث الأصوات والألفاظ والتراكيب والتناسق والانسجام التّام في القصة الواحدة التي تصب جميعها في المنحى المرسوم للقصة، وتتساوق مع معالمها العامة ومقاصدها، ولا غرو في ذلك لأنّه ملتمس من القرآن الكريم، أو مستقى ممّا سماه الرافعي في إعجازه بالمعجم التركيبيّ المجسد للقرآن الكريم باعتباره أصل فنون البلاغة كلّها، لأنّه يتميز بسمو الطبيعة اللغويّة، وإحكام البيان، وانتظام محاسنه"[2].

[1] . جيجك محمد خليل، أثر المعنى في القرآن الكريم، دار السلام القاهرة ط1 . 1999م . ص 24

[2] . ينظر الرافعي مصطفى الصادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت، ط الثامنة 1425هـ 2005م ص 174

1 . القرآن الكريم

1 . 1 . لغة واصطلاحا :

1 . 1 . 1 . القرآن لغة :

أحاول في هذا الشقّ من هذا المبحث تتبع أراء العلماء العرب قديما للفظة **(القرآن)** ودلالاتها اللّغويّة، وأصل اشتقاقها :

. الفريق الأول : يرى أنّ لفظ **(القرآن) مهموز ومشتق**، واختلف أصحاب هذا الرأي في أصل اشتقاقه ودلالته ومعناه على قولين : .

الأول : أنّ **القرآن** مشتق من **(القَرْء)** بمعنى **الجمع**، قال الزجاج :" أنّ لفظ القرآن مهموز على وزن **(فعلان)** مشتق من **(القَرْء)** بمعنى الجمع، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، لأنّه جمع ثمرات الكتب السابقة "[1] .

وذهب صاحب معجم مقاييس اللّغة إلى أنّ **(قرى و القرء)** كلاهما يدلان على معنى الجمع والاجتماع، فقال :" **(قرى)** القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدلّ على جمع واجتماع، من ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع النّاس فيها، ويقولون قَريت الماء في المِقراء : جمعته، وذلك الماء المجموع قَرِيّ... وإذا هُمز هذا الباب كان هو والأول سواء، يقولون ما قرأت هذه الناقة سَلَى، كأنّه يُراد أنّها ما حملت قط، قال :

---

[1] . الزركشي، **البرهان** في علوم القرآن 1 / 278

ذِراعَيْ عَيطلٍ أدماء بِكرٍ هجانِ اللّونِ لم تَقرأْ جَنينا[1]

قالوا : ومنه **القرآن**، كأنّه سمّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك ..."[2]، وجاء في لسان العرب :" قرأت الشيء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلى قط[3]، وما قرأت جنينا قط، أي لم يضطم رحمها على ولد، وأنشد : (هجان اللّون لم تقرأ جنينا).

وقال أكثر النّاس معناه : لم تجمع جنينا، أي لم يضطم رحمها على الجنين"[4].

. الثاني : القرآن مشتق من **قرأ** بمعنى **تلا**، ذهب إلى هذا اللحياني، فقال :" أنّ لفظ القرآن مصدر مهموز بوزن (**الغفران**) من (**قرأ**) بمعنى (**تلا**)، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر"[5].

. الفريق الثاني : يرى أنّ لفظ (**القرآن**) **مشتق** غير **مهموز**، واختلفوا في أصل اشتقاقه على قولين :

. الأول : القرآن : مشتق من (**القرائن**)، يرى الفراء بأنّ القرآن " مشتق من القرائن جمع قرينة، لأنّ آياته يشبه بعضها بعضا، فكان بعضها قرينة على بعض... وواضح أنّ النّون في قرائن أصلية"[6].

. **الثاني : القرآن** مشتق من (**قرن** الشيء بالشيء)، وهذا مذهب أبي الحسن الأشعري، ومن حذا

---

[1] . من معلقة عمرو بن كلثوم الشهيرة، ينظر الزوزني حسين بن أحمد بن حسين أبو عبد الله(ت 486هـ)، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى 1423هـ 2002م ص 218

[2] . ينظر ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللّغة . 5 / 78 . 79

[3] . يقال للتي لم تحمل قط ولم تضم في رحمها ولدا قط : (ما قرأت سلى)

[4] . ابن منظور، لسان العرب 1 / 128

[5] . السيوطي، الإتقان للسيوطي 1 / 87

[6] . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 1 / 87

حذوه بأنّ القرآن " مشتق من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، لأنّ السور والآيات تقرن فيه، ويُضم بعضها إلى بعض"[1].

. الفريق الثالث : ذهب إلى أن لفظ (**القرآن**) اسم ليس **بمهموز ولا مشتقا،**

قال في لسان العرب :" وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنّه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول: (**القران**) اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من (**قرأت**)، ولكنّه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل، ويهمز (**قرأت**) ولا يهمز (**القران**)..." [2].

والظاهر أنّ الإمام الشافعي اعتمد على القراءة المتواترة لابن كثير المكي الذي يقرأ لفظة (القرآن) بغير همز (القران).

ولعلّ لفظ القرآن يستجيب لجميع الدلالات والمعاني السابقة، ويقبلها مجتمِعة للدلالة عليه، فيمكن أن نقول المصدر من (**قرأ**) هو **القرآن** ، مثل رجح رجحان، غفر غفران بزيادة ألف ونون، وقد يكون (**قرآن**) بمعنى (**مقروء**)؛ أو مجموع ومضموم؛ أو بمعنى مظهر ومبرز، أي أنّ القارئ أبرز حروفه وكلماته، وأظهرها بنطقه، وقراءته، لأنّ المصدر يأتي ويراد به اسم مفعول كمصدر لفظ بمعنى ملفوظ، والقرآن في الأخير هو اسم علم لا يعرف به إلّا كتاب الله عزّ وجلّ المهيمن على الكتب السماويّة السابقة ناسخا لشرائعها وخاتما لها.

قال صاحب كتاب القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي :" وأعتقد أنّه من

---

[1] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 1 / 278

[2] . ابن منظور، لسان العرب، 1 / 128 . 129

الممكن اجتماع هذه المعاني كلّها معا حين يكون لفظ (قرآن) مصدر من (قرأ)، لأنّه مقروء مجموع بعضه إلى بعض حين (يقرأ)، وهو بقراءته يكون ظاهرا بارزا بنطق الحروف والكلمات"[1].

1 . 1 . 2 . القرآن اصطلاحا

أذكر ههنا بعض التعريفات الاصطلاحية للقرآن الكريم عند علمائنا القدامى والمحدثين من الجهة العلمية لا من الجهة الحقيقية، لأنّه لا يمكن البتّة أن يضبط كلام الله تعالى بتعريف خاص يحدّه، ويقيده، ولا يمكن أن " تنطبق عليه الحدود المنطقية ذوات الأجناس والفصول والخصائص إلاّ تجاوزا "[2]، فكلام الله لا حدّ له، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنفذ أسراره، قال تعالى ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ١٠٩**﴾ [الكهف: 109] وقال أيضا ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧**﴾ [لقمان: 27] .

قال صاحب كتاب النّبأ العظيم :" ولمّا كان القرآن بهذا المعنى الاسمى جزئيا حقيقيا كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، وذلك شأن كلّ الجزئيات الحقيقية لا يمكن تحديدها بهذا الوجه، لأنّه يقبل الانطباق على كلّ ما يفرض مماثلا له في ذلك الوصف ذهنا، وإن لم يوجد في الواقع فلا يكون مميّزا له عن جميع ما عداه، فلا يكون حدا صحيحا، وإنّما يحدد الجزئ بالإشارة إليه حاضرا في الحس؛ أو معهودا في الذهن.

فإذا أردت تعريف القرآن تعريفا تحديديا فلا سبيل لذلك إلاّ بأن تشير إليه مكتوبا في المصحف؛

---

[1] . ابن التواتي التواتي، القراءات القرآنية وأثارها في النحو العربي والفقه الإسلامي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة الجزائر. ط 2008م . ص 31

[2] . ابن عبد الكريم محمد (الجزائري)، توجهات القرآن العظيم، الناشر مؤسسة المعالي للنشر والإعلان، ط الأولى 2013م . 1 / 14

أو مقروءا باللسان، فنقول : **هو ما بين هاتين الدفتين**؛ أو تقول : هو **(لبسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين....إلى (من الجنّة و النّاس)**.

أمّا ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس والفصول كما تعرف الحقائق الكليّة فإنّما أرادوا به تقريب معناه، وتمييزه عن بعض ما عداه، ممّا قد يشاركه في الاسم ولو توهّما، ذلك أنّ سائر كتب الله تعالى، والأحاديث القدسية، وبعض الأحاديث النبويّة تشارك القرآن في كونها وحيا إلهيا، فربّما ظنّ ظانّ أنّها تشاركه في اسم القرآن أيضا، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع "[1].

. من القدامى تعريف أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) للقرآن الكريم، قال :" **الكتاب ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبع المشهورة نقلا متواترا** "[2].

ثمّ قال في شرح هذا التعريف :" ونعني بالكتاب القرآن، وقيدناه بالمصحف لأنّ الصحابة بالغوا في الاحتياط في نقله حتى كرهوا التعاشير والنقط، وأرادوا التجريد كي لا يختلط بالقرآن غيره، ونقل إلينا متواترا، فنعلم أنّ المكتوب في المصحف الشريف المتفق عليه هو القرآن"[3].

فرغم الاحترازات التي وضعها الشيخ أبو حامد الغزالي في تعريفه حتّى لا ينصرف هذا التعريف لغير القرآن الكريم إلّا أنّ هناك بعض الملاحظات سجلها العلماء عليه قديما وناقشوها، ومنهم اللّغوي الأصولي الإمام الآمدي قال :" أمّا حقيقة الكتاب فقد قيل فيه : هو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف بالأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا ، وفيه نظر، فإنّه لا معنى للكتاب سوى القرآن

---

[1] . ينظر دراز محمد بن عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ . 2005م . ص43

[2] . الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، تحقيق : عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الثالثة 2014م . 1 / 132

[3] . المصدر نفسه 1 / 132

المنزل علينا على لسان جبريل... والأقرب في ذلك أن يُقال : **الكتاب هو القرآن المنزل** "[1].

ثُمَّ بيّن ذلك فقال :" فقولنا **(القرآن)** احتراز عن سائر الكتب المنزلة من التوراة والإنجيل وغيرهما، فإنّها وإن كانت كتبا لله تعالى فليست هي الكتاب المعهود لنا، المحتج به شرعا على الأحكام الشرعية الذي نحن بصدد تعريفه، وفي احتراز عن الكلام المنزل على النّبي صلى الله عليه وسلم ممّا ليس بمَتْلُوٍّ... وقولنا **(المنزّل)** احتراز عن كلام النّفس، فإنّه ليس بكتاب، بل الكتاب هو الكلام المُعبِّر عن الكلام النفساني..."[2].

وممّن حذا حذو القدامى في تعريفه الإصطلاحي للقرآن الكريم من المحدَثين الدكتور محمد رمضان سعيد البوطي، وصاغه على نهج الأوائل مع أكثر بيان، قال :" **القرآن هو اللّفظ العربي المعجز الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته، والواصل إلينا عن طريق التواتر**"[3].

وفي هذا التعريف الدقيق قيود أربعة، لكلّ قيد دلالات واحترازات، قال صاحب التعريف:" إذا تأملت هذا التعريف وجدت فيه قيودا أربعة هي : المعجز، الموحى به، المتعبد بتلاوته، المتواتر...

فإذا تأملت هذه القيود الأربعة في التعريف تصورت حقيقة القرآن خالية عن شوب، أي ليس بالحديث النبوي؛ أو القراءة الشاذة؛ أو الحديث القدسي؛ أو الترجمة الحرفية أو غير الحرفية للقرآن..."[4].

فيمكن القول أنّ القرآن هو : (كلام الله المعجز المنزّل على سيّدنا محمد رسول الله صلى الله

---

[1] . الآمدي سيف الدين أبو الحسن علي بن أبو علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1403هـ . 1983م . 1 / 228

[2] . الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام 1 / 228

[3] . البوطي محمد سعيد رمضان،من روائع القرآن . تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزّ وجلّ، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 1420 هـ . 1999م . ص 25

[4] . ينظر المرجع نفسه ص 25 . 31

عليه وسلم منجما طيلة ثلاث وعشرين عاما، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المرتب ترتيبا توقيفيّا بداية بسورة الفاتحة ونهاية بسورة النّاس وفق العرضة الأخيرة من العام الذي انتقل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى).

1 . 2 . أسماء القرآن الكريم

سمي كتاب الله بالقرآن كما أنّ له أسماء أخرى عدّها العلماء نحو خمسة وخمسين اسما[1] أشهرها : القرآن والكتاب والفرقان والذكر والنور والروح والمصحف... ومنها كذلك القصص مطلع سورة يوسف ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ٣**﴾ [يوسف: 3] ، نشير هاهنا إلى أشهرها تداولا بين النّاس وأكثر استعمالا على ألسنتهم

أولا : القرآن

لفظ القرآن الذي ذكر في كتاب الله ما يزيد عن ثمان وستين مرة (68) هو اسم يطلق على كلام الله عزّ وجلّ المنزّل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب الخاتم، ولم تكن تسميّة كلام الله بالقرآن تسميّة من البشر، ولا من الملائكة، ولا من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إنّما هو من الله تعالى، قال صاحب القراءات القرآنية وأثارها في النحو والفقه الإسلامي " إطلاق لفظة قرآن على كلام الله لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من أصحابه؛ أو غيرهم، ولكن من الله عزّ وجلّ، فهو الذي أطلق عليه هذا الاسم (القرآن) بعد أن بدأ نزوله بآية ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ١**﴾ [العلق: 1]، وكذا هذا الإطلاق في أوائل ما نزل منه، قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا٤**﴾ [المزمل: 1-4] "[2] والشواهد

---

[1] . ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ص 79

[2] . التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثارها في النحوالعربي والفقه الإسلامي ص 29

من كلام الله صريحة في هذه التسميّة الإلهيّة لا تحتاج إلى بيان، منها :

قوله تعالى في مطلع سورة طه ﴿**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى٢**﴾ [طه: 2] ، وقوله في أوائل سورة يوسف ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ٢**﴾ [يوسف: 2],

قال الإمام الشافعي :" فإنّ الله سمّاه هكذا (القرآن) كما سمي المنزّل على موسى بالتوراة و سمي المنزّل على عيسى بالإنجيل ، فهو عَلَم؛ أو اسم، والأسماء لا تعلل "[1].

ولعلّ من سمات لفظ القرآن تسميّته المتفردة التي لا يشاركه غيره فيها، لأنّها من لدن الله جلّ وعلا تطلق اسما عَلَما على جميع كلام الله المنزّل على رسول الله سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم المثبت في المصحف الإمام (العثماني)، وكذلك الجزء منه أو السورة أو الآية والآيات تسمى قرآنا . وتكاد هذه الصفة ممّا يتميّز بها لفظ القرآن عن باقي تسميّات كلام الله تعالى.

ومن الشواهد القرآنيّة الصريحة الدالّة على أنّ لفظ القرآن كما يطلق على كلام الله كلّه يطلق على الجزء منه قلّ أو كثر ما جاء على لسان الجنّ في سورة الأحقاف ﴿**قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ٣٠**﴾ [الأحقاف: 30] ، وفي مطلع سورة الجنّ قال تعالى ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا١**﴾ [الجن: 1] فالملاحظ أنّ سياق كلمة القرآن المستعملة بين ثنايا الآيتين الكريمتين تدلّ دلالة واضحة على أنّ القرآن لا يقصد به ههنا كلّ القرآن المنزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم طيلة ثلاث وعشرين سنة وإنّما على جزء أو سورة أو آيات أو آية تسمى قرآنا، وممّا لا يترك للشّك سبيلا أنّ الجنّ استمعوا بعضا من القرآن الكريم، وهذا ما دلّت عليه السنّة النّبويّة . ومن الآيات التي تحتمل فيها لفظة القرآن المعنيين . القرآن كلّه أو جزء منه . آية الأعراف ﴿**وَإِذَا**

[1] . الزركشي، البرهان في علوم القرآن 1 / 278

قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ٢٠٤﴾ [الأعراف: 204] ، وآية النحل ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ٩٨﴾** [النحل: 98].

وفي المنحى الدلالي نفسه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**)[1].

فلفظ (**القرآن**) يشبه لفظة (**الكلمة**) التي تطلق على تمام الكلام كلّه وكثيره وكذلك تطلق على جزئه وقليله، قال تعالى ﴿**لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ١٠٠﴾** [المؤمنون: 100]، وقال ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ٢٤﴾** [إبراهيم: 24].

ثانيا : الكتاب

وأمّا تسميّة كلام الله كتابا فلعلّه راجع .كما قال صاحب الإتقان . إلى " جمعه العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه "[2]، وقد تكرر هذا اللفظ بين دفتي المصحف مائة وستين مرة (160)، منها ما يزيد عن خمسين آية (50) ذكرت فيها لفظة الكتاب خاصة بالكتاب المنزّل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

بين القرآن والكتاب :

قد سمى الله تعالى كلامه المقدس المنزّل على النبيّ الخاتم صلى الله عليه وسلم تسميّات كثيرة غير أنّ القرآن والكتاب أكثر ذكرا وانتشارا في سياقات مختلفة في المصحف الشريف، متفرقين تارة ومجتمعين في رصف واحد تارة أخرى، ممّا يلفت الانتباه، ولعلّ من الدلالات :

---

[1] . البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق : د / مصطفى الديب البغا، دار ابن كثير ، واليمامة، دمشق ، ط الخامسة 1414هـ . 1993م رقم الحديث 4739 . 4 / 1919

[2] . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ص 80

. الاهتمام بحفظه في الصدور، والعناية التامة بتدوينه وكتابته ونسخه توقيفا

قال الشيخ عبد الله دراز :" روعي في تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أنّ من حقّه العناية بحفظه في موضعين لا موضع واحد، أعني يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا"[1]

. تعدد الدلالات بتعدد الرّصف والسيّاق

. اجتماع لفظتي القرآن والكتاب في رصف قرآني واحد معين نحو : . قوله تعالى في مطلع سورة النمل قال تعالى ﴿**طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ١**﴾ [النمل: 1] ، قال صاحب التفسير الوسيط :" وقوله تعالى (**كتاب مبين**) معطوف على القرآن من باب عطف إحدى الصفتين على الأخرى، كقولهم هذا فعل فلان السخي، والجواد الكريم"[2].

وقال الآلوسي :" و**المبين** : إمّا من **أبان** المتعدي، أي مظهر ما في تضاعيفه من الحِكم والأحكام وأحوال القرون الأولى... وإمّا من **أبان** اللازم بمعنى بان، أي ظاهر الإعجاز... وهو على الاحتمالين : صفة مادحة لكتاب، مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة..."[3].

. وقوله تعالى ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ٧٧ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ٧٨**﴾ [الواقعة: 77-78]

. وفي مطلع سورة الحجر ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ١**﴾ [الحجر: 1]

قال في زبدة التفسير في معرض تفسير مطلع سورة النّمل :" المراد بالكتاب المبين : القرآن نفسه،

---

[1] . دراز عبد الله ، النبأ العظيم ص 41 . 42

[2] . طنطاوي محمد سيّد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار السعادة مصر، (د . ت) 10 / 300

[3] . الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1415هـ . 10 / 152

فقد وصف الآيات بالوصفين :

. القرآنية الدالة على كونه مقروءا عربيا معجزا.

. والكتابية الدالة على كونه مكتوبا مع الإبانة لمعانيه لمن يقرؤه، أو هو بمعنى بان معناه، واتضح اعجازه بما اشتمل عليه من البلاغة"[1]

ثالثا : المُصحف

لفظة (**المُصحف**) قرئت ميمها بالضم والفتح والكسر، والضم أشهر. وتجمع على مصاحف، ومعنى المصحف " هو الجامع للصحف المكتوبة بين دفتين، وهو من أُصْحِفَ ، أي جُمعت في الصحف؛ أو جُعل جامعا للصحف المكتوبة.

والصُحُف : مفردها صحيفة : وهي قطعة من جلد؛ أو قرطاس (ورق) يكتب فيها، وتجمع أيضا على صحائف..."[2].

واختلف العلماء في أول من استعمل لفظة (المصحف) اسما للقرآن الكريم، روى صاحب غرائب القرآن ورغائب الفرقان " أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه استشار النّاس بعد جمع القرآن[3] في اسمه فسماه مصحفا "[4]، وذكر صاحب الإتقان في ما رواه عن المظفري في تاريخه قوله :" لمّا جمع أبو بكر القرآن قال سمّوه ، فقال بعضهم سمّوه (إنجيلا) فكرهوه، وقال بعضهم سمّوه (السِفر) فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود : رأيت بالحبشة كتابا يدعونه (المصحف) فسمّوه به

---

[1] . الأشقر محمد بن سليمان بن عبد الله، زبدة التفسير من فتح القدير (تفسير مختصر من تفسير الإمام الشوكاني فتح القدير)، مكتبة دار الفيحاء للنشر دمشق، ومكتبة دار السلام الرياض، ط الخامسة، 1994م ، ص 494

[2] . ينظر ابن عبد الكريم محمد، توجيهات القرآن العظيم 1 / 19

[3] . والمقصود بجمع القرآن ها هنا الجمع الأول على عهد الخليفة الراشد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه

[4] . النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد بنحسين القمّي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق : الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1416هـ . 1 / 29

وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسمّاه المصحف"[1].

وما نلحظه على هذه الروايات أنّها تدل في الظاهر على أنّ أصل هذه التسمية من الحبشة، بيد أن لفظة صحف ذكرت في القرآن ما يزيد عن ثماني مرات، نحو ما جاء في سورة : النجم والأعلى. والقرآن نزل بلسان عربي مبين، فهي لفظة عربيّة النّزعة مبنى ومعنى، دافعة للقول الذي يراها بأنّها حبشية الأصل.

قال صاحب توجهات القرآن العظيم :" فهذا ممّا يجعلنا على يقين بأنّ هذه التسمية المباركة من استنباط أبي بكر وأصحابه مبنى ومعنى، وليس للأعاجم دخل فيها إطلاقا، ولعلّ الاستنباط لصيغة (المُصحف) كان إلهاما لهم من القرآن الذي قد جاء بلفظة مصحف ثماني مرات"[2] .

رابعا : القَصص

لفضة (القَصص) عدّها أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذلة من أسماء القرآن فقال :" اعلم أنّ الله سمى القرآن بخمسة و خمسين اسما ، سماه كتابا و مبينا ... و قرآنا وكريما... وقصصا (**أحسن القصص**)"[3].

ولعلّ ما ذهب إليه أبو المعالي بأنّ القَصص اسم من أسماء القرآن راجع لكثرة الآيات التي يفهم منها الدلالة على أنّ لفظة القَصص قد تطلق على قصص الأوائل من الأنبياء عليهم السلام وغيرهم، كما تطلق على القرآن الكريم؛ أو كتاب الله، من هذه الآيات قوله تعالى ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ٦٢**﴾ [آل عمران: 62]، وقوله تعالى (**فاقْصُصِ القَصَصَ لعلَّهم يتَفكرون**) 176الأعراف).

---

[1] . ينظر السيوطي،الإتقان في علوم القرآن ص 82

[2] . ابن عبد الكريم محمد، توجهات القرآن العظيم 1 / 20

[3] . ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ص 79 . 80

أمّا ما دلّ على قصص الأوائل فنحو قوله تعالى﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ٣**﴾ يوسف **03**

1 . 3 . جاذبية القرآن الكريم وقوة تأثيره

للقرآن الكريم جاذبية عجيبة، وقوة تأثير لا مثيل لها، تأخذ بالألباب، وينقاد لها العقل السليم، لأنّها من الحقّ الأبلج الذي لا يتعارض على الإطلاق مع العقل السليم، لا يَملّ سماعه صاحب الفطرة النقية، لأنّه كما وصفه علي رضي الله عنه (حبل الله المتين والنور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، وعبادة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيع فيستعتب[1]، ولا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد)[2]، " فيه علم الأولين والآخرين"[3].

والمنصف حتى وإن كان من ألد الأعداء لهذا القرآن لا يسعه إلاّ أن يحذو حذو ما قاله الوليد بن المغيرة . وهو على شركه . واصفا القرآن العظيم بأصدق وصف، ولم يمنعه كفره قول كلمة حَقٍ في حَقِ القرآن :" والله إنّ لهذا الكلام لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه يعلو وما يُعلى...وإنّه ليس من كلام الجنّ، ولا من كلام الإنس"[4].

فالقرآن الكريم يأسر النفوس الرقيقة، ويستحوذ على مجامع القلوب السليمة، فتستسلم له طواعيّة غير مكرهة، قال تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ**

---

[1] . ولا يزيغ فيستعتب: أي أنّه لا يميل ولا ينحرف عن الحق فيطلب منه العتبى أي الرجوع إليه.

[2] . وقيل حديث مرفوع، رواه الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك أبو عيسى (ت 279هـ)، سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبد الباقي و إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ط الثانية 1395 هـ -1975م رقم الحديث 2906 172/5 .

[3] . قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

[4] . أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، ط 1420هـ . 1 / 18

إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ٢ ﴾ [الأنفال: 2].

وقال تعالى ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ٢٣**﴾ [الزمر: 23]..

2 . الأحرف السبعة :

تثبت لنا الدّراسات القرآنيّة الكثيرة مدى الاهتمام الكبير لدى العلماء والباحثين بموضوع الأحرف السبعة بحثا ودراسة، وتمحيصا وتتبعا، لما قيل فيه قبل وبعد جمع القرآن الأول . على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه . والثاني . على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه . بحيث أحصوا ما يزيد عن أربعين معنى لهذه الأحرف، وهذا لمن أثبتها في المصحف الإمام (المصحف العثماني)، ناهيك عن المانعين لها والمضيّقين.

ونظرا للاستطرادات الكثيرة لهذا المبحث وتشعباته أحاول الإجابة وبشكل مقتضب عن أهم الأسئلة المحوريّة : . هل القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف ؟

ما معنى الحرف ؟

. وهل الأحرف السبعة مثبتة في المصاحف العثمانية ؟ وما الحكمة منها ؟

. نزول القرآن على سبعة أحرف :

إذا رجعنا إلى كتب السنن كالبخاري ومسلم والترمذي وسنن أبي داوود والنّسائي والبيهقي ومسند الإمام أحمد...لا نجد كتابا من هذه الكتب خلوا من نصوص هذا الموضوع، بل هو ثابت ومتواتر "

وقد روى هذا القول الصحيح واحد وعشرون صحابيا [1] في عدة صيغ ، بل قد نصّ أبو عبيد القاسم بن سلام على تواتره"[2].

ومن النّصوص التي تشهد لذلك:

قول رسول الله صلى الله عليه و سلم :" **أقرأني جبريل القرآن على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**"[3]، وقال أيضا :" **إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤو منه ما تيسر**"[4]، وقال :" **أنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف كلّها شاف كاف**"[5]،

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال :" إنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاه[6] بني غفار قال : فأتاه جبريل فقال : **إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمّتك القرآن على حرف، قال : أسأل الله معافاته و مغفرته، وإنّ أمّتي لا تطيق ذلك قال : ثمّ أتاه الثانية فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمّتك القرآن على حرفين.**

قال : أسأل معافاته ومغفرته، وإنّ أمّتي لا تطيق ذلك...ثمّ جاءه الرابعة فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمّتك القرآن على سبعة أحرف، فأيّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا "[7].

ولعلّ الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف : هي ما بينّها رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] . و منهم أبي بن كعب، و أنس بن مالك ، و حذيفة بن اليمان ، وزيد بن الأرقم، وسمرة بن جندب ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عون، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب ،وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وابو هريرة....

[2] . ابن عبد الكريم، توجيهات القرآن العظيم 1 / 54

[3] . البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث 4705 ـ 4 / 1909

[4] . البخاري، صحيح البخاري رقم الحديث 2287 ـ 2 / 851

[5] . الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب مطير اللخمي المعجم الكبير، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية القاهرة مصر ط الثانية (د . ت) رقم الحديث 1087 . 20 / 150

[6] . غدير صغير موضع قريب من المدينة

[7] . مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث 821 . 1 / 562

وأشار إليها في الحديث السّالف الذّكر :" **إنّ أمتي لا تطيق ذلك** "، لأنّه صلى الله عليه وسلم كان على علم، ومعرفة تامة بلغات العرب ولهجاتهم بدويتها وحضريتها، ولولا ذلك ما كان يراجع جبريل فيما يقرؤه ولا يستزيده من أحرف القرآن التي سبق في الأزل أن يتمَّ نزوله عليها "[1].

فبعض العرب من حضر وبدو لا يطاوعها لسانها بالنطق لبعض الألفاظ التي لم تكن متداولة فيما بينها سجية وسليقة، فمن رحمة الله بهم وبغيرهم ممن يدخل في هذا كالأعاجم أنزل الله تعالى القرآن على سبعة أحرف مستوعبا لسان جميع العرب، فكلّها شاف كاف.

يرى القرطبي أنّ الأحرف السبعة وجدت بسبب عجز العرب آنذاك، وعدم أخذ القرآن على غير لغتهم لأنّهم " كانوا أمّيين لا يكتب منهم إلاّ القليل، فلمّا كان شقّ على كلّ ذي لغة أن يتحوّل وينتقل إلى غيرها من اللّغات (العربية)، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلّا بمشقة عظيمة، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقا، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الل عليه وسلم...".[2]

وقال أبو عمرو الداني (ت 444) :" وأمّا وجه إنزال القرآن هذه السبعة أحرف، وما الذي أراد تبارك اسمه بذلك فإنّه إنّما أنزل علينا توسعة من الله تعالى على عباده ورحمة لهم وتخفيفا عنهم عند سؤال النبي صلى الله عليه وسلم إيّاه لهم، ومراجعته له فيه لعلمه صلى الله عليه وسلم بما هم

---

[1] . ابن عبد الكريم محمد، توجيهات القرآن العظيم 1 / 55

[2] . القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط الثانية 1384هـ 1964م 1 / 42 . 43

عليه من اختلاف اللّغات، واستصعاب مفارقة كلّ فريق منهم الطبع والعادة في الكلام إلى غيره، فخفف تعالى عنهم، وسهل عليهم، بأن أقرّهم على مألوف طبعهم، وعادتهم في كلامهم.."[1]

2 . 1 . ما معنى الأحرف السبعة ؟

(الأحرف) جمع قلّة، و(الحروف) جمع كثرة، مفردها (حرف) تؤنث وتذكر

. الحرف لغة : ذكرت معاجم اللّغة العربيّة عديد الدلالات للحرف منها : طرف الشيء وحده ، وشفيره ، وجانبه...

جاء في أساس البلاغة :" وكتب بحَرْفِ القلم ، وقعد على حَرْفِ السفينة ، وقعدوا على حُرُوفِها... ومن المجاز : هو على حَرْف من أمره، أي على طرف، كالذي على طرف العسكر إن رأى غَلَبَة استقرّ، وإن رأى مَيْلَة فرّ، وناقة حَرْفٌ : شبيهة بحرف السيف في هزالها؛ أو مَضَائِها في السير "[2].

. تسميّة الأحرف السبعة بذلك :

فتسميّتها من الله تعالى كما ذكرنا في حديث أبي بن كعب السابق (**إنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاه بني غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن بحرف ...**). علّل الرافعي سبب تسميّتها بسبعة أحرف لكمالها؛ أو نقول لعلّ الحكمة من تسميّتها بذلك لكمالها وتمامها، والمقصود بكمالها نزول القرآن العظيم على سبعة أحرف كاملة تامة لا يلمز فيها القرآن

---

[1] . الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، الأحرف السبعة للقرآن، تحقيق : عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة مكة المكرمة ط الأولى 1408هـ . ص 31 . 32

[2] . الزمخشري، أساس البلاغة ص 80 . 81

بنقص، ولا اختلاف مجاراة لرمزيّة العدد سبعة الذي يدل على كامل الشيء وتمامه في استعمالات العرب المعهودة .

قال الرافعي :" وإنّما جعلها سبعة رمزا إلى ما ألفوه من معنى الكمال في هذا العدد، وخاصة في ما يتعلّق بالإلهيّات كالسموات والأرضين السبع، والسبعة الأيّام التي بُرئت فيها الخليقة وأبواب الجنّة والجحيم ونحوها، فهذه حدود تحتوي ما وراءها بالغا ما بلغ، وهذا الرمز من ألطف المعاني وأدقها، إذ يجعل القرآن في لغته وتركيبه كأنّه حدود وأبواب لكلام العرب كلّه، على أنّه مع ذلك لا يبلغ منه شيء في المعارضة والخلاف، وإن تماد العرب في ذلك إلى الغاية، إذ هو لغات تنزل من أهلها منزلة السموات ممّن ينظرونها، والأرضين ممّن يضربون فيها ..."[1].

ولهذه الأحرف ما يزيد عن أربعين معنى متداخلة، ومتباينة فيما بينها، وسبب ذلك راجع لعدم وجود نص صريح يحدد معناها، كما قال ابن العربي المالكي :" لم يأت في معنى هذه السبع نص ولا أثر واختلف النّاس في تعيينها "[2]، فكانت محل اجتهاد عند العلماء والباحثين،" وقد حصر أكثرهم مفهوم هذه الأحرف في سبع صيغ : عربية التركيب، فصيحة المخارج، متحدة المعنى، مختلفة المبنى كليا أو جزئيا، وإن شئنا قلنا إنّها صيغ متفقة المفهوم مختلفة المسموع "[3].

وذكر الرافعي مفهوم الأحرف السبعة عند بعض العلماء، فقال :" وقال بعض العلماء : إنّي تدبرت الوجوه التي تختلف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة أنحاء لا تزيد ولا تنقص، وبجميع ذلك نزل القرآن :

الوجه الأول : إبدال لفظ بلفظ : **كالحوت بالسمك** وبالعكس، و**كالعهن** المنفوش قرأها ابن مسعود

---

[1] . الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص 50

[2] . التواتي بن التواتي، القراءات القرآنيّة وأثارها في النحو والفقه الإسلامي ص101

[3] . ابن عبد الكريم، توجيهات القرآن العظيم 1 / 57

(**كالصوف** المنفوش)

والثاني : إبدال حرف بحرف : كالتابوت والتابوه...

. والثالث : تقديم وتأخير، إمّا في الكلمة نحو: سُلب زيد ثوبه، وسُلب ثوب زيد، وإمّا في الحرف نحو: أفلم **ييأس**، وأفلم **يأيس**

. والرابع : زيادة حرف أو نقصانه، نحو: ماليه، سلطانيه، فلا تك في مرية

. **والخامس** : اختلاف حركات البناء، نحو: فلا تحسبنّ (بفتح السين و كسرها)

. **والسادس** : اختلاف الإعراب، نحو: (**ما هذا بشرا**)، وقرأ ابن مسعود بالرفع، أي(**ما هذا بشر**)

. والسابع : التفخيم، والإمالة، وهذا اختلاف في اللحن والتزيين، لا في نفس اللّغة، والتفخيم أعلى، وأشهر عند فصحاء العرب"[1] .

بيد أنّ الرافعي ذهب إلى أنّ المقصود بالأحرف السبعة لغات العرب الفصيحة، قال :" والذي عندنا في معنى الحديث[2] أن المراد بالأحرف اللّغات التي تختلف بها لهجات العرب، حتّى يوسع على كلّ قوم أن يقرؤوه بلحنهم، وما كان العرب يفهمون من معنى الحرف في الكلام إلاّ اللّغة، وإنّما جعلها سبعة رمزا إلى ما ألفوه من معنى الكمال في هذا العدد... وهذا الرمز من ألطف المعاني و أدقها، إذ يجعل القرآن في لغته وتركيبه كأنّه حدود وأبواب لكلام العرب كلّه، على أنّه مع ذلك لا يبلغ منه شيء في **المعارضة** والخلاف، وإنّما تمادّ العرب في ذلك إلى الغاية، إذ هو لغات تنزل من أهلها منزلة السموات ممّن ينظرونها، والأرضين ممّن يضربون فيها..."[3].

---

[1] . الرافعي، الإعجاز في القرآن ص 50

[2]. قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أُنزل القرآن على سبعة أحرف لكلّ منها ظهر وبطن، ولكلّ حرف حدّ، ولكلّ حدّ مطلع)

[3] . الرافعي، الإعجاز في القرآن ص 51

وذهب أبو عمرو الداني . وهو من القراء الكبار . في تأويل هذه الأحرف بالأوجه والقراءات فقال :" فأمّا معنى الأحرف التي أرادها النّبي صلى الله عليه وسلم ههنا فإنّه يتوجه إلى وجهين :

. **أحدهما** : أن يكون يعني بذكر أنّ القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللّغات، لأنّ الأحرف جمع حرف في الجمع القليل، مثل : فلس وأفلس...والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١١**﴾ [الحج: 11]، فالمراد بالحرف ههنا الوجه الذي تقع عليه العبادة، (أي النّعمة والخير) ويطمئن إلى ذلك ما دامت له هذه الأمور، واستقامت له هذه الأحوال، فإن تغيرت حاله وامتحنه الله تعالى بالشدة في عيشه، والضرّ في بدنه، والفقر في ماله ترك عبادة ربّه، وكفر به، فهذا عَبَد الله على وجه واحد، ومذهب واحد، وذلك معنى الحرف... فلهذا سمى النّبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات، والمتغايرة من اللّغات أحرفا على معنى أنّ كلّ شيء منها وجه على حدته غير الوجه الآخر...

. **ثانيهما** : من معنى الأحرف أن يكون صلى الله عليه وسلم سمى القراءات أحرفا على طريق السَعة، كنحو ما جرت عليهعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره، وكان كسبب منه، وتعلق به ضربا من التعلق، وتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى صلى الله عليه وسلم القراءة حرفا، وإن كان كلاما كثيرا من أجل أنّ منها حرفا قد غيّر نظمه؛ أو كسر؛ أو قلب إلى غيره؛ أو أُميل؛ أو زِيد؛ أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القراءة... فسمى القراءة إذا كان ذلك الحرف منها على عادة العرب في ذلك، واعتمادا على استعمالها نحوه، ألا ترى أنّهم قد يسمون القصيدة قافية إذا كانت القافية منها كما قال :

وقافية مثل حدّ السّنـان تبقى ويهلك من قالهـا

يعني وقصيدة فسماها على طريق الاتساع، وكذا يسمون الرسالة على نظامها، والخطبة بكمالها،

والقصيدة كلّها، والقصة بأسرها كلمة....

سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءات أحرفا إذا كانت الأحرف المختلف فيها منها فخاطب من بالحضرة وسائر العرب في هذا الخبر من تسمية القراءة حرفا لما يستعملون في لغتهم، وما جرت عليه عادتهم في منطقهم كما بيّناه، فدلّ على صحة ما قلناه "[1].

واستحسن ابن الجزري في كتابه النشر ما ذهب إليه أبو عمرو الداني، وقوّى ذلك بما وقع بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم بن حزام لمّا سمعه يقرأ سورة الفرقان[2] بغير قراءته..."[3].

. **ويمكن القول في خلاصة** هذا البحث : أنّ كلّ عالم أو باحث يميل في الغالب في تفسيره لهذه الأحرف حسب العلم والفن الذي هو غالب عليه، وكلّ ذلك تضمنته الأحرف السبعة

. فعلماء البلاغة : فسروا الأحرف السبعة تفسيرا يتساوق مع علمهم كالتقديم و التأخير و الحذف والزيادة...

. وعلماء الصرف : نظروا إليها من خلال " اختلاف تصريف الأفعال، وما يسند إليه من نحو

---

[1] . ينظر الداني أبو عمر، الأحرف السبعة ص27 . 30

[2] . القصة كاملة (**عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها فكدت أن أعجل عليه ثمّ أمهلته حتىّ انصرف ثمّ لبَّبْتُه بردائه فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إنّي سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت، ثمّ قال لي اقرأ فقرأت فقال هكذا أنزلت إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه**) صحيح مسلم 1 / 560

[3] . ينظر ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتب العلمية)، (د . ت) 1 / 23

الماضي والمضارع والأمر، والإسناد إلى المذكر والمؤنث، والمتكلم والمخاطب، والفاعل والمفعول به"[1].

. والنحاة قالوا :" الأحرف السبعة هي للتذكير والتأنيث، والشرط والجزم، والتصريف والأقسام وجوابها، والجمع والتفريق، والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات مما يختلف فيها بمعنى وما لا يختلف في الأداة واللفظ جميعا"[2].

. **أمّا علماء التجويد والصوتيات** : فسروا الأحرف السبعة بأنّها :" طرق من أداء التلاوة، وكيفية النطق بها من إظهار وإدغام، وتفخيم وترقيق، وإمالة وإشباع، ومدّ وقصر، وتخفيف، وتليين وتشديد "[3]، ويمكن الاستشهاد في هذا المضمار بما رواه ابن جني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني أنّه قال :" قرأ عليّ أعرابي بالحرم (طيبى لهم و حسن مآب)[4]، فقلت (طوبى) فقال : (طيبى) ، فأعدت فقلت : (طوبى) فقال : (طيبى)

فلمّا طال عليّ قلت : طو طو... قال : طي طي...

أفلا ترى إلى هذا الأعرابي وأنت تعتقده جافيا كرّا لا دَمِثا، ولا طيّعا كيف نبا طبعه عن ثقل(الواو) إلى (الياء)، فلم يؤثر فيه التلقين، ولا ثنى طبعَه عن التماس الخفّة هزّ ولا تمرين، وما ظنك به إذا خُلّى مع سومه[5]، وتساند إلى سليقته ونَجْره[6]..." [7].

---

[1] . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر 1 / 27

[2] . الزركشي، البرهان في علوم القرآن 1 / 225

[3] . الزوكشي، البرهان في علوم القرآن 1 / 226

[4] الآية الكريمة (**طوبى لهم و حسن مآب**) 29 الرعد

[5] . أي يترك على حاله يفعل ما يشاء ، وأصل كلمة (السوم) تطلق على الماشيّة التي ترسل في المرعى

[6] . النَجْر : هو الأصل والطبيعة

[7] . ابن جني، الخصائص 1 / 75

قال صاحب القراءات القرآنيّة وأثارها في النحو :"... ومن هنا فالرأي الذي يفسر هذه الأحرف السبعة المنصوص عليّها في الحديث أنّها الاختلاف لهجي، ونعني به الاختلاف الصوتي هو رأي سديد في نظرنا "[1].

2 . 2 . هل المصحف الإمام اشتمل على الأحرف السبعة ؟

لا يختلف العلماء والباحثون البتة في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، وإنّما تباينت آراؤهم واختلفت في اشتمال المصحف الإمام (الجمع الأخير للقرآن الكريم على عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه) على هذه الأحرف السبعة؛ أو عدم اشتماله لها على ثلاثة اتجاهات :

. اتجاه ينفي اشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة و يقتصر على حرف واحد مثبت فيه مشافهة وكتابة.

. واتجاه يثبتها ويرى أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على الأحرف السبعة جميعها.

. واتجاه ثالث وسط بين الاتجاهين ذهب إلى أنّ العرضة الأخيرة للقرآن الكريم احتوت على ما بقي من الأحرف السبعة لا على التعيين، أي بعض الأحرف نسخ والبعض الآخر بقي مثبت في المصحف الإمام.

. الإتجاه الأول (الذي يرى أن المصحف الإمام كتب بحرف واحد فقط) : ومن أقطاب هذا الاتجاه المفسران الكبيران الطبري والقرطبي، والمحدث الفقيه ابن عبد البرّ المالكي، وهذا الإتجاه ينفي اشتمال المصحف العثماني على الأحرف السبعة إلّا على حرف واحد استقرّ عليه القرآن الكريم،وكتب به المصحف، ونقل إلينا بالتواتر، لأنّ الأحرف السبعة وجدت لضرورة المشقة، فلمّا زالت المشقة المتمثلة في صعوبة تحول صاحب لغة إلى غيرها من اللّغات العربيّة، واستقام لسانهم

[1] . د / التواتي بن التواتي، القراءات القرآنيّة وأثارها في النحو والفقه الإسلامي ص101

وعاد إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلّم رفعت الأحرف السبعة، قال القرطبي :" الأحرف السبعة وجدت بسبب عجز العرب آنذاك وعدم أخذ القرآن على غير لغتهم، لأنّهم كانوا أميين لا يكتب منهم إلا القليل، وشق عليهم الأمر على أن يتحول وينتقل كلّ ذي لغة إلى غيرها من اللّغات العربية، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقا بينهم حتى كثر منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها"[1]، فالحاجة الملحّة، والضرورة هي التي جلبت التوسع في نزول القرآن على سبعة أحرف، والرخصة لذلك حتى يشمل جميع لغات العرب في بدايات نزوله، إذ العرب آنذاك قبائل شتّى، ولهم لغات عدة (لهجات فصيحة) تتفق وتختلف في نطق بعض الألفاظ والتراكيب، من حيث أنّ بعضها لم يقلّل[2]، والآخر يفتح بعض الكلمات ذوات الياء؛ أو ما يماثلها كالأعلى والضحى؛ أو ذوات الراء كسكارى ترى...أو أنّها تحقق أو تسهل وتبدل الهمز، نحو : (ذئب ذيب)، (لأهب ليهب) إبدالها ياء خالصة؛ أو إدغام أو إظهار، مثل :(اركب معنا) إظهار الباء، (اركمّعنا) إدغامها في الميم ..إلخ، ونعلم أنّ العرب ورثوا هذه اللّغة واكتسبوها عن طريق السّماع، وهو ما تعوّدت آذانهم على سماعه، و جرت به ألسنتهم، فالخروج من لهجة إلى أخرى في مثل ما أسلفت ليس بالأمر الهيّن، إنّما يحتاج إلى دربة ومران .

ويزعم أصحاب هذا الاتجاه أنّه بعد الدربة وتعلم الكتابة جرت ألسنتهم، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزالت المشقة وارتفعت الضرورة فارتفع الحكم، فلم يسعهم حينئذ أن

---

[1]. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 1 / 42

[2]. التقليل أو الإمالة هي :" أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرا، وهو المحض، ويقال له الإضجاع، ويقال له البطح، وربّما قيل له الكسر أيضا " ابن الجزري النشر في القراءات العشر 2 / 30

يقرؤوا بخلافها، قال ابن عبد البرّ :" فبان أنّ تلك السبعة الأحرف إنّما كان في وقت خاص لضرورة فارتفع حكم السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد "[1].

. أهم الأدلة التي تأسس عليها هذا الاتجاه إجمالا هي :

. أنّ الحاجة دعت إلى التزام القراءة بحرف واحد مخافة الفتنة زمن عثمان رضي الله عنه .

. أنّ الأمّة قد أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءته وحفظه بأيّ حرف من الأحرف السبعة شاءت كما أمرت .

. قول عثمان للرهط القرشيين الثلاثة " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنّما نزل بلسانهم..."[2].

. الاتجاه الثاني (الأحرف السبعة جميعها مثبتة في المصحف الإمام) :

وهو مذهب السواد الأعظم من علماء الأمة كالباقلاني وابن كثير وابن حزم وأبي عمرو الداني . الذي ترجع إليه أصول القراءة في المغرب العربي . وابن الجزري ...

ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أنّ المصاحف العثمانية اشتملت على الأحرف السبعة جميعها، ولم يرفع حكمها، قال ابن حزم :" وأمّا الأحرف السبعة فباقية كما كانت إلى يوم القيامة، مثبوتة في القراءات المشهورة من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشمال فما بين ذلك، لأنّها من الذّكر المنزل الذي تكفل الله تعالى بحفظه، وضمان الله تعالى لا يبخس أصلا، وكفالته تعالى لا يمكن أن تضيع..."[3].

---

[1] . القرطبي، الجامع الأحكام 1 / 43

[2] . ينظر ابن عبد الكريم، توجيهات القرآن العظيم 1 / 72

[3] . ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار الأفاق الجديدة بيروت (د .ت) 4 / 165

. أهم الأدلة التي اعتمد عليها أصحاب هذا الإتجاه : (وهي في حقيقتها تفنيد لما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول)

. أنّ إنزال القرآن على سبعة أحرف قد ثبت بنصوص شرعية . ذكرنا بعضها في مطلع هذا المبحث . ولم يرد بعد ذلك نص يوحي بنسخ بعض هذه الأحرف.

. أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم بصحة قراءة كلّ من عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم عندما تحاكما إليه في قراءتهما، فقال لكلّ منهما : (**كذلك أنزلت**).

. أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم يشهد بأنّ أمّته لا تطيق قراءة القرآن على أقل من سبعة أحرف إشارة إلى حديث أبي بن كعب المذكور سابقا (**... إنّ أمّتي لا تطيق ذلك...**).

ولفظة (**أمّتي**) في الحديث مطلقة، ليست مقيّدة بمكان وزمان معينين، وإنّما تشمل جميع المسلمين والمسلمات منذ بعثته عليه السلام إلى يوم القيامة.

. أنّ رسم المصاحف العثمانية يختلف باختلاف لغات أهل الآفاق المرسلة إليهم[1] مصاحف العراق والبصرة....

. اختلاف العلماء في معنى هذه الأحرف السبعة على ما يزيد عن أربعين قولا يدلّ دلالة قاطعة على وجودها بأكملها في القرآن و بقائها فيه....ولولا تحققهم من وجودها كاملة لما اختلفوا في معناها الدالّ عليها، والحكم على الشيء فرع عن تصوره [2].

. ومن علمائنا المحدثين إبراهيم أنيس يرى بعدم نسخ هذه الأحرف السبعة لحكمة التيسير على النّاس، والقرآن خطاب للنّاس جميعا عربهم وعجمهم، قال :" إنّ القرآن هو خطاب من الله للنّاس

---

[1] . ينظر ابن عبد الكريم، توجيهات القرآن العظيم 1 / 73-74-75

[2] . ينظر المرجع نفسه 1 / 73-74-75

جميعا، وأنّ كثيرا من المسلمين لا تطاوعهم حبالهم (أوتارهم) الصوتية على النّطق بكثير من الحروف العربية كحال (الحاء) و(العين) بالنسبة للأعاجم مثلا، ومن هنا كان التيسير، وأنّ هذه الحروف التي نزل بها القرآن لم تنسخ، لأنّ كلّ الدلائل تدلّ على بقائها مبثوثة في العرضة الأخيرة "[1].

3 . القراءات القرآنية

3 . 1 . القراءات لغة :

القراءات جمع قراءة وهي مصدر من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، واسم الفاعل منه قارئ ، وجمعه قرّاء، ويرد الفعل غير مهموز كقرى، ولا يختلف مع الأول في معناه "[2] .

فرّق ابن القيم بين (قرى) و (يقرأ) فقال :" **الأولى** : (قرى، يَقرِي) وهو فعل معتل الآخر ومعناها : الجمع والاجتماع....

الثانية : (قرأ ، يقرأ) وهو فعل مهموز ومعناه الظهور والخروج على وجه التقريب والتحديد ، ومنه قراءة القرآن ، لأنّ قارئه يظهره ويخرجه مقدّرا محدودا لا يزيد ولا ينقص، ويدل عليه قوله تعالى (**إنّ علينا جمعه وقرآنه**) 17 القيامة، ففرق بين الجمع والقرآن، ولو كان واحدا لكان تكريرا محضا " [3]

---

[1] . ينظر د / تواتي بن التواتي القراءات القرآنية وأثارها في النحو والفقه ص114

[2] . ينظر الأزهري تهذيب اللّغة 1 / 277

[3] . ابن قيّم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة المنار بالكويت، ط 27 . 1415هـ 1994م . 5 / 564

3 . 2 . القراءات اصطلاحا :

قال صاحب البرهان في علوم القرآن :" القراءات اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها " [1]

وقال ابن الجزري :" القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة "[2]، أي معزوّا لناقله.

أمّا الدومياطي فعرّف القراءات فقال :" علم القراءة : علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النّطق والإبدال و غيره من حيث السماع..."[3].

فإذا كانت القراءات القرآنية هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن ومعرفة مواطن الحذف والإثبات، والتحريك و التسكين، والفصل والوصل، والتخفيف والتشديد ، والتحقيق والإبدال والتسهيل، والتقليل أو الإمالة والفتح إلى آخره، واتفاق واختلاف القراء في ذلك حسب نقلها وسماعها بالسند إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

السؤال الذي يطرح هل هذه القراءات القرآنية هي القرآن الكريم ؟

ذهب مكي بن أبي طالب إلى التفريق بين القرآن الكريم والقراءة القرآنية على أساس الشروط التالية :

---

[1] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 1 / 318

[2] . ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط الأولى 1420هـ . 1999م . ص 09

[3] . الدمياطي أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق : أنس مهرة، دار الكتب العلمية لبنان، ط الثالثة 1427هـ 2006م . ص 6

. " أن ينقل عن الثقات إلى النبي صلى الله عليه و سلم

. ويكون وجهه في العربيّة التي نزل بها القرآن شائعا . ويكون موافقا لخط المصحف، فقال :

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به... (أي يتلى ويتعبد به)

. وما اختلّ فيه شرط منها فهو قراءة (يعني شاذّة) ولا يقرأ بها (أي لا يتعبد بها)"[1].

3 . 3 . أقسام القراءات :

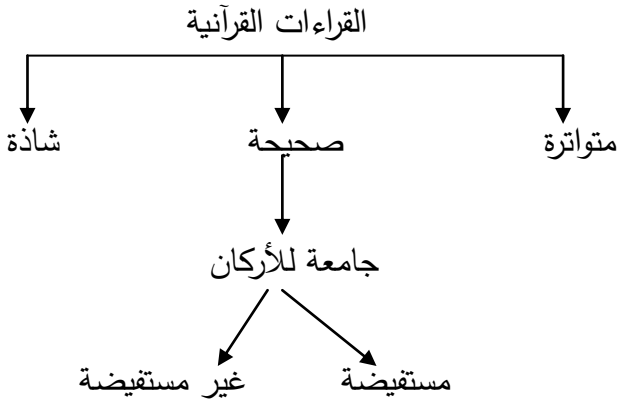
حينما نتمعن في بعض مظان هذا العلم الشريف ونتتبع ما كتبه الباحثون في هذا الصدد نجد أنّهم قسموا القراءات القرآنيّة إلى ثلاثة أقسام :

. **الأول : القراءة المتواترة**

. **الثاني : القراءة الصحيحة (الجامعة للأركان)** مستفيضة، وغير مستفيضة

. الثالث : القراءة الشاذة

يمكن توضيحها في هذا الرسم :



[1] . ينظر مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي المالكي، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق د / عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر (د . ت) ص 51 . 52

3 . 3 . 1 . القراءة المتواترة :

هي أعلى القراءات المقطوع بها، وهي القرآن الكريم الذي نتعبد به الله تعالى، أي أنّ هذه القراءة لا يساورها شك من حيث النقل، فهي قطعيّة الثبوت رواها جمع عدول ثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن جبريل عليه السلام عن ربّه جلّ في علاه يستحيل تواطؤهم على الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، بالإضافة إلى شرطي موافقتها للرسم العثماني واللّغة العربيّة مطلقا

. عرفها صاحب منجد المقرئين بقوله :" كلّ قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا، وتواتر نقلها، هذه القراءة متواترة المقطوع بها "[1].

1. 3 . 3 . 2 . القراءة الصحيحة (جامعة للأركان)

والمقصود بالأركان أن تكون جامعة للشروط الثلاثة؛ أو الأركان الثلاثة التالية :

. أن تكون روايتها صحيحة، أي النقل الصحيح من ضابط ثقة عدل عن ضابط ثقة عدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- موافقتها للّغة العربيّة (ولو لوجه من أوجه العربيّة)
- موافقتها لرسم المصاحف العثمانية

عرّفها ابن الجزري فقال هي :" ما صحّ سنده نقل العدل الضابط عن الضابط كذا إلى منتهاه، ووافق العربية والرسم"[2].

---

[1] . ابن الجزري، منجد المقرئين ص 18

[2] . ابن الجزري منجد المقرئين ص 18

. والقراءة الصحيحة الجامعة للأركان على قسمين :

. مستفيضة :" وهي التي استفاض نقلها، وتلقتها الأمّة وأئمتها بالقبول"[1].

وكثير من أهل العلم يلحق هذا القسم من القراءة بالقراءة المتواترة، حتى وإن لم تبلغ هذه القراءة درجة القراءة المتواترة، وذلك لاستفاضتها، وشيوع الخبرعنها

. غير مستفيضة : وهي القراءة دون المستفيضة لافتقادها ركن أو شرط من شروط القراءة المستفيضة، وأهل العلم اختلفوا في قبولها بسبب مخالفتها للرسم العثماني، مع أنّ كثيرا من المقرئين على قبولها والقراءة بها.

قال ابن الجزري القراءة غير المستفيضة :" هي ما وافق العربيّة وصحّ سنده وخالف الرسم "[2].

3 . 3 . 3 . القراءة الشاذّة

قبل تحديد مفهوم القراءة الشاذة، وما الفرق بينها وبين القراءة الصحيحة ؟

وما الفائدة من دراستها ؟

بداية ماهو الشاذّ أو الشذوذ لغة واصطلاحا

. الشاذّ لغة : ذكرت مادة (ش ، ذ ، ذ) في المعاجم العربية على غرار معجم العين ولسان العربي والصحاح والقاموس المحيط وغيرها معظمها يدور معناها حول التفرق والندرة والقلة والانفراد ... و منها ما ذكره الخليل بن أحمد في العين قال :" الشين والذال (ش ، ذ) يستعمل فقط (شذّ) : شذّ الرجل من أصحابه أي انفرد عنهم ، وكلّ شيء منفرد فهو شاذّ ، وكلمة شاذّة

[1] . د / التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثارها في النحو والفقه الإسلامي ص158

[2] . ابن الجزري، منجد المقرئين ص 19

وشذاذ النّاس متفرقوهم، وكذلك شذان الحصى، قال : تترك شذان الحصى قنابلا "[1].

وذكر ابن جني في خصائصه هذا الأصل فقال :" (ش.ذ.ذ) في كلامهم فهو التفرق والتفرد من ذلك قوله : يَتْرُكْن شَذّانَ الحَصى جَوافلا، أي ما تطاير وتهافت منه، وشذّ الشيء يشذّ و يشذّ شذوذا وشذّا، وأشذذته أنا، وشذذته أيضا أشُذّه (بالضمّ لا غير)، وأباها الأصمعي وقال : لا أعرف إلا شاذّا أي متفرقا، وجمع شاذّ شُذّاذ ، قال كبعض مَن مرّ من الشذّاذ "[2].

. وفي القاموس المحيط :" شذّ يشذّ و يشذّ شذّا وشذوذا : ندر عن الجمهور، وشذّه هو كمدّه لا غير وشذذه والشذاذ : القلال والذين لم يكونوا في حيّهم ومنازلهم، والشذِّان بالكسر : السد ، وبالفتح والضم ما تفرق من الحصى وغيره.... وأشذّ : أي جاء بقول شاذّ، والشيء نحّاه وأقصاه"[3].

. الشاذّ اصطلاحا : تعددت المفاهيم الاصطلاحية لكلمة (الشاذّ أو الشذوذ) بتعدد سياقاتها التي تنتمي إليها فأكسبتها مفاهيم مصطبغة بصبغة بيئتها الثقافية والاجتماعية منها والنحوية والحَدِيثيّة والقرآنية ...منها ما هو متداخل ومتقارب، ومنها ما هو متباين ومختلف، ويمكن في هذا الصدد أن ننظر إلى تعريفها الاصطلاحي من خلال بعض الفنون القريبة منها حتى تتجلى الدلالة، ويتضح المعنى والمفهوم من القراءة الشاذة، وبالخصوص علمَي الحديث والنحو لما بينهما وبين القراءات القرآنية من اتصال متين و صلة وثيقة شرحا وتفسيرا للآيات، وكشفا لمعانيها

---

[1] . الفراهدي ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، معجم العين، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د . ت) 6 / 215

[2] . ابن جني الخصائص 1/96-97

[3] . الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ص 427

أولا : الشاذ في اصطلاح علماء الحديث هو :" حديث منفرد به ثقة من الثقات، وليس للحديث أصل متابع لذلك الثقة "[1] وهذا ما ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ [2] في تعريفه للشاذ .

وللشافعي مفهوم آخر للشاذّ فقال :" ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة ما لا يروي غيره إنّما الشاذ أن يروي الثقة حديثا يخالف ما روى الناس" [3].

فابن الصلاح صاحب المقدمة جمع بين التعريفين، وقسم الشاذ إلى مراتب :

أ . شاذّ مقبول حسن لا يدرج في الأحاديث الضعيفة ، ويعمل به

ب . وشاذّ منكر متروك غير مقبول فقال :" ثم هو بعد ذلك (الشاذّ) بين مراتب متفاوتة بحسب الحال فإن كان المنفرد غير بعيد من درجة الحافظ الضابط المقبول تفرده استحسنا حديثه ذلك ولم نحطه إلى قبيل الحديث الضعيف وإن كان بعيدا من ذلك ما انفرد به وكان من قبيل الشاذ المنكر " [4].

ثانيا : الشاذ في الاصطلاح النحوي

أفاض علماء أصول النحو في ذكر الشاذّ، وبينوا علاقته بأصل السماع أو النقل إلى مطرد وشاذّ

والمطرد : هو الغالب والأكثر في بابه.

والشاذّ : هو القليل؛ أو ما فارق ما عليه الأكثر في بابه؛ أو انفرد عن ذلك .

---

[1]– الصالح إبراهيم صبحي، علوم الحديث و مصطلحه، دار العلم للملايين بيروت لبنان ط 15 . 1984م . 197 / 1

[2] – ينظر ابن الصلاح عنمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين، مقدمة ابن الصلاح (معرفة علوم الحديث) تحقيق : نور الدين عتر، دار الفكر بسوريا ودار الفكر المعاصر بيروت، 1406هـ . 1986م ص 257

[3] . المصدر نفسه ص 76

[4] . ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح ص 79

ولا يفهم من هذا الكلام أنّ الشاذّ لا يستعمل في كلّ الأحوال، ولا يعمل به، بل الخلاف جار بين العلماء، وهناك تفصيل لهذه الظاهرة اللّغوية.

فإن كان يفهم من تعريف ابن الأنباري للنقل (السماع) استبعاده للشاذ حينما اشترط التواتر والاطراد؛ أو ما عبر عنه بحد الكثرة بقوله :" النقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القلة (الشاذّ) إلى حد الكثرة (المتواتر)"[1] فإنّ من النحاة من يقرّ بالشاذّ في الكلام العربي، قال سيبويه :" و الشواذ في كلامهم كثيرة "[2]، " لأنّ كلّ ما صحّ وروده عن العرب سواء كان مطردا أم لا فهو من نقلهم وكلامهم "[3].

وإنّما الشرط الأساسي هو النقل الصحيح ممن ترتضى عربيّته ،ويوثق بلغته؛ أو فصاحته في زمن تقعيد القواعد اللّغويّة، وبخاصة النحويّة منها .

قال صاحب كتاب مبادئ في أصول النحو :"وكلّ ما نقل عن عربيّ موثوق بفصاحته في رقعة الفصاحة فهو من المنقول سواء أكان مطردا أم شاذا"[4]، وهذا مذهب السيوطي[5] وغيره من النحاة، بيد أنّ ابن الجنّي كان أكثر دقة وتفصيلا حينما قسم الكلام المسموع إلى مطرد وشاذ، ثمّ جعل الاطراد والشذوذ على أربعة أضرب :

"أ . مطرد في القياس والاستعمال جميعا وهذا هو الغاية المطلوبة (لا مجال لشاذّ فيه)

---

[1] . ابن الإنباري الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة ص 81

[2] . سيبويه، الكتاب 115/2

[3] صالح محمد سالم، أصول النحو . دراسة في فكر الأنباري ،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية ط1 2006

[4] . بن لعلام مخلوف، مبادئ في أصول النحو، دار الأرامل للطباعة و النشر و التوزيع المدينة الجديدة تيزي وزو –الجزائر– ص39

[5] . السيوطي جلال الدين، الاقتراح ص 68

ب . مطرد في القياس شاذ في الاستعمال ... نحو قولهم : ما كان مبقل (أي وهذا هو القياس والأكثر في السماع باقل)

جـ . مطرد في الاستعمال شاذ في القياس : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحي قال :" يقال استصوبت الأمر، ولا يقال استصبت الشيء، ومنه استحوذ... واعلم أنّ الشيء إذا اطّرد في الاستعمال، وشذّ عن القياس فلا بدّ من إتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره .

. ألا ترى أنّك إذا سمعت استحوذ واستصوب (قياسا استحاذ واستصاب) أديتهما بحالهما، ولم تتجاوز ما ورد به السمع فيهما إلى غيرهما، ألا ترك لا تقول في استقام استقوم، ولا في استساغ استسوغ ....

. الشاذ في القياس والاستعمال جميعا : فلا يسوغ القياس عليه ولا ردّ غيره إليه، ولا يحسن أيضا استعماله فيما استعملته فيه إلاّ على وجه الحكاية..."[1].

ثالثا : الشاذّ في الاصطلاح القرآني

فهو كلّ قراءة خالفت القراءات المتواترة؛ أوالصحيحة في ركن من أركانها؛ أو شرط من شروطها المجمع عليها، قال الإمام الزركشي عن القراءة الشاذة :" في الاصطلاح عكس المتواتر، وقد سبق أنّ المتواتر قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها، ومجيئها على الفصيح من لغة العرب"[2].

فالأركان الثلاثة في القراءة المتواترة والصحيحة مجتمعة من موافقتها للمصحف العثماني، وصحة

---

[1] . ابن جني، الخصائص 1/97-98

[2] . الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب ط الأولى 1414هـ 1994م . 2 / 219

السند؛ أو النقل إلى درجة التواتر، وموافقتها للّغة العربيّة ولو بوجه من وجوهها، فكلّ ذلك من هذه القراءات يتعبد بها وهي من القرآن، قال القباقبي :" القراءة المقبولة المعمول بها عند أئمتنا ما صحّ نقلا، ووافقت عربيّة بوجه أفصح أو فصيح، ورسما تحقيقا أو تقديرا أو احتمالا، وهي التي لا تردّ"[1] وقال الرافعي " والعلماء على أن القراءات متواترة وآحاد وشاذة، وجعلوا المتواتر السبع، والآحاد الثلاث المتممة لعشرها، ثمّ ما يكون من قراءات الصحابة رضي الله عنهم ممّا لا يوافق ذلك، وما بقي فهو شاذ "[2].

وما ذكره السيوطي في الإتقان أن لأبي عبيدة مفهوما خاصا للقراءة الشاذة، فهو يرى أنّ " المقصد من القراءة الشاذة تفسير للقراءة المشهورة، وتبيين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر)، وقراءة ابن مسعود . في حدّ السارق . (فاقطعوا أيمانهما)... قال : فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن، فكيف إذا روي عن كبار الصحابة في نفس القراءة، فهو أكثر من التفسير وأقوى ، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل "[3].

والذي أشار إليه أبو عبيدة أنّ القراءة الشاذة هي : إمّا زيادات عن القراءة المشهورة قصد تفسيرها؛ أو هي من القرآن الكريم غير أنّها نسخت بالعرضة الأخيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقيت مرويّة عن الصحابة الكرام، ويرجع إليها كأقوى دليل في معرفة صحة تأويل وتفسير آيّ القرآن الكريم، وبخاصة الآيات الظنيّة من حيث الدلالة لاختلاف العلماء في تأويلها.

---

[1] . القباقبي محمد بن خليل، *إيضاح* الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربع عشر ، تحقيق : د/ فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية 1995

[2] . الرافعي مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي (د .ت) 2 / 38

[3] . السيوطي،الإتقان في علوم القرآن 1 / 219

أمّا من حيث الثبوت فالقرآن الكريم قطعي الثبوت لا خلاف في ذلك، " غير أنّ مفهومه هذا لا يوضح القراءة الشاذة ولا يحدّها تحديدا دقيقا ، وخاصة وأنّ معايير ومقاييس قبول القراءة أجمع عليها العلماء واتفقوا على أنّ القراءة الشاذّة ممّا تخلف أحد هذه المعايير كموافقة الرسم ، أو النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "[1].

فالمعيار الأساسي لمعرفة القراءة الشاذة هي مخالفتها لركن من الأركان الثلاثة الموسومة بها القراءات المتواترة والصحيحة، سواء وردت هذه القراءات الشاذة عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم . والصحابة كلّهم عدول لا يقدح في استقامتهم وإيمانهم .؛ أو عن القراء العشر[2] أو عمّن دونهم من الثقات.

وعلى هذا الأساس فليس المقياس؛ أو المعيار في إدراج أي قراءة من القراءات في حكم القراءات المتواترة أو الصحيحة هو معيار عدل راويها وثقته فحسب . كما مرّ بنا في علم الحديث بأنّه لا يقبل الحديث إلا من ثقة . وإنّما المعيار هو موافقتها للشروط أو الأركان الثلاثة للقراءات المتواترة بحيث لا يتخلف شرط من شروطها، وإلّا فهي من الشاذّ قال ابن الجزري :" ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة؛ أو شاذّة؛ أو باطلة، سواء كانت عن السبعة؛ أم عمّن هو أكبر منهم "[3]، حتى وإن كانت هذه القراءة الشاذّة مرويّة عن فصحاء العرب الأقحاح كالصحابة الكرام بسليقتهم العربيّة التي لا تردّ في تقعيد قواعد اللّغة، إذ ليس المعيار نحويّا لغويّا فحسب، بل

---

[1] . د / التواتي بن التواتي، القراءات القرآنيّة ص 417

[2] . أئمة القراءة؛ أو القراء العشرة : (أبو عمرو بن العلاء البصري (ت 154هـ)، نافع ابن نعيم المدني (ت 119هـ) ، عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت 128هـ) ، علي بن حمزة الكسائي الكوفي (189هـ) ، عبد الله بن كثير المكي (ت 120هـ) ، عبد الله بن عامر الشامي (ت 118هـ)، حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت 156هـ) ، يعقوب الحضرمي (ت 205هـ) ، أبو جعفر القعقاع المدني (ت 130هـ) ، خلف البزار الكوفي (ت 189هـ))

[3] . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر 1 / 9

إن القراءة القرآنية المتواترة والصحيحة كما قال سيبويه :" القراءة لا تخالف، لأنّ القراءة السنة"[1]، أي سنّة تتبع، ولا تصح مخالفتها.

3 . الفرق بين القراءة المتواترة والصحيحة والقراءة الشاذة

ممّا ذكرته سابقا أنّ القراءات المتواترة والصحيحة هي التي اشتمل عليها المصحف العثماني تحقيقا وتقديرا واحتمالا ، أمّا القراءة الشاذة فهي دون ذلك ولا تسمى قرآنا

ولكن السؤال الذي يطرح في هذا المنحى هل تجوز القراءة بالشاذ سواء في الصلاة؛ أو بنيّة التعبد؟ فخلاصة القول في هذه المسألة عند أغلب العلماء عدم الجواز، بل ادّعى فيها بعضهم الإجماع على عدم الجواز، قال الزركشي :" ولا تجوز قراءته (القرآن) بالشواذّ، وقد نقل ابن عبد البرّ الإجماع على منعه "[2].

وقال السرخسي (ت 483هـ):" قالت الأمة لو صلى بكلمات تفرّد بها ابن مسعود (صحابي جليل) لم تَجُز صلاته، لأنّه لم يوجد فيه النقل المتواتر، وباب القرآن باب يقين وإحاطة، فلا يثبت بدون النقل المتواتر كونه قرآنا، وما لم يثبت أنّه قرآن فتلاوته في الصلاة كتلاوة خبر، فيكون مفسدا للصلاة"[3].

وقال أبو الحسن السخاوي :" لا تجوز القراءة بشيء من شواذ القراءات لخروجها عن إجماع المسلمين، وعن الوجه الذي ثبت به القرآن، وهو التواتر، وإن كان موافقا للعربيّة وخطّ المصحف،

---

[1] . ينظر سيبويه، الكتاب 1 / 148

[2] . الزركشي،البرهان في علوم القرآن 1 / 467

[3] . السرخسي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، تحقيق : أبو الوفا الأفغاني، الناشر لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر أباد الهند (تصوير دار المعرفة بيروت) (د . ت) 1 / 279 . 280

لأنّه جاء من طريق الآحاد، إن كانت نقلته ثقات"[1].

. فوائد القراءات الشاذة

لا شك أنّ القراءات الشاذة رويت عن لفيف من كبار الصحابة وقرّائهم رضي الله عنهم أجمعين، و شذوذها ليس قدحا في روّاتها، وإنّما شذوذها لمخالفتها للقراءات المتواترة كما أسلفت القول، بيد أنّ للقراءات الشاذّة فوائد جمّة منها :

. معرفة صحة تأويل القرآن الكريم

. تفسير القراءة المشهورة كما أشار إلى ذلك أبو عبيدة .

. توسيع آفاق النص القرآني بها ليشمل مساحة واسعة من الأقضية، والأحكام المستجدة، والنوازل.

. أثرها في بناء القواعد النحويّة والصرفيّة، وتوجيه المعاني البلاغيّة والدلاليّة، أنّها من الكلام العربي الفصيح زمانا ومكانا.

وبما أنّ هذا الموضوع متشعب وكثيرة تفرعاته أقتصر في هذا المضمار على بعض فوائد القراءات الشاذّة ، وهي كثيرة و مختلفة باختلاف مواضيعها على سبيل التوضيح

. **الفائدة الأولى** : الاحتجاج بالقراءة الشاذة في استنباط بعض الأحكام الشرعيّة، مثال ذلك : حكم اليَمِين . غير اليمين الغموس[2] ، قال تعالى ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ**

---

[1] . ينظر الزركشي، البحر المحيط 2 / 220

[2] . **اليمين الغموس** : (هي اليمين التي يتعمد فيها الإنسان الكذب كقوله : والله ما فعلت كذا وقد فعله، أو والله لقد فعلت كذا ولم يفعله، وسمي غموسا لأنّه يغمس صاحبه في نار جهنّم، وذنبه أعظم من أن يكفر لأنّه استهان بعظمة الله جلّ وعلا حين حلف كاذبا)
ينظر الصابوني محمد علي، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، مكتبة رحاب، الجزائر، ط الرابعة، 1410هـ 1990م . 1 / 563

لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ٨٩﴾ [المائدة: 89] ، فكفارته كما نصّت الآية الكريمة تكون على التخيير بين الإطعام أو الكسوة أو العتق، وإذا لم يستطع الحالف وعجز عن واحدة من هذه الثلاث (الإطعام أو الكسوة أو العتق) ينتقل إلى صيام ثلاثة أيّام (أي الانتقال من الكفارة إلى الصيام لا يكون إلّا في حالة العجز لأنّهما على الترتيب في الآية الكريمة وليست على التخيير).

. ويفهم من الآية الكريمة أنّ صيام ثلاثة أيّام على المطلق، إمّا متفرقات أو متتابعات، إذ ليس هناك قرينة ملزمة في الآية الكريمة لوجه من الوجهين، ولا نص في درجته؛ أو قياس ظاهر يقاس عليه، وهذا قول بعض أئمّة المذاهب الإسلاميّة.

قال القرطبي :" وقال مالك والشافعي في قوله الآخر رضي الله عنهما يجزئه التفريق، لأنّ التتابع صفة لا تجب إلّا بنصّ؛ أو قياس على منصوص وقد عُدِما "[1]. .

أمّا الذين أوجبوا التتابع في صيام اليمين كالأحناف والحنابلة فحجتهم في ذلك قراءة أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود (**صيام ثلاثة أيام متتابعات**)، وهي من القراءات الشاذة، والقراءة الشاذة المرويّة عن الصحابة الكرام عندهم إن لم تكن قرآنا مسموعا عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي رواية عنه، قد تكون تفسيرا منه عليه أفضل الصلاة و السلام، فثبت بذلك لها رتبة الخبر؛ أو هي في درجة أحاديث الآحاد على الأقل.

قال ابن قدامة المقدسي . وهو من فقهاء وعلماء الحنابلة . :" ولنا أنّ في قراءة أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما(**فصيام ثلاثة أيام متتابعات**)، كذلك ذكره الإمام أحمد في التفسير عن جماعة وهذا إن كان قرآنا فهو حجة، لأنّه كلام الله (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)، وإن لم يكن قرآنا فهو رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، إذ يحتمل أن يكونا سمعاه من

---

[1] . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 6 / 283

النّبي صلى الله عليه وسلم تفسيرا فظنّاه قرآنا، فثبت له رتبة الخبر، ولا ينقص عن درجة تفسير النّبي صلى الله عليه وسلم للآية، وعلى كلا التقديرين فهو حجة يجب المصير إليه، ولأنّه صيام في كفارة فوجب فيه التتابع ككفارة القتل والظهار، والمطلق يحمل على المقيد"[1].

وكذلك مثل هذا في قضاء رمضان . غير كفارة رمضان . قال تعالى ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ١٨٤**﴾ [البقرة: 184]

اختلفوا هل يكون القضاء متتابعا أو متفرقا ؟

. من الفقهاء والعلماء من يشترط التتابع في قضاء صوم رمضان اعتمادا على قراءة شاذّة **(فعدة من أيام أخر متتابعات)**، ذكر الإمام الكاساني (ت 587هـ) صاحب بدائع الصنائع حجتهم في ذلك فقال :" واحتجّوا بقراءة أبيّ بن كعب أنّه قرأ (**فعدة من أيام أخر متتابعات**) فيزاد على القراءة المعروفة وصف التتابع بقراءته كما زيد وصف التتابع على القراءة المعروفة في صوم كفارة اليمين بقراءة عبد الله بن مسعود، ولأنّ القضاء يكون على حسب الأداء، والأداء وجب متتابعا، فكذا القضاء "[2].

. ولابن حزم رأي نفيس في هذه المسألة بعد أن أورد رواية عائشة رضي الله عنها المرويّة في سنن الدار قطني قالت :" نزلت الآية (**فعدة من أيام أخر متتابعات**)، **فسقطت متتابعات** علق ابن حزم على هذا الحديث، وخاصة حينما قالت سقطت متتابعات فقال :"سقوطها (أي متتابعات) مسقط

---

[1] . ابن قدامة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي، المغني، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، د / عبد الفتاح محمد حلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض السعودية، ط الثالثة 1417هـ . 1997م . 13 / 592

[2] . الكاساني علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة شركة المطبوعات العلمية مصر (تصوير دار الكتب العلمية) ط الأولى 1327هـ ، 2 / 76

لحكمها، لأنّه لا يسقط القرآن بعد نزوله إلاّ بإسقاط تعالى إياه، قال الله تعالى ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ٩**﴾ [الحجر: 9] ، وقال تعالى ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ١٠٦**﴾ [البقرة: 106]، وقال تعالى ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى٦**﴾ [الأعلى: 6] ، فإن قيل قد يسقط لفظ الآية ويبقى حكمها كما كان في آية الرجم قلنا لولا إخبار النّبي صلى الله عليه وسلم ببقاء حكم الرجم لما جاز العمل به بعد إسقاط الآية النازلة به، لأنّ ما رفع الله تعالى فلا يجوز لنا إبقاء لفظه، ولا حكمه إلا بنص آخر "[1].

الفائدة الثانيّة : أثر القراءات الشاذّة في بناء القواعد النّحويّة

لعلّ أكثر من اهتمّ بالقراءات الشاذّة وأفاد من أوجه اختلافها هم النحاة واللّغويون، باعتبار هذه القراءات لون من ألوان اللّغات (اللّهجات) العربيّة الفصيحة، ولها دور بارز في المحافظة على اللسان العربي، قال السيوطي :" وقد أطبق النّاس على الاحتجاج بالقراءات الشاذّة في العربيّة إذا لم تخالف قياسا معلوما، بل ولو خالفته يحتجّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه كما يحتجّ بالمجمع على وروده، ومخالفة القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذّة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة، وإن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه"[2].

وذهب سعيد الأفغاني إلى أنّ القراءة الشاذّة أصحّ نقلا وأقوى سندا يحتجّ بها في اللّغة والنّحو بعد القرآن الكريم، فقال :" وقد جرى عرف العلماء على الاحتجاج برواياته (يعني القرآن الكريم) سواء

---

[1] . ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، المحلى بالآثار، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري، دار الفكر بيروت (د . ت) 4 / 409

[2] . السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الاقتراح في أصول النحو وجدله، تحقيق : د / محمود فجال، دار القلم دمشق، ط الأولى، 1409هـ 1989م . ص 68

أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذّة، والقراءة الشاذّة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتج بها في اللّغة والنّحو، إذ هي على كلّ حال أقوى سندا وأصحّ نقلا من كلّ ما احتجّ به العلماء من الكلام العربي غير القرآن "[1]، و من أمثلة ذلك على سبيل المثال :

. دخول لام الابتداء على خبر (أنَّ) المفتوحة عند بعض النحاة واستدلوا على ذلك " بقراءة سعيد بن جبير (إِلَّا **أَنَّهُم** لَيَأكُلُونَ الطَعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاق)الفرقان 20 "[2] ، وهذه القراءة كما هو معلوم عند العلماء من القراءات الشاذّة، قال السيوطي :" وجوّز المبرّد دخول (اللام) على خبر (أَنَّ) بفتح الهمزة استدلالا بقراءة من قرأ (ألا **أنّهم** ليأكلون الطعام) بفتح الهمزة ..."[3].

. حذف المضاف إليه وإبقاء المضاف : " ومن ذلك قراءة ابن المحيصن ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ٣٨**﴾ [البقرة: 38] ، بضم الفاء (خوفُ) وبلا تنوين على تقدير : لا خوفُ شيء "[4].

. حذف الفعل والفاعل معا : كقراءة أبي بن كعب (**حُوراً عِيناً**) الواقعة 22 بالنصب، وقد أجازه سيبويه في هذه القراءة، فقال :" كأنّهم قالوا : أيّهم أتيتَ ؟ فقلت : زيدا ، ومعناه أتيت زيدا، ومثل هذا (حوراً عيناً) في قراءة أبي بن كعب ونحوها، مثله قول العجاج :

(يَذْهَبْنَ فِي نَجْدٍ وغورا وغائرا)، كأنّه قال : ويَسْلُكْن غورا وغائرا، لأنّ معنى يذهبن فيه يسلكن"[5].

---

[1] . الأفغاني سعيد، في أصول النحو، مطبعة جامعة دمشق، ط الثانية 1383هـ 1964م ص 28 . 29

[2] . د / التواتي بن التواتي، القراءات القرآنيّة ص 614

[3] . السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر (د . ت) . 1 / 506

[4]. ينظر د / التواتي بن التواتي، القراءات د/التواتي ص 603

[5] . المرجع نفسه ص 557

. الفائدة الثالثة : فائدة القراءات الشاذّة في بيان معاني القرآن وتفسيره

وهذه الفائدة من أجلّ فوائد القراءات الشاذّة التي وظفها مفسرو القرآن العظيم في بيان بعض معاني الآيات القرآنيّة وألفاظها؛ أو رفع ما يُتَوهم إشكاله؛ أو إزالة لبس أو غموض، أو توسيع معنى قال شهاب الدين القسطلاني :" لم تزل العلماء تستنبط من كلّ حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط، ومحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط "[1].

. مثال في إزالة إشكال ودفع إيهام بفضل القراءة الشاذّة قوله تعالى في القراءة المتواترة ﴿**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ١٥٦**﴾ [الأعراف: 156] ، يفهم من هذه الآية الكريمة أنّ عذاب الله يصيب به من يشاء من عباده سواء أساء أو لم يسئ، وهذا في الظاهر إشكال يحتاج إلى إزالته بالاستدلال، فجنح بعض المفسرين لدفع هذا الإبهام بقراءة شاذّة تضمنت لفظة (**أساء**) بدل (**أشاء**)، وتنسب هذه القراءة إلى الحسن وزيد بن علي وطاووس وعمرو الأسواري والأعمش وأبي العالية [2] (**قال عذابي أصيب به من أساء ورحمتي وسعت كلّ شيء**) [3] ،فدفعت هذه القراءة " توهما، وبينت أنّ عذاب الله يصيب به

---

[1] . بازمول محمد القراءات القرآنيّة وأثرها في التفسير والأحكام 1 / 75

[2] . ينظر ابن الجوزي، زاد المسير 3 / 270

[3] . وهذه القراءة تشبث بها المعتزلة للاستدلال على بعض ضلالاتهم كما ذكر أبو عمرو الداني عن سفيان بن عيينة قوله (وللمعتزلة تعلق بهذه القراءة من وجه إنفاذ الوعيد ، ومن جهة خلق المرء أفعاله ، وإن أساء لا فعل فيه لله تعالى ، والانفصال عن هذا كالانفصال عن سائر الظواهر)
ينظر،أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق : صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، ط 1420هـ . 5 / 191

من يشاء ممّن أساء فتكون هذه القراءة ذات فائدة بهذا المفهوم "[1]، وإن كان بعضهم أنكر صحة هذه القراءة، غير أنّ ابن جني قال :" هذه القراءة أشدّ إفصاحا بالعدل من قراءة الفاشية .(قراءة الجمهور). التي هي(من أشاء) ، لأنّ العذاب في القراءة الشاذّة مذكور علة الاستحقاق له، وهو الإساءة ، وقراءة الفاشية لا يُتناول من ظاهرها علة إصابة العذاب له..."[2].

4 . ترجمة القرآن الكريم

مشكل الترجمة أو ما ينجر عن الترجمة كان ولا يزال موضوعا خصبا وحقلا للدراسة والنقاش قديما وحديثا، ولأهميتها في نقل الأفكار والأغراض بين الشعوب وغيرها توالت بحوث العلماء تترى تبيينا وتصويرا لعملية الترجمة، قصد تذليل الصعوبات، والوقوف على معوقاتها، ومعالجة ما يعتريها من قصور رغم صعوبة المهمة ولقد " أحسّ القائمون بعملية الترجمة في كل عصور التاريخ بتلك الصعوبات التي تصادفهم، وقفوا على بعض أسرارها، ولكنهم مع هذا لم ينصرفوا عن الترجمة، بل ظلوا يتابعون جهودهم جيلا بعد جيل، وعصرا بعد عصر، فيوفقون حينا ويخفقون أحيانا، لأنّ الشعوب والأمم قد رأت منذ القدم حاجتها الملحة في اتصال بعضها ببعض، وفي تبادل الثقافة كما تتبادل السلع، ثمّ تبين للمفكرين في الأمم أن تبادل الثقافة يحول دونه حصون منيعة فصلت بين بني الإنسان، وتلك التي نسميها باللّغات، فأداة التفكير تختلف من أمّة إلى أخرى، وقد تتسع مسافة التخلف حتى ليخّيل إلينا أنّ الاتصال عسير أو مستحيل، وقد تقرب

---

[1] . د / التواتي بن التواتي، القراءات القرآنيّة ص 765

[2] . ابن جني أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق : علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر، 1386هـ 1966م . 1 / 261

فيراها الباحث هيّنة يسيرة "[1]، فصعوبات الترجمة لا تكمن في ضعف المترجم غير ملمّ بثقافة اللّغتين، وغير متمكن فيهما التي يترجم منها والتي يترجم إليها فحسب . فهذا لا يمكن بحال من الأحوال أن يطلق عليه مصطلح المترجم . ولا حتى المترجم الذي تتوفر فيه شروط المترجم كما بيّنها العلماء، في الحقيقة إنّما الصعوبات التي تعتري عملية الترجمة كثيرة ومعقدة نكتفي ببعض ما أشار إليها إبراهيم أنيس في قوله :" ومن تلك الصعوبات ما نسميه بهندسة الجملة فاللّغات تختلف في النظام الذي تخضع له الجمل في تركيب كلماتها، وعلاقة كل كلمة بالأخرى فلّفعل مكان خاص من الجملة، وللفاعل مكان آخر، وللمفعول مكان ثالث..."[2].

وقد يضطر المترجم إلى التقديم أو التأخير، وإلى عملية تنظيمية خاصة، حتى تبدو ترجمته جارية على المنهج المألوف في اللّغة المترجم إليها.

ومن صعوبات الترجمة هو كلّ ما يتعلق بجمال الألفاظ وموسيقاها، فقد يؤثر الكاتب لفظا على آخر لا لشيء سوى أنّ اللّفظ له رنة رتيبة في أذن الكاتب والسامع :

أولا : لأنّه ينسجم مع ما سبقه من ألفاظ؛ أو ما يليه منها فتكوّن من عباراته وجمله سلسلة من الأصوات اللّغوية المنسجمة التي لا تنبو في الآذان والأسماع، وتلك الصفة التي نفتقدها في كلّ ترجمة، ولا سيما في ترجمة الألفاظ العربيّة، فاللّغة العربيّة عنيت بموسيقى ألفاظها، وعباراتها في كلّ العصور... فكيف السبيل إلى ترجمة مثل هذا الكلام، وهو كثير في اللّغة العربيّة،

وأيّ موقف يمكن أن يتلزمه المترجم حين تعرض له تلك المحسنات اللّفظية التي قصدها الأدباء،

---

[1] . أنيس إبراهيم دلالة الألفاظ ص131

[2] . أنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ ص 131

وعمدوا إليها لتزيين آدابهم، وجعلها تتصف بالروعة و الجمال"[1].

ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره صاحب زهر الآداب أنّ رجلا دخل على المأمون (الخليفة العباسي) يتظلّم من عامل له فقال له :" يا أمير المؤمنين ما ترك لي فضة إلا فضها، ولا ذهبا إلا ذهب به، ولا غلّة إلا غلّها، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا عرضا إلا عرض له، ولا ماشية إلا امتشها ولا جليلا إلا أجلاه "[2].

فإذا كانت هذه من الصعوبات التي تعتري كلام ونصوص الأدباء في الترجمة كما أسلفنا بصفة خاصة؛ أو ما تمتاز به اللّغة العربيّة من خصوصيات تميزها عن اللّغات الأخرى بصفة عامة فترجمة القرآن الكريم حرفيا تكاد تكون مستحيلة بل هي مستحيلة، ولا يمكن بأيّة حال محاكاة نظم القرآن ورصفه المخصوص، وإيقاعه الصوتي من حيث مجموعة الحروف أو الألفاظ أو الفواصل، لأنّ كلّ رصف في القرآن له دلالته الخاصة به، فأيّ تغير يطرأ على أساليبه؛ أو أنماط تركيبه؛ أو رصفه تقديما أو تأخيرا ... يكون سببا في هدر دلالته وفساد معانيه، وخلخلة نظمه، ونسف إعجازه، "وقد تجلّت هذه الحقيقة بصورة أروع حين عرض بعض الباحثين من القدماء[3] لألفاظ القرآن بالشرح والتفسير، وتبين لهم أنّه لا يتم فهم ألفاظ القرآن إلاّ بعد التعرف على أساليبه، وما يمكن أن ينطوي وراء تعبيراته من المعاني والمقاصد"[4].

قال الشيخ محمد علي الصابوني :" الترجمة الحرفية غير جائزة، وغير صحيحة، وذلك للأسباب

---

[1] . ينظر المرجع نفسه ص132-134

[2] . أنيس إبراهيم دلالة الألفاظ ص134

[3] . أمثال : الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني والزمخشري..

[4] . أنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ ص 143

الآتية :

. **أولا :** أنّه لا يجوز كتابة القرآن بغير حروف اللّغة العربيّة لئلا يقع التحريف و التبديل . .

ثانيا : أنّ اللّغات غير العربيّة ليس فيها من الألفاظ والمفردات والضمائر ما يقوم مقام اللّغة العربيّة[1]

. **ثالثا :** إنّ الاقتصار على الألفاظ قد يفسد المعنى، و يسبب الخلل في التعبير والنّظم"[2]، ولا يمكن البتة أن تعدّ ترجمة القرآن " قرآنا مهما كانت الترجمة دقيقة، فلا يصح الاعتماد عليها في استنباط الأحكام الشرعية، لأنّ فهم المراد من الآيات يحتمل الخطأ أيضا، فلا يصح الاعتماد على الترجمة مع وجود هذين الاحتمالين، ولا تصح الصلاة بالترجمة، ولا يتعبّد بتلاوتها، لأنّ القرآن اسم للنظم والمعنى.

والنّظم : هو عبارات القرآن في المصاحف.

والمعنى : هو ما تدلّ عليه العبارات، ولا تعرف أحكام الشارع الثابتة بالقرآن إلاّ بمعرفة النّظم والمعنى"[3].

---

[1] . وهذا حتى في اللّغة العربية نفسها هناك بعض التراكيب أو رصف مخصوص في سياق معين لا تقبل بعض ألفاظه ما يسمى بالترادف الدال على المعنى نفسه؛ أو قريب منه مثل الآية الكريمة آل عمران **(الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا)** فلو استعملت كلمة جلسوا بدل قعدوا في هذا الرّصف ما بلغت الدلالة الإعجازيّة المقصودة من هذه الآية الكريمة

[2] . الصابوني محمد علي، التبيان في علوم القرآن ص206—207

[3] . الزحيلي وهبة، أصول الفقه الإسلامي 1 / 407

ترجمة القرآن بالمعنى :

بما أنّ القرآن كتاب هداية للنّاس جميعا، وغير مقتصر على العرب؛ أو الناطقين بالعربيّة، فينبغي على أهله وخاصته من النخبة ممّن توفرت فيهم شروط الترجمة كما بينها العلماء[1] أن ينقلوا معاني القرآن، أي فهوم المفسرين لخطاب الله تعالى الثقات المشهود لهم[2] للنّاس جميعا، لأنّ الله لم يخص العرب به، وإنّما كافة للنّاس، قال الله تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في محكم تنزيله ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ٢٨**﴾ [سبأ: 28]

والترجمة التي قصدناها "ههنا ليست ترجمة للقرآن، وإنّما هي ترجمة لمعاني القرآن؛ أو ترجمة لتفسير القرآن، وقد أنزل الله كتابه إلى الخلق أجمعين ليكون مصدر هداية وإرشاد وإسعاد لهم، فلا مانع لنا أن ننقل معاني القرآن إلى الأمم الأخرى ممّن لا يعرفون اللّغة العربيّة، ليستنيروا بهذا القرآن، ويقبسوا من هديه وإرشاده، وهذا بلا شك غرض من أغراض القرآن﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا٩**﴾ [الإسراء: 9]

فترجمة القرآن بهذا المعنى يجيزها العلماء، بل هي واجبة على المسلمين ليبلغوا النّاس دعوة الله، ويحملوا إليهم هداية القرآن، وبغير هذه الترجمة لا يمكن أن يدرك النّاس عظمة هذه الشريعة، وروعة هذا الدين، وجمال هذا القرآن"[3].

---

[1] . ينظر أكثر تفصيلا لهذه الشروط الشيخ الصابوني محمد علي، التبيان في علوم القرآن ص206

[2] . وتفسير القرآن أو معاني القرآن التي استنبطها العلماء حسب فهمهم للقرآن، فهذا ليس قرآنا بإجماع العلماء. ينظر الشيخ الصابوني التبيان في علوم القرآن ص 206

[3] . الصابوني محمد علي، التبيان في علوم القرآن ص 208

5 . الإعجاز في القرآن الكريم :

في بداية هذا المبحث أشير أن المقام ليس مقام تفصيل في موضوع الإعجاز في القرآن الكريم من حيث الدراسة، والاستقصاء، والتحليل، وتتبع لدقائقه وأسراره؛ أو ما يتعلق به " لأنّ الكلام في إعجاز القرآن لا يحصره بيان، ولا يحدده إنسان، وكلّما تجدد الزمن وتوالت الأيّام ظهرت أدلّة جديدة وبراهين وآفاق في إعجاز القرآن، لأنّ كلام الله لا يحيط به أحد﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ٢٥٥**﴾ [البقرة: 255] "[1]، ولا تنقضي عجائبه على مرّ الأزمان والعصور، ولا تنته أسراره .... وإن كان لهذا الموضوع أهميّة بمكان، فدفعا للتطويل أقف على بعض لطائفه وومضاته السَنِيَّة، مركزا على ما يتصل بهذه الدراسة.

5 . 1 . الإعجاز لغة واصطلاحا :

5 . 1 . 1 . لغة :

قال الجوهري (ت 393هـ) في الصحاح :" العَجز : الضعف ، تقول : عجزت عن كذا أعجز بالكسر عجزا ومعجزة ومعجزا بالفتح أيضا على القياس، وفي الحديث (لا تلبثوا بدار معجزة)، أي لا تقيموا ببلدة يعجزون فيها على الاكتساب والتعيّش... والتعجيز والتثبيط، وكذلك إذا نسبته إلى العجز ...والمعجزة : واحدة معجزات الأنبياء"[2].

وقال الزمخشري :" طلبته فأعجز، وعاجز إذا سبق ولم يدرك ... وعجز فلان عن العمل إذا

---

[1] . الزحيلي وهبة، الأصول في الفقه الإسلامي 1 / 416

[2] . الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت لبنان ط الرابعة 1407هـ 1987م . 3 / 883 . 884

كبر..."[1]، وفي جملة الأمر لا تخرج المعاني اللّغويّة لمادة (ع ، ج ، ز) عن دلالة القصور وعدم القدرة، وبمعنى آخر العجز ضده القدرة، والقرآن الكريم دلّ على هذا المعنى في مواضع منها قوله تعالى على لسان ابن آدم (قال **يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب**)(33 المائدة)، وقوله أيضا على لسان إمرأة إبراهيم عليه السلام (**أألد وأنا عجوز**) 71هود) .

5 . 1 . 2 . اصطلاحا :

قبل الوقوف على مفهوم الإعجاز القرآني من خلال بعض التعاريف الاصطلاحيّة وتبيينه أشير إلى التعريف الاصطلاحي للمعجزة للعلاقة القائمة بينهما.

عرّف الإمام الزرقاني المعجزة بقوله :" المعجزة : هي أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدّعي النّبوة عند دعواه إيّاها، شاهدا على صدقه..."[2]

ويرى الدكتور عمار ساسي إضافة جملة (دال على صدق الرّسول في دعواه) للتعريف المعهود للمعجزة حتّى يتمّ ويكتمل، وإضافة جملة (دال على البلاغ) لتعريف المعجزة للدلالة على المعجزة الخاصة المتمثلة في المعجزة القرآنيّة، فقال " **المعجزة القرآنيّة** : هي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، دالّ على البلاغ، وحامل لصدق الرّسول في دعواه "[3].

فإذا كانت المعجزة هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب يؤيد الله بها من اصطفاهم للنّبوة والرسالة للدلالة على صدق دعواهم فالإعجاز في القرآن الكريم وفق هذا التعريف لا يمكن أن يتحقق إلّا إذا توفرت فيه شروط ثلاثة وهي : التحدي، وانتفاء المانع، وقيام المقتضي للتحدي

---

[1] . الزمخشري، أساس البلاغة ص 294

[2] . الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط الثالثة 1 / 73

[3] . . د / ساسي عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم 1 / 79

. الشرط الأول : التحدي[1] أي طلب المباراة والمعارضة.

. الشرط الثاني: أن يكون **المقتضي**[2] الذي يدفع إلى التحدي والمباراة قائما.

. الشرط الثالث : أن يكون **المانع**[3] الذي يمنعه من المباراة منتفيا لمعارضة القرآن والقرآن الكريم توفرت فيه هذه الشروط الثلاثة، فقد تحدى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان المقتضي عند العرب الذي تحداهم قائما، والمانع عندهم منتفيا، ومع هذا لم يعارضوه، ولم يأتوا بمثله"[4].

فمن خلال مفهوم المعجزة التي أشرت إليها سابقا استخلص العلماء والباحثون التعاريف الاصطلاحيّة للإعجاز القرآني بالنّظر إلى خصوصياته، وسماته التمييزيّة، مع إخضاعها لقناعاتهم

---

1 . والتحدي ورد في كثير من الآيات القرآنية الدالّة على ذلك منها قوله تعالى (وإن **كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله**) 23 البقرة ، ثمّ نفى عنهم أن يفعلوا ذلك ، بل لن يستطيعوا أن يفعلوا في كل زمان و مكان بدليل قوله تعالى عقب الآية السابقة (**لم تفعلوا ولن تفعلوا**) 23البقرة ، وقال أيضا (**قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى**) 49القصص ، وقال أيضا (**قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات**) 13هود

2 . المقتضي قائم للمباراة و المعارضة عند العرب ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم كان بين ظهرانيهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، قال تعالى (**فقد لبثت فيكم عُمُرا من قبله أفلا تعقلون)** 16 يونس، ومع ذلك أخبرهم عليه الصلاة و السلام بأنّه رسول من الله تعالى وجاءهم بدين الحقّ يبطل دينهم وما كانوا عليه من عبادة للأوثان وسفه عقولهم وأحلامهم وأدحض عبادتهم ببراهين ساطعة وأدلة داحضة من كتاب الله تعالى، فكانوا أحوج ما أحوج إليه إلى ردّ ما جاء به ببراهين ودحض ما ادّعاه و إبطال ما يدعو إليه بالأدلة دون اللجوء إلى القوة و السيف والتعذيب، وما هذه الأساليب الأخيرة إلاّ أسلحة الضعيف الذي لا يستطيع أن يقارع الحجّة بالحجة، والدليل بالدليل، بل إنّ مزاعمهم وعبادتهم مبنية على جرف هار سرعان ما انهارت بهم ولم تصمد أمام الحقّ الأبلج

3 . والمقصود بانتفاء المانع من معارضة القرآن الكريم للأسباب التالية:

أولا: نزل بلسان العرب قال تعالى (**وهذا لسان عربي مبين**) 103النحل، وقال في مطلع سورة يوسف (**ألر تلك آيات الكتاب المبين إنّا أنزلناه قرآنا عربيا**) 1يوسف.

ثانيا : حروف القرآن من حروف لسانهم، وكلماته من كلماتهم، وعباراته مألوفة لديهم، وهم أرباب البلاغة والبيان والفصاحة، وأساطين الشعر، وفرسان الخطابة، ومنهل الحكم، ولهم في ذلك أسواق معلومة مشهورة (سوق عكاظ..).

ثانيا: لم ينزل القرآن جملة واحدة، بل نزل منجما مفرقا لمدة ثلاث وعشرين سنة، ممّا يتيح لهم الإعداد لمعارضته و إحراز السبق، ومع ذلك ما استطاعوا أن يأتوا بأقصر سورة ولا آية، وعجزوا عن ذلك.

4 . الزحيلي وهبة، أصول الفقه الإسلامي 1 / 114-115

المذهبيّة أو الفكريّة، ومن هنا تعددت تعاريفه، نذكر منها :

. تعريف أبي إسحاق النظام المعتزلي (ت 231هـ) للإعجاز القرآني، قال " أنّ الله قد صرف الله قدرات عباده، وسلب همّتهم، وحبس ألسنتهم عن الإتيان بمثله "[1]، وهذا مذهب بعض المعتزلة، ومعنى قول النظام أنّ أقوالهم كانت مجبولة على الإتيان بمثله، ثمّ سلبهم الله تلك القوّة وصرفهم عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، فصاروا عاجزين"[2]، وقد سخر من هذا القول كثير من العلماء والباحثين، ومنهم الجاحظ والباقلاني، لأنّه لا يستقيم عقلا، ولا منطقا.

أمّا المعتزلة عموما فلهم مفهوم مغاير لما ذهب إليه النظام ومن على شاكلته، فقالوا :" الإعجاز . أي إعجاز القرآن . لخروجه عن سائر أساليب العرب، فزادهم أسلوبا لم يكن فيما بينهم في لغتهم، لأنّها محصورة في الرجز والشعر والرسالة والخط ومنظوم الكلام ومنثوره ، والقرآن خارج عن ذلك، فجرى مجرى إحياء الموتى في زمن عيسى عليه السلام، لأنّ في وقته كان الأطباء يدّعون تصحيح الموتى، ولم يكن دعوى لإحياء الموتى، فزادهم عليهم إحياء الموتى، وكذلك عصا موسى، وقيل الإعجاز في بلاغته وجزالته وفصاحته المجاوزة لحدود جزالة كلام العرب"[3].

. عرف جمهور علماء الأمّة، وسوادهم الأعظم الإعجاز بأنّه :" إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة ...لأنَّ القرآن سما في علوه إلى شأو بعيد، بحيث تعجز القدرة البشريّة عن الإتيان بمثله، سواء أكان هذا العلو في بلاغته أو شريعته أو مغيباته "[4].

---

[1] . د/ البوطي، من روائع القرآن الكريم ص 125

[2] . ينظر د / التواتي بن التواتي القراءات القرآنية أثارها في النحو والفقه الإسلامي ص66

[3] . المرجع نفسه ص66

[4] . ينظر ساسي عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم 1 / 75

وقال في البحر المحيط " أنّ الإعجاز فيه غرابة النّظم مع الإخبار عن الغيب، وإتيانه بقصص الأولين والآخرين"[1].

ومن المحدَثِين الشيخ الأستاذ محمد علي الصابوني بيّن مفهوم الإعجاز القرآني على أنّه :" إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، وليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز، أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدي كلّ عاقل، وإنّما الغرض هو إظهار أنّ هذا الكتاب حقّ، وأنّ الرّسول الذي جاء به رسول صادق، وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام "[2].

فإذا نظرنا إلى مذاهب العلماء التي ذكرت في تعريف الإعجاز القرآني تبيّن أنّ أغلبها إن لم أقل جميعها تذهب إلى أنّ المقصود بالإعجاز القرآني على وجه الخصوص هو كلّ ما يتعلق بالقرآن من نّظم دقيق، ورصف عجيب، وأساليب بديعة، وبيان ساحر[3]، وبلاغة متناهية، ودلالة واضحة، وفصاحة مشرقة فاقت الوصف، وجزالة لا مثيل لها، وانسجام تام بين المبنى المعنى، فلا ينبو لفظ عن آخر " ولا معنى يعارض معنى، ولا حكما يناقض أو يهدم حكما، مع نزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة، كذلك لا نجد في عباراته اختلافا في مستوى البلاغة، ولا تفاوتا في فصاحة التعبير، وإنّما كلّ ما جاء فيه في ميزان واحد من الجزالة والمطابقة لمقتضى الحال"[4].

وقد تحدى الله الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ، ونفى أن يأتوا بمثله فلو قاموا على صعيد واحد لمعارضته؛ أو الإتيان بأقصر سورة أو أقصر آية من القرآن ما استطاعوا ولن يستطيعوا

---

[1] . الزركشي، البحر المحيط 2 / 184

[2] . الصابوني، التبيان في علوم القرآن ص 89 . 90

[3] . قال الدكتور عمار ساسي :" الإعجاز البياني أسبق كشفا من الإعجاز العلمي " ينظر أكثر تفصيلا الإعجاز البياني في القرآن الكريم 1 / 83

[4] . الزحيلي وهبة، الأصول في الفقه الإسلامي1 / 417

قال تعالى ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا٨٨**﴾ [الإسراء: 88].

ولعلّ سرّ ذلك أنّ كلّا من الإنس والجنّ مخلوقات محدودة الآفاق، وأغراضهم ضيّقة، وأفكار عقولهم وخيالها منتهية بما هو مشاهد مهما أطلقت عنان خيالها، وعباراتهم ومعانيهم تدور في هذا الوعاء المحدود زمانا ومكانا، بالإضافة إلى عدم إحاطتهم بالأشياء المشاهدة، ناهيك عن الغيبيات المحجوبة عن أنظارهم، والأشياء غير المدركة حسّا التي لا يعلمها إلاّ الله، قال تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ٥**﴾ [آل عمران: 5] ، وقوله أيضا ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ٥٩**﴾ [الأنعام: 59]، بيد أنّ كلام الله صفة أزلية للخالق، لا يحيطه شيء، لا زمان ولا مكان، ولا ينفد ولا تنتهي معانيه، ولا تنقضي عجائبة، ولا تنته أسراره، قال تعالى ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا١٠٩**﴾ [الكهف: 109] ، وقال أيضا ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ٢٧**﴾ [لقمان: 27] .

ومع ذلك ظهر في صدر الإسلام من ادّعى أنّه يسلك مسلك القرآن في رصفه ونظمه ومعانيه، ويحاكيه في أسلوبه، ويأتي بمثله كمسيلمة الكذّاب الذي أوهم النّاس أنّه يُوحى إليه، فظهر عجزه، و أبان ضيق أفقه، وافتضحت أغراضه، وهو من العرب الأقحاح فما استطاع أن يأتي بجملة منسجمة مبنى ومعنى على شاكلة أسلوب القرآن الكريم، ومن قوله السخيف الباطل :" والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسد من رطب ولا يابس) وأشياء من هذا الكلام السخيف

(الباطل) الركيك البارد السمج"[1]، ومن كلامه المفترى أيضا :" والفيل ما أدراك ما الفيل له زلوم طويل"[2]، والذي أراد أن يحاكي به سورة القارعة وسورة الحاقة وشتان بين الثَرَى والثُرَيَّ، فهو لم يتجاوز المُشاهد الظاهر في وصفه للفيل المتعارف عليه بين النّاس، فإنّه لم يأت بشيء جديد، ولم يُشر إلى ما يدلّ على الإعجاز في كلامه هذا من جهة، ومن جهة آخرى استعماله للفظة (**ما أدراك**) في الرّصف أو التركيب للدلالة على معنى بسيط غير عظيم ممّا يتنافى وبلاغة الكلام وإعجازه ، إذ لا تستعمل هذه اللّفظة (ما أدراك) إلّا للدلالة على معنى جلل عظيم، ففي مطلع سورتي القارعة . (**القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون النّاس كالفراش المبثوث**) . والحاقة . (**الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود بالقارعة**) استعملت كلمة (**وما أدراك**) للدلالة على أمر غيبي عظيم من مشاهد يوم القيّامة وأهوالها الذي تذهل أمّا المشهد العظيم كلّ مرضعة عمّا أرضعت، قال تعالى﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ٢**﴾ [الحج: 2] من شدّة هول هذا اليوم، وما أدراك ما هذا اليوم العظيم الذي لا يعلم حقيقته إلّا الله جلّ في علاه ، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي عن الحاقة هي :" من أسماء يوم القيّامة لأنّها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور ومخبآت الصدور، فعظّم تعالى شأنه وفخمه بما كرّره من قوله ﴿**الْحَاقَّةُ١ مَا الْحَاقَّةُ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ٣**﴾ [الحاقة: 1-3] فإنّ لها شأنا عظيما، وهولا جسيما "[3]، وقال أيضا :" القارعة من أسماء يوم القيّامة، سميّت بذلك لأنّها تقرع النّاس وتزعجهم بأهوالها،

---

[1] . ابن كثير الحافظ عماد الدين أبي إسماعيل، البداية والنهاية . دار الإمام مالك . الجزائر . ط2006 . 4/ 49

[2] . المصدر السابق 4 / 49

[3] . السعدي الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، تحقيق : عبد الرحمن بن معلّا اللويحق، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط الأولى، 1424هـ 2003م . ص 844

ولهذا عظّم أمرها وفخمه بقوله ﴿**الْقَارِعَةُ١ مَا الْقَارِعَةُ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ٣**﴾ [القارعة: 1-3] "[1]، فإعجاز القرآن في نظمه الدقيق ورصف حروفه وكلماته وآياته وسوره وقصصه بطريقة عجيبة، وتوليد معانيه ودلالاته غير المنتهية، وتجددها من الرّصف القرآني نفسه المنسجمة مع كلّ عصر من العصور، والمتساوقة مع كلّ مكان من الأمكنة والمرنة يتماشى معها كلّ اكتشاف علميّ صحيح، وهذا لا يقدر على تأليفه ورصفه لا إنس ولا جنّ، لأنّ كلّا منهم يرى أشياء وتغيب عنه أُخَر، ناهيك أنّهم لا يعلمون ما غاب عنهم في الماضي ولا ما حجب عنهم في حاضرهم، ولا يعلمون ما يحدث في المستقبل من تقلبات وتغيرات، ولقد أشار إلى هذا المعنى الشاعر الجاهلي الحكيم، وأحسن التعبير بقوله :[2]

وأَعلمُ عِلمَ اليوم والأمسِ قَبْله ولكنّني عن عِلم ما في غَدٍ عَم

فالقرآن الكريم يتمايز عن غيره بدلالات متجددة، ومعان غير متناهيّة، وعجائب لا تنقضي ، فهو مجال خصب وحقل ثرّ دائم العطاء للعلماء والباحثين في جميع الأزمنة، فلا يستأثر به عصر دون عصر، وهذا ما أشار إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس في قوله :" إنّ القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة فلا يستقل بتفسيره إلّا الزمن ... فكثير من متون الكتاب والسنّة الواردة في معضلات الكون، ومشكلات الاجتماع لم تفهم أسرارها ومغزاها إلّا بتعاقب الأزمنة، وظهور ما يصدّقها من سنن الكون، وكم فسرت لنا حوادث الزمن، واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن ومتون الحديث، وأظهرت للمتأخرين ما لم يظهر للمتقدمين ... وقد أُثر عن جماعة من فقهاء الصحابة بالقرآن قولهم في بعض هذه الآيات (لم يأت مصداقها؛ أو تأويلها بعد)، يعدون أنه آت،

---

[1] . المصدر نفسه ص 892

[2] من معلقة زهير بن أبي سلمى، ينظر الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 149

وأنّ الآتي به حوادث الزمان ووقائع الأكوان، وكلّ عالم يعطي صورة زمنه بعد أن يكيّف بها نفسه"[1].

ويرى ابن الحصّار أنّ إعجاز القرآن وتحدّيه يتمثل في ثلاثة أوجه يتميز بها عن غيره وهي : (النّظم والأسلوب والجزالة)، ذكرها القرطبي ونسبها إليه قال :" وهذه الثلاثة من (النّظم والأسلوب والجزالة) لازمة كلّ سورة، بل هي لازمة كلّ آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كلّ آية وكلّ سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز، ومع هذا فكلّ سورة تنفرد بهذه الثلاثة من غير أن ينضاف إليها أمر آخر...فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات قصار . وهي أقصر سورة في القرآن . وقد تضمنت الإخبار عن مغيبين **أحدهما** : الإخبار عن الكوثر(نهر في الجنّة) وعظمه وسعته وكثرة أوانيه، وذلك يدلّ على أنّ المصدّقين به أكثر من إتباع سائر الرّسل **والثاني** : الإخبار عن (الوليد بن المغيرة)، وكان عند نزول الآية ذا مال وولد، ثمّ أهلك الله سبحانه ماله وولده[2]، وانقطع نسله"[3].

5 . 2 . الإعجاز في الرّصف القرآني :

الإعجاز في القرآن الكريم ظاهر بيّن في مجالات شتى ، وفي نظمه ورصفه وأسلوبه أظهر، ويتجلّى بوضوح تام مشرق بمقارنته أو موازنته مع غيره من أساليب الكلام، أقتصر على

---

[1] . ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص 411

1 . إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكوثر (**إنّ شانئك هو الأبتر**) أي شانئك : مبغضك:؛ وهو الوليد بن المغيرة أو العاص بن الوائل كما ذكر الزمخشري في الكشاف ، وهو الأبتر أي : لا ولد له ولا نسل ، انقطع نسله بعد أن كان له من الأولاد، وهذا أمر غيبي تحقق بعد مدة.

[3] . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 1 / 73 . 74

أسلوبين بليغين من أساليب العربيّة الفصيحة، دفعا للتطويل، ووقوفا على المقصد المرجو من هذا المبحث.

5 . 2 . 1 . رصف القرآن و رصف الأحاديث النبويّة الشريفة :

فإذا كان أسلوب أفصح من نطق بلغة الضاد سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم أروع أسلوب عربيّ ممّا تميز به من فصاحة دقيقة، ودرجة عاليّة من البلاغة، ورصف بديع، وروعة بيان لا يجاريه في ذلك كلام أساطين الفصاحة والبلاغة، وخاصة إذا كان الحديث النبوي مرويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى[1]، فإنّه لا يرقى ولا يسمو إلى أسلوب القرآن ورصفه ونظمه وفصاحته... نجد البون شاسعا والفرق واسعا، فعلى سبيل المثال لا الحصر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الجنّة ونعيمها، قال عليه الصلاة والسلام **(فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)**[2]، فهذا الحديث من جوامع كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيق بأسلوب أخاذ، ونظم دقيق، ورصف مرتب منسجم متسق، وروعة بلاغة، وقمّة فصاحة من حيث انتقاء الألفاظ المأنوسة الاستعمال، والحاملة لشحنات دلالية إيجابيّة، والموصوفة بالحسن، لها تأثير واضح وأثر جليّ على قلوب المخاطبين، وخاصة المخاطَب يتشوّق ويتطلع لمعرفة ما هو غيبي كنعيم الجنّة وخلودها، ولكن إذا ما قورن هذا الحديث الشريف بآيتين من القرآن الكريم في السياق نفسه . في وصف الجنّة ونعيمها :

الأولى: قوله تعالى ﴿ **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ٧١**﴾ [الزخرف: 71]

---

[1] . الأحاديث المروية لفظا ومعنى قليلة بالنسبة إلى الكثيرة المروية بالمعنى

[2] . البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث 3072، 3 / 1185

والثانية: قوله تعالى﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ١٧**﴾ [السجدة: 17] تجلى الفرق بين الحديث والآيتين، فإعجاز نظم الآيتين ورصفهما وحسن أسلوبهما على أنّهما " أعدل وزنا، وأحسن تركيبا، وأعذب لفظا، وأجزل عبارة، وأقل حروفا "[1]، " فبلاغة القرآن نضارته وإشراقته في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان" [2]، لا يشبهه كلام و﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢**﴾ [فصلت: 42] ، أمّا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغم روعة بلاغتها، وإشراق فصاحتها فهي دون القرآن، لأنّ فيها مسحة بشرية من حيث نّظم ألفاظها ورّصفها، وإن كان معناها من الله.

. وفي مثل آخر : تمعن وأَدِم الإمعان كيف رصفت الآيتان الكريمتان برصف بديع دقيق، وإيجاز معجز ظريف، لا يقبل الزيادة ولا النقصان، ولا التقديم ولا التأخير:

الأولى : قوله تعالى ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢**﴾ [الحجر: 92]

والثانية : قوله تعالى ﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ٦**﴾ [الأعراف: 6]، ووازن بينهما وبين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في السياق نفسه **(كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته...)**[3]

5 . 2 . 2 . رصف القرآن و رصف العرب :

إنّ من كلام العرب وأساليبهم ما يسحر الألباب، ويبهر السامع، ويأخذ بمجامع القلوب، ولا غرو في ذلك لأنّ العرب هم أساطين الفصاحة والبلاغة، والقرآن الكريم نزل بلسانهم وتحداهم

---

[1] . الصابوني، التبيان في علوم القرآن ص113

[2] . المرجع نفسه ص113

[3] . البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث 4904 . 5 / 1996

بصنعتهم هذه على أن يأتوا بمثله فما استطاعوا، وإن كان في كلامهم البليغ ما يشاكل القرآن في الظاهر كقولهم : (**القتل أنفى للقتل**)، وهذا الكلام فيه من الإيجاز والفصاحة ما هو ظاهر وبيّن، وهو نوع من الإيجاز يصطلح عليه بـ (إيجاز القِصَر) عند البلاغيين، وقد قال فيه ابن الأثير :" هو أعلى طبقات الإيجاز مكانا، وأحوزها إمكانا، وإذا وجد في كلام بعض البلغاء فإنّما يوجد شاذا نادرا "[1]، أمّا في كلام الله تعالى فهو كثير وليس بنادر منه :

قوله تعالى ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ٥٤**﴾ [الأعراف: 54] ، " كلمتان استوعبتا جميع الأشياء على غاية الاستقصاء، روي أنّ ابن عمر قرأها فقال"من بقي له شيء فليطلبه "[2].

وقوله تعالى ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ١٩٩**﴾ [الأعراف: 199]

وقوله ﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا٣١**﴾ [النازعات: 31]

وقوله ﴿**مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ٣٣**﴾ [النازعات: 33]

وقوله ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ٣١**﴾ [لقمان: 31] ...

فقول العرب (القتل أنفى للقتل) يشبه الآية الكريمة ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ١٧٩**﴾ [البقرة: 179] من حيث المعنى العام، فهما يدوران في سياق واحد، بيد أنّهما يختلفان في معالجة هذه الظاهرة من بعض الجوانب، فقد يكون في قتل القاتل جورا وظلما إن لم يكن على حكم القصاص.

فالقرآن الكريم عبّر بلفظتين فصيحتين في ذروة الإيجاز والجزالة والروعة استوعبتا الظاهرة ومعالجتها، ونتائج هذه المعالجة، قال تعالى (**القصاص حياة**) والمعنى :" أنّه إذا قتل القاتل امتنع

---

[1] . عتيق عبد العزيز، علم المعاني ص186

[2] . المرجع نفسه ص177

غيره عن القتل، فأوجب ذلك حياة للناس"[1]، فقد يتوهم أو" يخيّل لمن لا يعلم أنّ هذا القول (القتل أنفى للقتل) على وزن الآية الكريمة، وعلى قدم و ساق في فصاحتها وبلاغتها من حيث اللفظ والمعنى، وليس الأمر كذلك، بل بينهما فروق من ثلاثة أوجه :

. **أحدهما** : أنّ (**القصاص حياة**) لفظتان، و(القتل أنفى للقتل) ثلاثة ألفاظ. إذا لم نعتدّ بـ : (أل) و(لام) الجر.

. **الثاني** : أنّ في قولهم (القتل أنفى للقتل) تكرارا . القتل مكرر مرتين . ليس في الآية

. **الثالث** : أنّه ليس كلّ قتل نافيا للقتل إلاّ إذا كان القتل على حكم القصاص"[2]، فقمّة الإيجاز لا تكرار، وروعة البيان لا غموض ولا إغماض، وقوّة السبك والرّصف من حيث انسجام المبنى مع المعنى في الآية الكريمة (**القصاص حياة**)، لأنّها كلام الله الخالق، وما دونها تأليف البشر المخلوق العاجز على أن يأتي بمثل ما جاء في القرآن ولو بآية من مثله، وهذا باعتراف بلغاء العرب أنفسهم لمّا سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلّم، "روي أنّ أبا جهل قال في ملأ من قريش لقد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر، فكلّمه ثمّ أتانا ببيان عن أمره ؟، فقال عتبة بن ربيعة . وكان من أشرف القوم وسادتهم وأعلمهم . أنا أقوم إليه وأكلمه، فأتاه، فقال يا محمد: أنت خير أم هاشم ؟، أنت خير أم عبد المطلب ؟، أنت خير أم عبد الله ؟، فبم تشتم آلهتنا وتضلّلنا ؟، فإن كنت تريد الرياسة عقد لك اللواء فكنت رئيسنا، وإن كنت تريد النساء زوجناك ما تشاء منهنّ، تختار من أيّ بنات قريش ما شئت، وإن كنت تريد المال جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنانا وأكثرنا مالا، والنّبي صلى الله عليه وسلم ساكت لا يجيبه،

---

[1] . عتيق عبد العزيز، علم المعاني ص176

[2] . عتيق عبد العزيز، علم المعاني ص176-177

فلمّا فرغ من عرضه قال له النّبي صلى الله عليه وسلم أفرغت؟

قال: نعم، قال: فاسمع إذاً، فتلا عليه سورة فصلت ﴿**حم١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ٢**﴾ [فصلت: 1-2] حتى بلغ قوله تعالى ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ١٣**﴾ [فصلت: 13] فأمسك عتبة على فيه، وناشده بالرّحم أن يكف، ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش، فلمّا احتبس عنهم قالوا : ما نرى عتبة إلاّ قد صبأ، فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة: ما حبيسك عنّا إلاّ أنّك قد صبأت، فغضب ثمّ قال لهم : والله لقد كلّمته فأجابني بشيء، والله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بكهانة، وقد ناشدته بالرّحم أن يكف خشية أن ينزل بكم العذاب، وقد علمتم أنّ محمدا إذا قال شيئا لم يكذب.."[1].

وفي صحيح مسلم أنّ أُنَيْسًا الغفاري . وهو أخ أبي ذر الغفاري الصحابي المشهور . قال لأخيه أبي ذر :" لقيت رجلا بمكة على دينك، يزعم أنّ الله أرسله، قلت: فما يقول النّاس؟

قال : يقولون شاعر ساحر كاهن . وكان أُنَيس أحد الشعراء . قال أُنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعراء[2] فلم يلتم على لسان أحد منهم أنّه شعر، والله إنّهم لكاذبون، وإنّه لصادق"[3].

قال القرطبي :" وإذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان، وموضعه من الفصاحة والبلاغة بأنّه ما سمع مثل القرآن قط، كان في هذا القول مقرّا بإعجاز القرآن له، ولضربائه من المتحققين

---

[1] . ينظر الزمخشري محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه : مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث القاهرة، ودار الكتاب العربي بيروت، ط الثالثة، 1407هـ 1998م . 4 / 192

[2] . أقراء الشعراء: أنواعه و بحوره

[3] . مسلم، في صحيح مسلم، رقم الحديث 2473 . 4 / 1919

بالفصاحة، والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه "[1].

وهذه شهادة من أساطين الفصاحة البلاغة . من خلال هاتين الروايتين وغيرها . على أنّ القرآن الكريم في ذروة الفصاحة والبلاغة، وأنّ نظمه معجز، وأسلوبه لا يشبه أسلوب نثر ناثر، ولا شعر شاعر، ولا قول كاهن، ولا حكمة حكيم فهو يعلو ولا يعلى عليه.

ففحول البيان اعترفوا بإعجازه رغم ما كانوا عليه من مواهب محشوة للتفوق في هذه الناحية، واعتزاز واضح جليّ بلغتهم، ووضعها في أحسن صورة وأعلى منزلة من الفصاحة والبلاغة، وتختار من القول ما كان وجيزا بليغا، قال سويد بن أبي كاهل :

تسمع الحُدَاث قولا حسناً لو أرادوا غيره لم يُسْمعِ

وقال آخر:

تضع الحديث على مواضعه وكلامُها من بعده نزر

واهتمامهم بلغتهم جعلتهم يتخذون لها مواسم وأسواقا كسوق عكاظ يتبارى فيها أهل البيان، حتّى بلغ بهم الأمر إلى التمييز بين الأشعار، وكذلك النثر...فقالوا :" أشعر النّاس امرؤ القيس إذا ركب، وزُهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب"[2].

بل بالغوا في المحافظة على لسانهم بالتنقيح، ولا يكون التأليف والرّصف إلّا على منواله، حتى يكون في أحسن صورة يتلذذ به السمع، ويُؤنس القلوب، ويدفع الرديء من القول، ويجلب الجيّد منه ويستدعيه قصد البلوغ إلى صفوة القول، وحسن الكلام.

ومن اهتماماتهم باللسان العربيّ ما ذكر في كتب أشعار العرب أنّه كانت تنصب خيمة حمراء عالية

---

[1] . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 1 / 73

[2] . أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ص 23

في سوق عكاظ في كلّ موسم حج لشيخ النقاد(النابغة الذبياني) صاحب الإحساس المرهف، والتذوق البليغ للسان العربي، فهو ذو ملكة لا تضاهى في ما توحي به الألفاظ العربيّة من دلالات وإيحاءات تصل إلى حدّ الإعجاز، وصور بلاغيّة مبهرة تسحر الألباب حتى صار عَلَما متربعا على مشيخة النقد، يحكم بين قصائد الشعر، ويحدد مراتبها، يغدوا إليه شعراء الطبقة الأولى في العصر الجاهلي من كلّ حدب وصوب، فتعرض عليه أشعارهم لينقدها بلاغيّا، فيرفع أقواما إلى عنان سماء الشعر البليغ الفصيح، ويخفض آخرين إلى أسفل سافلين.

روي في إحدى السنوات الخوالي في العصر الجاهلي أنّ الشاعرة المخضرمة الخنساء رضي الله عنها قبل الإسلام أنشدت قصيدتها . في رثاء أخيها صخر . في حضرة النابغة الذبياني، تقول في مطلعها :

قذى بعينك أم بالعين عوّار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

كأنّ عيني لذكراه إذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار

فأعجب النابغة بالقصيدة وقال لها : لو أنّ الأعشى أنشد قبلك لفضلتك على شعراء هذه السنة، وكان من بين الحضور الصحابي الجليل حسان ابن ثابت رضي الله عنه . وهو من الشعراء الفحول فغضب . من هذا الحكم، وتلك المرتبة التي حُظيت بها الخنساء . وهذا قبل الإسلام . فقال : أنا أشعر منك ومنها، ثمّ أراد أن يفتخر بقومه في المجلس نفسه فأنشد قائلا :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وما أن بدأ ينشد قصيدته الفخريّة حتى انبرت إليه الخنساء منتقدة لقصيدته . فالنقد والتذوق البلاغي لم يكن مقتصرا على النابغة الذبياني فقط ، فالخنساء أوتيت هذه الملكة النقديّة، والإحساس البلاغي المرهف، والتذوق اللّغوي الراقي ما زاحمت به فحول الشعراء، وهذا ما يوضحه نقدها لحسان رضي الله عنهما. قائلة له :

ضعّفت افتخارك وأبرزته في ثمانية مواضع، تفاجأ حسان من كلامها وهو لم ينشد إلّا بيتا واحدا أو بيتين من قصيدته، فقال كيف ذلك ؟

قالت : قلت : (لنا الجفنات)، والجفنات ما دون العشرة، فقلّلت العدد، ولو قلت: الجفان لكان أكثر.

وقلت : (الغرّ) والغرة البياض في الجبهة، ولو قلت : أبيض لكان أكثر اتساعا.

وقلت : (يلمعن) واللمع شيء يأتي بعد الشيء، ولو قلت : يشرقن لكان أكثر، لأنّ الإشراق أدوم من اللمعان.

وقلت : (بالضحى)، ولو قلت : بالعشيّة لكان أبلغ في المديح، لأنّ الضيف بالليل أكثر طروقا

وقلت : أسيافنا، والأسياف دون العشر، ولو قلت : سيوفنا كان أكثر.

وقلت : (يقطرن) قد دلّت على قلّة القتل، ولو قلت : يجرين لكان أكثر لانسياب الدم.

وقلت : وقلت (دما) والدماء أكثر من الدم.

وافتخرت بمن ولدت، ولم تفتخر بمن ولدوك.

فتعجب حسان من قوة نقدها، ورسوخ لغتها وذوق بلاغتها، فلم يرد عليها، وانصرف في ذهول.

وفي رواية أنّ النقد الذي وجه لحسان بن ثابت كان من النابغة نفسه"[1].

و من أيّ وعاء كان النقد فيدلّ على قوة لغتهم، ودقة ذوقهم وبلاغتهم. وحسن رصفهم للكلم.

ورُوي كذلك أنّ الشاعر الحطيئة كان يستحسن شعر زهير لأنّه حولي[2] " خير الشعر الحولي

---

[1] . ينطر العسكري أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل (ت 382هـ)، مصون في الأدب تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط الثانية، 1984م . ص 3 . 4

[2] . حولي : ينقح شعره مدة حول كامل ثمّ يخرجه للنّاس

المنّقح "[1]، ومع هذا كلّه وقفوا عاجزين مبهورين أمام رصف القرآن الكريم ونظمه ...وما زال ولا يزال القرآن الكريم معجزا إلى يومنا هذا، وحتى يرث الأرض ومن عليها، وهذا رغم تطور الدرس اللّغوي العربي عبر القرون، واحتكاكه بالنظريات اللسانية الحديثة.

ويمكن أن أقول ما قاله صاحب مناهل العرفان :" وها قد مرّت على اللّغة العربيّة من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا أدوار مختلفة بين علوّ ونزول، واتّساع وانقباض، وحركة وجمود، وحضارة وبداوة، والقرآن في كلّ هذه الأدوار واقف في عليائه، يطل على الجميع من سمائه، وهو يشع نورا وهداية، ويفيض عذوبة وجلالة، ويسيل رقة وجزالة، ويرفّ جدّه وطلاوة، ولا يزال كما كان غضا طريّا يحمل راية الإعجاز، ويتحدّ أمم العالم في يقين وثقة قائلا في صراحة الحق وقوته وسلطان الإعجاز وصولته ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا٨٨**﴾ [الإسراء: 88] "[2].

[1] . ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري،الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، دار الحديث القاهرة 1423هـ . 1 / 78

[2]. الزرقاني مناهل العرفان 2 / 332 . 333

6 . رصف القرآن ودلالاته

6 . 1 . رصف الحركات في القرآن الكريم :

الحركات المتماثلة إذا توالت في النطق وبخاصة في الحروف المتجانسة والمتقاربة في المخرج كالراء والنون والذال والدال تجلب ثقلا في اللسان، ونبوّا على السمع، ممّا يجعلها في زمرة الألفاظ والتراكيب غير الفصيحة إلاّ في كلام الله تعالى المعجز في رصفه ونظمه، فلا ثقل فيه ولا نبوا، بل من عجيب رصف حركات كلمات القرآن الكريم وتراكيبه العجيبة أنّك لن تجدها إلاّ منسجمة متناسقة متناغمة، تزيد اللّفظ والتركيب سهولة في النطق، وعذوبة في السمع،

قال الرافعي :"حتى إنّ الحركة ربّما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل فلا تعذب، ولا تصاغ ... فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا "[1]، على سبيل المثال لا الحصر :

. لفظة (**النُّذُر**) جمع نذير ثقيلة على اللسان في النطق، فإنّ الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معا، وتقارب مخرجيهما، فكلّ ذلك ممّا يكشف عن موضع الثقل فيه، ولكنّه جاء في القرآن على العكس تماما في قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ٣٦**﴾ [القمر: 36]، "

فتأمل هذا التركيب وأنعم ثمّ أنعم على تأمله، وتذوق مواقع الحروف، واجْرِ حركاتها في حس السمع، وتأمل مواضع القلقلة في الدال (**لقد**) وفي الطاء (**بطشتنا**)، وهذه الفتحات المتوالية فيها وراء الطاء إلى الواو من قوله (**بطشَتَنَا فَتَمَارَوا**) مع الفصل بالمدّ كأنّها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان ليكون ثقل الضمة عليه مستخفا بعد لتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة، ثمّ ردّد نظرك في (الراء) : (**تماروا**) فإنّها ما

---

[1] . الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص 156

جاءت إلاّ مساندة لراء (النُّذُر) حتى إذا انتهى اللسان من مثلها فلا تجفو عليه ولا تغلظ، ولا تنبو فيه، ثمّ أعجب لهذه الغنّة التي سبقت الطاء في نون (**أنذرهم**)، وفي ميمها[1]، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (**النُّذُر**[2]) "[3].

6 . 2 . رصف حروف المباني في القرآن الكريم :

مما لا يخفى أنّ عدم فصاحة بعض الكلمات العربيّة سببه راجع إلى الثقل الحاصل في نطقها، ومردّ ذلك عدم الاعتدال في توزيع حروف مبانيها توزيعا متزنا، إذ الحروف المتقاربة من حيث المخرج مجلبة لهذا الثقل، كاستعمال لفظة (مستشرزات) في شعر امرئ القيس :

غدائره مستشرزات إلى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل[4]

فالشاعر يصف غزارة شعر المتشبب بها بأوصاف كثيرة منها (مستشزرات) بمعنى مرتفعات، فهي لفظة مستكرهة لثقلها في اللسان، ونبوها على السمع.

وكذلك يمكن أن تثقل بعض الكلمات في اللسان لطولها بسبب كثرة أحرفها ومقاطعها، ممّا يستهجنها اللسان العربي ويدفعها بطبعه، بيد أنّ في الرّصف القرآني كلمات انضوت على عشرة؛ أو تسعة أحرف فكانت من أجمل الألفاظ حلاوة، خفيفة على اللسان، عذبت المنطق " إذ تراه قد هيّأ لها أسبابا عجيبة من تكرار الحروف، و تنوع الحركات، فلم يجرها في نظمه إلاّ وقد وجد ذلك فيها، كقوله تعالى (**لَيَسْتَخْلِفَنّكم**) آية النور، فهي كلمة واحدة من عشرة أحرف، وقد جاءت عذوبتها من

---

[1] . الغنة في إخفاء ميم الجمع مع الباء في قوله تعالى (أنذرهم بطشتنا)، وفي إخفاء النون الساكنة مع الذال في (أنذرهم)

[2] . النون المشددة (المضعّفة) في (النُّذر) هي عبارة عن إدغام المتماثلين بغنّة.

[3] الرافعي، إعجاز القرآن ص 156

[4] . الزوزني، شرح المعلقات السبع ص 55

تنوع مخارج الحروف، ومن نظم حركاتها، " فإنّها بذلك صارت في النّطق كأنّها أربع كلمات، إذ تنطق على أربعة مقاطع"[1].

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى (**فَسَيَكْفِيكَهُم**) آية البقرة، المؤلفة من تسعة أحرف، وثلاث مقاطع[2]، فقد اكتسبت فصاحتها وعذوبتها من خلال أحرفها التي " تكررت فيها الياء والكاف، وتوسط بين الكافين هذا المدّ الذي هو سرّ الفصاحة في الكلمة[3] كلّها "[4]،

ومن أوجه فصاحتها : توزيع حروفها توزيعا معتدلا (الفائين والميم) من الشفتين، و(السين) من الحنك الأمامي، و(الياء الأولى) من شَجْر اللسان، و(الياء المدِّيّة) من الجوف، و(الكاف الأولى والثانية) من اللهاة، و(الهاء) من الحنجرة ، و(الميم) من الشفتين، فهذا الاعتدال في التوزيع، وعدم تقارب مخارج أصواتها أكسبها الفصاحة والوضوح، والسهولة في النطق، قال الرماني:" والمتلائم في الطبقة العليا القرآن الكريم كلّه ... والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلّما كان أعدل كان أشدّ تلاؤما ..."[5].

كما أنّ هذه الأحرف التسعة المؤلفة منها هذه اللفظة جميعها من حروف الاستفال غير مستعلية

---

[1] الرافعي، إعجاز القرآن ص 158

[2] . وإن كنت أرى سبعة مقاطع لهذه اللفظة (ف / س / يك / في / ك / ه / مو) وليس هناك أكثر من سبعة مقاطع في اللّغة العربيّة حسب علمي وفق طريقة المقاطع المفتوحة والمقفلة.

3 . ملاحظة: وهذا في الكلمات أو الألفاظ المركبة التي ترجع عند تجريدها من المزيدات إلى الأصول الثلاثية؛ أو الرباعية، أمّا اللفظة خماسية الأصول فلم يرد منه شيء في القرآن إلاّ ما كان من الأسماء في الأصل ليست عربية كإبراهيم وإسماعيل وطالوت، ولا يجيء به مع ذلك إلاّ أن يتخلله المدّ كما ترى فتخرج الكلمة وكأنّها كلمتان ..." انظر أكثر تفصيلا الرافعي، إعجاز القرآن 158

[4] . الرافعي، إعجاز القرآن ص 158

[5] . الرماني، النكت في إعجاز القرآن ص 95 . 96

ولا مفخمة، ولا مطبقة ممّا يساعد على جريانها على اللسان وسهولة النطق بها من غير تكلف، ولا إرهاق لأعضاء التصويت.

. كلمة (**لَنُنَبِّئَنَّ**) الآية 49 فصلت : توسطت (**لننبّئنّ**) بين لفظتين خفيفتين(للحسنى) (الذين) لكسر رتابة ثقلها على اللسان، ومن عوامل خفة اللفظتين احتوائهما على حرفي المدّ (ألف مقصورة) المختومة بها لفظة (للحسنى)، وياء المدّ في (الذين)، فالنطق بلفظ ثقيل متوسط بين لفظيتين خفيفتين نطقا خطيا، وانتقال حركة اللسان بينها سبب في تخفيف اللفظ الثقيل، بالإضافة إلى أنّ جميع الأحرف المؤلفة منها هذه الكلمة مستفالة، فكلّ ذلك يجعل لها انسيابية في النطق، وعذوبة على السمع تدفع بذلك الثقل الذي يستهجنه السمع.

الحركات المتنوعة في اللّفظة نفسها ما بين فتحتين متواليتين فيهما خفة إلى ضمة فيها من الثقل إلى الفتحة فيها من الخفة إلى السكون ثمّ الكسرة إلى الفتحة إلى السكون إلى الفتحة

الملاحظ أنّه بُدئ بالخفيف وختم به، فالانتقال من الخفة إلى الثقل إلى الخفة هذا مدعاة لسهولة النطق، ودفعا للثقل، وهذا التنوع هو سرّ فصاحة هذه اللفظة، فكل الكلمات الطويلة في القرآن الكريم ومنها كذلك (**أنلزمكموها**) الآية هود ، (**أَسْقَيناكُموه**) الآية الحجر مؤلفة من أحرف تتصف بـ : . الاعتدال من حيث توزيع مخارجها.

. صفات أحرفها مستفالة مهموسة رخوة إلّا حرف أو حرفين لا يؤثر.

. يتوسطها مدّ أو مدّان لتخفيف الثقل، وإن لم يكن فيها مدّ توسطت الكلمة نفسها بين كلمتين مدّيتين.

فلعلّ هذه الصفات المجتمعة فى الكلمة القرآنيّة الطويلة أكسبتها عذوبة في النطق، وفصاحة لا تجارى، وبيانا ساحرا أخاذا

6 . 3 . رصف حروف المعاني في القرآن الكريم :

لحروف المعاني في القرآن الكريم في سياقها ورصفها الذي هي فيه دلالات ومعاني عجيبة، فيها من الإعجاز الذي سلب ألباب مقاويل البلاغة وأرباب الفصاحة فتبيّن لهم بذلك الخيط الأبيض من الخيط الأسود، فأذعنت عقولهم للقرآن ساجدين، وتولى معارضوه صاغرين، فالإعجاز في حروف معاني القرآن جميعها، ورعة الإعجاز بصفة أخص في الحروف التي اصطلح عليها في عرف النحاة بـ : (الحروف الزائدة)[1]، نذكر على سبيل المثال :

حرف (**ما**) في قوله تعالى ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ١٥٩**﴾ [آل عمران: 159] ، " فإنّ النحاة يقولون (**ما**) زائدة أي في الإعراب، فيظن من لا بصر له أنّها كذلك في النظم، ويقيس عليه، مع أنّ هذه الزيادة لوناً من التصويت، لو هو حذف من الكلام لذهب كثير من حسنه و روعته "[2]، ولا يستقيم المعنى إلاّ به.

---

1 . هذه العبارة (حرف زائد) استعملها النحاة في كتبهم ، و ليس المقصود بالزيادة على الحقيقة ، وإنّما على سبيل التأويل ، إذ القرآن الكريم سوره وآياته وكلماته وحروفه منتظمة انتظاما، ومحكمة إحكاما قال تعالى (**كتاب أحكمت آياته**) مطلع سورة هود، وكلّ حرف منه له دلالته ومعناه، فقول النحاة حرف زائد فمرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها، وهذا من الجانب الشكلي، مثال قوله تعالى (**فبما رحمة من الله لنت لهم**) الآية آل عمران حرف (ما) في (فبما) فلا يختل الرّصف بحذفها ولا المعنى، فيكون رصفها (**فبرحمة** من الله) ، ولكن الدلالة المضافة بحرف (ما) في الآية الكريمة هي مقصودة لمعنى الآية المراد، وليس حرفا زائدا من حيث المعنى، وكذلك في قوله تعالى(**لست عليهم بمسيطر**) الآية الغاشية (**الباء**) زائدة على قول النحاة لعدم اختلال المعنى، فيكون الرّصف بعد حذفها (لست عليهم مسيطرا) ،والأولى أن لا يقال (الباء) حرف زائد لعدم اختلال التركيب والمعنى وإنّما يقال حرف جيء به لدلالة توكيد نفي الخبر، لأنّ رصف هذه الآية الكريمة يقتضي هذا المعنى في هذا السياق ،" فالزيادة في الكلام تقتضي أن ذلك لم يصدر عن غفلة، وإنّما صدر عن قصد وتأمل ، وذلك من فوائد التوكيد اللفظي" ينظر القراءات القرآنية وأثارها في النحو والفقه الإسلامي، د / التواتي بن التواتي ص70

2. الرافعي، إعجاز القرآن ص 159

فالإعجاز في إثبات هذا الحرف (**ما**) في رصف هذه الآية الكريمة الدالّة على " تصوير لين النبي صلى الله عليه وسلم لقومه، وإنّ ذلك رحمة من الله فجاء هذا المدّ في (**ما**) وصفا لفظيا يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإنّ لهجة النطق به تشعر بانعطاف وعناية لا يبتدئ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثمّ كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها (**فبما رحمة)** ممّا يلفت النّفس إلى تدبر المعنى، وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كلّه طبعي في بلاغة الآية كما ترى"[1]، ولو حذفت (**ما**) من رصف الآية الكريمة لافتقدت دلالات ومعاني هذه الآية الكريمة المنسجمة انسجاما تامّا مع مبناها في هذا الرصف العجيب الذي لا يقبل حذف أي حرف من حروفه التي تعتبر زائدة (على حدّ تعبير النحاة) من حيث الإعراب، لا من حيث المعنى والدلالة.

. **وفي مثال آخر** قال تعالى ﴿**فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ٩٦**﴾ [يوسف: 96]، فيمكن الاستغناء عن حرف (**أن**) في الآية من حيث الإعراب، فتكون على النحو التالي (فلمّا جاء البشير)، فالكلام صحيح إعرابيا، أمّا من حيث دلالة السياق فلا يمكن الاستغناء عن حرف المعنى (**أن**) في رصف هذه الآية الكريمة، لأنّ المراد بهذا الرصف العجيب " تصوير الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه لبعد ما كان بين يوسف وأبيه عليهما السلام "[2]، فجاءت (أن) في المبنى مساوقة ومنسجمة مع المعنى الرّصف ومتناغمة معه من جهة.

ومن ناحية ثانية يعقوب عليه السلام كان كأنّه منتظر بقلق واضطراب، لانّه قال قبل أن يأتيه

---

[1] . الرافعي، إعجاز القرآن ص 159

[2] . الرافعي، إعجاز القرآن ص 159

البشير ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ٩٤**﴾ [يوسف: 94]، وهو الذي لم ييأس مع مرّ الأيام والسنون، ولم يفقد الأمل يوما أبدا، فجاء هذا الحرف (أن) في رصف الآية مؤكدا ما قاله القرآن على لسانه ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ٨٧**﴾ [يوسف: 87] لحالتي القلق والاضطراب عند يعقوب على يوسف عليه وعلى أبيه السلام ونبينا أفضل السلام، كما" تصف الطرب لمَقْدمه واستقراره غنة هذه النّون في الكلمة الفاصلة، وهي (أن) في قوله (**أن جاء**)"[1] ، فكلّ هذه الدلالات لا يمكن الوصول إليها إلّا من خلال حرف المعنى (أن) في رصف الآية الكريمة، ولولا هذا الحرف (أن) لسلبت هذه الدلالات والمعاني الإيحائيّة.

. وكذلك حرف (**الفاء**) (فقال) في قوله تعالى ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ٥٩**﴾ [الأعراف: 59] .

إثبات حرف (الفاء) (**فقال**) في رصف هذه الآية الكريمة فيه من الإعجاز ما ينبهر منه العقل، بحيث جاء مناسبا لقصة نوح عليه السلام في دعوته لقومه التي دامت ما يزيد عن ألف سنة إلاّ خمسين عاما، يبلغهم بإلحاح كلّما أتيحت له سانحة التبليغ، وتجدد الوحى، " فالفاء هنا في رسالة نوح تقتضي التعقيب، أي المعنى كلّ ما أتاه جبريل بوحي يبلغه لهم، وتفيد الإلحاح، وهذا ما تبينه سورة نوح عليه السلام في إلحاحه على قومه بدعوتهم للإيمان، ولذلك يقول الحقّ عن نوح ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥**﴾ [نوح: 5]، وهكذا نرى إلحاح نوح عليه السلام في الدعوة لله وهو مناسب لاستخدام الفاء"[2]، وإن كان كما ذكرت أنّ حروف المعاني المثبتة في رصف الآيات

---

[1]. الرافعي، إعجاز القرآن ص 159

[2] . الشيخ الشعراوي، قصص الانبياء 1 / 382

القرآنيّة كتابة ونطقا لها من الدلالات والمعاني التي لا يمكن الاستغناء عنها في فهم هذه الآيات وبلوغ معانيها، وكشف دلالاتها، فكذلك لا يمكن فهم بعض الآيات المرصوفة رصفا خاصا إلاّ من خلال تقدير الحروف المحذوفة، وإعادة رصفها، والروعة في بلاغة مثل هذا الكلام لا يتأتّى إلاّ بحذف هذه الحروف، قال ابن الأثير:" أمّا الإيجاز بالحذف فإنّه عجيب الأمر شبيه بالسحر، وذاك أنّك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر..."[1]، كحذف حرف (**لا**) في قوله تعالى ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ٨٥**﴾ [يوسف: 85]،" فالمراد : (تالله **لا** تفتأ)، أي لا تزال، فحذفت (لا) من الكلام وهي مراده"[2]، إعادة الرصف أن تقول (تالله لا تفتأ) فإثبات (لا) وعدم حذفها يذهب إشراق فصاحة رصف الآية، وتثقل على السمع، فروعة بيان الآية الكريمة وسحر بلاغتها في ترك (اللام) وحذفها الذي يدلّ عليها سياقها، وتقدر في رصفها الذي هي منه.

6 . 4 . رصف الكلمات القرآنيّة :

الكلمات القرآنية لها من الاتساق والانسجام في رصفها الذي هي منه ما يُعجز، مرتبطة نحويّا، ومتعالقة في ما بينها دلاليا، ومتجاذبة يستدعي بعضها بعضا مشكلة بنية واحدة لا يمكن الاستغناء عن مكوّن من مكوّناتها، بل لا يتم المعنى إلاّ من خلال رصف معين محدد، فلو عمدنا إلى تقديم أو تأخير؛ أو إبدال كلمة بكلمة مرادفة لها في المعنى لهدرت دلالتها وانتفى إعجازها، بل بعض الكلمات القرآنية لها من الغرابة ما لا يخفى إذا كانت معزولة عن السياق والرّصف القرآني، وأكثر من ذلك وهي مجاورة لضميماتها قد تبقى محافظة على غرابتها ممّا يجعلها غير مستساغة

---

[1] . عتيق عبد العزيو، علم المعاني ص178

[2]. المرجع نفسه ص179

الاستعمال، ولا تحسن في كلام قط إلاّ في الرّصف القرآني العجيب، ومن أمثلتها :

كلمة : (**ضيزى**) في سورة النجم في قوله تعالى ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ٢٢**﴾ [النجم: 22]، وردت هذه اللفظة **(ضيزى)** في معرض الإنكار على العرب الوثنيين الذين كانوا يعبدون الأصنام من دون الله وحده، ويجعلونها وسائط بينهم وبين الله تعالى، وقسمتهم للأولاد، فنسبوا لأنفسهم الذكور، وجعلوا الملائكة والأصنام[1] إناثا وبنات لله مع أولادهم البنات قال تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ٢٢**﴾ [النجم: 19-22].

فكلمة **(ضيزى)** في رصف هذه الآية جاءت متناغمة مع فاصلة آيات سورة النجم، ومتساوقة مع دلالات الرّصف والسياق، وخادمة لهما.

قال الرافعي:" فإنّ حسنها (ضيزى) في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أردت اللّغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإنّ السورة التي هي منها . وهي سورة النجم . مفصلة كلّها على الياء : فجاءت كلمة (ضيزى) فاصلة من الفواصل، ثمّ هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام، وزعمهم في قسمة الأولاد... قال تعالى ﴿**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ٢١**﴾ [النجم: 21]، فكانت غرابة اللّفظ أشدّ الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلّها كأنّها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى (﴿**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ٢١**﴾ [النجم: 21] والتهكم في الأخرى ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ٢٢**﴾ [النجم: 22] ، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة ، وخاصة في اللّفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل... و جمعت إلى كلّ ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية "[2].

---

[1] . تسميّة أصنامهم بأسماء البنات

[2] . ينظر الرافعي، إعجاز القرآن ص 158

6 . 5 . رصف التركيب القرآني :

إنّ الرّصف القرآني كلّه عجيب بديع، وأظرف التراكيب فيه وأبدعها التي تنتقل من صيغة المفرد إلى المثنى إلى الجمع ثمّ تعود بك إلى المفرد في سياق واحد، وهذا يظهر جليّا وبوضوح على المستوى التركيبي، وبخاصة الشق النحوي منه، فعلى سبيل المثال نلاحظ كيف تغير الضمير وانتقل من مثنى إلى جمع إلى مفرد في هذا الرّصف المعجز في قوله تعالى﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ٨٧**﴾ [يونس: 87]، فهذا التنوع العجيب في الضمائر المستعملة، ورصفها في هذه الآية الكريمة رصفا متناه في الإعجاز، لها من الدلالات ما تبهر العقل

. الأولى : الخطاب بضمير التثنية (تبوءا لقومكما) لأنّ موسى وهارون رسولان من الله إلى بني إسرائيل برسالة واحدة.

. الثانية : استعمال ضمير الجمع في (**اجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة**)، لأنّ الصلاة مفروضة على الجميع على موسى وهارون عليهما السلام، وعلى بني إسرائيل المكلفين بهذه الرسالة.

. الثالثة : جاء الخطاب بضمير المفرد المستتر المقدر بـ (أنت) والمقصود به موسى عليه السلام في قوله تعالى (**وبشر المؤمنين**)،لأنّ موسى عليه السلام هو الأصل في الرسالة التي بعثه الله بها إلى بني إسرائيل، أمّا هارون فهو تبع له في هذه الرسالة، إنّما هارون كان رسولا من الله إلى بني إسرائيل، ووزيرا لموسى عليه السلام فكان الخطاب على تغليب الأصل.

قال ابن القيّم :" ثنى أولا (**تبوءا**) إذ كان موسى وهارون هما الرسولان المطاعان ويجب على بني إسرائيل طاعة كل واحد منهما على سواء، وإذا تبوءا البيوت لقومهما فهم تبع لهما

. ثمّ جمع الضمير فقال (**وأقيموا الصلاة**)، لأنّ إقامتها فرض على الجميع

. ثمّ وحّده في قوله (**وبشر المؤمنين**)،لأنّ موسى هو الأصل في الرسالة، وأخوه رداً ووزيرا، كما كان الأصل في البشارة، وأيضا أن موسى وأخاه لما أرسلا برسالة واحدة كانا رسولا واحدا"[1]

6 . 6 . رصف سور القرآن الكريم حسب ترتيبها في المصحف الشريف ودلالاتها :

المتمعن في كتاب الله عز وجل، والمتدبر في سوره المرتبة في المصحف الشريف ترتيبا توقيفيّا . وفق العرضة الأخيرة قبيل انتقال النّبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . تدرجيّا (طوالا و أوساطا ومفصلا وقصارا) تتجلى له فوائد جمّة، وليس طول السورة شرطا في الإعجاز، وإنّما يتحقق الإعجاز " كون السورة بمجردها معجزة، وآية من آيات الله ...فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة "[2]، فمن الحِكَم في تسوير القرآن سورا وترتيبها على نحو المصحف الإمام تيسير الحفظ كما قال السيوطي :" ثمّ ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه "[3].

ومن الحكمة أيضا أنّ كل سورة نمط مستقل منسجمة مع ضميماتها، فسورة نوح جامعة لقصة نوح مع قومه، وسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة براءة (التوبة) تترجم أحوال المنافقين وأسرارهم إلى غير ذلك..."[4].

ـ وأضاف الزمخشري جملة من الحِكم والفوائد فقال:" الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة منها :

. أنّ الجنس إذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن و أنبل وأفخم من أن يكون

---

[1] . ابن قيّم الجوزية، بدائع الفوائد . ص514

[2] . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن . ص102

[3] . المصدر السابق ص102

[4] . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ص 102

بابا واحدا

. أنّ القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثمّ أخذ في آخر كان أنشط له وأهزّ لعطفه، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله....ومن ثمّ جزأ القراء القرآن أجزاء وأخماسا.. .

أنّ الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنّه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلّة بنفسها لها فاتحة وخاتمة، فيعظم عنده ما حفظه... ومن حديث أنس (كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا...) .

أنّ التفصيل بسبب تلاحق الأشكال والنظائر، وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني و يتجاوب النّظم "[1].

. أمّا دلالات رصف سور القرآن الكريم حسب ترتيبها فهذا ممّا لا يكاد أن يحصر، فيه من الإعجاز ما يدهش، ويتفاوت العلماء والباحثون في تصيّده واستخراج دره، ومن أمثلة ذلك ما أشار إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس من حِكمة ختم كتاب الله بسورتي المعوذتين، والمعاني المستفادة من رصفها على هذا النحو المقصود، قال:" أن من أوتي القرآن وتفقه فيه فقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وأحاط بالعلم من أطرافه، وملك كنزه الذي لا ينفذ، وأن من آفات العلم اغترار صاحبه به، وقد يتمادى به الغرور حتّى يسوّل له أن ما أوتيه من العلم كاف في وقايته من الأضرار، ونجاته من الأشرار، فكان من رحمة الله بصاحب القرآن، ولطف تأديبه له، وحسن عنايته به أن ختم بهاتين السورتين (الفلق والنّاس) كتابه، لتكونا آخر ما يستوقف القاري المتفقه، وينبهه إلى أنّ في العلم والحكمة مسألة لم يتعلمها إلّا الآن، وهي أنّه مهما امتدّ في العلم باعه، واشتدّ بالحكمة

[1] . ينظر الزمخشري، الكشاف 1 / 97 . 98

اضطلاعه فإنّه لا يستغني عن الله، ولا بد له من الالتجاء إليه، والاعتصام به يستدفع به شرّ الأشرار، وحسد الحاسدين، وكفى بهذه التربيّة قامعا للغرور، وإنّه لشرّ الأشرار"[1].

[1] . ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص 403

7 . القصص القرآنــي :

نشير في البداية أنّ هناك تقاطعا بين بعض المصطلحات المتداولـة والمستعملة في الواقع اللّغوي التواصلي كالقصة والرواية والأقصوصـة والسيرة والتاريخ والقَصَص والقِصص، ومن هنا يوجب علينا علميا أن نعرج على مفهوم القصص القرآنـي وأصل هذه التسميـة و الهدف منها وأهم الفروق والحدود الفاصلة بينها وبين المصطلحات السالفة الذّكر

7 . 1 . القَصص لغة واصطلاحا :

7 . 1 . 1 . القصص لغة :

قال الزمخشري في أساس البلاغة :" (ق.ص.ص) وقصصت أثره، وقصصته : أتبعته قصصا (**و قالت لأخته قصّيـه**)، واقتصصته، وتقصصته ، وخرجت في أثر فلان قصصا **(فارتدّا على آثارهما قصصا)**، ويقرو مقصّه : يتبع أثره، ووجب عليه القصاص واقتصّ منه، وأقصّه الأمير منه : أقاده، واستقصّه : سأله أن يقصّه منه، وقصّ عليه الحديث والرؤيا، واقتصّه وتقصصت كلام فلان، وله قصة عجيبة، وقصص حسن، وقصيصة وقصص وقصائص وأقاصيص قال هدبة بن خشرم :

فقصّوا عليه ذنبنا وتجاوزوا ذنوبهم عند القصيصة والأثــر

أي عند القصة والحكاية، ورفع قصته إلى السلطـان، والقصّاص يقصون على النّاس ما يرقّ قلوبهم "[1]، و" القصـة :الخبر، وهو القصص: وقصّ علي خبره يقصّـه قصّـا وقصصا : أورده"[1]

[1] . الزمخشري، أساس البلاغة ص 362

وفي تاج العروس :" قصّ عليه الخبر قَصّا وقصصا : أعلمه به، وأخبره، ومنه : قصّ الرؤيا، يقال : أَقصُّها قصّا، وقوله تعالى (**فارتدّا على آثارهما قصصا**) أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر أي يتتبعانه..."[2].

وقال في القاموس المحيط : " قصّ أثره قصّا و قصيصا تتبعه، والخبر أعلمه ﴿**قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ٦٤**﴾ [الكهف: 64]،أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصّان الأثر، و﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ٣**﴾ [يوسف: 3] نبين لك أحسن البيان، والقاص : من يأتي بالقصّة "[3].

. **كلمة قصة** : في اللّغة العربية مأخوذة من (قص الأثر) معناه أن يسير المتتبع للأثر على الأثر نفسه، بحيث لا يتجاوزه بُدا ليصل إلى مراده في نهاية الأمر.

وقاصو الأثر: هم قوم كان يأتي بهم العرب ليكتشفوا آثار بشر مفقودين؛ أو إبل ضائعة، وكانوا يرون أثر الأقدام ليعرفوا أين ذهب صاحب هذه القدم، ويميزوا قدم إنسان من قدم إنسان آخر... إذن فمعنى قص الأثر تتبع الأثر بدون تصرف"[4].

7 . 1 . 2 . القصص القرآني (القصة القرآنية) اصطلاحا :

عرّفها محمد معبد بقوله :" هي إخبار عن أحوال الأمم الماضيّة الغابرة، وشأن النبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وأمور كثيرة أخرى، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي،

---

[1] . ابن منظور، لســـان العرب 7 / 74

[2] . الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء الكويت والمجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت (د . ت) 18 / 98

[3] . الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ص 673

[4] . الشعراوي، قصص الأنبياء 1 / 24 . 25

وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديّار وما حدث فيها، وتتبع أثار كلّ قوم، كما حكى القرآن الكريم عن الجميع صورة ناطقة كما كانوا عليه في عصورهم، وحياتهم"[1].

وقال الشيخ الشعراوي :" كلمة قصص تدلّ على أنّها أحداث لحركة العقيدة التي كانت مع كلّ رسول"[2].

وتُعرف القصة القرآنيّة من خلال مميّزاتها، وما اتصفت به من صدق في الواقعية التاريخية، والجاذبية التشويقية من حيث العرض وسحر البيان، وشمولية طرح الموضوع، وسمو الهدف، وتنوع في الغرض، ووضوح الإعجاز القصَصي .

7 . 2 . مفهوم القصص القرآني :

القصة القرآنية لا يراد بها السرد التاريخي لأمّة ما؛ أو قرية؛ أو شخص معيّن، ولا تستقصي كلّ شاردة وواردة، ولا مجال للخيال والوهم فيها، ولا هي من الأساطير المكذوبة التي تسفه العقول، إنّما القصة القرآنية حقيقة واقعية حدثت فعلا، فهي حقّ واضح أبلج لا مراء فيه، قال تعالى ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ٦٢**﴾ [آل عمران: 62]، وقال أيضا ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ١١١**﴾ [يوسف: 111]

سيقت القصص القرآني بأسلوب مشوق أخاذ، ورصف دقيق عجيب في منتهى الرّوعة، ونظم معجز منقطع النظير، لتثبيت الأفئدة والقلوب الصادقة السليمة، قال تعالى ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ**

---

[1] . معبد محمد أحمد محمد (ت 1430هـ)، نفحات من علوم القرآن، دار السلام القاهرة ط الثانية 1426هـ 2005م . ص 106

[2] . الشعراوي قصص الأنبياء 1 / 41

أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ١٢٠﴾ [هود: 120]، وهي عبرة وموعظة لمن تفكر وتذكر، ولم يجابه السنن الكونية، ودرج على سننها ﴿ **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ٤٣﴾** [فاطر: 43]

وبها يستشرف المستقبل، كأنّما هي الأصل الذي يقاس عليه، إذ بها تعرف المآلات.

وهي حقل ثري معطاء ومصدر ثرّ يثري الدراسات اللغويّة من حيث النّظم و التركيب والرّصف والانسجام، والإعجاز القرآني بصفة عامة.

ولقد أشار الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره إلى مفهوم القصص فقال :" اعلم أنّ قصص القرآن الكريم لا يراد بها سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص، وإنّما هي عبرة للنّاس، كما قال تعالى في سورة هود بعد ما ذكر موجزا من سيرة الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ١٢٠﴾** [هود: 120]، ولذلك لا تذكر الوقائع والحوادث بالترتيب، ولا تستقصى فيذكر منها الطم والرم، ويؤتى فيها بالجرّة وأذن الجرّة، كما في بعض الكتب التي تسميها الملل الأخرى مقدسة، وللعبرة وجوه كثيرة، وفي تلك القصص فوائد عظيمة، وأفضل الفوائد، وأهم العبر، فيها التنبيه على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري، وتأثير أعمال الخير والشر في الحياة الإنسانية، وقد نبه الله تعالى إلى ذلك في مواضع من كتابه كقوله تعالى ﴿ **وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ١٣﴾** [الحجر: 13]، وقوله ﴿ **سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ٨٥﴾** [غافر: 85 يذكر أمثال هذا بعد بيان أحوال الأمم في غمط الحقّ، والإعراض عنه، والغرور بما آتوا ونحو ذلك "[1].

والقصص القرآني فيها من العبر والعظات الكثيرة لمعالجة الأفعال البشرية وأقوالها ومعتقداتها

---

1 . القاسمي محمد جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق : أحمد بن علي وحمدي صبح، دار الحديث الحديث القاهرة، ط 1424هـ . 2003م . 1 / 89 . 90

المتشابهة، والمتكررة عبر مرّ الأزمان، وتعاقب الأمم والأجيال، قال الشيح الشعراوي :" القصص في القرآن الكريم لا يتناول أشخاصا بذواتهم، أي أنّ القصة في القرآن الكريم إنّما هي عبرة عامّة، وموعظة تتكرر في كل عصر...ما عدا قصة مريم عليها السلام ، و زيد بن حارثة رضي الله عنه ولذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يذكر أبطال القصص بأسمائهم الكاملة لنعرف أشخاصهم، بل اكتفى باسم واحد عام :

. ففرعون مثلا هو كلّ شخص يريد أن يجعل نفسه إلها يعبد في الأرض

. وذو القرنين مثلا هو من يريد إصلاحا في الأرض

. وصاحب الجنّة في سورة الكهف هو كلّ من ينسى الله، وينسب الفضل لنفسه

ولذلك فإنّنا نعيب على بعض النّاس بحثّهم عمّن هو فرعون موسى؛ أو من هو ذو القرنين؟

ونحن نقول : إنّ الهدف ليس الشخص، ولكنها العبرة والعظة...فالذي يجب أن نستخلصه منها هو العبرة والعظة، دون أن نتعب أنفسنا في علم لا ينفع؛ أو جهل لا يضر"[1].

7 . 3 . الهدف والغاية من القصص القرآني :

إنّ الحياة الدنيا في الأصل زمن منتهي مقيد غير مطلق، له بداية ونهاية، ولا قيمة لهذا الزمن إلّا إذا ارتبط بأحداث، والحياة الدنيا هي مجموعة أحداث متسارعة متلاطمة متماثلة متشابهة في كلّ العصور والأمصار، وفي زمن مقيد فيه من الشّر ومن الخير، منه ما يحزن، ومنه ما يفرح، فهي دار ابتلاء واختبار للإنسان، فالإنسان عُرضة لهذه الأحداث التي تهز كيانه، ويرتجف لها فؤاده ويرتج، ولعلّ أخطر شيء على الأفئدة والعقول في خضم هذه الأحداث سحائب الشك والرّيب

[1] . الشعراوي، قصص الأنبياء 1 / 19

التي تعتريها، فتزلزلها زلزالا عظيما، فمن لطف الله على عباده أن سنّ لهم سنن لا يشوبها التّبديل ولا التغيير، ولا تحابي أحدا، فمن درج على معالمها، واتّبع سبيلها ثبت فؤاده واستراح، و من خالفها، وجابهها اهتزّ فؤاده، وسقط في مستنقع الأوهام، فباء بالخسران، والهلاك.

فالقصص القرآني درجت على هذه السنن الإلهيّة، فكان المقصد منها :

. **أولا : تثبيت أفئدة المؤمنين، وترسيخ عقيدة التوحيد** أمام الأحداث المتنازعة والمتسارعة، وزرع الثقة في نفوسهم، وبث الأمل، ونشر الطمأنينة، ورفع الهمّ، ودفع والغمّ عنهم،

قال الشيخ الشعراوي :" إنّ القصص القرآني كان الهدف منه ومازال وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هو تثبيت أفئدة المؤمنين، وتثبيت الأفئدة هو المهمة التي من أجلها جاءت بعض لقطات سور القرآن، وهي تحتوي على ما يظنّه السطحيون تكرارا، لكنّه ليس تكرارا، إنّما هو تثبيت للفؤاد، وذلك أنّ الفؤاد عُرضة لأن يهتزّ بالأحداث، فيأتي قصص القرآن بلقطاته لتثبيته"[1].

ثانيا : تشريع الأحكام لبناء الفرد والمجتمع والأمة : قال تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ٦**﴾ [الممتحنة: 6]

ثالثا : التطبيق للجانب النّظري من الدين : فالقصص القرآني من مقاصدها التوضيح التطبيقي للجانب النظري من الدين الحنيف، قال الشيخ الشعراوي :" إنّ القصص في القرآن يعلمنا الكثير، والحقّ سبحانه وتعالى أراد من القصص أن يعلّم الأمة دقة المنهج الإيماني، إنّه سبحانه كما أراد منّا العلم بالمنهج يطلب منّا أن نطبق هذا المنهج، ونوظفه في حياتنا، وليس ذلك بدعا من الأمر، بل إنّه موجود في قصص الرّسل الذين علموا المنهج فطبقوه في ذواتهم أولا..."[2] .

---

1 . الشعراوي، قصص الأنبياء 1 / 32

2 . الشيخ الشعراوي، قصص الأنبياء 1 / 43

7 . 4 . خصائص القَصص القرآني

للقَصص القرآني خصائص تمايزه عمّا دونه من قَصص الخَلق أهمها :

. تنوع طرائق العرض : قال سيّد قطب :" لاحظنا في قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصّة :

أولهما طريقة العرض : فمرة يذكر ملخصا للقصة...ثمّ يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، وذلك كطريقة قصة أهل الكهف...ومرّة عاقبة القصة ومغزاها؛ أو يعرض القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجئتها الخاصة ما يغني"[1].

. التنوع في طريقة المفاجأة : قال سيّد قطب :" عندما تقرأ القصة القرآنيّة فأنت تقف أمام العديد من المفاجآت المتواليّة..."[2].

. التناسق والانسجام : هذا التناسق العجيب، والانسجام الدقيق الذي اتسم به القصص القرآنيّ وتفرد به عن غيره أبهر مقاويل الفصاحة وأرباب البلاغة حدّ الإعجاز من خلال روعة بلاغته وبيانها، وقوة فصاحته وإشراقها، وتناسق وحداته المرصوفة رصفا بديعا، وانسجام عباراته مع منحى القصة ومقاصدها ، قال عنه صاحب كتاب الجانب الفني في قصص القرآن الكريم :" يمتاز بجمال أخاذ، وطابع فريد... فيها من تناسق وصل الذروة في الإعجاز، وبلغ الغاية القصوى في الإتقان،

---

[1] . ينظر سيّد قطب، التصوير الفني في القرآن ص 180 . 181

[2] . المرجع السابق ص 183

وهذا التناسق له أسرار عديدة، وسمات قد لا يحصيها العدد، ومن ذلك التناسق الشكلي الذي يتضح في مدى انسجام عبارات القصة القرآنيّة..."[1].

7 . 5 . القَصص القرآني وقِصص الخَلق

أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أنّ كلّ ما ذكر في القرآن الكريم من قصص إنّما هي حق ثابت وقعت بالفعل في العصور الغابرة، لا خيال فيها ولا وهما، ولا تبديلا ولا زيادة ولا نقصانا، فهي ليست عملا فنيّا في موضوعه وطرائق عرضه، وفي سير حوادثه وحبكها بطريقة خياليّة، ولا للترويح عن النّفس كما هو الحال في القِصص الفن الأدبي البشري، وهذا هو العنصر الفاصل بينها وبين قِصص الخلق.

فالقصة القرآنية جاءت لتثبيت الأفئدة بالدرجة الأولى سواء علمها البعض كأهل الكتاب؛ أم لم يعلمها البعض الآخر كقريش، قال تعالى ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ٤٩**﴾ [هود: 49]، وقال تعالى في معرض حديثه عن أصحاب الكهف ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى١٣**﴾ [الكهف: 13] ،" أراد الله سبحانه وتعالى أن يخرج بالقصص القرآني عن دائرة القصص التي يرويها أيّ كتاب آخر، أو يصنعها أي مؤلف كما يحدث في هذا العصر، حيث يوجد فن قائم اسمه فنّ القصّة، ومعظم هذه القصص إمّا خيالية؛ أو عمل العقل البشري على استخراجها من الواقع

[1] . عمر محمد عمر، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، الناشر مأمون للتراث دمشق ط1993م ص 169

وأضاف إليها من الخيال" [1] ، وزخرف من القول، وتلاعب بالألفاظ في بعض الأحيان، والإغراق في ما وراء الواقع المعيش، والهروب عن الحقيقة ممّا يجعل الأفئدة هواء فارغة...

7 . 5 . 1 . القصص و التاريخ :

إذا كان التاريخ في حقيقة الأمر هو ربط الأحداث بأزمنتها وأمكنتها، بتفاصيلها ودقائقها، بغثّها وسمينها، بحقيقتها ووهمها، بصدقها وكذبها، وقد تحجب حقب زمنية لأمم مرت على كوكب الأرض تاريخيا، فلا نعلم عنها شيئا، ولا تدوّن في التاريخ البشري، فالقصة القرآنية بخلاف ذلك تؤرخ لنا أحداثا وقعت بالفعل دون ذكر التفاصيل بحذافرها، وإنّما تقتصر على ما هو عبرة وعظة

قال تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١**﴾ [يوسف: 111]

كما تشير إلى ومضات عن الأمم الغابرة التي هي من الغيب بالنسبة لنا لا نعلمها

﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ٤٩**﴾ [هود: 49]، وهذا نوع من الغيب، وفيه من الإعجاز، وبخاصة الأمم البائدة التي لا نعلم عنها شيئا

7 . 5 . 2 –القصة القرآنية والرواية :

فإذا كانت القصة القرآنية تقص الحقائق الثابتة، لا تبديل ولا زيادة فيها عن أقوام اندثروا، منهم: الذين بقيت آثارهم شاهدة قال تعالى ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ١٠٠**﴾ [هود: 100]، **و**" القائم هو ما بقي من أعمدة عليها نقوش ونحت... كلّ أثر من الآثار للأمم السابقة

[1] . الشيخ الشعراوي، قصص الأنبياء 1 / 24

فيه ما هو قائم أي موجود ليدلّ النّاس على صدق ما يقال، و حصيد أي هالك، لأنّه لا يمكن أن يبقى كما هو يقاوم الزمن"[1].

فإنّ الرواية بخلاف ذلك حينما تتطرق إلى قضية ما واقعية " تزيد فيها، وتجعل فيها حبكة، وأبطالا، وتدخل فيها عنصر التشويق"[2]، فتخرجها عن حقيقتها المحضة من خلال إدخال عناصر غير حقيقية قصد التزيين والتشويق، فبذلك تختلط الحقيقة وتمزج بالخيال، فتقترب من الأساطير وتفقد واقعيتها، ناهيك عن التطويل والتكرار، هذا من جهة، ومن جهة ثانية هناك كثير من الروايات هي محض أفكار صاحبها تسبح به في فضاءات الخيال، لا علاقة لها بالواقع والحقائق.

7 . 5 . 3 . القَصص القرآني والسيرة :

ما بين القصص القرآني والسيرة تداخل وتباين إلّا أنّ السيرة تفصيلة بخلاف القصص القرآني في الأصل يركز على ما هو عبرة وموعظة، والسيرة تنبني في أصلها على محورين :

الأشخاص، والأحداث.

. فإن أرّخنا للحدث " فإننا نجعل الحدث هو الأصل، والأشخاص تدور حوله، مثال ذلك : عندما نأتي لنتكلم عن حدث الهجرة فإننا نجعل هذا الحدث هو المحور، ونروي كيف هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه أبو بكر، ونحكي كيف هاجر عمر بن الخطاب، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، وبذلك تكون الهجرة هي المحور، وكيف دار الأشخاص حول هذه الكلمة ..."[3].

أمّا المحور الثاني الذي تتقاطع فيه السيرة بالقصة القرآنية فهو الذي يكون فيه الشخص محور

---

[1] . الشيخ الشعراوي، قصص الأنبياء 1 / 37

[2] . الشيخ الشعراوي قصص الأنبياء 1 / 41

[3] . المرجع نفسه 1 / 41

الكلام، والأحداث تدور حوله، " إذاً فأخبار وقصص الرّسل تكون هي المحور، ونلتقط الأحداث التي مرت عليهم"[1].

7 . 6 . هل في القصص القرآني تكرار؟

قد يتوهم بعضهم أنّ في القصص القرآني تكرارا يشبه التكرار الذي يعتري كلام البشر؛ أو التكرار الذي نجده في كثير من الكتابات، و إن كان التكرار في موضعه هو لون من ألوان البلاغة يفرضه السياق في مقام الإطناب لداع من دواعيه، كما بيّن ذلك الشيخ جمال الدين القاسمي في مقدمة تفسيره قال :" فتكرير صفات الله دالّ على الاعتناء بمعرفتها، والعمل بموجبها.

وتكرير القصص دالّ على الاهتمام بالوعظ للإيقاظ والاعتبار.

و فائدة تكرير القصص : تطرئة المواعظ وتشديدها، لأنّ منها ما يحثّ على الطاعة والإيمان، ومنها ما يزجر عن الكفر والعصيان..."[2]

وهذا أسلوب العرب وطريقتهم في الاهتمام والعناية بالشيء الهام، فالعرب " لا تؤكد إلّا ما تهتم به فإنّ من اهتمّ بشيء أكثر ذكره، و كلّما عظم الاهتمام كثر التأكيد، وكلّما خفّ خفّ التأكيد، وإن توسط الاهتمام توسط التأكيد"[3].

والذي يبدو للمتمعن في القصص القرآني أنّ الذي يخيّل إلينا أنّه تكرار هو محض طيف يطرأ على بعض العقول، إنّما هي في الحقيقة سياقات متنوّعة، ولكلّ رصف في سياقه دلالة معينة تكتمل وتتآلف وتتعالق وتترابط مع السياقات الأخرى تخدم في الأخير مسار القصة القرآنية، ودلالتها

---

[1] . المرجع نفسه 1 / 41

[2] . الشيخ القاسمي محمد جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، 1 / 178

[3] . المصدر نفسه 1 / 178

العامّة، والشواهد في هذا المنحى كثيرة لا يسمح المقام بسطها.

" فالقرآن الكريم كتاب دعوة، ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية؛ أو تسلية؛ أو تاريخ، وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار بالقدر والطريقة التي تناسب السياق، وأنّه حيثما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار"[1]، فعلى سبيل المثال لا الحصر في قصة موسى عليه السلام قال تعالى في سورة القصص ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ٧**﴾ [القصص: 7] ، وفي سورة طه قال تعالى ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى٣٨ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي٣٩ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى٤٠**﴾ [طه: 38-40] فالآية الأولى الغرض منها إعداد أمّ موسى وتهيّئتها لتقبل حدث صعب قبل الوقوع، لا يقدر على هذا الأمر الجلل إلّا من ألهمه الله تعالى وأيده، قال الشيخ الشعراوي :" فقصة الوحي لأمّ موسى توضح الإقناع بحدث لا يمكن أن تقتنع به أمّ لتلقي بابنها في اليمّ، ولكن إرادة الله تجعلها تقتنع ..." [2]

أمّأ الآيات الثانية فجاءت في سياق يخاطب فيه الله عزّ وجلّ كليمه موسى عليه السلام عن مراحل حياته ونبوته، وكيف أنّ الله تعالى أوحى لأمّه ذاكرا تفاصيل تلك المرحلة، وما يعقبها من التقاط عدوه له، وعناية الله به لإعداده حمل الرسالة الإلهيّة وتبليغها لقومه، " وهكذا نفهم معطيات القرآن

---

3 . الشيخ الشعراوي قصص الأنبياء 1 / 6

[2] . المرجع نفسه 1 / 35

الكريم، إنّ لكلّ كلمة ميعادها، ولكلّ معنى مكانه، ولكلّ أسلوب مجاله من حيث الرتابة للإقناع، ثمّ السرعة للتنفيذ"[1].

7 . 7 . رصف القصص القرآني

المتأمل في كتاب الله عزّ وجلّ، والمتمعن فيه بعين باصرة وبعقل عاقل يرى العجب العجاب في بلاغة رصف القصص القرآني، وكيفية انتقاء الألفاظ المرصوفة، واستعمالها بطريقة إعجازية من حيث توزيعها وانسجامها، ومطابقة المبنى مع المعنى للقصة القرآنية في ذاتها، وللسورة التي ذكرت فيها، والقصة مع ضميماتها، ممّا لا يطيقه عقل بلاغي صِرف، لأنّها من الله تعالى.

ويظهر مثل هذا النوع من الكلام جليا واضحا حسب ما يبدو من خلال المقام ومقتضى الحال، والظروف المحيطة به، بحيث ترصف ألفاظه بدقة متناهية تماشيا مع سياقها، مشكّلة بذلك وحدة خطابية كبرى عجيبة المبنى، متماسكة البناء، منسجمة الدلالة، لا يرقى إلى مثل هذا النوع إلاّ القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال لا الحصر قصة زكرياء عليه السلام في سورتي مريم وآل عمران قال تعالى في سورة مريم ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا٧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا٨ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا١٠**﴾ [مريم: 7-10].

وقال في سورة آل عمران ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ٣٨ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ٤٠ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا**

[1] . المرجع نفسه 1 / 33

رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ٤١ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٢﴾ [آل عمران: 38-42] .

الملاحظ استعمال (**ثلاث ليالٍ**) في سورة مريم، و(**ثلاثة أيّام**) في سورة آل عمران في رصفين متشابهين.

السؤال المطروح ما الفرق بين الرصفين ؟ وهل لكلّ رصف دلالة معينة تتماشى وسياق السورة ؟ فدراسة الرّصفين من خلال الموازنة بينهما، والتمعن في وحداتهما التي يستدعي بعضها بعضا في انسجام وتناسق تامين تدلّ على أنّ لكلّ رصف دلالات مرتبطة بسياقها الخاص، وإن كان الرصفان لقصة واحدة.

. **أولا :** قوله تعالى ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠**﴾ [مريم: 10]، فهذا الرّصف العجيب هو المحور الأساس الذي تدور حوله الألفاظ المكوّنة لنّص القصة، وهذه الألفاظ المستعملة تتساوق وهذا الرصف البديع، كما أنّ هذا الرّصف مرتبط ارتباطا وثيقا بالسياق الخارجي :

. فسورة مريم سورة مكيّة نزلت بمكة المكرمة

سكان مكة وثنيّون قبل الإسلام، ومن سكانها قريش، وهم الأغلب لا علم لهم بتفاصيل ودقائق الرّسل الأوائل، فجاءت قصة زكرياء في السورة مجملة دون تفصيل، مبرزة إشارات كقوله تعالى (**نداءا خفيا**) غير مفصل.

. (**يا زكرياء إنّا نبشرك بغلام**) من الذي بشر زكرياء، غير مفصل.

. (**بغلام اسمه يحيى**) صفاته غير مفصلة...إلخ

ممّا هو ملاحظ أن هذه التراكيب المستعملة في هذا الرّصف القرآني البديع كلّها تتماشى مع سياق السورة المكية لِتُعْلم قريش . من خلال هذه الإشارات المجملة لقصة زكرياء التي لا يعلمها من قبل

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قومه وهو فرد منهم . أنّ هذا الكلام ليس من تأليفه، وإنّما هو من عند الله وَحْيٌ يُوحى، هذا من جانب.

ومن جانب آخر تناسب دلالة الألفاظ التالية مع دلالة سياقها:

. خفيا : (نداء خفيا) عدم وضوح أو تفصيل هذا النداء؛ أو الدعاء. .

شقيا : (لم أكن بدعائك ربّ شقيا)، الشقاء من دلالاته الضيق والظلام.

. **عاقرا (وكانت امرأتي عاقرا)**، العقر من دلالاته الهامشيّة الضيق والحزن.

كما أنّ هذه الألفاظ والتراكيب السابقة يربطها خيط دلالي مشترك وهو الإجمال إن صحّ التعبير؛ أو المجمل من الألفاظ دون تفصيلها، بالإضافة إلى المخاطب الأول بهذه الآيات وهم قريش الذين لا عِلم لهم بتفاصيل الرّسل والأنبياء عليهم السلام، فكلّ ذلك يتناسب مع استعمال كلمة **(ليال)**. التي من دلالتها الظلمة وعدم الوضوح . كلفظة محوريّة نواة تتقاطع دلاليا مع جميع وحدات وتراكيب رصف هذه الآيات الكريمات. .

ثانيا : قوله تعالى ﴿ **قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ٤١**﴾ [آل عمران: 41]، هذه الآية من سورة آل عمران وهي مدنية نزلت بالمدينة المنورة. . وسكان المدينة يهود وعرب ، والعرب وثنيون (الأوس والخزرج)، واليهود (أهل الكتاب)

فجاءت قصة زكرياء مفصلة غير مجملة تتساوق وتتناسب وأهل الكتاب من اليهود الذين هم على دراية كبيرة بتفاصيل ودقائق الرّسل عليهم السلام.

فذكرت قصة مريم مرتبطة بقصة زكرياء ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧**﴾ [آل عمران: 37]، فكانت هذه الكلمات الطيّبات كافيّة من مريم عليها السلام لزكرياء عليه السلام على أن يتوجه بالدعاء لمن لا يعجزه شيء، ولا

مستحيل عنده جلّ في علاه، وزكرياء عليه السلام يعلم أنّ السبب يمنع ذلك (امرأته عاقر)، ولكن المُسبب على كلّ شيء قدير، (**هنالك دعا زكرياء ربّه**)، فالدعاء كان خاصا واضحا مفصلا، ولم يكن خفيا ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ٣٨**﴾ [آل عمران: 38].

والمبشِر واضح معروف وهم الملائكة بأمر من الله، فجاء تفصيل ذلك في قوله تعالى ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ٣٩**﴾ [آل عمران: 39]

. وصفات يحي الغلام المبشر به واضحة، قال تعالى على لسان الملائكة ﴿ **أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ٣٩**﴾ [آل عمران: 39]، فوضوح الدعاء، و وضوح المبِشر وهم الملائكة ، ووضوح صفات المبَشر به يحي عليه السلام بأنّه سيد وحصور ونبي من الصالحين، بالإضافة إلى أنّ أهل الكتاب من اليهود متواجدون في المكان الذي نزلت فيه هذه الآيات هم على وضوح ودراية بدقائق الرّسل عليهم السلام، وتفاصيلهم كلّها تتناسب مع استعمال كلمة (**أيّام**) . واليوم من صفاته الوضوح والإشراق . في رصف الآية (**ثلاثة أيّام إلاّ رمزا**)، فتقاطعت ألفاظ وتراكيب هذا الرّصف القرآني المنسجم انسجاما تاما في دلالات الوضوح والإشراق مع كلمة (**أيّام**)، بل تعتبر هذه الكلمة هي اللفظة المحوريّة في هذا الرّصف التي تدور حولها ألفاظه، وترتبط بها ارتباطا دلاليا معجزا.

وخلاصة المبحث : أنّ القصص القرآني لون من ألوان أساليب القرآن الكريم الإخباريّة ينقل مجريات القصة، وتطوّرات أحداثها بأسلوب بديع في رصف عجيب أخّاذ معجز، فيه من الإثارة والتشويق وعنصر المفاجأة من الصور المتخيّلة عن المعنى الذهني، والحالة النّفسية إلى صور شاخصة يمنحها الحياة والحركة المتجددة، فإذا هي مجسّمة حاضرة مرئيّة.

. القصص القرآني حقيقة تاريخيّة لها هدف، لا وهمّ فيها ولا خيال، مثبتة لأفئدة المؤمنين، مشحونة

بالعبر والعظات، مستشرفة للمستقبل، وتبصّر بالمقاصد والمآلات ، وبهذا وغيره تتمايز عن باقي القِصص البشؤيّة وما شاكلها، وتختلف عنها.

. تكرار القصص القرآني يخيّل إلينا أنّه تكرار، وفي حقيقة الأمر هو سياقات متنوعة، ورصف متعدد، فكلّما تكررت كانت هناك دلالات جديدة مناسبة لسياقها تنفي حقيقة التكرار.

الفصـــــــل الثالث : مفهوم الدلالة وقيمتها في القرآن الكريم

1. علم الدلالة
2 . الجهود الدلالية عند العلماء العرب القدامى والمحدَثين
3 . أسباب التطوّر الدلالي وتغيّره
4 . الدلالة القرآنيّة ومستويات الدرس اللّغوي ومظاهره

تمهيد :

اللّغة كالكائن الحي لا يمكن أن تستمر على وتيرة واحدة؛ أو حالة معيّنة ثابتة، فهي أبعد عن المستوى السكوني؛ أو الرتابة المملة العاجزة، وإنّما يعتريها من التغير والتبدل والتجدد ما يعتري غيرها، وهذا الأمر سنّة كونيّة تسري على الجميع ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢**﴾ [الأحزاب: 62] بما في ذلك آية اللسان، فهي عرضة للتطور من خلال استحداث ألفاظ جديدة، وأبنيّة وصيغ متجددة ، وتراكيب مولدة ، ومعان ودلالات لم تكن من قبل، فطبيعة أيّ لسان أو لغة إمّا أن تقبل هذا التطور اللّغوي الجديد، ويلحق بأصل وضعها، وإمّا أن تلغي ما هو قديم تدريجيا ويحلّ محلّها ما هو جديد، فيشيع وينتشر، وينزوي الأصل ويضمحل، هذا بصفة عامة واللسان العربي يعتريه ما يعتري أي لسان، غير أنّ له من الخصوصيات ما يؤهله للمحافظة على أصله وبقائه قائما لا يتضعضع ولا ينزوي مع تقادم الأيام، ولا يتلاشى مع تطور الحياة، فمستوياته اللغويّة الثلاثة (الصوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة) وجوانبه الدلالية والتداولية ... صالحة للتواصل والتبليغ، ونقل الأفكار، وما تحمله من شحنات ثقافية على مرّ الأزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفضل ذلك يعود إلى تشبث أهل اللسان العربي والناطقين به بالقرآن الكريم الذي يعد الحصن المنيع لهذه اللّغة، ومنهلها الصافي العذب الزلال الذي لا ينضب، ورافدها المتدفق لا أجاج فيه ولا كدر، وهذا لا يعني أنّها بمنأى عن الحركيّة الدائبة من حيث التطور، ومسايرة حاجة أهلها الماسة لسدّ متطلبات حياتهم اليوميّة ومواكبتها، واستشرافاتهم المستقبليّة بسبب التطور الحاصل في جميع الأصعدة الفكريّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسياسية والاقتصاديّة ...

فكلّ ذلك يتم ببعث ألفاظ قديمة بدلالات ومعان جديدة؛ أو اقتراض ألفاظ تتماشى والمستجدات الحضارية . وهذا قليل في لسان العرب . أو استحداث كلمات وأبنيّة ودلالات تتساوق والتطور

الحاصل، كلّ ذلك يضاف إلى مستوياتها اللسانيّة، وأساليبها المعهودة بشكل عمودي تطوري تراكمي، وأفقي توسيعي استعمالي في آن واحد، تتماشى جميعا جنبا إلى جنب دون لبس ولا تعمية بفضل نظام القرائن الصارفة عن تداخل المعاني، وهذا ممّا يثري اللسان العربي المبين ويبوئه الريادة في استيعاب كلّ نازلة، واحتواء كلّ جديد، ومسايرة تطورات الحياة التي تأبى الفراغ.

1 . علم الدلالة :

قبل الخوض في تحديد ماهية علم الدلالة يقتضي منا البحث العلمي (ابستمولوجيا) تفكيك الاسم المركب (علم الدلالة) بغية معرفة الدلالات اللّغويّة والاصطلاحيّة المنبثقة من كلمتيه وعلاقتهما بمفهوم علم الدلالة.

1 . 1 . مصطلح العلم والدلالة :

أولا : العلم

لغة : العلم اسم مشتق من فعل (علم)، أو من مادة (ع ، ل، م) .

. يأتي بمعنى (عَرَف) غير متعد ، قال في القاموس المحيط ": عَلِمه كسمعه عِلْما بالكسر : عَرَفَه ...."[1].

. وإذا تعدى بالباء مثل عَلِم به كان معناه : شَعر به ، قال أيضا في القاموس :" وعَلِم به كسمع : شَعَرَ .."[2].

. ويأتي بمعنى الهداية والإرشاد :" تطلق لفظة العَلم ويراد بها الجبل والراية والمَعْلَم، لأنّ في كلّ ذلك هداية وإرشاد للساري والجند ... وهذا حال الرجل العالم إذا وصف بهذه الصفة؛ أو الحال والسمت "[3].

ما الفرق بين العلم والمعرفة ؟

هل هما مترادفان يدلان على المعنى نفسه؟ أم هما متقاطعان أحدهما أوسع من الآخر؟ أم نقول

---

[1] . الفيروز آبادي ينظر القاموس المحيط ص 1227

[2] . المصدر السابق ص 1227

[3] . ينظر أبزو زيد نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة ص 34

أحدهما خاص والآخر عام ؟

لو جمعنا فهوم العلماء والباحثين للمصطلحين (العلم / المعرفة) لتبين لنا من خلال ذلك إجمالا الوشائج الدلالية الحاصلة بين المصطلحين كما بيّنها صاحب الفروق :" أنّ بين العلم والمعرفة تقارب في الدلالة إلّا أنّ الثانية (المعرفة) أخص من الأول (العلم)، لأنّها علم بعين الشيء مفصلا عمّا سواه ممّا يمكن تمييزه من غيره ، لذلك فهي تتعدى إلى مفعول واحد مباشر نحو قول عنترة العبسي :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[1]

. أمّا العلم فمعرفة قائمة على ضرب من التخصيص له تعلق بالمعلوم ، وذلك الملحق المخصص هو في العادة المفعول الثاني من الناحية النحويّة.

. يضاف إلى هذا أنّ المعرفة تكون لِما غاب عن الإدراك لسبب من الأسباب بعد تحققه فيه، لذلك قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام ﴿**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ٥٨**﴾ [يوسف: 58] ، ويصحب المعرفة تفكر وتدبر لذات الشيء أمّا العلم فمعرفة حاصلة دون سابق إدراك ترتبط ما له صلة بالعلوم "[2].

ويمكن القول من خلال ما ذكرنا سلفا أنّ العلم :" لا يحصل إلّا بدربة للعقل على مجموع العمليات العليا التي بفضلها يستطيع أو يتمكن من إدراك الحقائق في ذاتها أو ما يلابسها " [3].

. العلم اصطلاحا :

مصطلح العلم له عدة مفاهيم متقاربة ومتداخلة، ذكر منها صاحب كتاب كشاف اصطلاحات

---

[1] . الزوزني، شرح المعلقات السبع ص 245

[2] . أبو زيد نواري سعودي ، الدليل النظري في علم الدلالة، ص 35

[3] . المرجع نفسه ص 35

الفنون مفهومين فقال :" فمرة يطلق (العلم)على إدراك المسائل؛ أو الحقائق مطلقا كيفما كان وجه إدراكها، ومرة أخرى يطلق على العلم اليقيني"[1].

. وقد يطلق على الملَكة الحاصلة بفعل الدربة على إدراك الحقائق كما ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته عن صفة العلم فقال :" وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا، وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي، لأنا نجد في فهم المسألة الواحدة من الفن الواجد ووعيها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه، وبين العامي الذي لم يعرف علما، وبين العالم النحرير، والملكة إنّما هي للعالم أو الشادي في الفنون" [2].

ثانيا : الدلالــة لغة واصطلاحا :

. الدلالة لغة : مشتقة من فعل (دلّ) : أي أرشد إلى الشيء " ودلّه عليه دلالة... وسدّده إليه "[3]، والمصدر دَلالة ودِلالة.

كما وظف فعل دلّ في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها :

. في سورة سبأ الآية ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ٧**﴾ [سبأ: 7].

وفي السورة نفسها حكاية عن موت سليمان عليه السلام، وعدم اطلاع الجنّ والشياطين على الغيب قال تعالى ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ١٤**﴾ [سبأ: 14]

---

[1] . التهانوي كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 3 / 341 / ينظر أبو زيد نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة ص 35

[2] . ابن خلدون تاريخ ابن خلدون (المقدمة) 1 / 543

[3] . الفيروز آبادي القاموس المحيط ص1075

. وفي سورة الصف الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠**﴾ [الصف: 10] . وأيضا في سورة طه الآية 40 ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ٤٠**﴾ [طه: 40].

فدارت معاني لفظة (دلّ) في الآيات الكريمات حول الإرشاد والهداية والتوجيه.

ويقال أيضا :" دُلُّولة : أي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، من مثل دلالة الألفاظ على معانيها، والرموز أو الإشارات على ما تحيل إليه ، وكل ذلك قائم في مختلف أنواع الأنساق الدالة ، سواء كانت تلك الدلالة عن قصد ونية ممن كانت منه الدلالة ، أو لم تقترن بقصد مبيّت"[1].

" فدلالة اللّفظ هي هدايته إلى معناه وتوجيهه إليه ... وهي بهذا المعنى لا تخرج لغة عن إبانة الشيء وإيضاحه، والإرشاد إلى معناه والهداية والبيان"[2]

. الدلالة اصطلاحا : عرف صاحب التعريفات الدلالة بقوله :" هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول "[3]، ويفهم من هذا النّص أنّ الدلالة هي تلازم حاصل بين الدال (الشيء الأول)، والمدلول (الشيء الثاني)، بحيث تعلم حالة المدلول من حالة أخرى، وهي (الدال) عليها، " فهي . إذا . لا تخرج عن تضافر الدال والمدلول، حيث تصبح للكلمات والعلامات اللّغويّة معان ودلالات"[4] يصطلح على مدلولها "[1] .

---

[1] . ينظر أبو زيد نواري سعودي الدليل النظري في علم الدلالة 36

[2] . بوجادي خليفة، محاضرات في علم الدلالة . دار الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر ط الأولى 2009 ص 22

[3]. الجرجاني الشريف، التعريفات، ص 104

[4] . للإشارة هناك تمييز لطيف بين (المعنى) و(الدلالة) ذكره الباحثون ، فالمعنى : يحدد في مقصود ثابت ساكن، فحين الدلالة : تكتسب التوالد والنماء والحركة في محور المعاني، وبذلك يكون المعنى محطة ثابتة في محور الدلالة . ينظر محاضرات في علم الدلالة ص 23

وقال الراغب الأصفهاني :" الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالات الإشارات والرموز والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء أكان ذلك بقصد من يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنّه حيّ، قال تعالى ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ١٤**﴾ [سبأ: 14]" [2].

1 . 2 . تعريف علم الدلالة [3] اصطلاحا :

تباينت تعاريف علم الدلالة المركب تركيبا إضافيا إلى ما يقارب خمسين تعريفا أو يزيد ومن أشهرها :

. علم الدلالة هو " العلم الذي يهتم بدراسة معاني الكلمات" [4]

. أو هو " العلم الذي يهتم بدراسة معنى الكلمة "[5]

. ولعلّ من أوسع التعاريف في هذا المنحى الذي يشارك التعريفين السابقين في تخصيص المعنى بالدراسة بالإضافة إلى اتساعه لتحديد العلاقة بين علم الدلالة واللسانيات التعريف القائل بأنّ علم

---

[1] . بوجادي محاضرات في علم الدلالة ص 23

[2] . الأصفهاني الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بيروت والدار الشامية دمشق، ط الأولى 1412هـ ص316 . 317

[3]. مصطلح الدلالة بالفرنسية (Sémantique) أصل تسميّة هذا العلم يعود إلى اللّغوي الفرنسي ميشال بريال (Michel Breal) سنة 1883م في مقال له بعنوان (مقال في علم الدلالة) و(Sémantique) مشتق من الأصل اليوناني المؤنث (Semantike) ومذكره (Sématikos) ، ويعني :يدل ، أمّا مصدره كلمة (Sema) فبمعنى الإشارة . ينظر علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق د / فايز الداية ص 06
فمصطلح (علم الدلالة) في الدرس العربي الحديث هو ما يقابل ما يعرف ب (Sémantique) في الفرنسية ، وما يعرف ب(Semantic) في الأنجلزية

[4] . عمر أحمد مختار علم الدلالة ص 11

[5] . المرجع السابق ص 11

الدلالة " هو فرع من علم اللّغة يدرس العلاقة بين الرمز اللّغوي ومعناه ، ويدرس تطور معاني الكلمات التاريخيّة ، وتنوع المعاني والمجاز اللّغوي ،والعلاقات بين كلمات اللغة "[1].

وما نلحظه على هذه التعريفات أنّها اقتصرت هذا العلم . علم الدلالة . على دراسة الرمز اللغوي الدال على معنى أو معان مخصوصة، بيد أنّ هناك من الباحثين في هذا المضمار من يرى بأنّ علم الدلالة هو العلم الذي يهتم بنظريّة المعنى من غير قيد، ودون تخصيص الرمز اللّغوي الدال على معنى بالدراسة [2]، إنّما كلّ رمز على إطلاقه مهما كان نوعه يفضي لمعنى معين أو يدلّ عليه هو حقل من حقول علم الدلالة، ومن أشهر تعريفات هذا الاتجاه لعلم الدلالة :

أولا : هو" ذلك الفرع من علم اللّغة الذي يتناول نظريّة المعنى "[3].

ثانيا : وفي تعريف آخر أكثر وضوحا هو " ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل معنى" [4].

فعلم الدلالة يدرس كلّ العلامات والرموز التي تحمل معان مهما كان نوعها ويمكن تقسيم العلامات والرموز إلى قسمين :

. الأول : العلامات والرموز غير اللغويّة :

وهي كثيرة ومتنوعة بتنوع مصادرها منها ما هو طبيعي وعقلي كعلامة الدخان دلالة على النار، وحمرة الوجه دلالة على الخجل .

---

[1] . بوجادي محاصرات في علم الدلالة ص 24

[2] . ومن الباحثين من فرق بين علم الدلالة وعلم العلامات فيرى بأنّ :" علم العلامات يتناول دراسة العلامات لغويّة كانت أو غير لغويّة ، وعلم الدلالة يتناول دراسة المعنى الذي تحمله العلامات اللغويّة وحدها ، وبذلك فهو أخص من علم العلامات ، وعلم العلامات أشمل منه " ينظر محاضرات في علم الدلالة ص 21

[3] . عمر أحمد مختار علم الدلالة ص 11

[4] . بيير جيرو، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي ، دار طلاس للدراسة والترجمة والنشر . دمشق . ط الأولى 1988م ص 20

ومنها ما هو غير طبيعي كالشوكة والسكين بصورة متقاطعة دلالة على وجود مطعم، ورمز الميزان دلالة على العدالة، وإشارات المرور، ورموز الملاحة الجوية والبحرية... كلّ هذه العلامات والرموز تدل على معان معينة مخصوصة لا تحتاج إلى تأويل، ولها وظيفة اجتماعية يدرك النّاس على اختلاف لغاتهم وألسنتهم الدلالة المنبثقة عنها،" والمقصود ها هنا هو العودة إلى مبدأ الذي أرساه صاحب اللسانيات الوصفية دي سوسير فيما يتعلق بالعلامة والقاضي بأنّها ذات طبيعة اجتماعيّة"[1]، وهذا " لا يعني الحديث عن الدلالة إلّا اعتبار الاحتكام إلى السيميولوجيا وإعلان حضورها أثناء التنقيب عن الدلالة نفسها التي وجدت لإحداث التواصل بين أفراد المجتمع"[2] ، وعلى كثرة هذه العلامات والرموز غير اللغويّة فهي موصوفة بالمحدودية، لأنّها تكاد تكون مادية بحتة لا تستوعب حاجات النّاس ومقاصدهم، ولا يمكن أن تعبر عن كلّ شيء ، ولا يمكن أن تدلّ على الغيبيات، وخلجات النفس والأمور الإفصاحية ...

بخلاف القسم الثاني وهو الرمز اللغوي : الذي من سماته التمييزيّة أنّ معانيه غير متناهيّة، ويتصف بالمرونة يتكيف مع الأزمنة والأمكنة، ويتجاوب مع النوازل والمحدثات، فلا يترك شيئا إلّا استوعبه، وأعطى له دلالة، ورسم له معنى في العملية التواصليّة التبليغيّة، فهو أيسر وأفيد وأعم وأشمل من القسم الأول كما أشار إلى ذلك الرازي فقال :" السبب في وضع الألفاظ أنّ الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته، بل لا بد من التعاون ، ولا تعاون إلّا بالتعارف ، ولا تعارف إلّا بأسباب كحركات أو إشارات أو نقوش أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد ، وأيسرها وأفيدها وأعمها الألفاظ.

---

[1] أبو زيد . نواري سعودي ، الدليل النظري في علم الدلالة ص 17

[2] . المرجع نفسه ص 17 . 18

أمّا أنّها أيسر : فلأنّ الحروف كيفيات تعرض لأصوات عارضة للهواء الخارج بالتنفس الضروري الممدود من قبل الطبيعة دون تكلف اختياري.

أمّا أنّها أفيد : فلأنّها موجودة عند الحاجة معدومة عند عدمها.

أمّا أنّها أعمها : فليس يمكن أن يكون لكل شيء نقش كذات الله تعالى والعلوم وإليه إشارة كالغيبيات، ويمكن أن يكون لكلّ شيء لفظ ، فلمّا كانت الألفاظ أيسر وأفيد وأعم صارت موضوعة بإزاء المعاني"[1].

وذكر مثل ذلك الآمدي قيمة الرمز اللغوي الموضوع لمعنى وقدمه على العلامات والرموز غير اللغويّة لشموليته حاجات الناس واستيعابها ، ولأنّه مقدور عليه من غير مشقة فقال :" وأخف من ذلك ما كان منها لا يفتقر إلى الآلات والأدوات ، ولا فيه ضرر الازدحام ، ولا بقاء له مع الاستغناء عنه ، وهو مقدور عليه في كلّ الأوقات من غير مشقة ولا نصب، وذلك هو ما يتركب من المقاطع الصوتية التي خصّ بها نوع الإنسان دون سائر أنواع الحيوان، عناية من الله تعالى به ومن اختلاف تركيبات المقاطع الصوتيّة حدثت الدلائل الكلاميّة، والعبارات اللغويّة، وهي إمّا أن لا تكون موضوعة لمعنى، أو هي موضوعة لمعنى والقسم الأول مهمل لا اعتبار به، والثاني يستدعي النظر في أنواعه، وابتداء وضعه، وطريق معرفته "[2].

وهذا الذي حدا بعلمائنا القدماء حسب ما جاء في كثير من مظانهم الاقتصار على الرمز اللغوي دراسة وتوصيفا وتحليلا وتصنيفا وترتيبا ، ولا تذكر العلامات والرموز غير اللّغوية إلّا إشارات عابرة كما فعل ابن جني وحتى من علماء اللسانيات الحديثة من خصّ علم الدلالة بدراسة الرمز اللغوي أمثال بيرجيرو الذي عرف علم الدلالة اصطلاحا فقال هو :" العلم الذي يهتم بدراسة معاني

---

[1] . السيوطي، المزهر في علوم اللّغة 2 / 34

[2] . الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام 1 / 17

الكلمات"[1].

وحذا حذوه ماريوباي، فقال :"هو العلم الذي يختص بدراسة معاني الكلمات "[2].

والذي يبدو من خلال ما سبق أنّ الدلالة لا تهتم بالرمز اللغوي فحسب، وإن كان هذا الأخير أكثر شمولا ونفعا، وأقدر في العملية الخطابية، والتواصل، ونقل الأفكار، والإبانة أكثر من غيره عن الأشياء المشاهدة، والغيبيّة، والحسيّة، والمعنويّة، وإنّما تستوعب هذا، وتستوعب أيضا في حقلها الواسع الأنساق العلاماتية والرمزية غير اللغويّة الحاملة لمعنى، فبذلك تمثل الدلالة نقطة التقاطع بين السيمولوجيا واللغة " بما تمثله مختلف الوسائط غير اللسانية من عامل ربط بين البشر، ممّا يحتم على السيميولوجيا من حيث البدء أن تولي العلامات اللغوية نفس العناية التي تحظى بها العلامات غير اللغويّة ، ممّا يشكل نقطة تلتقي عندها السيميولوجيا باللغة"[3].

وممّا سبق ذكره ما بين موسع لمفهوم علم الدلالة ومضيّق لها أستطيع أن أقول : بأنّ علم الدلالة هو العلم الذي يدرس كلّ العلامات والرموز اللغويّة وغير اللغويّة المشروطة بأن لا تكون مفرغة من الدلالة، وأن تكون قابلة لحمل معان موضوعة لها أصلا . أي على الحقيقة . أو تكتسبها من خلال الاستعمال والاتساع.

فعلم الدلالة في الأساس يدرس هذه العلامات والرموز اللسانيّة، وغير اللسانية التي تعتبر محور التواصل والتخاطب.

فالتواصل اللساني : " نحو ما يبدو في أشكال التعبير اللّغوي، والأفعال الكلاميّة التي يصدرها الناس في مواقف محددة بهدف التواصل فيما بينهم، وهنا تقوم مفاهيم ترتبط بأعلام وضعوها أو

---

[1] . بيير جيرو علم الدلالة ص 20

[2] . ماريو باي أسس علم علم اللّغة . ترجمة : أحمد مختار عمر . عالم الكتب القاهرة ط2 . 1983م ص 44

[3] . ينظر نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة ص 18

أسسوا لها "[1].

. أمّا التواصل غير اللساني : فهو الذي " يضم مجموعة من الأنساق الرمزيّة الأخرى ما سوى اللغات الطبيعيّة "[2].

. وللإشارة الدلالة غير مرتبطة بالفصيح من الكلام فهي تدرس كما أسلفت كلّ علامة، أو رمز حامل لمعنى، ومنها الرمز اللّغوي، قال ابن خلدون :" أنّ كلا منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصوده والإبانة عمّا في نفسه، وهذا معنى اللسان واللّغة، وفقدان الإعراب ليس بضائر لهم"[3] . وقال أيضا :" والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها . ومن هذه الفنون التي ذكرها فنون الشعر . ويمجّ نظمهم إذا أنشدوا، ويعتقد أن ذوقه إنّما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها، وهذا إنّما أتى من فقدان الملكة في لغتهم . ويقصد بذلك العلماء . فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم . ويقصد بذلك الشعوب . لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها وإن كان سليما من الآفات في فطرته ونظره، وإلّا فالإعراب لا دخل له في البلاغة"[4].

1 . 3 . أنواع المعنى :

لقد أحصى علماء الدلالة خمسة أنواع للمعنى نجملها على النحو التالي :

أولا : المعنى الأساسي أو المركزي أو الأولي : وهو أصل العمليّة الاتصاليّة التبليغيّة ، ويتسم بالثبوت .

---

[1] . نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة ص 14

[2] . المرجع نفسه ص 15

[3] . ينظر السامرائي إبراهيم، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين بيروت، ط الثالثة، 1983م . ص231

[4] . السامرائي إبراهيم، فقه اللغة المقارن ص 231

ثانيا : المعنى الإضافي أو العرضي : وهذا النوع من المعنى يضاف للمعنى الأساسي ، ويكون مفتوحا على الاستعمال ، فضلا عن إمكانية تغيّره .

ثالثا : المعنى الأسلوبي : وهو معنى آخر يتجاوز المعنى المركزي أو الأساسي، بحيث يكون خاضعا للاستعمال؛ أو يحكمه إمّا الاستعمال أو الاختلاف البيئي؛ أو اختلاف أساليب التواصل، ومن سمات هذا النوع من المعنى أنّه يكشف لنا عن طبيعة مستخدم اللغة.

رابعا : المعنى النفسي : هو المعنى الذي يخصّ الأفراد كلاّ على حدة ، وما يمايزه عن سابقيه بأنّه فردي ذاتي خاص ، وبعبارة أخرى في حديث أو كلام كلّ فرد معنى نفسي خاص، قد يبدو للعيان، وقد يخفى ويدق لا يدركه إلّا الباحث المتأمل .

خامسا : المعنى الإيحائي : وهذا النوع من المعنى لا يرتبط بالأفراد وإنّما يرتبط بكلمات خاصة ذات شحنات إيحائيّة توحي بمعانيها وكأنّها شفافة ، وليس كلّ الكلمات كذلك "[1].

2 . الجهود الدلالية عند العلماء العرب القدماء والمحدَثين :

2 . 1 . عند العرب القدامي :

أشير إلى بعضها من خلال تتبعها في بعض مظانهم ومصنفاتهم المختلفة باختلاف تخصصاتهم على النحو الآتي :

2 . 1. 1 . جهود اللّغويين :

يمكن أن أشير إلى جهود بعض اللّغويين العرب الأوائل واهتماماتهم الدلالية من خلال التأمل في مظانهم ومصنفاتهم على النحو التالي :

---

[1] . ينظر عمر مختار أحمد، علم الدلالة ص 36 / وينظر بوجادي محاضرات في علم الدلالة ص 152 . 153

2 . 1 . 1. 1 . جهود علماء المعجم :

المتصفح للمعاجم العربيّة القديمة وحتى تلك المصنفات الموسوعيّة الجامعة لشتات الفنون اللّغويّة يلمح الاهتمام البارز بالقضايا الدلالية التي وظفت بين ثنايا المادة المطروقة ، ولعلّ تنوع المعاجم من معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني والرسائل الدلالية في الموضوع الواحد ، واهتمام بالتفريق بين ما هو حقيقة ومجاز من الألفاظ كلّ هذا وغيره ينبئ عن التوجيه الدلالي للكلمات في الصناعة المعجميّة، كما هو متناول في مظان لفيف كثير من العلماء قديما أمثال (أحمد بن فارس في الصاحبي، والثعالبي في فقه اللّغة ، وابن جني في الخصائص ، والسيوطي في المزهر ، وابن سيدة في المخصص ...) والقائمة طويلة أذكر بعضها للتمثيل :

أ. معجم العين للخليل بن أحمد الفراهدي : يعتبر أول معجم مصنف في الحقل المعجمي العربيّ ، اعتمد فيه مؤلفه على التوجيه الدلالي للألفاظ من خلال مبدأ التقليبات في الكلمة الواحدة ، وبطريقة رياضيّة تشتق الألفاظ من المادة اللّغوية المهملة منها والمستعملة التي تحمل دلالة ومعنى ، فالكلمة ثلاثية الأصل يشتق منها ست(6) كلمات ، وذات أربعة أحرف يشتق منها أربع وعشرون (24) كلمة، و الخماسية يشتق منها مائة وعشرون (120) كلمة وهكذا ... ولقد حذا على هذا المنوال ابن جني في تتبع التقليبات الممكنة للكلمة قصد التماس العثور على معانيها ودلالاتها المختلفة ، كما هو واضح في خصائصه على سبيل المثال نحو قوله في جذر (س ، م ، ل) " أنّه مهما تقلبت فإنّ معناها الدلالة على المصاحبة والملاينة " [1]

ب **. معجم مقاييس اللّغة لأحمد بن فارس** : من بين أهم المعاجم العربيّة في توجيه دلالة الألفاظ ، بحيث يعتمد صاحبه على " تحديد المجال الدلالي العام للفظ بتحديد جذره ، ثمّ يورد المعاني

---

[1] . ابن جني، الخصائص 2 / 172

الجزئية من هذا المجال العام للكلمات الأخرى المشتقّة منها "[1]، نحو قوله في مادة طلب :" (الطاء واللام والباء) أصل واحد ، يدل على ابتغاء الشيء ، ويقال : طلبت الشيء أطلبه طلبا ، وهذا مطلبي ، وهذه طلبتي ، وأطلبت فلانا بما ابتغاه ، أي أسعفته به ، وربما قالوا : أطلبته إذا أحوجته إلى الطلب ، وأطلب الكلأ ، تباعد عن الماء حتى طلبه القوم ، وهو ماء مطلب ..."[2].

جـ . أساس البلاغة للزمخشري : هو من أهم المعاجم تناولا لدلالات الألفاظ من حيث أصل حقيقتها ومجازيتها، والتفريق بين دلالاتها من خلال رصفها المتساوق ومعناها المراد ، نحو قوله في مادة (أ ، ف ، ك) " أفكه عند رأيه : صرفه ، وفلان مأفوك عن الخير : مصروف عنه ... ومن المجاز : أرض مأفوكة : مجدودة من المطر والنبات ، وسَنة آفكة : مجدِبة ، وسنون أوافك..."[3].

2 . 1 . 1 . 2 . جهود النحاة وعلماء الصرف :

لا يخفى على ذي لب من الباحثين والمهتمين بالدرس اللّغوي العربيّ القديم أنّ من المهام الأساسيّة للنّحو وللصرف الإفصاح عن دلالات الألفاظ والتراكيب، " لأنّ الوظائف النحويّة التي توزع على الكلمات داخل الكلام إنّما هي علامات على معان ودلالات هي لب مراد المتكلم ، وهذا يعني أنّ نشاط التقعيد للّغة وإن أخذ في ظاهره مظهر التقنين الشكلي إلّا أنّه حديث عن البنيات المنطقيّة للكلام التي تركز بدورها على خلفيّة الدلالة "[4].

---

[1] . بوجادي، مدخل في علم الدلالة ص 46

[2] . ابن فارس أحمد، مقاييس اللّغة 3 / 417

[3] . الزمخشري، أساس البلاغة ص 8

[4] . أبو زيد نواري سعودي ، الدليل النظري في علم الدلالة ص 77

وما النحو إلّا انتحاء سمت كلام العرب كما قال ابن جني في الخصائص[1]، فالدلالة والمعنى حاضرة وملازمة في كلامهم، روي أنّ رجلا أنكر على من قرأ بكسر (ورسولِه) في مطلع سورة التوبة قوله تعالى ﴿ **أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ٣**﴾ [التوبة: 3]، فعطف الرسول على المشركين، وهذه دلالة فاسدة، والأصل بالضمة (ورسولُه)، فهذه الواقعة، ومثلها ما روي عن أبي الأسود الدؤلي أنّه سمع ابنته تقول : ما أحسنُ السماء ؟ (برفع أحسنُ) تريد التعجب، فأجابها : نجومها ، فقالت له يا أبت: إنّما أخبرك ولم أسألك، فقال لها إذا فقولي : (ما أحسنَ السماء) بالنصب[2]، فكلّ هذا وغيره من الأخبار المبثوثة في كتب النحاة مرتبطة بالدلالة والمعنى مهدت لنشأة علم النحو، والدارس لأبواب النحو في الكتاب لسيبويه على سبيل المثال في باب أضرب الكلام من حيث الاستقامة والإحالة [3]، وباب الذكر والحذف، هذه الأبواب وغيرها لها خلفيّة دلاليّة ، بل المحرك لها هو الدلالة ، قال سيبويه في الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين :" وإنّما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين ههنا أنّك إنّما أردت أن تبيّن ما استقر عندك من حال المفعول الأول يقينا كان أو شكا، وذكرت الأول لتعلم الذي تضيف إليه ما استقرّ له عندك من هو، فإنّما ذكرت ظننت ونحوه لتجعل خبر المفعول الأول يقينا أو شكا، ولم ترد أن تجعل الأول فيه الشك؛ أو تقيم عليه في اليقين...وأمّا ظننت ذاك، فإنّما جاز السكوت عليه لأنّك قد تقول ظننت فتقتصر، كما تقول ذهبت، ثمّ تعمله في الظنّ كما تعمل ذهبت في الذهاب فذاك ههنا هوالظن،

---

[1] . ينظر ابن جني، الخصائص 1 / 34

[2] . ينظر عمر مختار أحمد، البحث اللغوي عند العرب، ص 82

[3] . سيبويه الكتاب 1 / 25

كأنّك قلت : ظننت ذاك الظنّ ..."[1].

أمّا من جانب الشقّ الصرفيّ فأغلب أبنيته تحركها الدلالة ، وهذا ما نستشفه من معاني الأبنيّة المبثوثة بين ثنايا كتب الأوائل، سواء ما ذكر في مصنفات النحاة كالكتاب لسيبويه؛ أو في كتب أصول النحو عند ابن الأنباري أبي البركات، وجلال الدين السيوطي؛ أو ما حواه كتاب الخصائص لابن جني، والمزهر في اللّغة للسيوطي... على سبيل المثال صيغة (فِعالة) للدلالة على الحرفة والاستيلاء، وصيغة (فُعال) للدلالة على الأصوات والأدواء ، وصيغة (الفَعَلَان) للدلالة على التقلب والاضطراب والامتلاء ... والتفريق بين صيغة (فعيل) في اسم المفعول الدالة على المضي والحال فقط و(مفعول) الدالة على (المضي والحال والاستقبال) ...كلّ هذا من صلب الدلالة الموظف في الدرس اللّغوي القديم .

2 . 1 . 1 . 3 . جهود البلاغيين وعلماء البيان :

لقد بلغ كلّ من البلاغة والبيان شأوا كبيرا في الدرس اللّغوي العربي لمعالجتهما قضايا دلاليّة هامة تظهر أساسا في مناقشتها لمواضيع هي من صميم الدرس الدلالي مثل ثنائيّة الحقيقة والمجاز، والأساليب البلاغيّة المختلفة (الخبريّة والإنشائيّة وما يتعلق بهما من أغراض)، ودلالات البيان ليست مقصورة على المجازات المرسلة والاستعارات والتشبيهات والكنايات فحسب، بل دلالات البيان أوسع بكثير ممّا ذكر، إذ البيان يستوعب جميع الوحدات اللّغويّة . من أقل وحدة لغويّة قابلة للتوصيف والتحليل والدراسة وهي الصوت إلى أكبر وحدة لغويّة وهي النص أو الخطاب . كما أنّ نظريّة النّظم تمثل هذا المنحى وهي " حافلة بقضايا الدلالة، إن لم تكن تقدم نظريّة فريدة

[1] . سيبويه الكتاب 1 / 40

في الدلالة عند البلاغيين"[1].

وما أجمله الجاحظ في أصناف الدلالات . في باب البيان . المدبّجة بعناية العلماء بها يوحي بقيمة المباحث الدلاليّة المتناولة في الدرس اللّغوي العربي القديم ، قال في البيان والتبيين ما ملخصه :" قال بعض جهابذة الألفاظ ونقّاد المعاني : المعاني القائمة في صدور النّاس ، المتصوّرة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم مستورة خفيّة، وبعيدة وحشيّة، ومحجوبة مكنونة...لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره... وإنّما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها ... ثمّ اعلم . حفظك الله . أنّ حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأنّ المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدّة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ، ومحصلة محدودة، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد :

أولها اللفظ ، ثمّ الإشارة ، ثمّ العَقْد . (وهو ضرب من الحساب بأصابع اليد) . ، ثمّ الخط ، ثمّ الحال التي تسمى نِصبة.

والنصبة : هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف....ولكلّ واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ...قد قلنا في الدلالة باللّفظ

. فأمّا الإشارة : فباليد، وبالرأس، وبالعين، وبالحاجب، والمنكب... والإشارة واللّفظ شريكان، ونِعم العون هي له، ونِعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللّفظ، وما تغني عن الخط ...

. فأمّا الخط : فما ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه من فضيلة الخط ، والإنعام بمنافع الكتاب، قوله لنبيه عليه السلام **(اقرأ وربّك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم)**، وأقسم به في

[1] . بوجادي، محاضرات في علم الدلالة ص 48

كتابه المنزّل على نبيه المرسل، حيث قال ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ١** ﴾ [القلم: -2] ، ولذلك قالوا : القلم أحد اللسانين... والكتاب يُقرأ بكلّ مكان، ويُدرس في كلّ زمان، واللسان لا يعدو سامعه، ولا يجتازه إلى غيره.

. وأمّا القول في العقد : وهو الحساب دون اللّفظ والخط، فالدليل على فضيلته قول الله عزّ وجلّ ﴿ **وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا١٢** ﴾ [الإسراء: 12]، والحساب يشتمل على معان كثيرة ، ومنافع جليلة ، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عزّ وجلّ معنى الحساب في الآخرة .

. وأمّا النصبة : فهي الحال الناطقة بغير اللّفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كلّ صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة في الموات الجامد كالدلالة في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان ، ولذلك قال الأوّل : سل الأرض فقل : من شقّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك ؟ فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا... وقال خطيب من خطباء الإسكندر وهو ميّت : (الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه الأمس)، ومتى دلّ شيء على معنى أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكنا، وهذا القول الشائع في جميع اللّغات، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات "[1].

2 . 1 . 2 . جهود علماء علوم القرآن :

المنطلق الأول لنشأة مختلف العلوم العربيّة بصفة عامّة والبحوث الدلاليّة بصفة أخص هو القرآن الكريم " فلولاه ما كانت عربيّة كما قال رمضان عبد التواب ، ولولاه ما كانت لأمّة البدو التي

[1] . ينظر الجاحظ، البيان والتبيين 1 / 75 . 82

طالما نهش بعضها بعضا أن تؤسس حضارة قوامها العلم والإبداع الفكري فجميع أوجه الإنتاج العقلي نبعت منه، وإليه فاءت، ومن أجله عملت، فجمع اللّغة ممّن يشهد لهم بالفصاحة لم يكن إلّا لغاية حفظ القرآن بفهمه وحراسته، وكذا رواية الأشعار والأخبار التي كثيرا ما يستعان بها في تفسيره"[1].

وإذا أردنا أن نؤصل للدرس الدلالي عند علماء القرآن الكريم ننظر إلى بحوثهم ومؤلفاتهم المرتبطة ارتباطا وثيقا بالدلالة، بل خلفيتها دلاليّة مثل كتاب : مجاز القرآن لأبي عبيدة)، والأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سلمان البلخي (ت 150 هـ)، والوجوه والنظائر في القرآن لهارون بن موسى الأزدي (ت 170 هـ)، وكتاب أبي العباس المبرد (ت 285 هـ) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، قال عنه أحمد مختار عمر :" فإنّ قيمته . أي الكتاب . ليست في المادة التي يحويها ، وإنّما في مقدمته التي أشار فيها إلى أهمية السياق "[2]...إلخ

وضبط المصحف الشريف بالشكل . الذي لم يكن معجما قبل قرنه الأول من جمعه وكتابته، أي خال من النقاط والشكل . مرتبط بالدلالة " وفي ذلك قيمة دلاليّة بالغة، حيث حرصوا على بيان دلالة الألفاظ باللجوء إلى نقطها وشكلها ، وحفاظا على كتاب الله من أيّ تحريف، كما وضعوا علامات الوقف ودرجاته، وهو تحديد قائم على بيان الوحدات الدلاليّة في القرآن الكريم"[3]

---

[1] . نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة ص 75 . 76

[2] عمر أحمد مختار، علم الدلالة ص 150

[3] . بوجادي خليفة، محاضرات في علم الدلالة ص 44

2 . 1 . 3 . جهود الأصوليين :

من الموضوعات البارزة في المباحث الأصوليّة والتي تعدّ من صميم الدرس الدلالي بحيث لقيّت عناية بالغة في مظانهم وكتبهم قديما وحديثا ما أطلق عليه دلالة النّص، وهي من أهم القواعد الأصوليّة اللّغويّة التي اعتمدها الأصوليون في استنباط الدلالة من النّص وفي ظل هذه القواعد درسوا دلالة اللفظ والمنطوق والمفهوم منه، والخاص والعام، والمطلق والمقيّد، والترادف والاشتراك ... ودلالة النّص على المعنى بحسب ظهور المعنى وخفائه مثل :

واضح الدلالة : ومنه الظاهر والنّص والمفَسر والمحكَم

وخفي الدلالة : على أربع مراتب : الخفي والمشكَل والمجمَل والمتشابه

ودرسوا ما يسمى " بدلالات المنظوم، والصيغ الدالة على الأم، وبيان معنى التخصيص... "[1].

واهتمام الأصوليين بدلالة اللفظ لأنّها من بين الوسائل الضروريّة التي لها أهميّة بمكان في استنباط الأحكام العمليّة.

2 . 2 . الدلالة عند المحدثين العرب :

للإشارة أنّ علم الدلالة بمعاييره الحديثة هو علم نشأ في غضون القرن التاسع عشر ميلادي مع مقال ميشال بريال (Michel Breal) بعنوان (Sémantique) علم الدلالة سنة 1883م ، وينسب إليه هذا المصطلح، ولكن الاهتمامات الدلاليّة قديمة جدا عند الهنود واليونان وعند العرب كما أسلفت وذكرت بعضها في المبحث السابق، ثمّ توالت البحوث والكتب في علم الدلالة عند اللسانيين الغربيّن المحدثين ومن أشهرها كتاب مشال بريل (Essai de

[1] . ينظر الآمدي، الإحكام في أصول الأَحكام 2 / 188 ، 205 ،407

sémantique ; science de signification)) سنة 1897م وكتاب السويدي أدولف نورين

(Adolf Noreen)1854 . 1925م قدّم كتابا ضخما عنوانه (لغتنا) اهتمّ في قسم كبير منه بدراسة المعنى ، مستخدما مصطلح سيمولوجي (Semology) "[1] ...

فكثيرا من الباحثين العرب تأثروا بهذا العلم الحديث فألفوا وترجموا إلى العربيّة فكان ذلك ثراء وخدمة للدرس الدلالي العربيّ وفق خصوصياته، ولعلّ أول كتاب في هذا العلم للباحثين العرب المحدَثين أصدره إبراهيم أنيس بعنوان (دلالة الألفاظ) عام 1958م ، ثمّ توالت التأليفات نحو علم الدلالة لأحمد مختار عمر، و علم الدلالة العربي لفايز الداية ... بالإضافة إلى ترجمة كتب الغربيين إلى العربيّة نحو : علم الدلالة إطار جديد (بالمر) ترجمة صبري إبراهيم السيد ، وعلم الدلالة (بيير جيرو) ترجمة منذر عياشي ...

3 . أسباب التطور الدلالي وتغيّره :

يعتبر موضوع تطور الدلالة وتغيّرها من أهم المواضيع في الدرس الدلالي الحديث، كما نجد له حضورا بارزا في حيّز الدرس اللّغوي لدى علمائنا القدامى، لأنّه مرتبط بمدلولات الألفاظ وكيفيّة انتقالها بين النّاس، وتنصبّ بحوث الدارسين لأسباب التغيّر الدلالي إجمالا على محورين

3 . 1. المحور الداخلي :

يتعلق باللّغة ذاتها، والمقصود هنا الكلمة واللفظة اللّغويّة قد يعتريها تغيّر صوتي ممّا ينتج على ذلك دلالتين للفظتين هي في أصل من كلمة واحدة ، أو ما يسمى التوليد يمكن التمثيل لهذا

[1] . ينظر بوجادي، محاضرات في علم الدلالة ص 54

التغيّر الصوتي في تعدد الدلالة بما ذكره ابن جني في الخصائص (في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ، وكذلك في باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) نحو : (هزّ) للتحريك الظاهر العنيف ، وفي القرآن الكريم قال تعالى (**وهزّي إليك بجذع النّخلة**)25 مريم، و (أزّ) للتحريك الخفي قال تعالى (**ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا**) 83 مريم، و (قضم) لأكل اليابس الصلب ، و(خضم) لأكل الرطب الطري ..."[1]

وكذلك ما عدّه بعض اللّغويين " نحو : الغلط : خطأ عام ، والغلت : خطأ خاص بالحساب"[2].

. ومن أسباب تغير دلالة اللّفظ ذاته ما يسمى بالاشتقاق... ، وهذا المحور مع أهميّته في تطور الدلالة وتغيّرها فهو قليل أمام المحور الثاني والمتمثل في :

3 . 2**. المحور الخارجي :**

وهذا حقل واسع في مدلولات الألفاظ بسب ارتباطها بمجالات حياتيّة ثقافيّة واجتماعيّة ونفسيّة وسياسيّة ودينيّة ... ومن بين أهم مظاهر التغيّر الدلالي :

3 . 2 . 1 – الاستعمال :

للغة وظائف أساسيّة محصورة في التبليغ والتواصل والإبانة ونقل الأفكار والتعبير يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . على حدّ تعبير ابن جني . بأصوات وألفاظ متداولة بينهم أو دائرة على ألسنتهم مع اشتراكهم في الدلالة المركزيّة لهذه الألفاظ وتقاسمهم لمعناها التي غالبا ما يتمّ بها التواصل بأقل رصف ممكن ، غير أنّ الأفراد يختلفون في إدراك الحدود الهامشية لدلالات الألفاظ

---

[1] . ابن جني الخصائص 2 / 145 . 152

[2] . ينظر بوجادي محاضرات في علم الدلالة ص 114

، وتتباين فهومهم أمام الدلالات العرضية أو الثانويّة للوحدات اللغويّة بسبب " ما يكتنفها من ظروف وملابسات تتغير كل يوم ، وتتنوع بتنوع التجارب والأحداث ، فإذا ورثتها الأجيال النّاشئة واتخذتها أيضا للتعامل والتبادل لم ترثها على حالها الأولى ، بل ترثها مع بعض الانحراف في الدلالة، ثمّ يتضخم ذلك الانحراف على توالي الأجيال"[1]، والتي لا يمكن تحديد المقصود منها و المراد إلّا من خلال الرّصف الذي خُصّ لها والسياق الذي هي فيه، فتتكيف دلالتها تبعا للاستعمال ومع مرّ الأزمان وتوالي الأجيال تزدهر هذه الدلالات الفرعية حتى تصبح منافسة للدلالة المركزية من ناحيتين :

إمّا أنها تتماشى معها جنبا إلى جنب في تعايش تام من غير لبس ولا التباس، بحيث كل دلالة لها رصفها الذي تلتئم معه وسياقها الخاص بها.

وإمّا أنّها تتوسع ويشتهر استعمالها على حساب الدلالة المركزيّة أو الأولى من حيث الوضع التي تُنسى أو يضمحل تداولها فتنحصر وتنزوي وينطفئ إشراقها كأن لم تكن من قبل.

وللاستعمال أشكال كثيرة نذكر منها :

3 . 2 . 1 . 1 – الاستعمال المجازي :

الأصل في وضع أي لفظ ينتمي للغة جماعية ما أو لسان ما تعارفوا واصطلحوا عليه وأصبح متداولا بينهم دائرا في دورتهم الخطابيّة يعيَّن له معنى أو يوضع بإزائه ليدل عليه على وجه الخصوص والربط بين اللفظ والمعنى على سبيل التعيين هو ما يطلق عليه عند علماء البلاغة بالوضع.

والألفاظ من حيث هي ألفاظ إمّا لا يتصرف فيها عند الاستعمال وتبقى على أصلها محافظة على

---

[1] . أنيس إبراهيم دلالة الألفاظ ص 103

معناها الأول الذي وضع بإزائها من غير تصرف فيها ، ولا تعرف دلالتها إلّا به ويسمى هذا النوع من المعني بالحقيقة وغالبا ما يكون هذا المعنى هو المعنى الأساسي للفظة أو المعنى المركزي وهذا المعنى هو العامل الرئيسي للاتصال اللغوي، والمثل الحقيقي للوظيفة الأساسية للغة، وهي التفاهم ونقل الأفكار، ومن الشرط لاعتبار متكلمين بلغة معيّنة أن يكونوا متقاسمين للمعنى الأساسي... وقد عرف نيدا (Nida) هذا النوع من المعنى بأنّه المعنى المتصل بالوحدة المعجميّة حينما ترد في أقل سياق"[1].

ثانيا : وإمّا أن يتصرف في اللفظ عند الاستعمال لحاجة النّاس إلى معان جديدة تتساوق والتطور المتسارع في المجتمعات في شتى المجالات الذي يقتضي وضع ألفاظ بإزاء معان جديدة لأشياء مستحدثة، وبما أنّ الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية فلا يمكن أن يوضع لكلّ معنى لفظ مستقل من حيث بنيته وحروف بنائه إلّا نادرا، وعلى هذا الأساس يتصرف في اللفظ بانفتاحه على معان جديدة يستوعبها كدلالات هامشية أو ثانوية . يطلق عليها مصطلح المجاز عند البلاغيين . تضاف إلى المعنى الأساسي أو المركزي فتتعايش معه جنبا إلى جنب دون لبس ولا غموض، ولا تداخل إذا ما أسند المعنى إلى القرائن اللفظية أو المعنويّة أو الحاليّة . وقد ينزوي المعنى الأساسي المركزي ببروز معنى ثانوي أو هامشي لكثرة دورانه على الألسنة، وتخلي الناطقين على المعنى الأساسي وزهدهم فيه ورغبتهم عنه لأسباب كثيرة ذكرنا طرفا منها ، طبعا هذا بعد ردح من الزمن وعلماء البلاغة أسهموا بقسط وافر في هذا الباب وبينوا بأنّ اللفظ " إن منعت قرينته إرادة المعنى الموضوع له فهو مجاز بالاستعارة إن كانت العلاقة المشابهة، ومجاز مرسل إن كانت العلاقة غيرها، وإن لم تمنع القرينة فإن كان بالكاف وكأنّ ونحوهما فهو تشبيه وإلّا فهو كناية، ولهذا

---

[1] . عمر أحمد مختار علم الدلالة ص 36

انحصر علم البيان في التشبيه والمجاز والكناية "[1].

والذي أشير إليه ههنا في هذا المبحث أنّ ثمّة ملاحظة لا يمكن تجاوزها وهي أنّ الحدود الفاصلة بين الحقيقة والمجاز اللغويين صعبة المنال، وتكاد تكون مستحيلة في كثير من ألفاظ لغتنا المعاصرة المتداولة والدائرة على ألسنتنا وبخاصة إذا ما أضيفت لها معان هامشية عرضية وضمنية وأسلوبية ونفسية وإيحائية ناهيك عن المعاني المجازيّة بمفهوم البلاغيين.

وهذا الدرس اللغوي . بين حقيقة الألفاظ ومجازيتها . أسال حبرا كثيرا عند علمائنا القدامى حيث تفرعت منه ثلاثة أراء متباينة ذكرها ابن الأثير في المثل السائر.

الرأي الأول : ذهب إلى أنّ الكلام كلّه حقيقة؛ أو على الحقيقة، ومن أبرز رواد هذا الرأي أبي إسحاق الأسفراييني.

والرأي الثاني : زعم أنّ الكلام كلّه مجاز، ولا حقيقة فيه .

أمّا الرأي الثالث : فانتصر له ابن الأثير، وأقام له البراهين والحجج على حساب الرأيين السابقين، وهو الذي التف حوله لفيف من جهابذة العلم في مجالات شتى، وبخاصة علماء اللّغة والأصول والتفسير وغيرهم، وهذا الرأي يرى بأنّ اللفظ قد يستعمل استعمالا حقيقيا كما يستعمل استعمالا مجازيا "[2]، وإن كان بعضهم يميل إلى أنّ أكثر الكلام على الحقيقة، وينسب مثل هذا إلى أحمد بن فارس، وبخلاف ذلك ذهب ابن جني إلى أنّ أكثر الكلام مجاز"[3].

وقال ابن جني في الخصائص :" الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللّغة،

---

[1] . الهاشمي، جواهر البلاغة ص 199 . 200

[2] . ينظر ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر . القاهرة . 1 / 84 . 89

[3] . السيوطي المزهر في اللّغة 1 / 207

والمجاز ما كان بضد ذلك ، وإنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي : الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عدمت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة "[1].

والنّاس في حقيقة الأمر في استعمالهم للغة يجنحون إلى هذه الأوصاف الثلاثة التي أوردها ابن جني لنقل أفكارهم، وتوضيح أغراضهم، وتبيين مقاصدهم، وعلى هذا الأساس يكثر المجاز في الكلام، بيد أنّ مسألة الحقيقة و المجاز من أخطر المسائل اللغويّة في الدرس اللساني العربي، والخوض فيها لا يمكن أن يصل بنا إلى فصل الخطاب؛ أو نتيجة فاصلة بسبب صعوبة تتبع التطور الدلالي للّغة العربيّة من حيث ألفاظها ومعانيها، فإحاطة معاني ألفاظها وتحديد حقيقتها من مجازيتها يُعَدُّ رجما بالغيب.

ذكر إبراهيم أنيس ضعف معالجة درس الحقيقة والمجاز عند القدماء من علماء اللسان العربي فحصرها في ما يلي : " أنّهم وجهوا كلّ عنايتهم إلى نقطة البدء في الدلالة، وركزوا نظرتهم نحو نشأتها، فتصورا ما سموه بالوضع الأول، وتحدثوا عن الوضع الأصلي كأنّما قد تمّ هذا الوضع في زمن متعين وفي عصر خاص من عصور التاريخ... كذلك يبدو من بحوث القدماء من علماء العربيّة أنّهم نظروا إلى كلّ عصور اللّغة على أنّها عصر واحد، ومن هنا ظهرت بعض الألفاظ على أنّها حقيقة بعد أن شاع أمرها وتنوسيت مجازيتها ، فقال من قال إنّ الكلام كلّه حقيقة، وتبين للآخرين من العلماء أنّ معظم الألفاظ لها تاريخ مجازي فخيّل إليهم أنّ كلّ الألفاظ تبدأ مجازيّة الدلالة، وأن لا حقيقة فيها، وكان كذلك الفريق الثالث وهم جمهور العلماء الذين اعترفوا بكلّ من الحقيقة والمجاز على أساس الأصالة والفرعيّة في دلالة الألفاظ "[2].

---

[1]. ابن جني الخصائص 2 / 442

[2] . ينظر أنيس إبراهيم دلالة الألفاظ ص 97

ومن الأعلام القدامى الذين درسوا الألفاظ من حيث أصل حقيقتها ومجازيّتها :

الإمام الزمخشري في معجمه أساس البلاغة، ومع هذا العمل النوعي والجبار والمدلل يصعب الجزم بذلك في كثير من الألفاظ كما أشار إلى ذلك إبراهيم أنيس لإسراف الزمخشري في المجاز فقال :" حين عرض الزمخشري للحقيقة والمجاز في أساس البلاغة ففي رأيه أنّ الكتابة والقراءة والخلق والهجاء كلّها من المجاز... ويقول : إنّ الدلالة الحقيقيّة لفعل (كتب) هو مثل كتب السقاء، أي خرزه بسيرين، أي الضم والجمع.

. أمّا الكتابة المألوفة فدلالتها مجازيّة.

وكان أيضا يقول : إنّ الدلالة الحقيقيّة (للقراءة) هي الجمع والضم.

وإنّ الدلالة الحقيقيّة للفعل (خلق) هي التي في مثل خلق الحذاء الأديم، والخياط الثوب قدره قبل القطع، ومن المجاز خلق الله الخلق.

وكان يزعم أنّ معنى (هجاء الحروف) يهجوها عددها، ومنها عن طريق المجاز (الهجاء بمعنى تعدد المعايب).

هو إذا يفترض أنّ العرب قد عرفوا (الكتابة) خرز السقاء قبل أن يعرفوها بمدلولها الشائع الآن، وتلك قضيّة ليس من اليسر البرهنة عليها، حتى مع علمنا بشيوع الأميّة لدى العرب القدماء"[1]، وعلى هذا التصور فإنّهم " لم يميّزوا بين المعنى المجرد ومعاني الاستعمال المرتبطة في الصميم بالسياقات التي قد ترد فيها، والبيئة التي تستخدمها " إلّا قليلا ، يقول بيير جيرو وهو من اللسانيين الغربيين :" لا يزدوج المعنى الأساسي والمعنى السياقي، هناك دائما معنى واحد لكلّ حالة، إنّه المعنى السياقي، فالكلمة ضمن سياقها تقابلها صورة مفهوميّة واحدة " تعارف عليه أفراد اللسان

[1] . ينظر أنيس إبراهيم دلالة الألفاظ ص 100 . 101

الواحد وشاع بينهم في وسط اجتماعي وثقافي خاص، لا يعتريه غموض ولا غرابة بغض النظر عن كونه أهو حقيقة أم مجاز؟

" فاللفظ قد يشيع استعماله في جيل من الأجيال للدلالة على أمر معين، وكلّ ما ذكر اللفظ خطرت الدلالة نفسها في الأذهان دون غرابة؛ أو دهشة، وهو من أجل ما يسمى بالحقيقة، فإذا انحرف به الاستعمال في مجال آخر فأثار في الذهن غرابة أو طرافة قيل حينئذ إنّه من المجاز، وتلزمه تلك الغرابة أو الطرافة في الاستعمال زمنا ما بعده قد يفقدها ويصبح من الألفة والذيوع بحيث تنسى مجازيته ويصير من الحقيقة "[1].

وعلى هذا الوجه الذي ذهب إليه إبراهيم أنيس فإنّ كثيرا من الألفاظ تتبادل الأدوار بين الحقيقة والمجاز، بمعنى أنّ اللفظ في حقبة زمنية يوصف بالمجاز لغرابته وقلة دورانه بين مستعمليه، وبعد تقادم الأيام على استعماله بين الناطقين به، وكثرة دورانه على ألسنتم حتى يتبوأ مكانة عالية من الألفة في ما بينهم فيفرض نفسه على أنّه وضع بإزاء معناه المتداول حقيقة التي لا يشك مستعملوه البتة أنّه كان في عصر ما من المجاز.

وهنا تكمن صعوبة هذا المبحث بحيث لا يمكن أن نجزم أثناء تصنيف الألفاظ المستعملة في لغتنا العربية المعاصرة، وحتى القديمة منها أهي مجازية أم حقيقة ؟ إلّا ما كان من الألفاظ ما هو واضح بيّن بقرائن معلومة يمكن أن نتكئ عليها لإثبات مجازيتها؛ أو أنّها على حقيقتها.

والأمثلة في هذا الباب لا تحصى لكثرتها، نذكر طرفا منها على سبيل التمثيل لا الحصر، منها لفظة :

(**الكلالة**) : ذكرت في القرآن الكريم في موضعين من سورة النساء في الآية 12﴿ **وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ**

[1] . أنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ ص 101

يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ١٢﴾ [النساء: 12] ، وفي الآية 176 ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ١٧٦﴾** [النساء: 176]، وقد اختلف العلماء في مفهوم الكلالة بسبب تعدد مدلولها اللّغوي إلى ما يزيد عن ثلاثة عشر معنى منها :

. الكلالة بمعنى جميع القرابة البعيد منهم والقريب .

. أو قرابة الرجل خلا والده وولده .

. أو بنو الأعمام الأباعد.

. أو اسم لما عدا الأبوين والأخ .

. أو كلّ من لم يرثه أب أو ابن أو أخ .

. أو هي بمعنى اسم للمال الذي لا يرثه ولد ولا والد

. أو اسم الفريضة التي ليس فيها ولد ولا ولد ابن...إلخ

وممّا لا شك فيه أنّ من بين هذه المعاني المتزاحمة للفظة الكلالة هناك معنى حقيقيا وضع بإزائها وباقي المعاني التي انبجست منها بعد التصرف فيها اكتسبتها من خلال استعمالها في سياقات معيّنة، ومع مرّ الأزمان والحقب تداخلت هذه المعاني وتقاطعت فلا يعرف حقيقتها من مجازيتها، بل يصعب تحديد ذلك إن لم نقل باستحالتها، بيد أنّ المعنى المراد منها في الآيتين الكريمتين بغض النظر عن حقيقتها ومجازيتها هي ما خلا الوالد والولد، وهذا ما رجحه خليفة المسلمين سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال ابن قيّم الجوزيّة :" سئل الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن لفظ الكلالة فقال : إنّي سأقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن

خطأ فمني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد..."[1]، ثمّ علق ابن القيّم على هذا الترجيح وقال :" رأي مستند إلى استدلال واستنباط من النص وحده، أو من نص آخر معه، فهذا من ألطف فهم النصوص وأدقه، ومنه رأيه في الكلالة أنّها ما عدا الوالد والولد، فإنّ الله ذكر الكلالة في موضعين من القرآن، ففي أحد الموضعين في قوله تعالى **(وإن كان رجل يورث كلالة)** الآية 12 ورث معه الأخ والأخت من الأم، ولا ريب أنّ هذه الكلالة ما عدا الوالد والولد، وفي الموضع الثاني هو قوله تعالى ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ١٧٦**﴾ [النساء: 176] 176 ورث معها ولد الأبوين؛ أو الأب النصف أو الثلثين، فاختلف النّاس في الكلالة، والصحيح قول الصديق الذي لا قول سواه ، وهو الموافق للغة العرب كما قال :

ورثتم قناة المجد لا عن كلالة عن ابن مناف عبد شمس وهاشم

أي ورثتموها عن الآباء والأجداد لا عن حواشي النسب..."[2].

. لفظة (المجد) : عرفت دلالتها في المعاجم العربيّة بأنّها " تطلق على امتلاء بطن الدابة من العلف ونحوه ، ثمّ وظفت مجازا في الامتلاء بالكرم"[3]، وما يقاربها من معان حتى صارت كأنّها الحقيقة فيه، ولا يعرف النّاس اليوم من المجد إلّا المعنى الثاني وما يشاكله، وهذا من جهة اللفظ.

. أمّا شق الكلام التركيبي أو الرّصف التركيبي اللّغوي فهذا ممّا يكثر فيه المجاز ويتسع لحاجة النّاس إليه قصد الاستعاب المتجدد لمناحي الحياة المتجددة والمستحدثة.

---

[1] . الجوزيّة ابن القيّم إعلام الموقعين، تحقيق :عصام الدين الصبابطي ،دارالحديث القاهرة ، ط2004 ص 73

[2] . الجوزيّة ابن القيّم، إعلام الموقعين ص 73

[3] . وافي علي عبد الواحد علم اللّغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع فبراير 2000 ص 321

وهناك سبب لا يقل أهمية عمّا أسلفت في توسع حقل المجاز التركيبي وهو الانزياح الأسلوبي الفردي للّغة، بل أقول إنّ ظاهرة الانزياح الأسلوبي هي السبب الرئيس في هذا الباب لأنّ كلّ فرد له أسلوبه الخاص في توليد تراكيب لغويّة غير خاضعة في كثير من الأحيان للقواعد اللّغوية المعيارية، أو هي انزياح كبير عن المعيار اللّغوي الدلالي تحديدا، والصرفي والنحوي بشكل أقل، ولو لم يكن هذا الانزياح لما كان هناك الإبداع في اللغة والتطور، ولبقيت التراكيب اللغويّة الأصلية عاجزة على مسايرة الحياة المتطورة والمتجددة، ولأعلنت عن شيخوختها مبكرا، لكن اللّغة العربيّة من سماتها هذا الإبداع الذي قلّ نظيره، فرفع مكانتها، وعزز شبابها ووسع آفاقها فاستوعبت بذلك القريب والبعيد، والحسي والمعنوي، والمشاهد والغيبي...

. أمّا المجاز الظاهر البيّن للداني والقاصي الذي شاع واتسع وكثر استعماله، ولا تنكر مجازيّته، فهو ذلك المجاز الذي يعتمد على توضيح الحديث، وتقريب صور الكلام، وتجليته بوضوح، يتقبله الكبير، كما يدركه الصغير على حدّ سواء، دون غرابة أو دهشة؛ أو انفعال لوضوح علاقته، وسهولة تفسيره، ومن أمثلة ذلك : أسنان المشط، أسنان المنشار، عنق الزجاجة، يد السكين؛ أو المُدْيَة، رجل الكرسي...إلخ، " لأنّ الاستعمال الجديد يشترك في المظهر الخارجيّ مع القديم... ويعدّ هذا الانتقال في الدلالة من المجازات العامة التي تنشأ بين أفراد البيئة اللّغويّة رغبة في توضيح الحديث وإبراز صوره "[1].

3 – 2 – 2 . كثرة الدوران :

والمقصود بكثرة الدوران هو استعمال بعض الألفاظ ذات الدلالات العامة، وكثرة دورانها على الألسنة، وتوظيفها بشكل مستمر من خلال دلالاتها المخصوصة، وكلّ هذا يدخل في ما

[1] . أنيس إبراهيم دلالة الألفاظ ص 74

يسمى بتضييق المعنى، ويكثر في الألفاظ الدينيّة كلفظة الصوم والصلاة والزكاة والحج... وكذلك بعض المجالات الخاصة بالفنون والعلوم وغيرها هذا من شق.

ومن شق آخر وبشكل أقل بخلاف الأول هو توظيف بعض الألفاظ ذات الدلالات الخاصة بشكل دائم للدلالة على معنى عام، ممّا يؤهل هذه الكلمات " أن تتقمص معاني جديدة بفضل الاستعمال "[1]، قال إبراهيم أنيس :" ولا تزال الدلالة تتخصص حتى تصل إلى العلمية، أو ما يشبهها فقولنا (شجرة البرتقال في حديقتنا) يصل بالدلالة إلى أضيق الحدود، وتكاد الدلالة تكون هنا كالدلالة في الأعلام، وأسماء الأشخاص كمحمد، وعلي، وأحمد، ونحو ذلك "[2].

ومثل هذه الألفاظ . في حقيقة الأمر . تتأرنح بين الدلالات الخاصة والدلالات العامة، والرّصف والسياق قرينتان كفيلتان في ترجيح الدلالة المقصودة من بين الدلالات المتزاحمة، بمعنى أنّ اللفظة تكون عائمة بين الدلالات، ولا تثبت لها دلالة دالة إلّا في رصفها الذي هي منه، وسياقها الذي هي فيه.

ويمكن أن ندرج في هذا الباب بعض ما اصطلح عليه ببنية الكلمة، وبخاصة البنية التصريفيّة مثل كلمة (**ولد**) : والتي تدلّ في الأصل على عموم المولود (ذكرا كان أو أنثى)، وهو صريح القرآن الكريم، قال الله تعالى ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ**) [النساء: 11]، " لكن شكلها المجرد عن التاء (ولد) أوهَم أنّها حكر على المذكر دون المؤنث، وغلب ذلك على الاستعمال فصارت الكلمة

---

[1]. عبد التواب رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي ط3 . 1997 ص 192

[2]. أنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ ص 120

تستعمل في الدلالة على المولود الذكر دون الأنثى"[1]، أمّا إذا ذكرت بالجمع (أولاد) فدلالتها على العموم باقية على أصلها في الاستعمال، لا تختص بالذكور دون الإناث.

3 . 2 – 3 – الابتذال

والابتذال مصطلح يدل على الانحطاط الذي يصيب دلالات بعض الألفاظ ومعانيها لظروف تكتنفها؛ أو أسباب تطوّقها، فرضها الواقع عليها؛ أو الحقبة الزمنيّة التي عاشت فيها، ممّا يؤدي إلى انزوائها؛ أو استبدالها بألفاظ أقل وضوحا في الدلالة، وأكثر تعمية من باب التلطف؛

أو اضمحلال الدلالة القديمة مع بقاء اللفظ، واكتسابه دلالة جديدة أقل قيمة من سابقتها؛ أو دلالة منحطة بمقارنتها على ما كانت عليه من قبل، ومن مظاهر هذا الابتذال :

3 – 2 . 3 . 1 : التلطف في التعبير :

التلطف في التعبير أو ما يعرف باللا مساس كما عبر عنه صاحب علم الدلالة[2]، وجلّ ما ينضوي في هذا القسم متصل بالناحية النفسيّة العاطفيّة، كأن تكون دلالة اللفظ قبيحة لارتباطها بأعضاء؛ أو أفعال مكروهة مستهجنة لدى المجتمع، وكذلك ارتباطها بالقذارة أو الدنس؛ أو لها صلة قويّة بالغريزة الجنسيّة؛ أو ما يكتنف اللفظ من دلالات الخوف والشؤم....إلخ.

فكلّ ذلك سبب من أسباب انزواء اللفظ، واستبداله بلفظ آخر يحمل دلالة إيحائيّة قريبة في المعنى من المعنى الأساسي، فيكون بديلا عنه، وألطف في التعبير، ومستساغ غير مستهجن، يدرك به المقصود، والمعنى المتوخى، ولعلّ هذا المعنى الجديد الذي يشيع على حساب الأول يدخل في ما

---

[1]. ينظر نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة ص 104

[2] . ينظر عمر مختار أحمد علم الدلالة ص 139

سماه لوش (بالمعنى العكسي)[1]، ومن أمثلة ذلك ما يرتبط بالجنس، لأنّ التطور الدلالي فيها يتخذ منحنى تصاعديا سريعا بفضل تعمية الألفاظ الجديدة في هذا الصدد، والتعميّة ههنا مطلوبة ومستحبة أمام الألفاظ الأصليّة المكشوفة المستهجنة، لأنّ " للعمليّة الجنسيّة في كلّ لغة كلمات مفضوحة ينفر منها النّاس وأخرى معماة مكنيّة يقبلون عليها"[2].

وهذا من الأدب العالي الذي دعا إليه القرآن الكريم من خلال الآيات الكريمة المستعملة في هذا الصدد من باب التلطف في التعبير، ورغبت فيه السنة النبويّة المطهرة . وما السنّة إلّا وحي يوحى . قصد ترقيّة الذوق المجتمعي، و" تهذيبه للذوق البشري، ولنفور النّاس من التصريح بتلك الألفاظ لما تستصحبه من الظلال غير المحبذة، وقد استغنى كالكناية عنها أو بلازمها"[3] بألفاظ إيحائيّة كالملامسة والمباشرة والإفضاء، استعملت في القرآن الكريم للدلالة على الجماع .

3 . 2 . 3 . 2 . انحطاط دلالة الألفاظ أو رقيّها :

لعلّ من أسباب رقيّ الدلالة أو انحطاطها هو ما يتصل اتصالا وثيقا بالظروف السياسيّة؛ أو الاجتماعية؛ أو الثقافية؛ أو السلوكيّة؛ أو الدينيّة...

ومن شقّ آخر ربّما " لعدم استقرار التقاليد، وأنماط السلوك، لأنّ ذلك أمر متغيّر دائما، فإنّ الألفاظ تتبع هذا التغيّر"[4]، فعلى سبيل المثال : انحطاط دلالة كلمة (حاجب). وهي من المشترك اللفظي . والتي كانت تدل على معنى راق لارتباطها بمنصب سياسي عال في حقبة زمنيّة محددة، وعلى وجه الخصوص في حقبة ما يطلق عليها تاريخيا بالإمارات الأندلسيّة، إذ كانت دلالة لفظة

---

[1] . عمر مختار أحمد، علم الدلالة ص13

[2] . أنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ ص 101

[3] . أبو زيد نواري سعودي الدليل النظري في علم الدلالة ص 111

[4] . بوجادي محاضرات في علم الدلالة ص 127

(حاجب) حينئذ ما يعرف في أيامنا هذه برئيس الوزراء؛ أو الوزير الأول؛ أو رئيس الحكومة، فلم يبق لهذه الدلالة أثر في الاستعمال إلّا إذا درست تاريخيا مرتبطة بوعاء زمني محدد عاشت فيه هذه الدلالة العالية ، أمّا استعمالها المعاصر فإنّها لا ترد على ألسنة المجتمع العربيّ إلّا بدلالة جديدة منحطة أمام سابقتها التي اندثرت واضمحلت، و" لم تعد تعني . اليوم . سوى مرادفا لـ (البواب)"[1]؛ أو ما يقاربها.

. ومن أمثلة ارتقاء الدلالة يمكن التمثيل لها بلفظة (**الكِمامة**) التي انتشر استعمالها، وكَثُر دورانها في أيامنا هذه على ألسنة الناطقين باللّغة العربيّة، مثقفيهم وسوقتهم بسبب وباء[2] عمّ انتشاره العالم أجمع، وأصبحت الكِمامة تستعمل كواق توضع على فم وأنف الإنسان حماية من هذا الوباء، فبذلك ارتقت دلالتها، بعد ما كانت في القديم متعلقة بالحيوانات، أي ما يغطى بها فم البعير،

قال الزمخشري في أساسه :" كف فم البعير بالكِمام...وتكمم الرجل بثيابه أي تغطى بها "[3]،

وفي القاموس المحيط قال :" والكِمام والكِمامة بكسرهما : ما يكم به فم البعير لئلّا يعض"[4].

وما سمعته أنا شخصيا من أهل بعض بوادي الجزائر استعمالها بالمعنى الذي هو مثبت في المعاجم القديمة، يستعملونها للحيوانات وخاصة صغير البقر وصغير المعز توضع على فمه لكفه عن التقام الضرع، وتنطق عندهم (الكْمَامَ أو الكْمَامَهْ).

. ويكثر دورانها مصدرا(التكميم) واستعمالها مجازا على ألسنة النخب في اللّغة المعاصرة، نحو قولهم : (تكميم الأفواه) كناية عن قهر المعارض، وتغييب صوته وكتمه حتى لا يعلن. .

---

[1] . المرجع نفسه ص 110

[2] . وباء خطير معدي سريع الانتقال ينتقل عن طريق التنفس، صنفته المنظمة العالميّة للصحة في قسم الجائحة بسبب انتشاره المذهل في ربوع العالم، وكثرة الإصابات به، والوفيات يطلق عليه (جائحة كورونا أو كوفيد 19).

[3] . الزمخشري أساس البلاغة ص 398

[4]. الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص 1245

وكلمة (**السفرة**) التي " تعني في الأساليب القديمة طعام المسافر، وهي الآن على ألسنة تجار الأثاث ذات شأن..."[1]؛ أو بمعنى المائدة عليها طعام.

. قال إبراهيم أنيس " فكما قد تنحط الدلالة في الألفاظ قد تقوى في أخرى ، غير أنّ ضعف الدلالة أو انحطاطها أكثر ذيوعا في اللّغات بوجه عام"[2]

3 . 2 . 4 . اختصار الكلام :

هو شكل من أشكال التغيّر الدلالي، ويكثر بشكل ملفت وبصفة خاصة في النسق اللّغوي؛ أ الرّصف التركيبي المكون من أكثر من كلمة، " الذي لا يعبر عن المراد إلّا بجميع مكوناته عن طريق الربط القوي فيما بينها بشكل متكرر"[3]، والأمثلة في هذا المضمار كثيرة لا تكاد تحصى منها مثلا : في الأحاديث النبويّة الشريفة نقول روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث كذا ، ثمّ اختصر هذا الكلام أو هذه العبارة إلى (رواه الشيخان)، " ولا شك أنّ مثل هذا التعبير لا يصح في الاستعمال إلّا إذا وجد ما يعين عليه، ونعني به التواطؤ، والتكرار، والمقام "[4]، ومع ما تتسم به هذه العمليّة من اقتصاد لغويّ وبأقل جهد من حيث التبليغ، وبطريقة يسيرة إلّا أنّها لا تخلو في بعض الأحيان من تعقيد للمعنى المراد من الكلام، وتعميته بسبب ما ينتجه الاختصار من تراكم عدد هائل من الألفاظ والكلمات من العبارات المختصرة، وتداخلها مع الكلمات الموجودة فعلا في الاستعمال اللّغوي.

---

[1] . أنيس إبراهيم دلالة الألفاظ ص 122

[2]. المرجع نفسه ص 121

[3] . عبد التواب رمضان التطور اللّغوي ص 191

[4] . أبو زيد نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة ص 105

3 . 2 . 5 . سوء الفهم :

سوء الفهم سبب من أسباب تطور الدلالة إمّا راجع لعنصر التشويش الذي ينتاب الدارة الخطابيّة فيحدث فهما خاطأ لبعض الألفاظ من حيث الدلالة، فتتقمص بذلك دلالة جديدة؛ أو سببه ربط الألفاظ التي تسمع للمرة الأولى بدلالات غريبة من خلال إساءة فهمها، ويبقى الحال على ذلك في استعمالها بدلالتها الجديدة الغريبة، وتداولها من غير تصويب ولا تصحيح، قال إبراهيم أنيس:" حين تسمع اللفظ للمرة الأولى فيسيء فهمه، ويوحي إلى ذهنه دلالة غريبة لا تكاد تمت إلى ما في ذهن المتكلم بأيّة صلة، ثمّ قد لا تتاح لذهن السامع فرص أخرى لتصحيح خطئه، ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبطا بتلك الدلالة الجديدة.

وليس من غير الشائع أن تتمّ هذه الظاهرة بين عدد من الأفراد كلّهم يسيئون فهم الدلالة بطريقة واحدة، ويتجهون في فهمها اتجاها واحدا، ممّا يساعد على تطور اللفظ تطورا مفاجئا يرثه الجيل الناشئ، ويركن إليه"[1].

وقد تكتسب اللفظة دلالة جديدة بعارض يكتنف الكلام الذي هي منه لسوء تقدير فـ" ربّ إشارة من يد في أثناء الكلام؛ أو غمزة من عين؛ أو أيّ حادث طارئ عارض يكتنف الكلام فيؤثر في دلالة اللفظ، وينحرف به عن مساره المألوف عن نحو آخر بعيد كلّ البعد، رغم أنّ تلك الإشارة أو ذلك الحادث لم يكن مقصودا متعمدا، ولم يكن ممّا تطلبه الدلالة للإيضاح أو البيان"[2].

وقد لا يجد الدارس لهذه الدلالات الجديدة تعليلا مقنعا ، بل يحتار في أمرها ولا يستطيع الكشف عن ملابساتها وظروفها، " ويخيّل للنّاس بعد ذلك أنّ للفظ دلالتين مستقلتين، وأنّه من الممكن

---

[1] . أنيس إبراهيم دلالة الألفاظ ص 104

[2] . المرجع نفسه ص 104

استعماله في هذه أو في تلك، وهنا ينشأ في اللغة ما يسمى بالمشترك اللفظي"[1] حتى وإن لم يكن هناك رابط بيِّنٌ بيْنَ دلالتي اللفظ بسبب الانحراف المفاجئ، وإلّا كيف نفسر . كما قال إبراهيم أنيس . بين " دلالات متبايّنة لا ارتباط بينها ولا وجه شبه، في حين تؤكد لنا المعاجم العربية أنّ كلمة (**الأرض**) : تعني الكوكب المعروف، وتعني أيضا الزكام.

وحين يقال لنا إنّ كلمة (**الليث**) هي : الأسد

وهي أيضا : العنكبوت، لا نكاد نجد تفسيرا معقولا إلّا بالالتجاء إلى تلك الطفرة الدلاليّة"[2].

. كما يمكن أن أضيف إلى ما سبق أنّ الدلالة الجديدة للفظ قد تكون مقصودة متعمدة من باب احتقار المعظم؛ أو تعظيم الحقير، وغيرها في بيئة معيّنة، ثمّ تشيع وتصبح من المشترك اللفظيّ، وإن لم يكن هناك مصوغ لغوي يجمع بين الدلالتين.

. **وخلاصة المبحث** : أنّ أهميّة تطور الدلالة وتغيّرها تكمن في الوقوف على مدلولات الألفاظ وكيفيّة تناقلها بين النّاس تزامنيّا وزمنيّا.

. كما يمكن حصر **أسباب** تغيّرها في شقين :

. **الأول** : أسباب داخليّة متعلقة باللّغة ذاتها منها ما هو صوتي، ومنها ما هو اشتقاقي...

. **الثاني** : أسباب خارجيّة مرتبطة بمجال استعمال اللّفظ واستخدامه، وعادة ما تكون مختصّة بالنواحي الاجتماعيّة والثقافيّة والنفسيّة والتاريخيّة والسياسيّة... وقد أشرت إلى بعضها، وهذا هو الغالب في اتساع دلالات الألفاظ، وبشكل قليل جدا في اللّغة العربيّة ما يسمى بالاقتراض اللّغوي من لغات أخرى تفرضها الحاجة لمسايرة التطور الحضاري.

---

[1] . أنيس إبراهيم دلالة الألفاظ ص 104

[2] . المرجع نفسه ص 104

. اهتمام الدارسين والباحثين قديما وحديثا بالدرس الدلالي، وبخاصة ما تعلق منه بمدلولات الألفاظ وانتقالها بين النّاس، وتجدر الإشارة في هذا الصدد أنّ محلّ اهتمامهم بهذه الدراسة في الغالب منصب على الصعوبة التي تكتنف دلالات الألفاظ ، بحيث ليس هناك ضوابط تتحكم في تغيّر الدلالات اللّفظيّة، مع صعوبة وضع قواعد و قوانين يمكن أن يخضع لها هذا التغيّر الدلالي رغم المحاولات البحثيّة الجادة.

4 . الدلالة القرآنيّة ومستويات الدّرس اللّغوي ومظاهره :

تقوم اللّغة على نظام معقد تتحدد فيه مستوياتها الثلاثة الثابتة (المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي بشقيه الثابت والمتغيّر)، ومظاهر لغويّة أخرى كالدلالة والتداول وغيرها...وهذه الأخيرة لا يمكن أن تكون مستوى قارا لعدم استقرارها على حالة واحدة، فهي مظهر من مظاهر الدّرس اللّغوي، وأيّاً كان من هذه المستويات؛ أو الجوانب اللّغويّة فلا يمكن الفصل بينها . والفصل إجرائي ليس إلّا . لأنّ اللّغة نظام اتصال تتضافر فيه جميع المستويات والمظاهر اللّغويّة التي يطلب بعضها بعضا ويقتضيه نظامها اللّغوي، " ويمكن أن يعدّ علم الدلالة غاية هذه المستويات جميعا، فعلم الأصوات وعلم الصرف وعلم النّحو... كلّ منها لا يتأتى وضوحه ولا تتجلّى إجراءاته إلّا بالدلالة..."[1]، وهذا الذي أحاول أن أجليّه في هذا المبحث بتتبع بعض الدلالات القرآنيّة حسب مستويات اللّغة ومظاهرها.

[1] . بوجادي محاضرات في علم الدلالة ص 89

4 . 1 . الدلالة الصوتيّة في القرآن الكريم :

إذا كان المستوى الصوتي عند العرب من أصال الدروس اللّغويّة التي تناولها العرب بالدراسة والمعالجة الموضوعيّة وهي " من أقربها إلى المنهج العلمي"[1]، فإنّ العلاقة القائمة بين الدلالة والأصوات علاقة تلازم وليس العلاقة علاقة استعانة الأولى بالثانية فحسب، بل العلاقة بينهما تضفي إلى إدراك دلالات الكلمات وتحديد معانيها من خلال دراسة صفات أصواتها، ونبر مقاطعها وتنغيمها...ومن مظاهر الدلالة الصوتيّة القرآنيّة :

4 . 1 . 1 . الحرف أو الصوت نفسه في مبنى الكلمة :

أرجع الرّماني ملاءمة كلمات القرآن الكريم ويسر نطقها وسهولة جريانها على اللسان إلى الاعتدال في توزيع حروف كلماته بدقة متناهيّة فقال :" والمتلائم في الطبقة العليا القرآن الكريم ... والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلّما كان أعدل كان أشدّ تلاؤما، وأمّا التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد، وذلك أنّه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفرة[2]، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة المشي المقيّد، لأنّه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان ..."[3].

---

[1] . الراجحي عبده فقه اللّغة في الكتب العربيّة ص 129

[2] . البعد الشديد بين مخارج الأحرف المكونة للفظة العربيّة لا تحدث تنافرا ولا صعوبة في نطقها، وألفاظ القرآن الكريم ميسرة في النطق وفي أعلى طبقات التلاؤم والاعتدال، فيه من الألفاظ مكونة من أحرف بعيدة المخارج جدا ولا تنافر فيها، ومن ذلك لفظة (أم) **(أم لهم أعين يبصرون بها)** 195الأعراف، والهمزة من الحنجرة أو أقصى الحلق وهو أبعد مخرج في جهاز التصويت، والميم مخرجها من الشفتين، وبين الهمزة والميم بعد شديد من حيث النطق ولا تنافر بينهما، وقد قال قديما في القرن الخامس الهجري ابن سنان الخفاجي :" لا أرى التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف وإنّما هو في القرب " ينظر البحث اللّغوي عند العرب ص 95

[3] . البحث اللّغوي عند العرب د/ أحمد مختار عمر ص 94

أمّا دلالة هذه الحروف فيمكن أن ننظر إليها من شقين :

الأول : وهو الحرف أو الصوت الذي تستمد منه الكلمة دلالتها أو له دخل واضح في تشكيل دلالتها، فعلى سبيل المثال كلمة (**نضّاختان**) . مفردها نضّاخة . في وصف الجنّة قال تعالى ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ٦٦**﴾ [الرحمن: 66] آية الرحمن، أي تفوران و" تنضبان بالماء، وهذا دون الجريان "[1]، فصوت (الخاء) في نضاختان أكسبها تلك الدلالة الدالة على قوة الفوران، ولو كان بدل صوت (الخاء) (حاء) فأصبحت الكلمة (نضّاحتان) لما أعطت لنا تلك الدلالة، قال الدكتور إبراهيم أنيس :" فكلمة (تنضخ) كما يحدثنا كثير من اللّغويين القدماء تعبر عن فوران السائل في قوة وعنف، وهي إذا قرنت بنظيرتها (تنضح) التي تدلّ على تسرب السائل في توءدة وبطء، يتبين لنا أنّ صوت (الخاء) في الأولى له دخل في دلالتها، فقد أكسبها في رأي أولئك اللّغويين تلك القوة والعنف...وعلى هذا فالسامع يتصور بعد سماعه كلمة (تنضخ) عينا تفور فورانا قويا عنيفا"[2].

ومنها كذلك صوت (**الهمزة**) الأقوى والأشد في (أزّ) بمقابلته بصوت (الهاء) في (**هزّ**)، نحو قوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا٨٣**﴾ [مريم: 83]، قال ابن جني :" أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزّهم هزّاً،والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظين لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ، لأنّك قد تهزّ ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك"[3].

والدراسة الفنولوجيّة الحديثة تعتبر صوت (الخاء) في (تنضخ) وما يقابله في كلمة (تنضح)

---

[1] . سيّد قطب، في ظلال القرآن 6 / 3458

[2] . ينظر أنيس، إبراهيم دلالة الألفاظ ص 35

[3] . ابن جني، الخصائص 2 / 146

وهو صوت (الحاء)، وكذلك (الهمزة) في (أزّ) و(الهاء) في (هزّ) هي فونيمات لها وظيفة دلاليّة في اللّغة، يرى دانيال جونز بأنّ " الاختلاف بين الكلمات يقوم على قدرة الفونيم في التمييز بين معانيها أو كما يطلق عليه (significant) أي أنّ أصوات الفونيم المختلفة قادرة على التمييز بين الكلمات، فحين إنّ أصوات الفونيم الواحد (insignificant) أي غير قادرة على تغيير معاني الكلمات "[1].

وبعبارة أخرى حرف واحد له تأديات صوتيّة (ألفونات)[2] لا أثر لها على تغيير معاني الكلمات نحو حرف (اللام) المفخمة التي عدّها ابن الجزري " في اسم الله تعالى بعد فتحة وضمة فرعا للّام المرققة "[1].

---

[1]. ينظر البريسم قاسم، علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتيّة الحديثة، إفريقيا الشرق . المغرب . ط2001 ص 15

[2] . **الألفونات** : هي ما عبر عنه علماؤنا القدماء بـ (الفروع) بحيث قسموا الأصوات العربية إلى أصول وفروع ، والأصول : هي الحروف العربيّة المعروفة تسعة وعشرون أو ثمانية وعشرون حرفا المرتبة عند أغلبهم على مخارج الحروف مثل صنيع ابن جني في كتابه القيّم سر صناعة الإعراب رتبها على النحو التالي : (ء، الألف، هـ ، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ي، ض، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و) على خلاف طفيف بينه وبين سيبويه قبله ، وأصل هذا الترتيب يعود إلى الخليل بن أحمد الفراهدي في كتابه العين وإن كان ابن جني قال :" فأمّا ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا ممّا رتبه سيبويه " ينظر سر صناعة الإعراب 1 / 59

أمّا الفروع عند ابن جني فمنها المستحسنة يؤخذ بها ومنها غير المستحسنة مستهجنة لا يؤخذ بها لضعفها، وكلها تفرعت عن الأصول، قال عن المستحسنة وهي ستة " وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام ، وهي النون الخفيفة والهمزة المخففة وألف التفخيم وألف الإمالة والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي.

أمّا غير المستحسنة فثمانية أحرف لا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إلّا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم.." ينظر سر صناعة الإعراب 1 / 59. وهذه الدراسة الصوتيّة عند العرب متقدمة جدا قبل ظهور الدراسات الصوتية والفونولوجيّة في الدرس اللّغوي الغربي الحديث بآلاف السنين، وقد قارن الدكتور قاسم البريسم بين نظرية الفونيم عند دانيال جونز وبين أراء ابن جني الصوتيّة في كتابه سرّ صناعة الإعراب، وخلاصة ما توصل إليه قوله :" وجدتّ إنّ ابن جني أول من

4 . 1 . 2 . الإيقاع الصوتي :

إنّ العربيّ القح بسليقته وسجيّته شديد العناية بتهذيب لغته، فهو ميّال لتنغيمها، مفتون بإيقاعها، والحقّ أنّه أسهم بشكل أو بآخر في ترقية هذا اللسان من حيث التركيب والإيقاع... واشتغاله على ذلك، و" أن العربي كان مفتونا بالإيقاع، ميالا إلى حبّ التوازن، شديد العناية بالتنغيم، يتضح ذلك ... في بعض الظواهر الأسلوبية التي شاعت في كلام العرب كالإتباع والمزاوجة "[2]، فمن صور الإتباع ما ذكر السيوطي طرفا منه في المزهر نحو :" قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشُّبْرم (ضرب من الشيح) إنّه حارٌّ يارٌّ. قال الكسائي : حارٌّ من الحرارة، ويارٌ إتباع، كقولهم : عطشان نطشان، جائع نَائع، حَسَن بَسَن، ومثله كثير في الكلام، وإنما سمي إتباعا لأنّ الكلمة الثانية إنّما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بالثانية مفردة "[3]. قال صاحب التناسب البياني في القرآن معلقا على جواب السيوطي عن الإتباع " وهذا الجواب يفيدنا أنّ الغاية من استعماله . أي الإتباع . تقوية عنصر الإيقاع، ويؤيد ذلك أنّ اللفظ التابع في

بسط القول في ما أُطلق عليه في العصر الحديث (نظرية الفونيم)، ووضع أساسها وأصولها الأولى قبل كورتيني وهنري سويت ودانيال جونز أخيرا، والذي يقرأ نظرية الأصول والفروع في الأصوات عند ابن جني ونظرية الفونيم عند دانيال جونز لا يجد اختلافا في المبادئ الأساسية للنظرية، فالأصوات التي سماها ابن جني (الأصول) عبّر عنها دانيال جونز بالعصر الحديث بالفونيمات، والفروع التي بسط ابن جني القول فيها سمّاها دانيال جونز أعضاء الفونيم، وإذا كانت هناك إضافات من قبل علماء أوربا لنظرية الأصول والفروع التي جاء بها العرب فلا تتعدى التفاصيل وشرح للأصول بما أتيح لهم من وسائل علمية وتقنيّة حديثة في مجالات علم الصوت " ينظر البريسم قاسم علم الصوت العربي ص12 . 13 (ينظر أكثر توضيحا لنظرية الفونيم عند دانيال جونز من خلال كتابيه :

-Jones ;Daniel*The Phoneme its Nature And Use*Cambridge;1967

-Jones;Daniel*The History And Meaning Of TheTerm Phoneme*.In Phonology; Selected Readings(Ed)By Erik C.Fudge 1973;pp 17-34.

[1] . البريسم قاسم علم الصوت العربي ص 19

[2] . ينظر أبو زيد أحمد، التناسب البياني في القرآن ص 222

[3] . السيوطي، المزهر في علوم اللغة 1 / 414 . 415

مثل هذه العبارات لا يعرف له معنى في غالب الأحيان، وإنّما هو صلة صوتية يؤتى بها لتركيز الإيقاع الصوتي للعبارة"[1].

4 . 1 . 2 . 1 . **النبر** :

لقد تتبع علماء القراءات القرآنيّة المحدَثين مواطن النبر في القرآن الكريم وبخاصة ما تعلق منه باللفظ كالوقوف على الحرف المشدّد لإشعار السامع على أنّ الحرف الموقوف عليه ليس حرفا واحدا وإنّما هو حرفان نحو(مستقرّ. حيّ)، أو عن الانتقال من المدّ اللازم إلى الحرف المشدّد مثل (الحاقّة . الدابّة) وغيرها... وكلّ ذلك له أهميّة بمكان في ضبط القراءة القرآنيّة وحسن أدائها من غير لحن أو اختلاس بعض حروفها، وهذا ممّا يتعلق باللّفظة القرآنيّة من حيث الأداء الصحيح، وليس هذا هو مرادنا في هذا المبحث، وإنّما القصد ههنا هو النبر على الكلمة أو بعض مقاطعها في رصف قرآني معين والتي من دون نبرها يتغير معناها، وإن كان أداؤها ونطقها صحيحا لا خطأ فيه خال من اللحن، فهذا النوع من الأداء الصوتي بطريقة النبر يوجه الدلالة ويقف على المعنى، ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى﴿ **أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ٣٧**﴾ [الأعراف: 37]، فالنبر يكون على (ما) في (أين ما) وإلّا تحول معنى الاستفهام (أين ما) الموجه إلى الكفار عن شركائهم إلى ظرف مكان، وليس المعنى كذلك، وإنّما معنى الآية الكريمة : أين الآلهة التي كنتم تدعونها من دون الله وتعبدونها ؟.

. وكذلك في قوله تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ٢٧**﴾ [لقمان: 27]، فدون نبر لفظة (ما) يمكن أن يفهم من (أنّما) حرف مشبه بالفعل مقترن بـ(ما) الكافة والمكفوفة على حدّ تعبير النحاة، أو أداة قصر عند

[1] . ينظر أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 222

البلاغيين، والأمر ليس كذلك، لأنّ (أنّ) في هذا الرّصف عاملة، و(ما) اسمها.

والذي أراه كذلك يمكن أيضا توظيف قرينة النبر لإيضاح المعنى من الرّصف القرآني الذي أشار إليه صاحب الإتقان في مبحث لطيف سماه (في بيان المَوصول لفظا المفصول معنى) قال عنه :" وهو أصل كبير في الوقف، وبه يحصل حلّ إشكالات وكشف معضلات كثيرة "[1]، وسبب الإشكالات راجع إلى التوهم الحاصل بأنّ المعنى واحد في رصف قرآني معين من خلال وصل ألفاظه أداء وعدم الوقوف على المعاني المفصولة فيه، وهذا كثير في القرآن الكريم يحتاج إلى فهم وتدبر، فيمكن كشف هذه المعاني مع وصل هذه الألفاظ باستعمال النبر على اللّفظ الموالي مباشرة بانتهاء المعنى الأول من رصف الآية الكريمة دون تداخل معانيها ومن أمثلة ذلك :

الآية الكريمة ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٣٤**﴾ [النمل: 34]، فالنبر يكون على كلمة (**وكذلك**) أثناء الوصل للتفريق بين المعنيين في هذا الرّصف الموصول لفظا، لأنّ قوله تعالى (**وكذلك يفعلون**) في الآية الكريمة ليس من قول الملكة بلقيس الذي منتهى قولها (**وجعلوا أعزّة أهلها أذلة**) إنّما هو من كلام الله جلّ في علاه . . ومن الأمثلة كذلك الآية الكريمة 52 من سورة يس ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ٥٢**﴾ [يس: 52]، ولتوضيح معنى هذه الآية الكريمة الموصولة لفظا يمكن نبر لفظة (**هذا**) للتفريق بين قول الكفار يوم النشور (**من بعثنا من مرقدنا**) وقول الملائكة أو قول أهل الهدى (**هذا ما وعد الرحمن**)، ذكر السيوطي ما أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة في هذه الآية قال :" آية من كتاب الله أولها أهل الضلال وآخرها أهل الهدى، قالوا (**يا ويلنا من بعثنا**

[1] . السيوطي الإتقان في علوم القرآن ص 137

من مرقدنا)يس52 هذا قول أهل النفاق، وقال أهل الهدى حين بعثوا من قبورهم (**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**)"[1]...

4 . 1 . 2 . 2 . التنغيم :

هو جانب صوتي فوق المقطعيّة يؤدى بطريقة خاصة، له دور مهم في تحديد دلالة بعض الكلمات أو العبارات في كثير من المواطن التي يعتريها تزاحم في المعاني، بسبب عدم ترجيح المعنى المراد من بين المعاني المحتملة من سياقها اللّغوي الخالي من القرائن (اللّفظيّة ...) الدالة عليه، ويمكن التمثيل لذلك بما جاء في القرآن الكريم حكاية عمّا دار بين إخوة يوسف عليه السلام وفتية الملك حول ضياع صواع الملك واتهام إخوة يوسف بسرقته، قال تعالى ﴿**قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ٧٤ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ٧٥**﴾ [يوسف: 74-75) ما نلاحظه في هذا الرّصف القرآني أنّ كلمة (جزاؤه) تكررت ثلاث مرات بدلالات مختلفة:

. **فالأولى** : (فما جزاؤه)؟ تحددت دلالتها الاستفهاميّة من خلال القرينة السياقيّة اللّفظيّة (ما) الاستفهاميّة المقترنة بـ (جزاؤه)، وتنغيمها بنغمة الاستفهام من غير تردد تبعا لسياقها الواضح بقرائنه المقطعية .

. **أمّا الثانيّة** : (جزاؤه) فهي غير مقترنة باستفهام مثبت ظاهر في الرّصف، ولكن يقتضيه رصف الآية الكريمة ولو تقديرا دلت عليه قرينة النّغمة في هذا الموضع وكشفت عن دلالة تركيبه الاستفهاميّة، تقديرها (ما جزاؤه).

[1] . السيوطي الإتقان في علوم القرآن ص 138

. **والثالثة :** (جزاؤه) تقريريّة، قال أحمد مختار عمر :" فلا شكّ أنّ تنغيم جملة (قالوا جزاؤه) بنغمة الاستفهام، وجملة (من وجد في رحله فهو جزاؤه) بنغمة التقرير سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان ويكشف عن مضمونها "[1].

. والنغمة كذلك أيضا قرينة مساعدة في إيضاح أسلوب الكلامي وتحديد الغرض منه، فنغمة الإخبار مثلا متباينة عن نغمة الاستفهام ونغمة التعجب بخلافهما وهكذا...

4 . 1 . 3 . الفاصلة القرآنية :

إذا كان من مميّزات الرّصف القرآني توازن أصواته وكلماته وآيته، وتناسب مقاطعه الإيقاعية، فإن تناسب الفواصل القرآنية من بين أكثر عناصر الرّصف القرآني وضوحا وإشراقا، لأنّ " أبرز خصائص النّظم القرآني هي التزام الفاصلة في جميع آياته التزاما مطّردا، لا يختلف أبدا...بل إنّ دور الفاصلة في النّظم القرآني يفوق القافية في الشعر"[2].

. **تعريف الفاصلة القرآنية :**

"هي الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن الكريم ممّا يقتضيه المعنى، أو تستريح إليه النّفس"[3].

وفرّق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال :" أمّا الفاصلة فهي الكلام المنفصل ممّا بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وغير رأس آية، وكذلك الفصل يكن رؤوس آي وغيرها، وكلّ

---

[1] . عمر مختار أحمد علم الدلالة ص 13

[2] . أبو زيد أحمد، التناسب البياني في القرآن الكريم ص 349

[3] . السعدون نبهان حسون عبد الله، و الطحان يوسف سليمان إسماعيل، مشاهد من قصة موسى عليه السلام دراسة أسلوبية، مجلة كلية العلوم الإسلامية الموصل العراق، تاريخ النشر 31 . 12 . 2012 المجلد 6 العدد 12 ص29

رأس آية فاصلة، وليس كلّ فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ النّوعين، وتجمع الضربين"[1].

فالفاصلة مع تنوعها من طول، وتوسط، وقصر تعمل على الفصل بين آيتين، أولهما التي هي رأسها، والآية الثانية هي التي تليها في الترتيب؛ أو تفصل بين الكلام القرآني " الذي يقع بها إفهام المعاني"[2] كما قال الرماني.

وللفاصلة القرآنية فوائد كثيرة منها :

. ما يقع بها إفهام المعاني.

. الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام

. تظهر الفصاحة وتقوي البلاغة.

. إظهار الإعجاز .

. اختلاف الفاصلتين والمحدَّث عنه واحد باختلاف دلالة السياق :

وهذا من ألطف ما في الفاصلة القرآنية المعجزة، مثل قوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤**﴾ [إبراهيم: 34]

وفي سورة النّحل قال تعالى ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ١٨**﴾ [النحل: 18]

قال القاضي ناصر الدين بن المنير (ت 683هـ) في تفسيره الكبير[3] :" كأنّه يقول : إذا حصلت النّعم الكثيرة فأنت آخذها، وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوما، وكونك كفّارا، ولي عند إعطائها وصفان وهما : أنّي غفور ورحيم، أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي،

---

[1] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 1 / 54

[2] . الرماني، النكت لإي إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل، جمع وتعليق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط الثانية 1969 ص 89

[3] . له تفسير كبير سماه (البحر الكبير في نخب التفسير)...ينظر ترجمته في الدباج المذهب لابن فرحون ص 81

فلا أقابل تقصيرك إلّا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلّا بالوفاء. انتهى"[1]، وعقب الزركشي على هذا القول فقال :" وهو حسن، لكن بقي سؤال آخر وهو : ما الحكمة في تخصيص آية النّحل بوصف المُنْعِم، وآية إبراهيم بوصف المنعَم عليه ؟

والجواب أنّ سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان، وما جبل عليه، فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه، وأمّا آية النّحل فسيقت في وصف الله تعالى، وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه، فتأمل هذه التراكيب ما أرقاها في درجات البلاغة"[2]، وهذا من بديع تناسب الفاصلة مع السياق :

4 . 1 . 5 . المقاطع الصوتية وتناسبها في القرآن الكريم :

في البداية أشير أنّ هذا النّوع من البحث الصوتي حديث النشأة في الدرس اللّغوي العربيّ، اهتمّ به العلماء والباحثون العرب من المحدَثين المنفتحين على الدّراسات اللسانيّة الحديثة، وخاصة الغربيّة منها التي توسعت في مثل هذه المواضيع، وأمّا القدماء . من علمائنا . كما قال صاحب كتاب التناسب البياني في القرآن " فلم يكونوا يعرفونه، وكانوا ينظرون في نظام الحركات والسكنات، وجرى الخليل على تسمية العناصر الإيقاعية للشعر بالأسباب، والأوتاد، والفواصل"[3].

ويمكن أن أقول كانت بعض الإشارات لهذا الدرس اللّغوي عند ابن جني من خلال إشارته للنبر على بعض المقاطع لإبراز المعنى وتجليته، قال في الخصائص :" وقد حذفت الصفة ودلّت حال عليها، وذلك في ما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سِير عليه ليل، وهم يريدون (ليل طويل)، وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل

---

[1] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 76/1

[2] . المصدر نفسه 1 / 76

[3] . أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 311

لذلك من التطويح والتطريح، والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل؛ أو نحو ذلك.

وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملته."[1]

وربّما كان أكثر إيضاحا للمقاطع التي يصحبها النبر من خلال بعض الأمثلة التي ساقها، نحو مدح أنسان؛ أو ذمّه، قال على سبيل المثال :" وذلك أن تكون في مدح إنسان، والثناء عليه، فتقول : (كان والله رجلا)، فتزيد في قوّة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللّام، وإطالة الصوت بها، أي رجلا فاضلا؛ أو شجاعا؛ أو كريما؛ أو نحو ذلك.

وكذلك تقول : (سألناه فوجدناه إنسانا)، وتمكّن الصوت بإنسان، وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا؛ أو جوادا؛ أو نحو ذلك."[2].

. **تعريف المقطع الصوتي :**

اختلفت مفاهيم المقطع الصوتي عند العلماء باختلاف دراسة الأصوات إلى اتجاهين :

الاتجاه الأول : **علم الأصوات أو الصوتيات**

وفي هذا الاتجاه تعريفات عديدة، أذكر منها :

. أنّ المقطع الصوتي هو :" تتابع من الأصوات الكلامية له حدّ أعلى أو قمة إسماع تقع بين حدّين اثنين من الإسماع.

. أو هو : وحدة من عنصر أو أكثر تصاحبها نبضة صدرية واحدة ..."[3].

الاتجاه الثاني : وظائف الأصوات

ومن تعريفات المقطع الصوتي في هذا الاتجاه الفونولوجي :

---

[1] . ابن جني الخصائص 2 / 370 . 371

[2] . المصدر نفسه 2 / 371

[3] . ينظر أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 311 . 312

." الوحدة التي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النبر في اللغات المنبورة؛ أو نغمة واحدة في اللغات النغمية. .

أو هو : الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها "[1].

ومن تعريفات الباحثين العرب المحدَثين للمقطع الصوتي أذكر تعريفين :

الأول : لعبد الصبور شاهين الذي انطلق في تعريفه للمقطع من خلال نوع بنيته،

فقال :" المقطع : هو مزيج من صامت وحركة يتفق مع طريق اللغة في تأليف بنيتها"[2].

. والتعريف الثاني : لكمال إبراهيم بدري الذي ربطه بالنبر، فقال :" هو (المقطع) الميدان الذي يلعب فيه النبر دوره"[3].

. **أنواع المقاطع في اللغة العربية** :

المقطع الصوتي إمّا أن يكون متحركا أو يكون ساكنا

. المقطع المتحرك : هو الذي ينتهي **بصوت لين قصير**، مثل: / بَ / مع فتحتها، و/ تَ / مع فتحتها ..... والمقصود بصوت لين قصير هي الحركات(الفتحة والضمة والكسرة) .

أو **صوت لين طويل**، مثل: / بَا /، / تَا /، / لا /... والمقصود بصوت لين طويل هي أحرف المدّ.

. المقطع الساكن (المقفل): وهو الذي ينتهي بصوت ساكن حي، مثل: / أَلْ /، / مِنْ /، / قَدْ /...

. أمّا أنواع المقاطع في اللغة العربية فاختلف الباحثون فيها من المقطعين إلى خمسة مقاطع؛

أو يزيد :

---

[1] . المرجع نفسه ص 312 .

[2] . شاهين عبد الصبور المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة ، ط 1980م ص 38

[3] . أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 312

. أرجعها إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللّغوية إلى خمسة أنواع :

" . صوت ساكن + صوت لين قصير، مثل : / بَ /، / وَ /...

. صوت ساكن + صوت لين طويل، مثل : / مَا /، / لا /

. صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن، مثل : / لَمْ /

. صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن، مثل : / بَابْ / بسكون الباء الأخيرة

. صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان، مثل المقطع الأخير من كلمة (مستقرّ)، وهو / قَرْ / بإسكان الرّاء المشددة "[1].

. ومن الباحثين من اقتصر على التقسيم الثلاثي للمقاطع في اللّغة العربيّة، كما أورد ذلك محمود أحمد نحلة فقال:" واختار بعض الدارسين المحدَثين تقسيم المقاطع في اللغة العربية إلى ثلاثة أنواع لا غير، وهي :

. مقطع قصير، مثل : / بَ /، / لَ /

. مقطع طويل، مثل : (بَا)، / لَا /

. مقطع زائد الطويل، مثل : / لامْ / بسكون الميم "[2].

. واختار أحد العروضيين المحدَثين التقسيم الثنائي للمقاطع اللفظية في اللّغة العربيّة على النحو التالي : . مقاطع مقصورة، ومقاطع ممدودة.

" . المقطع المقصور : فهو الذي يتألف من متحرك لا يليه ساكن، وهو خفيف.

---

[1] . أنيس إبراهيم الأصوات اللغوية، ص 163

[2] . نحلة محمود أحمد، لغة القرآن في جزء عمّ، دار النهضة العربية بيروت، ط1981م، ص 356 . 357، وينظر كذلك أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 313

. وأمّا المقطع الممدود : فهو الذي يتألف من متحرك يليه ساكن، وهو ثقيل"[1].

وقسم بعضهم هذه المقاطع إلى مقفلة ومفتوحة :

. **المقطع المقفل** : وهو الذي ينتهي بسكون حيّ، مثل : / قمْ /.

. المقطع المفتوح : قسمان : .

الأول : الذي ينتهي بالحركات الإعرابية (الفتحة والضمة والكسرة) ويسمى الصوت القصير

. الثاني : ينتهي بأحرف المدّ واللين الصوت الطويل مثل : / لا /، / ما /...

والذي يهمنا في هذا المبحث هو الوقوف على علاقة هذه المقاطع بالرّصف القرآني؛ أو دلالاتها من خلال الرّصف الذي هي جزء من بنيته، بغض النظر عن اختلاف الباحثين في تقسيم المقاطع في اللّغة العربية وأنواعها.

وقد أشار الباحثون في هذا الصدد إلى أنّ من بين العوامل الأساسية في الحفاظ على اللّغة العربيّة الفصحى إلى جانب الشعر . من خلال ما يتعلق به من مواضيع العروض . هناك القرآن الكريم على الأساس المقطعي " وذلك لأنّ المسلمين أخذوا قراءته سُنّة، وتناقلوها رواية، فلمّا حفظت سُنّة القراءة القرآنيّة حفظ معها مبدأ القصر والامتداد في التركيب المقطعي للغة العربيّة "[2].

فروعة القرآن وحلاوته ليس في حسن نظمه، ودقة رصفه، وبلاغة آياته، وفصاحة كلماته وتراكيبه، وجمال إيقاعه فحسب، بل كذلك في تناسب مقاطعه الصوتية من حيث ترتيبها وتوزيعها توزيعا معجزا، لها علاقة بدلالات رصفها، فهي " معجزة في توزيعها، وترتيبها على نسق تنقطع دونه

---

[1] . العياشي محمد، نظرية إيقاع الشعر العربي، المطبعة المصرية تونس ط1976م، ص 146 / ينظر أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 313

[2] . أبو زيد، التناسب البياني في القرآن ص 313

أعناق البلغاء"[1]، وأقول ما قاله صاحب كتاب التناسب البياني في القرآن :" قد آن لنا أن نوضح أنّ هناك مصدرا آخر لتلك الروعة؛ أو الحلاوة التي يمتاز بها القرآن، وهذا المصدر هو تناسب المقاطع الصوتية التي يتألف منها النّظام الزمني؛ أو الإيقاعي للآيات، لأنّ الحلاوة في المسموعات لا توجد إلّا مع وجود التناسب في تأليف المقاطع الصوتية، وما ائتلف من غير التناسبات فهو . على حدّ قول حازم القرطاجني . غير مستحلي ولا مستطاب"[2].

وتبرز قيمة المقاطع الصوتية القرآنيّة الموزعة في النّص القرآني من خلال توزيعها المحكم، وترتيبها الدلالي الدقيق القائم على علاقتها، وترابطها بمعنى الرّصف الذي تنتمي إليه، بحيث " يؤدي ترتيب المقاطع، وتوزيعها في نظم الآيات . ورصفها . وظيفة جمالية ودلالية في آن واحد، إذ يسهم من جهة في جعل الصورة السمعية لها متناسبة الأجزاء، معتدلة التركيب، ويسهم من جهة ثانية مع العناصر الدلالية الأخرى في التعبير عن معاني الآيات، وإيضاح ما يكتنفها من الدقائق الدلالية، وذلك باختيار ما يناسب المعنى من أنواع تلك المقاطع "[3].

ولإيضاح ذلك يمكن التمثيل بما يلي :

. أولا : من أمثلة المقاطع الصوتية القرآنية المقفلة :

. المقطع المقفل في القرآن الكريم يكثر في " مقامات الجدّ، والصرامة، والحسم، وفي تصوير الانفعالات الحادّة، والحركات العنيفة، وسرعة الأحداث..."[4].

المثال الأول : (في مقام الحزم والصرامة والإعداد) قول الله تعالى في الآيات الأولى من مطلع

---

[1] . أبو زيد، التناسب البياني في القرآن ص 321

[2] . المرجع نفسه ص 315

[3] . المرجع نفسه ص 321

[4] . ينظر أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 321

سورة المدّثّر ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ١ قُمْ فَأَنْذِرْ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ٧**﴾ [المدثر: 1-7]، فهي من الآيات الأولى التي نزلت على قلب رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد آيات سورة اقرأ وسورة المزمّل، فتعدّ السورة الثالثة من حيث النزول على قول كثير من علماء هذا العلم الجليل، وذهب بعضهم إلى أنّها نزلت بعد الجهر بالدعوة وإيذاء المشركين للنّبي صلى الله عليه وسلم[1]، ولكن صاحب الظلال قال :" غير أنّ النّظر في النّص القرآني ذاته يوحي بأنّ مطلع هذه السورة إلى قوله تعالى (**ولربّك فاصبرْ**) ربّما يكون قد نزل مبكرا في أوائل أيّام الدعوة، شأنه شأن مطلع سورة المزمّل إلى قوله تعالى ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا٩**﴾ [المزمل: 8-9]، وهذا وذلك لإعداد نفس رسول صلى الله عليه وسلم للنهوض بالتبعة الكبرى، ومواجهة قريش بعد ذلك بالدعوة جهارا، وكافة، ممّا سيترتب عليه مشاق كثيرة متنوعة تحتاج مواجهتها إلى إعداد نفسي سابق..."[2].

وما نلاحظه أنّ كلّ كلمة من رؤوس الآيات الست مقاطعها الأخيرة مقفلة (/ ذِرْ/، في (فأنذرْ) ، و/ بِرْ /، في (فكبرْ)، و/ هِرْ / في (فطهرْ)، / جُرْ /، في (فاهجرْ)، و(تستكثر) ، و/ بِرْ/ في (فاصبرْ)) إلّا كلمة (تستكثر) قرأها أصحاب القراءات بالضم، وهي جملة حالية،ومع ذلك شملت مقطعين مقفلين وهما / تَسْ / و / تَكْ /، و رويت قراءتها بالسكون (بمقاطع ثلاثة مقفلة) عن الحسن البصري، فكلّ هذه المقاطع المقفلة جاءت مناسبة لدلالات رصف آيات سورة المدّثّر ومعانيها، ومتساوقة مع سياقها، والمقام الذي نزلت فيه، ولقد أشار صاحب الظلال إلى الوظيفة الدلالية للمقاطع الصوتية من خلال قافية الكلمات القرآنية، هذا بالإضافة إلى وظيفتها الجمالية جرسها النغمي فقال :" وهذا التنوع في الإيقاع، والقافية بتنوع المشاهد، والظلال يجعل للسورة مذاقا

---

[1] . سيّد قطب في ظلال القرآن 6 / 3751

[2] . سيّد قطب في ظلال القرآن 6 / 3752

خاصا، ولاسيما عند ردّ بعض القوافي، ورجعها بعد انتهائها كقافية الرّاء الساكنة : المدثر، أنذر، فكبر... وعودتها بعد فترة : قدّر، بَسَر، استكبر، سَقَر... وكذلك الانتقال من قافية إلى قافية في الفقرة الواحدة مفاجأة، و**لكن لهدف خاص** عند قوله تعالى ﴿**فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ٥٠ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ٥١**﴾ [المدثر: 49-51] ... ففي الآية كان يسأل ويستنكر، وفي الثانية والثالثة كان يصور ويسخر، وهكذا..."[1].

فهي" خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم في المرحلة الأولى من بعثته، وهي آيات قصيرة تتضمن أوامر تكليفيّة وتربويّة، روعي في صياغتها، وإيقاعها أن تكون مناسبة لجديّة الأوامر الإلهية، ولما يقتضيه إعداد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحزم والصرامة"[2]، " وأيّاً كان السبب والمناسبة فقد تضمنت هذه السورة في مطلعها ذلك النداء العلوي بانتداب النّبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر الجلل، وانتزاعه من النوم والتدثر والدفء إلى الجهاد والكفاح والمشقة ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ١ قُمْ فَأَنْذِرْ٢**﴾ [المدثر: 1-2] ... مع توجيهه صلى الله عليه وسلم إلى التهيؤ لهذا الأمر العظيم والاستعانة به بهذا إليه وجهه الله إليه ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ٤**﴾ [المدثر: 3-4]، وكان ختام التوجيه هنا الصبر كما كان هناك في سورة المزمّل"[3].

ومن الأمثلة في هذا المضمار كذلك : قوله تعالى ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ١٤**﴾ [الطارق: 13-14]، " فالمقاطع في هاتين الآيتين مقاطع حادة تناسب معنى الجِدّ والفصل، وتعبر عنه خير تعبير"[4].

---

[1] . سيّد قطب في ظلال القرآن 6 / 3754

[2] . أبو زيد، التناسب البياني في القرآن ص 321

[3] . سيّد قطب، في ظلال القرآن 6 / 3752

[4] . أبو زيد، التناسب البياني في القرآن ص321

ثانيا : من أمثلة المقاطع المفتوحة الممدودة

. وللإشارة " يستخدم القرآن المقاطع الممدودة للتعبير عن معان كثيرة، وتصوير مشاهد مختلفة كالتذكير، والتقريع، والتهديد، وكمواقف الندم والحسرة، ومواقف الدعوة إلى الخير، وكوصف النّعمة السابغة، وكالابتهالات..."[1].

المثال الأول : قول الله تعالى في سورة الفجر ﴿**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى٢٣ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي٢٤**﴾ [الفجر: 23-24] وهذا المقام مقام ندامة وحسرة يتناسب رصفها مع توظيف الكلمات ذات المقاطع الصوتية الممدودة، والمفتوحة المتساوقة مع دلالة التحسّر والنّدم (أنّى، الذكرى، يا ليتني، لحياتي)، "وقد وزعت المقاطع المفتوحة، والممدودة في هذه الآية بصورة تجعل الإيقاع فيها مناسبا لنغمة الندامة والحسرة، انظر كيف توالت هذه المقاطع وتخللت معظم الكلمات، وكيف تراوحت بين المدّ بالألف والمدّ بالياء للتعبير عن الإحساس بالحسرة والنّدم الذي يرتفع معه الصوت، ويمتدّ، ثمّ لا يلبث أن ينحدر وينكسر مع انكسار القلب"[2].

. وأمثلة المقاطع الصوتية الممدودة والمفتوحة المرتبطة بدلالات رصفها القرآني كثيرة جدا في هذا الصدد على سبيل المثال :

. **في مقام الدعوة إلى الخير** : دعوة إبراهيم أبيه آزر (يا أبتِ)

. **وفي مقام التقريع** : قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ٦**﴾ [الانشقاق: 6]

. وفي **مقام الابتهال** : قول الله تعال (**رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ٥**﴾ [الممتحنة: 1-5].

---

[1]. أبو زيد، التناسب البياني في القرآن ص 324

[2] . أبو زيد، التناسب البياني في القرآن ص 324

ثالثا : الجمع بين المقاطع المقفلة والمفتوحة في آن واحد

والجمع بين الكلمات القرآنية ذات المقاطع المقفلة، والكلمات ذات المقاطع المفتوحة والممدودة في رصف قرآني محكم لما يقتضيه معنى الرّصف، وسياقه من روائع القرآن الكريم المعجز، وبدائعه، على سبيل المثال لا الحصر قول الله تعالى في مطلع سورة العاديات ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا٥**﴾ [العاديات: 1-5]، " فهذه الآيات وصف للخيل التي تعدوا في غارة صباحية مفاجئة، والآيات الثلاث الأولى متساوية في المقدار، وفي الترتيب المقطعي تشتمل كلّ واحدة منها على كلمتين :

الكلمة الأولى : تحتوي على مقطعين مفتوحين طويلين / عا /، / يا / في (العاديات)، و/ مو /، / يا / في (الموريات).

والكلمة الثانية : لا تحتوي على مقطع مفتوح أصلا، كلّ مقاطعها مقفلة / ضبْ /، / حاً / في (ضبحاً)، و/ قدْ /، / حاً / في (قدحاً).

وهذا التركيب المقطعي يناسب المرحلة الأولى من الغارة، إذ تعدوا الخيل عَدْوا بطيئا.

والآيتان الأخيرتان لا تحتويان إلّا على المقاطع القصيرة والمقفلة، وتنعدم فيها الممدودة، وهذا التركيب المقطعي هو الذي يناسب المرحلة الأخيرة من الغارة، حيث يشتدّ عدو الخيل، وتندفع بقوة ﴿**فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا٥**﴾ [العاديات: 4-5

4 . 2 . الدلالة الصرفيّة في القرآن الكريم :

الدلالة الصرفيّة أو الوظيفة الصرفيّة هو :" ما يستفاد من الأوزان والصيغ المجردة "[1]، فالأفعال المتصرّفة سواء كانت مبنيّة أو معربة دلالتها مرتبطة بالحدث والزمن معا، بمعنى أنّ الحدث والزمن جزء لا يتجزأ من دلالة صيغة الفعل، ومع ذلك فلا يمكن أن يتحدد المعنى الدقيق المخصوص للفعل المجرد أو المزيد بمجرد الدلالة المعجميّة مع الزمن الذي حدث فيه فحسب، بل زيادة عن ذلك . ينظر إلى موقعه في رصفه، والسياق الذي سيق فيه.

ومن الأدلة القرآنيّة التي تؤكد على ما ذكرته سابقا فعل (**أراكم**) استعمل في رصفين عجيبين وفي كلّ رصف له دلالة زمنيّة معيّنة تحددت من خلال السياق، ففي قوله تعالى ﴿ **مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران: 152] حكاية عن زمن مضى دلّ عليه السياق، فالفعل (أراكم) في هذا الرّصف للدلالة على الزمن الماضي.

وفي موضع آخر قال تعالى ﴿ **وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ٢٩** ﴾ [هود: 29]، وههنا (أراكم) في هذا السياق دلّت على الحاضر، فتحدد بذلك أنّ الفعل (أراكم) في زمن حاضر.

وفي مثال آخر فعل (**قُلْنَ**) في قوله تعالى في قصة يوسف حكاية عن النسوة ﴿ **وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ٣١** ﴾ [يوسف: 31]، ذكرت في سياق دالّ على الماضي، وفي آية أخرى قال تعالى ﴿ **وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا٣٢** ﴾ [الأحزاب: 32] سياقها دالّ على الأمر...

.كما أنّ أحرف الزيادة في الفعل المزيد لها من الدلالة ما توجه به المعنى المراد من استعمال الفعل نحو قوله تعالى ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ٦** ﴾ [المنافقون: 6]

استغفرت : الدلالة المعجميّة (غفر)، ودلالة الزمن الماضي (استغفرت) وأحرف الزيادة

[1] . بوجادي محاضرات في علم الدلالة ص 91

(است) تدلّ على الطلب.

وكذلك الأسماء المعربة التي يتحدد معناها الصرفي في الدلالة على المسمّى، فاسم الفاعل . مثلا . يشتق من المادة أو المصدر أو الفعل الثلاثي على وزن (فاعل)، وهو كما يقول النّحاة ما :" يدل على الحدث والحدوث وفاعله"[1].

. فاسم الفاعل يدل على : .

ذات الفاعل، والحدث : وهو المصدر، فاسم الفاعل يدل على مصدره، كما في قوله ﴿ **وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا١٨**﴾ [الكهف: 18]، حكاية عن أصحاب الكهف، فاسم الفاعل (باسط) يدل على مصدره (البسط)،

. والحدوث : هو التغيّر، فكذلك اسم الفاعل (باسط) في هذا الرّصف القرآني البديع يدل على التغيّر، والمقصود بالتغيّر ههنا أنّ بسط الذراعين غير ملازم لصاحبه على الدوام، فهو ينفك عنه ولو بعد حين، وهذا من الإعجاز القرآني في توظيف الكلمات المناسبة في الموقع المناسب التي لا تقبل غيرها للدلالة على الرّصف الذي تنتمي إليه، والغرض المقصود منه، فلو استعمل الفعل (يبسط) بدل اسم الفاعل (باسط)؛ أو وظفت صفته المشبهة في هذه الآية الكريمة لما استقام معناها الدقيق المعجز، لأنّ الفعل يقتضي التجدد والمزاولة، ومن هنا لا يمكن أن يصلح استعمال فعل (يبسط) مكان (باسط) في هذا الموضع، كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني :" وإذا أردت أن تعتبره بحيث أنّ أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه فانظر إلى قوله تعالى﴿ **وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا١٨**﴾ [الكهف: 18]، فإنّ أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وإنّ قولنا : كلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدي الغرض، وليس

[1] . السامرائي فاضل صالح معاني الأبنيّة في العربيّة، دار عمار، ص 41

ذلك إلّا لأنّ الفعل يقتضي مزاولة وتجديد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا "[1].

فلا يصلح في رصف هذه الآية الكريمة إلّا اسم الفاعل (باسط)، الذي يدل على ثبوت حالة بسط ذراعي الكلب من غير تجدد في الصفة ردحا من الزمن تساوقا وتناغما مع ما أشارت إليه آية أخرى في موضع آخر من سورة الكهف، قوله تعالى ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ٢٥**﴾ [الكهف: 25]، ثمّ بعد تلك المدّة انفكت صفة البسط عن صاحبها، ومن هنا كذلك الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت الدائم لا تصلح في هذا الموضع مكان اسم الفاعل(باسط)، لأنّها لا تنفك عن صاحبها نحو ما وصف به القرآن الكريم الذين كفروا من قوم نوح عليه السلام بصفة عمى ثابت، كأنّها جبليّة فيهم، قال تعالى ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ٦٤**﴾ [الأعراف: 64]، فاستعملت الصفة المشبهة (عمين) فهذا الرّصف بدل اسم الفاعل (عامين) لأنّها صفة ملازمة لهم لا تنفك عنهم، بدليل نفي الله تعالى الإيمان عن المعارضين لنوح عليه السلام في دعوته إلى الله، قال تعالى ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٦**﴾ [هود: 36]، وعدم الإيمان من عمى القلوب، قال تعالى ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٤٦**﴾ [الحج: 46]، وقال في الكشاف :" الفرق بين العمي والعامي، أنّ العمي يدل على عمى ثابت، والعامي على عمى حادث "[2].

فاسم الفاعل حتى وإن كان يدلّ على الثبوت فهو ثبوت مؤقت غير ملازم لصاحبه على الدوام، مثل ملازمة بعض صيغ الصفة المشبهة لصاحبها ملازمة دائمة لا يمكن الانفكاك عنها،

---

[1] . الجرجاني دلائل الإعجاز ص 133

[2] . الزمخشري الكشاف 1 / 553

قال فاضل السامرائي :" وإنّما يقع اسم الفاعل وسطا بين الفعل والصفة المشبهة، **فالفعل** يدل على التجدد والحدوث، فإن كان ماضيا دلّ على أنّ حدثه تمّ في الماضي، وإن كان حالا أو استقبالا دلّ على ذلك، أمّا **اسم الفاعل** فأدوم وأثبت من الفعل، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت **الصفة المشبهة** "[1] .

وممّا لا يدع مجالا للشك أبدا أنّ لكلّ لفظة من ألفاظ القرآن الكريم المحكم خصوصية دلاليّة تستأثر بها عن مثيلاتها تتماشى وسياقها القرآني، وترسم المنحى الدلالي لرصفها الخاص من خلال ترابطها مع ضميماتها، بحيث لا يمكن استبدالها أو تعويضها بما يقاربها في المعنى، وقد أشرت إلى بعضها في مبحث الرّصف والحرف نحو حرف (**في**) في قوله تعالى ﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى٧١**﴾ [طه: 71].

. وحرف (**ما**) في قوله تعالى ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ١٥٩**﴾ [آل عمران: 159].

. وحرف (**أن**) في قوله تعالى ﴿**فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ٩٦**﴾ [يوسف: 96]،

. وكذلك في رصف الكلمات نحو كلمة **(ضيزى)** في قوله تعالى ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى٢٢**﴾ [النجم: 22]، وتماشيا مع منهجيّة البحث حتى لا تتشعب بنا المسالك أقف على بعض الدلالات الخاصة بالأبنيّة القرآنيّة، تأكيدا لما أسلفت، بحيث تبرز تلك الدلالات بوضوح من خلال تعدد الصيغ واختلافها من حيث الزيادة في المبنى، والتي يجمعها أصل اشتقاقي واحد، وحقل دلالي واحد، إذ الزيادة في المبنى زيادة في المعنى كما أكّد ذلك النّحاة ، و بذلك تنفرد كلّ صيغة بمعناها الخاص والفارق عن الصيغ الأخرى، " ولا شك أنّه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة، إذ كلّ عدول

[1] . السامرائي فاضل معاني الأبنيّة العربيّة ص 41

من صيغة إلى أخرى لا بد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر إلّا إذا كان ذلك لغة "[1]، وهذا الذي جعل بعض الباحثين في هذا المضمار على غرار الدكتور فاضل السمارائي يتساءل عن بعض الأبنيّة القرآنيّة التي لم تلق دراسة دقيقة ومعالجة لغويّة في التفريق بين دلالاتها لدى النّحاة والمفسرين حسب زعمه، مثل فُعُول (**ذكور**) فَعْلان (**ذكران**) في آيتي الشورى ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ٥٠**﴾ [الشورى: 49-50].

وبين فِعال (**ضِعاف**) في آية النساء﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩**﴾ [النساء: 9] ، وفُعلاء (ضُعفاء) في آية البقرة ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦**﴾ [البقرة: 266]، فقال :" فما الفرق بينهما ؟

والجواب هو لا جواب عند النّحاة والمفسرين في حدود ما أعلم.

إنّنا الآن نستعمل الأبنيّة مجردة من معناها الدقيق المتميّز، فنقول: هو (نشيط أو نشط) كما يحلو لذوقنا، لا كما يقتضي المعنى، ولا نقصد باستعمال كلّ منهما معنى خاص به، وكذلك عسير وعسر، وقل مثل ذلك عن أكثر الأبنيّة في الجموع والمبالغة وغيرها "[2].

فهذه التساؤلات وغيرها تعدّ باعثا للتأمل قصد اكتشاف المعنى الدقيق للأبنيّة القرآنيّة المنتقاة بدقة متناهية، والمستعملة في رصف مخصوص بوضوح إلى درجة الإعجاز، بل هو الإعجاز بعينه من

---

[1] . السامرائي فاضل معاني الأبنيّة العربيّة ص 6

[2] . ينظر السامرائي فاضل، معاني الأبنية ص 6 . 7

خلال ترابطها مع ضميماتها بطريقة خاصة، وتساوقها مع المنحى الدلالي العام للنّص أو الخطاب، أذكر منها :

4 . 2 . 1 . بين دلالة الفعل والاسم في الاستعمال القرآني :

الفعل عموما يدل على الحدوث والتغير والتجدد والاستمرار، مع اختصاص كلّ فعلّ بما يدلّ عليه حسب زمنه، أمّا الاسم فدلالته الثبوت، والثبوت ليس على درجة واحدة، والمستعمل في القرآن المحكم من الصيغ الاسميّة والفعليّة دقيق جدا، بحيث لا يمكن وضع صيغة ما مكان أخرى مهما كانت قوة التعالق مع وحدات رصفها، ومهما كان من التقارب الشديد بينهما في المعنى، لأنّ الدلالة الدقيقة للكلمة القرآنيّة مرتبطة ارتباطا وثيقا بدلالات رصفها المخصوص وسياقها القرآني العام الذي لا يقبل في موضعها إلّا تلك الكلمة الدالة على معناها الدقيق المعجز، ولا يمكن أن تصلح أيّ كلمة أخرى في مكانها للدلالة على نفس المعنى، وإلّا رفع إعجاز نظمها، فتأمل على سبيل المثال لا الحصر فعل **(انصح)** على وزن (افعل) من النّصح في الآية الكريمة على لسان نوح عليه السلام ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ٦٢**﴾ [الأعراف: 62]، وفي السورة نفسها استعمل الاسم **(ناصح)** على وزن (فاعل)على لسان هود عليه السلام قال ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ٦٨**﴾ [الأعراف: 67-68].

فدلالات الصيغتين **(أنصح)** و **(ناصح)** تتجلّى بوضوح من خلال الموازنة بين الرّصفين البديعين :

. استعمل نوح عليه السلام فعل **(انصح)** في كلامه كما جاء على لسانه في الآية السالفة الذكر، والذي يدل على التجدد والتغير والاستمرار. وهذه من سمات الفعل المضارع خاصة . ينسجم تماما ويتناسب مع الزمن الذي استغرقه نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله تعالى بتجدد أساليب

الدعوة جهرا وسرا، وبكلّ ما هو متاح من أدلة محسوسة ومعنوية، مع تغير أوقاتها ليلا و نهارا والاستمرار فيها ما يقارب زهاء ألف سنة إلا خمسين عاما، قال الشيخ الشعراوي :" و نوح في إلحاحه على قومه ليلا و نهارا و جهرا و سرا كان متجدد الدعوة "[1].

. أمّا في قصة هود عليه السلام فوظف الاسم (**ناصح**) كما جاء على لسانه في الآية السالفة الذكر لأنّ الاسم من سماته الثبوت، واسم الفاعل (ناصح) في الآية الكريمة جاء مرصوفا رصفا عجيبا مع ألفاظ الآية منسجما انسجاما تامّا و مناسبا لقصة هود عليه السلام الذي لم يلبث مع قومه في دعوته إلى الله إلا قليلا بعد أن ذكرهم بنعم الله عليهم، وحذرهم من عذاب الله كما وقع على قوم نوح ، فلم تكن دعوته لهم إلا أياما (كأنّها ثابتة ساكنة أمام دعوة نوح عليه السلام)، ثم أنزل الله عقابه عليهم لمّا عصوا رسول ربهم فأبادهم عن بكرة أبيهم، ونجّى الله رسوله ومن آمن معه، فالاسم (**ناصح**) الذي يدل على الثبوت في قصة هود عليه السلام يتناسب مع مدّة دعوة هود، والذي لم يلبث في قومه داعيا إلى الله إلّا زمنا قليلا ثم عاجلهم الله تعالى بالهلاك لمّا كذّبوا نبيّ الله عليه السلام

4 . 2 . 2 . بين دلالة اسم واسم في الرّصف القرآني :

الأبنيّة الاسميّة وإن كانت جميعها تدل على الثبوت عموما كما ذكرت بيد أنّ درجات الثبوت: تختلف من ثبوت دائم ملازم لصاحبه لا ينفك عنه، وثبوت لا يلازم صاحبه وقابل للانفكاك عنه، بالإضافة إلى ما تحمله بعض الصيّغ من دلالات المبالغة المتفاوتة، ومنها ما يجيء في المضي والحال، ولا يمكن استعمالها لما يدل على الاستقبال، مثل صيغة (فَعِيل) في باب اسم المفعول، وفي الوقت نفسه تدلّ على المبالغة، أمّا صيغة (مفعول) فمنه ما تجيء للمضي والحال والاستقبال، كما أنّها لا تدلّ على المبالغة، كلّ هذه المعاني وغيرها اتسمت بها الأبنيّة القرآنيّة

المعجزة في رصفها البديع نحو :

. عجيب (فعيل) وعجاب (فُعال)

استعمل القرآن الكريم الصفة المشبهة عجيب (فعيل) . والتي من دلالاتها الثبوت واللزوم . في قوله تعالى في مطلع سورة ق ﴿**بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ٢**﴾ [ق: 2]، واستعمل المبالغة في الوصف عُجاب (فُعَال) في سورة ص قوله تعالى ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ٥**﴾ [ص: 5]- وكلا البنيتين من أصل اشتقاقي واحد . غير أنّه لا يمكن للفظة (عجيب) . التي ذكرت في آية (ق) للدلالة على أنّ تعجب الكفار بسبب مجيء نبيّ منذر من بينهم . أن تحل محل (عُجاب) في رصفها، لأنّ سياق آية سورة ص الذي تضمن لفظة (عجاب) " فيها يظهر المشركون عجبهم من توحيد الآلهة ونفي الشرك، ولا شك أنّ عجبهم . في هذا المقام . أبلغ وأبلغ لأنّهم قوم عريقون في الشرك، بل إنّ الإسلام جاء أول ما جاء ليردعهم عن الشرك، ويردهم إلى التوحيد "[1]، فلا يناسب هذا الرّصف الدقيق الذي أتى بأسلوب إنكاري إلّا المبالغة في العَجب، لأنّ " العَجب كان أكثر ممّا في آية (ق)، فافتتح الآية بالاستفهام الإنكاري، وأكده بـ (إنّ واللام)، وعدل من (عجيب) إلى (عجاب) "[2].

4 . 2 . 3 . بين دلالة جمع وجمع :

الجموع في القرآن الكريم أمرها عجيب، لها من الدلالات والمعاني ما تبهر قامات البلاغة وفطاحل البيان، فلا نجد جمعا سالما ولا جمع تكسير في القرآن إلّا وهو منسجم انسجاما تاما مع وحدات رصفه، ومتناغم مع دلالات سياقه في نظم دقيق لا يمكن أن يكون إلّا نظما معجزا، ودونه

[1] . السامرائي فاضل معاني الأبنيّة العربيّة ص 86

[2] . المرجع نفسه ص 86

كلّ نظم.

فليس الدقة في استعمال جمع للدلالة على القلة (أشهر) نحو قوله تعالى ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ١٩٧**﴾ [البقرة: 197]، وأشهر الحج ثلاثة على وزن(أفعل) وهذا من جمع القلة، وأمّا جمع الدلالة على وزن (فعول) الذي زيد عن العشرة فنحو قوله تعالى ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ٣٦**﴾ [التوبة: 36]، والشهور على وزن (فعول) وهو من جمع الكثرة، وهذا كثير في القرآن ودقيق في موضعه، فليس الدقة في هذا فحسب، وإنّما الدقة المتناهية كلّ الدقة أن يؤتى بجمع قلة وجمع كثرة لمفرد واحد في قصة واحدة، ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة 57 ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ٥٨**﴾ [البقرة: 58] وفي سورة الأعراف 161 قال تعالى ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ١٦١**﴾ [الأعراف: 161] (**خَطَاياكم**) في آية البقرة جمع كثرة، و(**خَطِيئاتكم**) في آية الأعراف جمع قلة، ما هي دلالات استعمال كلّ جمع من الجمعين والقصة واحدة ؟

قال صاحب التفسير الكبير :" لمّا أضاف . (الله جلّ في علاه) . ذلك القول إلى نفسه فقال (**وإذ قلنا**) . البقرة . لا جرم قَرن به ما يليق بجوده وكرمه وهو غفران الذنوب الكثيرة فذكر بلفظ الجمع الدال على الكثرة، وفي (الأعراف) لمّا لم يضف ذلك إلى نفسه بل قال (**وإذ قيل**) لا جرم

ذكر ذلك بجمع القلة "[1]، فكأنّما صيغة جمع الكثرة (خطاياكم) في آية البقرة هي المحور الأساس الذي تدور حوله الوحدات القرآنيّة المترابطة مع بعضها البعض في مقامها السياقي راسمة بذلك دلالات هذا الرّصف البديع ، ومثل ذلك يقال في جمع القلة (خطيئاتكم) في آية الأعراف، قال فاضل السامرائي :" فجاء بالأولى على الكثرة وبالثانيّة على القلة والقصة واحدة... ولو لحظت الفرق بين القصتين لرأيت أن الكثرة أليق في مكانها، والقلة أليق في مكانها ... فأنت ترى مقام التفضل في آية البقرة أوضح، فقد بدأ الآية بقوله (**وإذ قلنا**) فنسب القول إلى نفسه تعالى، وفي آية الأعراف (**وإذ قيل لهم**) فبناه للمجهول وقال في آية البقرة (**ادخلوا هذه القرية فكلوا**) فعقب الأكل على مجرد الدخول، أي : جعل الأكل في عقب الدخول.

وقال في آية الأعراف (**اسكنوا هذه القرية وكلوا**) جعل الأكل مع السكن مقترنا به، أي : أنّ الأكل لا يحصل إلّا مع السكن لا بمجرد الدخول فاستعمل الدخول والفاء الدالة على التعقيب في آية البقرة، واستعمل السكن والواو في آية الأعراف.

وقدم السجود على القول في آية البقرة، والسجود أفضل لأنّه أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد، وأخر السجود عن القول في آية الأعراف.

وقال في آية البقرة (**نغفر لكم خطاياكم**) للدلالة على الكثرة، وقال في آية الأعراف(**نغفر لكم خطيئاتكم**) فأتى بجمع قلة.

وقال في آية البقرة (**وسنزيد المحسنين**) بزيادة الواو للاهتمام والتنويع والتأكيد، وحذف الواو في آية الأعراف.

---

[1] . الرازي التفسير الكبير 3 / 92

فأنت ترى أنّ مقام التفضيل في آية البقرة أكبر وأتم، ولذلك كان أولى باستعمال الكثرة "[1].

. وأضيف في هذا الصدد لما سبق بأنّ قرينة السياق لها دور كبير فيما ينتقى من صيّغ تتناسب مع وحدات رصفها .

. وظفت صيغة (**خطايانا**) الدالّة على جمع التكثير على لسان سحرة فرعون في سياق قصة موسى عليه السلام متساوقة مع عِظم الذنوب التي ارتكبوها وانغماسهم الكلّي فيها قبل إيمانهم، ومن أخطر هذه الذنوب **عبادتهم فرعون من دون الله،** وقد شهدوا على أنفسهم بذلك قال تعالى على لسانهم ﴿ **بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ٤٤**﴾ [الشعراء: 44]، وهذا من أعظم الظلم على الإطلاق قال تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ١١٦**﴾ [النساء: 116]، وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣**﴾ [لقمان: 13].

والخطيئة الثانيّة : **تعاطي السحر** الذي لا يقلّ ذنبا عن الشرك بالله، ويكفي أنّه معدود من أكبر الكبائر، قال تعالى ﴿**قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ٧٧**﴾ [يونس: 77]، فلمّا كان ما ارتكبه سحرة فرعون من أعظم الذنوب، وأخطرها كان من توسلهم إلى الله تعالى ودعائهم له بعد إيمانهم بالله وحده لا شريك له، وتوبتهم النّصوح لمّا رأوا الحقّ ساطعا مع موسى عليه السلام طمعا أن تغفر خطاياهم، وقالوا (**خطايانا**) بجمع الكثرة اعترافا منهم بعِظمها وخطورتها، فتساوق المبنى مع المعنى في انسجام تام ودقة متناهيّة في رصف قرآني معجز بديع، قال تعالى﴿**إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٧٣**﴾ [طه: 73] وقوله أيضا﴿**إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ٥١**﴾ [الشعراء: 51]،

[1] . ينظر السامرائي فاضل معاني الأبنيّة في العربيّة ص 121 . 122

ويتجلّى ما أسلفت أكثر وضوحا مقابلة جمع الكثرة (خطايانا) المذكورة في الآيتين الكريمتين سلفا بصيغة (خطيئتي) المفردة في سياق قصة إبراهيم عليه السلام، فإبراهيم عليه السلام بعد أن أنكر على قومه عبادة الأصنام وألزمهم الحجة معلنا عداوته لمعبوداتهم الباطلة ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ٧٧**﴾ [الشعراء: 77] . والاستثناء في هذه الآية الكريمة استثناء منقطع من ضمير (إنّهم) . عدّد الصفات الكريمة للخالق جلّ في علاه التي تليق بجلاله وجماله سبحانه وحده لا شريك له، قال تعالى على لسان نبيّه إبراهيم عليه السلام ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ٧٨**﴾ [الشعراء: 78]، ثمّ ختم هذه الصفات الكريمة بقوله ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ٨٢**﴾ [الشعراء: 82]

فما نلاحظه استعمال صيغة (خطيئتي) مفردة في هذا الرّصف البديع وعُدِل عن جمع القلة (خطيئاتي)، وعن جمع الكثرة (خطاياي) لأنّ إبراهيم عليه السلام نبي مرسل معصوم من الخطأ ناهيك عن الذنوب، وإنّما قد يكون منه عليه السلام خلاف الأولى، وليس من ذنوب كما مرّ بنا مع سحرة فرعون، ومع ذلك استعملت هذه الصيغة (خطيئتي) مقترنة بألفاظ الدعاء والتوسل وهي أحق من غيرها من الصيّغ في هذا الموضع لتناسبها مع المنحى الدلالي لقصة إبراهيم عليه السلام، الذي رسمه سياقها المقامي للدلالة على :" أسمى درجات الأدب من إبراهيم عليه السلام مع ربّه سبحانه، لأنّه يوجه طمعه إليه وحده، ويستعظم عليه السلام ما صدر منه من أمور قد تكون خلاف الأولى، ويعتبرها خطايا، هضما لنفسه..."[1].

. ومن صيغ الجمع ما هو مخصوص بمفرد معين كما أشار إلى ذلك الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه الدراسات في اللّغة فقال :" والنظر في الأساليب يدل على أنّ العربيّة خصّت صيغة جمع بمفرد معين في الدلالة على مادة من المواد، كما خصّت صيغة جمع آخر بالمفرد نفسه في الدلالة

[1] . الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم 10 / 256

على مادة أخرى، فالعين وهي الباصرة قد جمعت في القرآن على (أعين)، وعين الماء قد جمعت في القرآن نفسه على العيون "[1] ، وهذا النوع من الجمع ليس ممّا خصّت به العربيّة صيغة الجمع، فقد نجد في أشعار العرب من لم يفرق بين الجمعين للدلالة على العين الباصرة، ومن شواهد ذلك ما أورده أبو علي القالي في أماليه قال : روى ابن الأنباري (أبو بكر بن الأنباري) :

ضعيف الموالي مُسْلَمٌ بِجَرِيرة له بعد نومات **العيون** عويل

يقول له الحدّاد أنت مُـعَذَّب غَداةَ غَدٍ أو مُسْلَم فـقتيـــــل

بأعْظَمَ منَّي رَوْعةً يوم راعني فراقُ حبيبٍ ما إلـيه ســـــبيل"[2].

وفي موضع آخر من الأمالي قال أبو علي القالي : وأنشدنا أبو بكر (ابن الأنباري) قال : أنشدنا الرياشي لأعرابي :

لقد زادَ الهلال إليَّ حُبّا **عيونٌ** تلتقي عند الهــــلال"[3].

وفي استعمالاتنا المعاصرة الشائعة (طبيب العيون)، وجمع عين بـ (أعين) للدلالة على العين الباصرة و بـ (عيون) للدلالة على عين الماء من نظم القرآن البديع، وهو من النّوع الذي خصّ به القرآن الحكيم بعض الجموع في الاستعمال القرآني بأسلوب مذهل، ودلالة دقيقة، وهذا ما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائي بعد تتبع دلالات الجموع المستعملة في القرآن الكريم، معقبا على قول إبراهيم السامرائي المذكور سابقا، ومبرز حقيقة هذا الجمع، فقال :" والحقيقة أنّ هذا ليس ممّا خصت به العربيّة صيغة الجمع وإنّما هو ممّا خصّ به القرآن الكريم قسما من الجموع في

---

[1] . السامرائي إبراهيم دراسات في اللّغة . مطبعة العاني بغداد ط الأولى 1961. ص 78

[2] . القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، الأمالي . دار الأفاق الجديدة بيروت ط1980 . 1 / 163

[3] . المصدر نفسه 2 / 294

الاستعمال "[1]، وهي كثيرة [2].

بالإضافة إلى ذلك أنّ صيغة جمع التكسير(أَفْعُل) عند النحاة للدلالة على جمع القلة، و(أعين) على وزنها، وصيغة (فُعُول) للدلالة على جمع الكثرة، و(عيون) على هذا الوزن، غير أنّ الدكتور فاضل السامرائي ذهب مذهبا آخر في فهم دلالات ما خصّ به القرآن الكريم بعض الجموع في الاستعمال، ومنها (أعين وعيون) فقال :" فحيثما وردت (أعين) في القرآن الكريم أريد بها الأعين الباصرة، ولم يرد بها القلة ... ورد بمعنى الرعاية ومن ذلك قوله تعالى ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ٣٧**﴾ [هود: 37].. وبمعنى الباصرة كقوله تعالى ﴿ **وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف: 179] وقوله ﴿**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا١٠١**﴾ [الكهف: 101]، وهم الكفار وهم كثرة ولا شك، تزيد أعينهم على العشرة.

وقد وردت (العيون) في القرآن الكريم في عشرة مواطن كلّها بمعنى عيون الماء كقوله تعالى ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ٤٥**﴾ [الحجر: 45]، ونحوها "[3].

---

[1] . السامرائي فاضل معاني الأبنيّة في العربيّة ص 115

[2] . ومنها ما خصّه باستعمال الموتى : لمن أصابهم الموت حقيقة نحو قوله تعالى في البقرة 260 (**وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيّ الموتى**) ، والأموات : لمن أصابهم الموت حقيقة وغيرهم ومن ذلك قوله تعالى في البقرة 28 (**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم**)، وقال في فاطر 22 (**وما يستوي الأحياء ولا الأموات**)، والميّتين : لمن لم يمت بعد قال تعالى في الزمر 30 (**إنّك ميّت وإنّهم ميّتون**)
كما خصّ الحمير بالأهليّة أو الأليفة قال تعالى في النّحل 8 (**والخيل والبغال والحمير لتركبوها**) والحُمُر بالحُمُر الوحشيّة قال تعالى في المدثر 50 (**كأنّها حُمُر مستنفرة فرت من قسورة**)
. وخصّ القعود : بالقعود الحقيقي قال تعالى في البروج 5 . 6 (**النّار ذات الوقود إذ هم عليها قعود**) ، وخصّ القاعدين : بمعنى القعود عن الجهاد نحو قوله تعالى في التوبة46 (فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) ، وغيرها من الجموع ، وللفائدة أكثر ينظر كتاب معاني الأبنيّة العربيّة للدكتور فاضل السامرائي .

[3] . ينظر السامرائي فاضل معاني الأبنيّة العربيّة ص 123

ولكن بعد تأمل في سياقات هذين الجمعين في القرآن الكريم وما ذكره النحاة والعلماء من دلالاتهما يمكن القول بأنّ دلالات (أعين) و(عيون) في القرآن الكريم لا تتحدد إلّا من خلال رصفها الخاص، وسياقاتها القرآنيّة، وقد يجمع كلّ جمع من هذين الجمعين على أكثر من دلالة.

الجمع الأول : (أعين) نحو قوله تعالى﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ١٧**﴾ [السجدة: 17]، ذُكر هذا الجمع (أعين) للدلالة على العين الباصرة

(أعين المؤمنين) في سياق وصف عباد الرحمن المؤمنين ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ١٧**﴾ [السجدة: 16-17]، وفي موضع آخر قال تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا٦٤**﴾ [الفرقان: 64]، وقال أيضا ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ١٨**﴾ [الذاريات: 17-18]، وممّا لا شك فيه أنّ هؤلاء المؤمنين الموصوفين بهذه الأوصاف هم قلّة أمام الكثرة الغافلة، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ١٣**﴾ [سبأ: 13] سبأ، فـ (أعين) في هذا السياق كما تدلّ على الأعين الباصرة كلك تدلّ على قلتها، ومفهوم القلة هنا نسبيّ، وليس مرتبط بالعدد الأقل من عشرة، فأعين آكد في هذا الرّصف البديع.

. وقد يأتي هذا الجمع (أعين) بالإضافة إلى دلالته على العين الباصرة للدلالة على الكثرة في سياق مخصوص، حتى وإن كان من أوزان جمع القلة عند النحاة، لأنّ السياق والمقام الذي يرد فيه هذا الجمع هو من يحدد دلالته، ومن ذلك قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا١٠١**﴾ [الكهف: 101]وهم الكفرة الغافلون عن ذكر الله، وهم الكثرة كما أخبر القرآن عنهم في سورة الأعراف، وبقرينة لفظيّة في الرّصف (كثيرا)، قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ١٧٩**﴾ [الأعراف: 179] ، ومن ذلك

أيضا ما ذكر في القرآن في قصة موسى عليه السلام لمّا ألقى السحرة حبالهم وعصيّهم قال تعالى ﴿**قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ١١٦**﴾ [الأعراف: 116]، وممّا لا شك فيه (أعين) في هذه الآية للدلالة على كثرة النّاس، لأنّ سياق القصة القرآنيّة يقتضي ذلك ففي آية سورة طه قال ﴿**فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى٥٨**﴾ [طه: 58] ،فأعقبها بقوله (**قال موعدكم يوم الزينة وأن يُحشر النّاس ضحى**)، وفي سورة الشعراء قال تعالى﴿**فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ٣٩**﴾ [الشعراء: 38-39]....

. أمّا الآيات الأربع التي ذكرت فيها كلمة (**أعين**) مضافة لله تعالى في آية هود 37 ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [هود: 37] وفي آية المؤمنون 27 ﴿ **أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [المؤمنون: 27]، وفي آية الطور 48 (**واصبر لحكم ربّك فإنّك بأعيننا**)، وآية القمر 14 ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [القمر: 14] فهي بمعنى الرعاية، أي : بمرأى منّا وحفظ واعتناء كما جاء في كتب التفسير.

. **الجمع الثاني : (العيون)** وردت في عشرة مواضع من القرآن الكريم للدلالة على عيون الماء، وربّما منها ما دلّ على كثرتها، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم عن قوة الطوفان الذي أصاب قوم نوح عليه السلام بسبب كفرهم قال تعالى﴿**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ١٣**﴾ [القمر: 12-13]،كما أنّ موقع (عيون) في هذا الرّصف البديع دلّ على الشمول، قال الإمام الجرجاني :" وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا، وذلك أنّه قد أفاد أنّ الأرض قد صارت عيونا كلّها، وأنّ الماء قد كان يفور من كلّ مكان منها، ولو أجرى اللّفظ على ظاهره فقيل : وفجرنا عيون الأرض؛ أو العيون في الأرض لم يفد ذلك،

ولم يدلّ عليه، ولكان المفهوم منه أنّ الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الأرض، وتنبجس من أماكن منها"[1].

4 - 3 - الدلالة التركيبيّة في القرآن الكريم :

المتتبع لاصطلاحات النّحويين والبلاغيين الموظفة في مصنفاتهم ومظانهم نحو الإسناد والكلام: والجملة وغيرها، وكيفيّة تحليلها من خلال ربطها بالمعاني المستفادة منها، وتتبع أغراض أساليبها، وكشف مقاصدها، والوقوف على ملابسات الخطاب ودلالاته تتضح وبجلاء العلاقة الوطيدة بينها وبين الدلالة، ومن أبرزها :

4 . 3 . 1 . **الإسناد :**

للإشارة يمكن القول بأنّه لم يكن هناك فصل وارد بين النحو والبلاغة في بدايات الدرس اللّغوي العربي، والإسناد من المباحث اللّغويّة التي لقيت اهتماما واسعا لدى علمائنا القدامى بحيث " العالم كان يجمع إلى جانب اللّغة وشرح مفرداتها المعرفة بمقاييس الاشتقاق والإعراب، والقدرة على بيان خصائص الأسلوب ودقائق التعبير"[2]، ومع هذا فإنّ التكامل حاصل بين النحو والبلاغة في خدمة الدلالة من خلال الفرق بينهما كما تصوره صاحب كتاب العلاقات الإسناديّة في القرآن الكريم، ومهمّة كلّ منهما، فقال :" ويبدو لنا أنّ هناك فرقا بين الحكم النحوي والحكم البلاغي، وهو أمر كان موجودا عند الأقدمين، إذ لكلّ من النحو والبلاغة معياره وجماليّته، وتختلف هذه المعياريّة بين حرص النّحوي على الاستقامة النحويّة، وحرص البلاغي على الاستقامة الدلاليّة.

---

[1] . الجرجاني دلائل الإعجاز ص 109 . 110

[2] . ينظر حسين عبد القادر، أثر النحاة في الدرس البلاغي، دار غريب القاهرة، طالأولى 1998 ص23

فالنّحوي يركز على أصل الوضع، والبلاغيّ يركز على المتكلم ومراعاة قدراته في توظيف المادة اللّغويّة..."[1].

فالإسناد كما عرفه أبو البقاء الكفوي في الكليّات هو ": ضم كلمة حقيقة؛ أو حكم؛ أو أكثر إلى أخرى مثلها؛ أو أكثر، بحيث يفيد السامع فائدة تامة "[2]، وبغض النّظر على أنّ الإسناد الخبري هو أصل الكلام عند بعض النحاة والبلاغيين، كما أشار إلى ذلك صاحب الكليّات بقوله :" فكلّ إخبار إسناد ولا عكس"[3]، وذكر مثل ذلك محمد بن علي الجرجاني في الإشارات والتنبيهات، فقال:" الخبر أصل، والإنشاء طارئ عليه"[4] غير أنّ الدلالة لا تقتصر على أصل الإسناد، إنّما تستفاد من كلّ كلام مستقل بنفسه له معنى وفائدة، سواء كان خبريا أو إنشائيا، وهذا ما قرره ابن جني في تعريفه للكلام فقال :" أمّا الكلام فكلّ لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويّون الجمل نحو زيد أخوك... فكل لفظ استقلّ بنفسه وجنيت ثمرة معناه فهو كلام "[5].

وتأكيد النّحاة على أنّ الكلام لا يسمى كلاما، والجملة لا تسمى جملة حتى تكون لها فائدة، ومعنى يدرك ويفهم، وإلّا اعتبر ذلك من اللّغو في عرفهم الذي لا طائل ولا فائدة تجنى منه، وهذا ما يفهم من تعريفاتهم للجملة بأنّها :" اللّفظ الذي يفيد فائدة، يحسن السكوت عليها ... والمستمع يكتفي بها "[6]، ويفهم الغرض والقصد.

ومن أمثلة فائدة الكلام ودلالاته ما ذهب إليه الإمام عبد القاهر الجرجاني من خلال قرينة تقديم

---

[1] . زيد الخير مبروك، العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم ص 140

[2] . الكفوي أبو البقاء الكليات ، تحقيق / عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ط2 . ص100

[3] . المصدر نفسه ص 100

[4] . ينظر الجرجاني محمد بن علي، الإشارات والتنبيهات ص 100

[5] . ينظر ابن جني الخصائص 1 / 17

[6] . ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي بيروت (د . ت) ص14

اسم الله في الآية الكريمة ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ٢٨**﴾ [فاطر: 28] :" لغرض بيان الخاشعين من هم، ويخبر بأنّهم العلماء دون غيرهم، ولو أخّر ذكر اسم الله وقدّم العلماء فقال : (**إنّما يخشى العلماءُ اللهَ**) لصار المعنى على ضدّ ما هو عليه الآن، ولصار الغرض بيان المخشيّ من هو، والإخبار بأنّه الله تعالى دون غيره، ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله مقصورة على العلماء، وأن يكون مخصوصين بها كما هو الغرض في الآية "[1].

أو ما يستفاد . مثلا . من دلالات المركب الإسنادي الاسمي من خلال دواعي تعريف المسند إليه، ودواعي تنكيره، وهي كثيرة، منها ما يندرج في:

. **التعريف بالإضمار** كما بيّنه القزويني في الإيضاح بأنّ " من دواعي التعريف بالإضمار : إما لأنّ المقام مقام التكلم؛ أو الخطاب؛ أو الغيبة؛ أو الإبهام، وإفادة العموم... "[2].

. أو التعريف بالعلميّة : ومن دلالاته " استحضاره بعينه في ذهن السامع؛ أو لدلالة التعظيم؛ أو الإهانة؛ أو للكناية؛ أو إمّا لإهام استلذاذه؛ أو التبرك "[3].

. أو التعريف بالموصوليّة : لدلالات متعددة منها " إمّا لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصّة به سوى الصلة، وإمّا لاستهجان التّصريح بإسميّته؛ أو لزيادة التقرير؛ أو التفخيم؛ أو تنبيه المخاطب على خطأ؛ أو الإيماء إلى وجه بناء الخبر (التعريض بالتعظيم بشأنه؛ أو التشويق إليه"[4].

. دواعي تنكير المسند إليه كثيرة، ومن أهم دلالاته :

---

[1] . الجرجاني دلائل الإعجاز ص 362

[2] . ينظر القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 112 . 113 . 114

[3] . ينظر المصدر نفسه ص114 . 115

[4] . ينظر القزويني الخطيب، الإيضاح ص 115 . 116 . 117

. الوحدة أو الجنس :" ومن ذلك قوله تعالى ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ٢٠**﴾ [القصص: 20]، أي رجل واحد وليس أكثر، أو للدلالة على الجنس، بأنّ تقول : جاءني رجل، أي أنّه لم تأت امرأة "[1] .

. التعظيم أو التحقير : ومنه قول مروان بن أبي حفصة (من الطويل) :

" له حاجب عن كلّ شيء يشـــينه وليس له عن طالب العرف حاجب

فلفظ (حاجب) وردت في صدر البيت للتعظيم، وفي عجزه للتحقير "[2] .

. كما أنّ تقديم المسند إليه المنفي: يفيد التخصيص بشرطين :

. **الأول** : أنّ يقع بعد نفي.

والثاني : أنّ يكون المسند فعلا أو ما في معناه كاسم الفاعل واسم المفعول ... نحو ما مثّل له الزمخشري بقوله تعالى ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٩١**﴾ [هود: 91]، فالمسند إليه لو لم يكن يفيد التخصيص ما صحت العبارة، فيفهم من قولهم إذن (إنّك لست العزيز، إنّما هم قومك)، وتطبق هذه القاعدة إذا كان الخبر شبيها بالفعل، في مثل قوله تعالى ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٣٧**﴾ [المائدة: 37]، فليس الغرض منه نفي خروجهم، بل إثبات قضية أخرى، وهي أنّ غيرهم يخرجون من النّار"[3].

---

[1] . زيد الخير مبروك العلاقات الإسناديّة في القرآن الكريم ص 185

[2] . المرجع نفسه ص 185

[3] . حسن عباس فضل البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، دار الفرقان الأردن ط2 . 1989 ص 228

4 . 3 . 2 . **المقيّدات :**

أو المخصِّصات : هي كلّ ما زيد على المسند والمسند إليه (أو العُمدتين)، وهي في أكثر الأحيان " كلمات تسمى :(الفضلات) أو(التكملات)، لأنّها تكمّل النسبة الكلاميّة الأساسيّة المؤتلفة من المسند والمسند إليه، وتقوم هذه الفضلات بدور المُقيِّد أو المُخصِّص للنسبة الكلاميّة التي تكون مطلقة من دون هذه المخصِّصات "[1]، ولا يفهم من تسميتها أنّها زائدة يمكن الاستغناء عنها، قد لا يستقيم معنى مقصود من رصف مخصوص مقيّد بدونها حقيقة؛ أو تقديرا، فعلى سبيل المثال كحال هذه الآية الكريمة ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠**﴾ [الشعراء: 130]،" فحذف الحال هنا يُفقد الجملة دلالتها "[2]، ويمكن أن تكون الفضلة متمّمة للفائدة، نحو قوله تعالى ﴿ **بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ١٦٦**﴾ [الشعراء: 166]، " مع أنّ الأصل في معنى الخبر (المسند) أنّه هو الذي تتم به الفائدة ... . لكن ههنا . الفائدة الأساسيّة في الجملة تمّت بالخبر والنعت معا لا بالخبر وحده"[3].

. ومن المقيّدات النّواسخ : بحيث ترسم هذه النّواسخ في كثير من الأحيان دلالة الرّصف، وتفضي عليه المعنى المستفاد منها، " ويراعى التقييد بالنّواسخ المعاني البلاغيّة المستفادة من كلّ ناسخ، ممّا لا ينحصر في الموقع النّحوي؛ أو العلامة الإعرابيّة فقط، فالتقييد في باب كان يدرج لفائدة الاستمرار، نحو قوله تعالى ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٩٢**﴾ [النساء: 92] ، أو يُراد لحكاية الماضي، نحو قوله تعالى ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ**

---

[1] . صحراوي مسعود التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، حسن داي الجزائر، ط الأولى 1429هـ 2008م ص 222 . 223

[2] . المرجع نفسه ص223

[3] . المرجع نفسه ص 223

تُرْجَعُونَ٢٨﴾ [البقرة: 28]، والتقييد بأخوات كان يرتبط أيضا بالمعاني المألوفة لها، فالقيد باللّفظ (ليس) يفيد النفي، ومثاله قوله تعالى ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ١١٣**﴾ [آل عمران: 113]، والقيد (صار) يفيد الانتقال، وقد وردت في القرآن تامّة، نحو قوله تعالى ﴿ **أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ٥٣**﴾ [الشورى: 53] ومثال القيد صار في إفادة الانتقال (أصبح)، قال تعالى ﴿**أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا٤١**﴾ [الكهف: 41]، ... أمّا القيد (مازال) فيفيد الدوام، ومثاله قوله تعالى ﴿**وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ٥٥**﴾ [الحج: 55]، والقيد(مادام) يفيد التوقيت، ومثاله قوله تعالى ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ٢٤**﴾ [المائدة: 24]، وهكذا الحكم البلاغي لأخوات كان من النّواسخ، وما يلحق بها من أبواب، نحو ظنّ وأخواتها، وناصبات المفعولين بصفة عامّة، ويلحق بالنّواسخ التقييد في باب إنّ وأخواتها، ممّا يفيد التوكيد؛ أوالتحقيق؛ أو التثبيت؛ أو ما شاكل ذلك"[1].

3.3.4 الالتفات :

اهتمّ علماء البلاغة وحتى علماء التفسير **بمبحث الالتفات** لما يفضي إليه من تغيّر في الدلالة، وتحول في المعنى، وإبراز الغرض المقصود من الكلام، وبخاصة عندما يكون المركب الإسنادي ممتدا، أو يجتمع مركبان إسناديان؛ أو أكثر في رصف واحد، وهذا النوع من الأنماط الالتفاتيّة ممّا حفل به القرآن الحكيم، وتناثرت درره بين ثنايا آيّه الكريمة في صورة روعة في البلاغة، ودقة في المبنى، معطيا بذلك بعدا دلاليا آخر، ومعنى إضافيا جديدا تتحقق به الغاية من

[1] . ينظر الحملاوي فرج صابر، زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، مطبعة مصطفى الباي القاهرة ط الأولى 1971 ص48

الخطاب، ومن أمثلته :

. قوله تعالى ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ٧٢**﴾ [الزخرف: 72] " في هذا المركب الإسنادي التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير خطاب للتشريف والتخصيص والإيذان بأنّ كلّ واحد مقصود لذاته "[1].

. وقوله تعالى في مطلع سورة الفاتحة ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ٥**﴾ [الفاتحة: 4-5] وفي هذين المركبين الإسنادين التفات من ضمير الغيبة (ملك يوم الدين) إلى ضمير المخاطب (إيّاك) لإعطاء معنى جديد غرضه التنشيط، والحث على الحضور الكلي (القلبي والقالبي والعقلي والوجداني ...)، قال الدكتور مبروك زيد الخير في هذه الآية الكريمة :" الالتفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب وغرضه البلاغي الحث على الحضور القلبي والقالبي"[2] .

. وقول الله تعالى﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ١٠ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ١٢ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ١٣**﴾ [فصلت: 9-13]، ففي هذا الرّصف القرآني المتكون من المركبات الإسناديّة المترابطة " التفات من الخطاب إلى الغيبة، تماشيا مع إعراضهم الذي يستحق الإعراض عنهم"[3].

---

[1] . زيد الخير مبروك، العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم ص 541

[2] . المرجع نفسه ص 533

[3] . زيد الخير مبروك العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم ص581

4 . 4 . الدلالة والجوانب التداوليّة :

" التداوليّة (البراغماتيّة) تستند كثيرا إلى مقولات علم الدلالة ، وقد ذكر بعضهم أنّ التفسير البراغماتي الصحيح للنصوص يتطلب في الوقت ذاته تحليلا منظما للسياق الاجتماعي ، ودراسة السياق الاجتماعي .... فالتداوليّة . تعتمد على علم الدلالة ومسائله المشتركة بين علم اللّغة وعلم الاجتماع "[1]، لأنّ كلاً من الدلالة وعلم الاجتماع بتضافرهما يبرزان علاقة اللّغة بالمجتمع، ونسبة تفاعل هذا الأخير مع الدلالات اللّغويّة الموظفة في إطارها السياقي، " فاللّغة . التي هي تعبير عن معنى . سلوك اجتماعي يحدده المجتمع في المقام الأول، ويهتم علم الدلالة، وعلم الاجتماع بتحليل نسبة التفاعل الاجتماعي كما تتجلى في الحوار اللّغوي، ذلك أنّ المعاني (الدلالات) لا تكمن في الأدوات اللّغويّة المستعملة، بل لدى المتكلم الذي يستعمل تلك الأدوات، ويوظفها بطرق مختلفة "[2]، وإن كانت التداوليّة تركن إلى الدلالة، وتعتمد عليها في كثير من الجوانب منها في أنواع المعنى وأقسامه، وأشكال تعبيره المختلفة...إلّا أنّه يمكن تحديد الفارق بينهما انطلاقا من المساحة المشتركة بينهما؛ أو عنصر التقاطع بينهما وهو أنّ كلّا من الدلالة والتداوليّة يهتمان بجانب المعنى في اللّغة بيد أنّ " علم الدلالة يعنى بوصف معنى الكلمة ومعنى الجملة. .

والبراغماتيّة (التداوليّة) تعنى بتحديد مقاصد المتكلم بناء على وصف علم الدلالة، ذلك أنّنا عندما نقرأ أو نسمع قدرا من اللّغة فإنّنا بطبيعة الحال لا نحاول فهم ما تعنيه الكلمات فحسب ، بل فهم ما يقصده قائل تلك الكلمات"[3].

وللعرب القدامى من نحاة وبلاغيين وأصوليين حظ وافر في التمهيد للدراسة التداوليّة من خلال

---

[1] . بوجادي محاضرات في علم الدلالة ص 103

[2] . المرجع نفسه ص 102

[3] . المرجع نفسه ص103

دراستهم أساليب الكلام الخبريّة والإنشائيّة، وتتبع أغراضها، وتوضيح مقاصدها، وما انبثق عنها من ظواهر ومسائل لغويّة ودلالات . وخاصة ما تعلق بما يطلق عليه في الدرس اللساني الحديث بالأفعال الكلاميّة . فيرى . على سبيل المثال . الباحثون في الحقل التداولي أنّ ما نسب إلى أبي العباس اللّغوي من تقسيم في إجابته على ما وقع فيه الفيلسوف الكندي(ت 260هـ) من اشتباه في بعض كلام العرب " هو تقسيم تداولي قوي صريح، لأنّه يقوم على ملاحظة مقتضى الحال، أي مراعاة الموقف النفسي من حال السامع تجاه ما يُخبَر به ، واضطرار المتكلم إلى تعديل الكلام والتصرف فيه حتى يلائم حال السامع ويؤدي وظيفته التواصليّة الإبلاغيّة، وهو ما عرف عند بعض المعاصرين بـ (التعالق بين الوظيفة والبنية) في الأنماط المقاميّة المختلفة " [1]، وفي تلك القصة المشهورة أنّ الكندي قال لأبي العبّاس :" إنّي لأجد في كلام العرب حشوا ، فقال له أبو العباس : في أيّ موضع وجدت ذلك ؟ فقال : العرب يقولون : (عبد الله قائم) ، ثمّ يقولون : (إنّ عبد الله قائم) ، ثم يقولون : (إن عبد الله لقائم) ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال له أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : (عبد الله قائم) إخبار عن قيامه، وقولهم : (إنّ عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : (إنّ عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني.

قال : فما حاز المتفلسف جوابا "[2].

ولعلّ من الجوانب التداولية أيضا ما دار بين الكسائي وأبي يوسف الفقيه الحنفي والقاضي في حضرة الخليفة العباسي هارون الرشيد، روي الكسائي قال :" اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذمّ النحو، ويقول : وما النحو ؟

---

[1] . صحراوي مسعود التداولية عند العلماء العرب، ص 165

[2] . ينظر المرجع نفسه ص 126 . 127

وأردت أن أعلمه فضل النحو، ما تقول في رجل قال لرجل : أنا قاتلُ غلامِك، وقال آخر : أنا قاتلٌ غلامَك، أيّهما تأخذ؟

قال : أخذهما جميعا.

فقال له هارون الرشيد : أخطأت. فاستحيا وقال : كيف ذلك؟

قال : الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال : أنا قاتلُ غلامِك (بالإضافة)، لأنّه فعل ماض.

وأمّا الذي قال : أنا قاتلٌ غلامَك (بالنصب) فلا يؤخذ، لأنّه مستقبل لم يكن بعد.

قال تعالى (**ولا تقولنّ لشيء إنّي فاعلٌ ذلك غداً إلّا أن يشاء الله**) آية الكهف، فلولا التنوين (فاعلٌ) مستقبلا ما جاز فيه غداً، فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو "[1]، فمثل هذه الروايات وغيرها ترسم لنا اهتمام علماء العرب بالجوانب التداوليّة المستوحاة من رّصف معين أو تركيب خاص في القصة التي أثبتها فحينما نقف على تعريفات النحو الكثيرة، ومنها تعريف السكاكي قال :" اعلم أنّ علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفيّة التركيب فيما بين الكلم لتأديّة أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفة ..."[2]، وتصريحه في موضع آخر بأنّ " الغرض الأصلي من وضع الكلم هو التركيب لامتناع وضعها إلّا لفائدة..."[3]، نتلمّس التوجه التداولي الذي كان عليه كثير من العلماء القدماء، إذ " أنّهم لم يفهموا من اللّغة أنّها منظومة من القواعد المجردة فحسب، وإنّما فهموا منها أيضا أنّها لفظ معين يؤديه متكلم معين في مقام معيّن لأداء غرض تواصلي

---

[1] . الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت 626هـ)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)،تحقيق : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط الأولى 1414هـ . 1993م . 4 / 1741

[2] . السكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان ط الثانية 1987م . ص 75

[3] . السكاكي المفتاح ص 141

إبلاغي معيّن "[1]، وهذا ما أشار إليه السيوطي في الأشباه والنظائر فقال :" إنّ صناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني ، وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد ، فيقع الإسناد في اللفظ إلى شيء، وهو في المعنى شيء آخر إذا علم المخاطب غرض المتكلم ، وكانت الفائدة في كلا الحالين واحدة "[2].

وأشير في هذا المضمار إلى دراسة هذه الظاهرة اللّغوية عند علماء أصول الفقه الإسلامي، وأذكر بعض الإشارات والاعتبارات اللّغويّة التداوليّة . وهي كثيرة ومتعددة . التي اتخذها الأصوليون " أداة ومدخلا لتوجيه دلالة من الدلالات في نصوص القرآن والسنّة؛ أو استنباط حكم من الأحكام " [3]، ومن هذه الاعتبارات اللّغويّة :

. منها ما يتناول القضايا الدلاليّة الصريحة.

. ومنها ما يشمل القضايا والمسائل النحويّة كما تصورها الأصوليون، " وقد اعتبر بعضهم نحو الأصوليين هذا نحو دلالة "[4].

. ومنها ما سماه صاحب كتاب التداوليّة عند العلماء العرب : المنحى التداولي في البحث الأصولي"[5]، أختصر على هذا النوع الأخير لملامسته المباشرة لهذا المبحث، والذي يبدو أكثر التصاقا بما يسمى في اللسانيات الحديثة بالدرس التداولي، وهذا يظهر من خلال استثمار الأصوليين لبعض المفاهيم في معالجتهم لأساليب النصوص الشرعيّة العمليّة قصد الوقوف على

---

[1] . صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب ص 217

[2] . السيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق : محمد عبد الله ، دمشق ط 1986 . 3/ 173

[3] . صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ص 126

[4] . جمال الدين مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، المكتبة الوطنية بغداد الرقم 1485، السنة 1980 ص 305

[5] . ينظر أكثر تفصيلا صحراوي مسعود، التداوليّة عند العلماء العرب ص 166 . 167 . 168

المعنى، والغرض المتوخى منها في استنباط الأحكام التكليفيّة، وبخاصة الأساليب الخبريّة، ومن أهمها :" الرواية والشهادة، والوعد والوعيد، والدعوى والإقرار، والكذب والخلف ... والأساليب الإنشائيّة مثل : الإذن والمنع، والندب، والإباحة، والتخيير، وألفاظ العقود، والمعاهدات... ودرسوا الاستفهام، واستنبطوا منه فروعا هامة من الأفعال الكلاميّة، منها : التقرير، الإنكاري الإبطالي، الإنكار الحقيقي...واعتدّوا بمبدأ الغرض من كلام المتكلم وقصده ..."[1]، لأنّ العبرة عندهم بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، إن لم يكن هناك إخلال بالمعنى، وهذا ما يفهم من فُتْيَا أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ) في عقد الزواج المنصوص عليها في فتاواه على النحو التالي :" إذا قال الولي زوجت لك أو زوجت إليك صحّ، لأنّ الخطأ في الصيغة إذا لم يُخلّ بالمعنى، والغرض ينزّل منزلة الخطأ في الإعراب بالتذكير والتأنيث "[2].

ومن الأمثلة أيضا ما أشار إليه الشاطبي من خلال تقسيمه للأمر إلى صريح وغير صريح، والصريح عنده نوعان :

. أحدهما : لا ينظر فيه لعلة مقصديته، ويجري مع مجرد الصيغة مجرى التعبد من غير تعليل ومثّل لذلك بقوله تعالى ﴿ **وَذَرُوا الْبَيْعَ** ﴾ [الجمعة: 9] ، وقوله تعالى ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ٤٣**﴾ [البقرة: 43] البقرة.

. **الثاني** : ينظر إلى (قصده) الشرعي بحسب الاستقراء، وما يقترن من القرائن الحالية؛ أو المقالية الدالة على أعيان المصالح في المأمورات والمفاسد في المنهيّات، ومثّل له بأن قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ**

---

[1] . صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب ص212 . 213

[2]. ينظر المرجع نفسه ص212 . نقلا عن الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية للأسنوي

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ٩﴾ [الجمعة: 9] فالآية مقصودها الحض على إقامة الجمعة، وعدم التفريط فيها، لا الأمر بالسعي إليها فقط...

أمّا غير الصريح : فهو على ضروب أيضا منها :

ما جاء مجيء الإخبار عن تقرير الحكم مثل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ١٨٣**﴾ [البقرة: 183] ..."[1].

4 . 5 . الرّصف القرآني البديع والتماسك الدلالي المعجز:

قبل الخوض في هذا المبحث القرآني المتميّز جدا نثبت ما أشار الجاحظ في البيان والتبيين إلى أمر مهم تخاله يتحدث عن الأساليب اللّغوية البديعة الجديدة الأخاذة التي تحسن في السمع، وتكبر في الصدر، وينقاد بها العقل، وتهتزّ لها النّفس طربا، فقال :" الشيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلّما كان أطرف كان أعجب، وكلّما كان أعجب كان أبدع "[2]، وخاصة إذا ما تماسكت دلالاته واتضح معناه " فعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلّما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عزّ وجلّ يمدحه، ويدعو إليه، ويحثّ عليه . بذلك نطق القرآن "[3].

أمّا إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني فأشار إلى دليل إعجاز القرآن الكريم، فقال:" إنّا إذا سقنا

---

[1] . صحراوي مسعود التداولية عند العلماء العرب ص 193.194

[2] . الجاحظ البيان والتبيين 1 / 89 . 90

[3] . المصدر نفسه 1 / 77

دليل الإعجاز فقلنا : لولا أنّهم حين سمعوا القرآن، وحين تحدّوا إلى معارضته، سمعوا كلاما لم يسمعوا قط مثله، وأنّهم قد رازوا أنفسهم فأحسوا بالعجز على أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه ...فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ أيّه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كلّ مثل، ومساق كلّ خبر، وصورة كلّ عظمة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كلّ حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنّهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، واتقانا، وإحكاما ..."[1]. فمن هذا الرّصف القرآني البديع :

4 . 5 . 1 . الرّصف القرآني المعجز :

فمن خلال التأمل المبدئي لبعض تراكيب القرآن العظيم، وأساليبه، والوقوف على بعض إشارات الباحثين لهذه الأساليب، والتراكيب العجيبة . وبخاصة عند من درس الأسلوب القرآني . يتجلى وبوضوح التركيب القرآني برصف وحداته عجيبة المبنى، وبديعة المعنى في تناسق دقيق، وانسجام معجز، لم يعهدها العرب في أساليبهم، واستعمالهم المألوف في لغتهم، تثير الدهشة، وتحضّ على التأمل، نحو قوله تعالى ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ٦٨**﴾ [النحل: 68]، فيمكن أن نقف على أمرين أو ملاحظتين :

. **الأمر الأول** : تقوم هذه الآية على بنيتين الأولى سطحية و يمثلها النص.

والثانية : عميقة و يمكن تمثيلها بالجملتين:

أ- اتخذي بيوتا في الجبال ـــــ ب- اتخذي بيوتا في بعض الجبال.

---

[1] . الجرجاني دلائل الإعجاز ص 53 . 54

والمفسرون قالوا: الجملة (ب) هي المفسرة للآية، أي للجملة السطحية، ومن هنا أقول : إنّ الكلام في البنية التحتية؛ أو العميقة هو كلام كلّ النّاس، و يتّسم بسمتين :

الأولى : **معياريّة**، والثانية : **إيصاليّة**– استعمال مألوف لغة بهدف إيصال النّص فكرة .

. وفي المقابل : إنّ الشكل اللّغوي في البنية السطحية التي تشملها الآية هو المهيمن على الكلام، ويحمل بالإضافة إلى إيصال الفكرة إيصال الشكل اللّغوي أيضا.

ويقودنا هذا إلى أنّ الجملة والآية القرآنية تقوم من حيث بنيتها على نحو مخصوص تتفرّد به، وبه تفترق عن مألوف النّاس في كلامهم، وبذلك تشكّل لغة ثانية في قلب اللّغة العامّة.

الأمر الثاني : إنّ اللّغة الثانية تشير إلى أشياء غير متناسبة في الحجم إثارة للدهشة، وحضّا للتأمل، فالآية في فكرتها (اتخذي بيوتا في الجبال، أو في بعض الجبال).

. أمّا الآية في شكل تجلّيها اللّغوي فتجعل الصغير . وهو (النّحل) . يتخذ من الكبير جدا . وهي (الجبال) . بيوتا، وهذا النوع من العلاقة سر المفارقة الباعثة للدّهشة، ففيه يقوم على غير التناسب بين الصغير جدا، والكبير جدا "[1].

وهذه الألفاظ المتنافرة أو غير المتناسبة دلاليا تتراصف فيما بينها مكونة دلالة متماسكة، ومنسجمة انسجاما تاما عجيبا من حيث رصف وحداته، ومعجز من حيث نظمه ودلالاته.

. ومن الأنماط التركيبيّة المعجزة في القرآن الكريم، ومن الأساليب التي لم يعهدها العرب في استعمالاتهم، هي أن يؤتى بفعل يأخذ مكان أفعال متعددة، ومفاعيل متعددة، في الظاهر لا تتناسب دلاليا، مثل ما جاء في سورة النّحل في قوله تعالى ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ١٥**﴾ [النحل: 15] استعمل فعل (ألقى) لمفاعيل ثلاثة (رواسي،

[1] . ينظر عياشي منذر، الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، الناشر مركز الإنماء الحضاري، ط الأولى 2002 ص 97

وأنهارا، وسبلا)، وهل هذه المفاعيل الثلاثة تلقى؟

قال منذر عياشي :" فهو (ألقى) في (ألقى رواسي) يأخذ مكان الفعل (أقام، أو أسس، أو بنى)، وهو في (ألقى ... أنهارا وسبلا) يأخذ مكان (أجرى، وجعل، وأنشأ)، وإزاء هذه الأفعال التي يأخذها ضمنا يبقى محتفظا بأدائه كاملا، فيشكل نوعا من المخالفة معها، ويحدث أثرا غير عادي، هو غاية القول في الدلالة على الخلق"[1]، بل منتهى الدلالة على الخلق المستفاد من هذا الرّصف البديع العجيب، مداره فعل (ألقى).

" ويمكن القول على مستوى آخر : إنّ المفاعيل في دلالة النّص تحتلّ مرتبة الفاعل في نظامه تكوينا وتشكيلا، فهي تفعل في الفعل الذي يقدمه نحو الجملة، وتوجهه، وتعدده، وتجعل منه كائنا إمكانات الخلق فيه لا تتناهى، ولا أدلّ على ذلك من أنّ الفعل هنا قد تعدد بتعدد مفاعيله، وليس بتعدد فواعله "[2].

4 . 5 . 2 . الإسناد المعجز والدلالة الدقيقة :

وهذا النوع من رصف القرآن الكريم أبهر عقول حذاق البلاغة نحو قوله تعالى ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤**﴾ [مريم: 4]، انظر في هذا الرّصف العجيب كيف أسند الاشتعال إلى الرأس . والأصل الاشتعال للشيب . قال إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني" ولو أن تدع هذا الطريق فيه، وتأخذ اللفظ فتسنده إلى الشيب صريحا فتقول : اشتعل شيب الرأس، والشيب في الرأس، ثمّ تنظر : هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة ؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها ؟

---

[1] . عياشي منذر الأسلوبيّة وتحليل الخطاب ص 96

[2] . المرجع نفسه ص 96

فإن قلت : فما السبب في أن كان (اشتعل) إذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضل ؟ ولِمَ بان بالمزية من الوجه الآخر هذه البينونة ؟

فإنّ السبب يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى الشمول، وأنّه قد شاع فيه، وأخذه من نواحيه، وأنّه قد استقرّ به، وعمّ جملته حتى لم يبق من السواد شيء؛ أو لم يبق منه إلّا ما لم يعتدّ به ، وهذا ما لا يكون إذا قيل : (اشتعل شيب الرأس؛ أو الشيب في الرأس) "[1]

4 . 5 . 3 . جمع ألفاظ في رصف قرآني بديع

وهذا من ألطف ما تميّز به القرآن الكريم في التفريق الدقيق بين ألفاظ يبدو أنّها من المترادف، بيد أنّ رصف القرآن العجيب، ونظمه الدقيق يكشفان الفروق الدلاليّة الدقيقة لهذه الألفاظ، والدلالات الهامشية المتوخاة من سياقها، نحو (رأى، ونظر، وبصر)، ولكلّ فعل من هذه الأفعال دلالات تستفاد من كلّ رصف استعملت فيه، ومن سياقاتها المتعددة.

. فعل (**رأى**) " يحمل دلالة النظر والإبصار بالعين أو بالبصيرة، كما يحمل إلى جانبها معاني كثيرة، منها الظنّ والاعتقاد والعلم والرؤية "[2].

. أمّا (**نظر**) فلا يدلّ دائما على الإبصار كما هو شائع .

قال الراغب الأصفهاني :" النّظر : تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرؤية، يقال نظرت فلم تنظر، أي لم تتأمل، ولم ترتوّ... ويقال نظرت إلى كذا إذا مددت طرفك إليه، رأيته أو لم تره...ونظرت في كذا تأملته ...والنظر الانتظار، يقال نظرته وانتظرته... ويستعمل النّظر في التحيّر في الأمور... نحو

---

[1] . الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 109

[2] . ساسي عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم 2 / 189

قوله قوله تعالى ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ٤٣**﴾ [يونس: 43] ، فكلّ ذلك نظر عن تحيّر"[1].

. فعل (**بصر**) : له معاني كثيرة، قال أحمد بن فارس :" الباء والصاد والراء أصلان أحدهما : العلم بالشيء، يقال هو بصير به، ومنه هذه البصيرة ... ويقال رأيته لمحا باصرا، أي ناظرا بتحديق شديد... والبصيرة : البرهان، وأصل ذلك وضوح الشيء ... ويقال بصرت بالشيء إذا صرت به بصيرا عالما، وأبصرته إذا رأيته.

وأمّا الأصل الأخر : فَبُصْر الشيء غلطه، ومنه البَصْرُ : وهو أن يضم أديم إلى أديم يخاطان كما تخاط حاشيّة الثوب، والبصيرة ما بين شُقتي البيت ... البَصْرَة فالحجارة الرّخوة "[2]، فكل فعل من هذه الأفعال الثلاثة (رأى، نظر، بصر) إذا وظف في غير مقامه ورصفه الصحيح فتح بابا من التأويلات غير المناسبة، والدلالات التي تزجّ بالكلام في دائرة التعميّة واللبس والغموض، ومثال ذلك الآيات المحكمات نحو قوله تعالى حكاية عن السامري (**بَصُرتُ بِما لَمْ تُبْصِرُوا بِه**)، للدلالة على العلم بالشيء، إذ لا يمكن في هذا الموضع أن يستعمل فعل (نظرت)، ولا فعل (رأيت) مكان (بصرت)، وإلّا افتقدت الدلالة القرآنيّة الدقيقة المخصوصة من هذا الرّصف القرآني البديع، لأنّ (نظرت) لو وظفت في هذا الرّصف بدل (بصرت) لتزاحمت دلالاتها ومنها التأمّل ... وكذلك فعل (رأيت) الذي من دلالاته الإبصار بالعين الباصرة ...، وليس هذا المعنى المقصود من قوله تعالى (**بصرت بما لم يبصروا به**) " ومن هنا نخلص إلى عدم الترادف بين فعل (بصر)، وبين الفعلين الآخرين (نظر) و (رأى)، ولعلّ القرينة المؤكدة لذلك قوله تعالى جامعا

---

[1] . الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ط 2004 ص 553 . 554

[2] . ابن فارس أحمد مقاييس اللّغة 1 / 253 . 254

هذه الأفعال الثلاثة في آية الأعراف (**وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**) "[1].

خلاصة المبحث : .

إنّ للدلالة أهميّة بمكان إذ لا يمكن أن يستغني عنها مستوى من مستويات اللّغة أو جانب من جوانبها، بل الدلالة هي غاية هذه المستويات والجوانب جميعا، فالأصوات، والمقاطع الصوتيّة، والأبنيّة الصرفيّة، والتراكيب النّحويّة، والبلاغيّة، والسياقات التداوليّة... كلّ منها لا يتأتى وضوحه، ولا تتجلّى إجراءاته، ولا تتحدد معانيه إلّا بالدلالة.

. مهما كانت الأشكال الصوتيّة في القرآن الكريم إلّا والدلالة حاضرة بقوة ملازمة لها، بحيث لا يمكن لنا أن نتصور أنّ هناك عنصرا لغويّا في القرآن الكريم مثل الصوت . (وهو وحدة لغوية صغرى قابلة للتوصيف والتحليل). لا يحمل دلالة، بل له من الدلالة ما يؤثر به على معنى اللفظة، ويرجح دلالتها الدقيقة المعجزة في رصفها القرآني، هذا من جانب، ومن جانب آخر تظهر الدلالة الصوتيّة في تنوع الأساليب القرآنيّة حسب أغراضها، كما تساهم القرائن الصوتيّة فوق المقطعيّة كالنبر والتنغيم في التفريق بين المعاني، ورسم المنحى الدلالي لبعض الألفاظ والتراكيب القرآنيّة (حمالة الأوجه)، التي تتزاحم معانيها، وتتداخل فيما بينها مقطعيا في الظاهر.

. من سمات الأبنيّة القرآنيّة أنّها لا تقبل إلّا صيغة واحدة اسميّة كانت؛ أو فعليّة في موضع رصفها الذي هي منه، فلا يمكن بأيّة حال أن تستبدل بصيغة أخرى مهما تقاربت المعاني بين الصيغتين إلى حدّ الترادف في الظاهر، بل لا يصلح لترابط وتعالق وحدات رصف القرآن المعجز ونظمه الدقيق المبهر إلّا صيغة واحدة لا تقبل التشارك، لأنّ لها من الدلالات الخاصة ما يتعلّق بمعنى رصفها المخصوص، ومنحاه الدلالي المعجز، وبغيرها تهدر المعاني القرآنيّة الدقيقة، ويرفع

[1] . ساسي عمار الإعجاز البياني في القرآن الكريم 2 / 189

الإعجاز.

كما أنّ القرآن خصّ بعض صيغ الجموع في الاستعمال بدلالات دقيقة مذهلة.

والملاحظ أيضا أنّ الأبنيّة القرآنيّة لا يكفي الوقوف على دلالتها من صيغتها المعجميّة فحسب، بل تتحدد دلالاتها ويترجح معناها من رصفها القرآني، وسياقها الذي سيقت فيه.

. الوقوف على أساليب قرآنيّة معجزة، وتراكيب عجيبة المبنى، وبديعة المعنى، ومتناسقة الدلالة، ونظم دقيق يثير الدهشة، ويحث على التأمل، لم يعهدها العرب الأقحاح في أساليبهم اللّغويّة، واستعمالهم المألوف في لسانهم العربي المبين.

. رصف أصوات وحروف وكلمات القرآن الكريم بطريقة منقطعة النظير في نظم معجز دونه كلّ نظم، وبأسلوب عجيب بديع أكسبها دلالات دقيقة فارقة لمثيلاتها، وبخاصة التي تدخل في باب المترادف.

. الرّصف القرآني . وبخاصة تراكيبه وجمله من حيث بنيتها ودلالاتها . يقوم على نحو مخصوص يتفرد به كسمة أسلوبيّة فارقة عن كلام البشر؛ أو ما ألفه النّاس في كلامهم، وبذلك يتشكّل الإعجاز القرآني؛ أو النّظم القرآني المعجز.

البـاب الثـانــي :

رصف قصة نوح علية السلام

ودلالاتـها في سورة نوح

الفصـل الأول : رصف سورة نوح ودلالات قصته

1 . التعريف بسورة نوح عليه السلام

2 . القراءات القرآنية في سورة نوح وتوجيهاتها

3 . معالم سورة نوح عليه السلام ومحاورها الكبرى

4 . تخصيص سورة نوح بقصة نوح عليه السلام

5 . رصف سورة نوح ومناسباتها

6 . تناسب الألفاظ مع الامتداد الزمني لقصة نوح عليه السلام

7 . الإيقاع القصَصي في سورة نوح

تمهيد :

تعد قصة نوح عليه السلام من أكثر القصص القرآني انتشارا بين ثنايا سور المصحف الشريف إجمالا وتفصيلا، تلميحا وتصريحا، فهي تذكر بجميع حوادثها الهامة وتفصيلاتها الهادفة وجزئياتها الواعظة، مرتبة ترتيبا عجيبا بترتيب سور المصحف الشريف بدءا من اصطفاء نوح عليه السلام، ثمّ الوحي، فالهداية، ثمّ الإرسال وتبليغ دعوة الله بطرائق متنوعة وأساليب مختلفة من إنذار وبشارة، وترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، ونصح وموعظة، وإقامة حجة واعتبار بما هو محسوس مشاهد؛ أو غيب يدلّ على أنّ الله أحد واحد، وتكرار ذلك بما يتطلبه السياق أو المقام ومقتضى الحال، ثمّ نهاية قصته عليه السلام بهلاك الكافرين المعرضين، وخاتمة دنياهم بالطوفان والإغراق، فنار خلد وبيس المصير، ونجاة رسول الله نوح عليه السلام ومن آمن معه بسلام إلى أجل مسمى، ثمّ جنّة خلد ورضوان من الله أكبر ونِعم أجر العاملين.

وقصة نوح عليه السلام من البداية إلى المنتهى متضمّنة في سورة نوح إجمالا، وذكرت جزئياتها مفصلة بين تضاعيف سور القرآن حسب ما اقتضاه السياق وناسب السور وفواصل آياتها، وقد تكررت بعض جزئيات القصة في مواضع مختلفة في سور متعددة بطريقة مغايرة جزئيا لأنّ " في التكرار عرضا لجوانب متعددة من القصة بما يناسب الهدف المقصود من عرضها ضمن سياقات مختلفة"[1]، وهذا كلّه يتساوق مع مستويات السرد المتجددة في قصة نوح من خلال تعدد شخصياتها

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن . دراسة أسلوبية ص 50

وتتابع أحداثها " إذ يمكن تقطيع القصة إلى مشاهد تموج بالحركة والحوار، وتزخر بالانفعالات والسمات، وتتخللها التوجهات إلى مواضع العبرة من السياق"[1].

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن . دراسة أسلوبية ص 50

1 . التعريف بسورة نوح

سورة نوح من السور المكيّة باتفاق.

1 . 1 . عدد آياتها :

ثمان وعشرون (28) آية في العدّ الكوفي.

وتسع وعشرون (29) آية في العدّ البصري والشامي.

وثلاثون (30) آية في العدّ المكي والمدني.

1 .2 . عدد كلماتها :

مائتان وأربع وعشرون (224) كلمة

1 . 3 . عدد حروفها :

تسعمائة وتسعة وعشرون (929) حرفا.

وهذا العدد تسعمائة وتسعة وعشرون (929) حرفا يتناسب ويتماشى مع عدد سنوات قصة نوح عليه السلام التي قضاها في دعوة قومه إلى الله تعالى، وهي ما يربو عن (ألف سنة إلّا خمسين عاما).

. أمّا عدد الأصوات التي حوتها سورة نوح عليه السلام على طريقة المحدَثين فما يقارب ألف وخمسمائة وثلاثة وأربعون (1543) صوتا، أي زيادة على عدد حروف السورة تسعمائة وتسعة وعشرون (929) حرفا تضاف إليها الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) والبالغ عددها ستمائة وأربعة عشر (614) صوتا.

ويمكن إضافة صوت التنوين لأنّه عبارة عن نون ساكنة منطوقة غير مكتوبة وعددها ستة وأربعون (46) صوتا، وبذلك يصبح عدد الأصوات التي حوتها سورة نوح ما يربو عن ألف وخمسمائة وتسعة وثمانين (1589) صوتا.

1 . 4 . فاصلتها القرآنيّة

تنوعت فواصلها القرآنيّة إلى ثلاث فواصل ما بين التوسط والطول، وقاعدة فواصلها مختومة بـ : . (الياء والميم ، والياء والنون) في مثل آخر كلمتي (أليم . مبين).

. و (الواو والنون) كما هي مثبتة في منتهى كلمتي (أطيعون . تعلمون) .

. و (ألف قبل حرف منوّن مفتوح) في أغلب نهايات آيات السورة الكريمة نحو (استكبارًا، أنهارًا أطوارا، مدرارا...)

1 . 5 . ترتيبها في المصحف الإمام :

ترتيبها في المصحف الشريف واحد وسبعون (71) قبل سورة الجنّ وبعد سورة المعارج.

1 . 6 . ترتيبها من حيث النزول

سورة نوح مكيّة باتفاق، والاختلاف بين أهل العلم في ترتيبها من حيث النزول :

القول الأول : قيل نزلت قبل سورة إبراهيم وبعد سورة النّحل، وهذا ما ذكره الإمام الزركشي في البرهان في فصل(ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثمّ ترتيبه)[1]، ونقل السيوطي في إتقانه مثل هذا

[1] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 1 / 193

عن البيهقي في (دلائل النّبوة) وعن ابن الضريس في (فضائل القرآن)[1].

القول الثاني : وقيل نزلت قبل سورة الطور وبعد أربعين آية من سورة النّحل، وذهب إلى هذا صاحب التحرير والتنوير فقال :" وعُدّت الثالثة والسبعين (73) في ترتيب نزول السور، نزلت بعد نزول أربعين آية من سورة النّحل وقبل سورة الطور"[2].

القول الثالث : وقيل نزلت بعد سورة السجدة وقبل سورة الطور، قال صاحب الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين نقلا عن شرح المحللاتي :" أنّ هذه السورة (نوح) مكيّة باتفاق، نزلت بعد سورة السجدة وقبل سورة الطور"[3]. وسأذكر الرأي الرّاجح معللا.

2 . القراءات القرآنيّة في سورة نوح وتوجيهاتها :

. (أن اعبدوا الله) : قرئت النون في (أن) بالضمّ والكسر " قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي . من القراء السبعة . وعلي بن نصر عن أبي عمر (أنُ اعبدوا الله) بضمّ النون. وقرأ عاصم وحمزة . من القراء السبعة . وعبد الوارث عن أبي عمرو(أنِ اعبدوا الله) بكسر النون. قال أبوعلي : من ضمّ كره الكسر "[4].

. (طباقاً) في قوله تعالى **(خلق سبع سموات طباقاً)** قرئت بالقراءة المتواترة والصحيحة (طِباقاً)، وفي غير المتواترة والصحيحة " قرأ ابن مسعود وابن أبي عبلة (طباقٍ) بتنوين القاف

---

[1] . ينظر السيوطي الإتقان في علوم القرآن ص 21 . 22

[2] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 185

[3] . التواتي بن التواتي الدرّ المبين في تفسير الكتاب المبين، منشورات الشؤون الدينيّة والأوقاف الجزائريّة، عاصمة الثقافة العربية 2015م . 19/ 383

[4] . ابن الجوزي الإمام أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي بيروت ط الرابعة 1978م 8 / 368

وكسرها من غير ألف"[1].

. كلمة (وَوَلَدهُ) :" بفتح الواو واللام قرأها نافع وابن عامر وعاصم، وقرأها الباقون مضمومة الواو ساكنة اللام (**ووُلْدُهُ**).

والوجه فيهما : أنّ الوُلْدَ والوَلَدَ لغتان كالحُزْن والحَزَن، والبُخْل والبَخَل، ويكون الوُلْد على هذا واحدا كما قال (وليت فلانا كان وُلْد حمار)[2].

ويجوز أن يكون جمع وَلَد كأُسْد لجمع أَسَد "[3]، و" قال الزجاج : وهما (وَلَده، وَوُلْده) بمنى واحد، مثل : العَرَب، والعُرْب، والعَجَم والعُجْم "[4].

وقال ابن عاشور :" وأمّا **الوُلْد** بضم فسكون فقيل : هو لغة في **وَلَد** فيستوي فيه الواحد والجمع مثل الفُلْك، وقيل : هو جمع وَلَد مثل أُسْد جمع أَسَد "[5].

. وهناك قراءة بكسر الواو وإسكان اللام (وِلْده)، قال ابن الجوزي :" قرأ الحسن وأبو العالية وابن يعمر والجحدري : (وَوِلْده)"[6] .

. كلمة (وَدّاً) تفرد الإمام نافع بقراءتها بضم الواو (**وُدّاً**) نقلا متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وفتح واوها الباقون (**وَدّاً**)، " **والوجه** : أنّهما لغتان (وَدّ) بالفتح، و(وُدّ) بالضم، وهما اسم صنم "[7].

---

[1] . ابن الجوزي، زاد المسير 8 / 371

[2] . ذكره ابن السكيت في (إصلاح المنطق الموسوعة الشعريّة) وهو مجهول القائل

[3] . الشيرازي الإمام أبو عبد الله نصر بن علي محمد(ت 556هـ)، الموضح في وجوه القراءات وعللها تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني . دار الكتب العلميّة بيروت ط الأولى 2009 . ص 793

[4] . ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير 8 / 373

[5] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 207

[6] . ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير 8 / 373

[7] . الموضح في وجوه القراءات وعللها ص 793

. كُبَّاراً (بتضعيف الباء) : قال الزمخشري :" قرئ بالتخفيف (كُبَاراً) والتثقيل (كُبَّاراً)، والكُبَار أكبر من الكبير، والكُبَّار أكبر من الكُبَار، ونحوه : طُوَال وطَوّال"[1] .

وقرئت بضمّ الكاف وتخفيف الباء المفتوحة (كُبَاراً)، كما قرئت بكسر الكاف وتخفيف الباء، قال أبو الفرج بن الجوزي في تفسيره :" قرأ أبو رجاء وأبو عمران (كُبَاراً) برفع الكاف وتخفيف الباء، وقرأ ابن يعمر وأبو الجوزاء وابن محيصن (كِبَاراً) بكسر الكاف مع تخفيف الباء، والمعنى : كبيراً، يقال : كبير وكبار "[2].

. يغوث ويعوق : ممنوعان من الصرف ولذلك لم ينوّنا، غير أنّ هناك قراءة بتنوينهما للتناسب، ذكر ذلك البيضاوي في تفسيره فقال :"وقرئ(يغوثاً ويعوقاً) للتناسب، ومنع صرفهما للعلمية والعجمة"[3].

ولعلّ القراءة بالتنوين (يغوثاً ويعوقاً) من القراءات الشاذة، إذ لم أقف عليها في القراءات العشر المتواترة والصحيحة، ومن دلالة هذه القراءة التوجيه النّحوي كما في إعراب القرآن الكريم وبيانه قال:" ويغوث ويعوق : ممنوعان من الصرف للعلمية ووزن الفعل إن كانا عربيين، والعلمية والعجمة إن كانا أعجمين وقرئ (**ولا يغوثاً ويعوقاً**) مصروفين، لأمرين:

. أحدهما : أنّ صرفهما للتناسب، إذ قبلهما اسمان منصرفان . (ودّاً، سواعاً) . وبعدهما اسم منصرف . (نسراَ)" [4] ، وقال العكبري :" وقد صرّفهما قوم على أنّهما نكرتان"[5]

---

[1] . الكشاف الزمخشري 4 / 1693

[2] . ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير 8 / 373

[3] . البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل . المعروف بتفسير البيضاوي . 5 / 153

[4] . الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه . 8 / 75

[5] . العكبري محمب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادي، التبيان في علوم القرآن، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط الأولى 2016م . ص 601

. والثاني : أنّه جاء على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا، وهي لغة حكاها الكسائي"[1].

كلمة (خَطِيئاتهم) : قرأها جميع القراء بجمع القلّة (**خَطِيئاتهم**) إلّا أبو عمرو قرأها بجمع الكثرة (**خطاياهم**)، ومن جانب آخر أنّ (خطاياهم) " جمع خطيئة جمع التكسير،

قال الله تعالى (**نغفر لكم خطاياكم**) البقرة 58 وقرأها الباقون (**خطيئاتهم**) مهموزة في وزن خطيئاتهم

والوجه : أنّه جمع خطيئة جمع التصحيح بالألف والتاء "[2].

وفي زاد المسير قال :" قرأ أبو الجوزاء والجحدري (خطيئتهم) من غير ألف"[3].

. **ياءات المتكلّم** في الكلمات الثلاث (**دعائي**)الآية 6،(**إنّي**)الآية 9،(**بيتي**)الآية 28

اختلف القُراء في قراءتها ما بين فتح ياء المتكلم وإسكانها .

. " فتح ابن كثير ونافع وأبو عمرو اثنتين . (دعائيَ، وإنّيَ) . وأسكنوا (بيتي)

. وفتح ابن عامر واحدة (دعائيَ) وأسكن الآخرين.

. وفتح عاصم (بيتيَ) وأسكن الآخرين.

. ولم يفتح الباقون منهم شيئا .

. وروي عن يعقوب (**قوميَ**) بفتح الياء "[4].

. كلمة (**ولوالديَّ**)" قرأ أبو بكر الصديق وسعيد بن المسيب وابن جبير والجحدري والجوني (ولوالديْ) ساكنة الياء.

---

[1] . الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه 8 / 75

[2] . الموضح في وجوه القراءات وعللها ص 793

[3] . ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير 8 / 374

[4] . الموضح في وجوه القراءات وعللها ص 794

وقرأ ابن مسعود وأبو العالية وابن يعمر والزهري والنخعي (ولوَلَدَيَّ) من غير ألف على التثنية "[1].

.كلمة (**أطيعون**)الآية 3 حذفت (ياؤها) من خط المصحف.

قال ابن أبي مريم :" والوجه أنّ الأصل أن تثبت هذه الياءات، وحذفها لأجل التخفيف، فإنّ الكسرة بقيت تدل عليها، فمعناها حاصل، والشيء إذا أفاد محذوفا ما يفيده ثابتا كان حذفه هو الأحسن"[2]، فجميع القراء حذفوها في هذا الموضع إلّا يعقوب، قال صاحب الكنز في القراءات العشر :" المحذوفة ياء واحدة وهي : (أطيعون) الآية3، أثبتها في الحالين يعقوب "[3]

وقال صاحب الموضح :" أثبتها يعقوب في الوصل والوقف، وحذفها جميع القراء في الحالين "[4].

وهذه القراءات العشر هكذا نقلها الرواة الثقات عن رسول الله صلّ الله عليه وسلم مشافهة بالسند المتواتر الصحيح، لأنّ القرآن الكريم نزل بسبعة أحرف كما أسلفت في مبحث القراءات، وإثبات مثل هذه الأحرف في مواضع وحذفها في مواضع أخرى أو إثباتها عند بعض القراء وحذفها عند البعض الآخر لعلّ الحكمة من ذلك الأخذ بالوجهين، وكلاهما صحيح موافق لسنن العرب في كلامهم، قال ابن أبي مريم :" فالإثبات إذاً أصل، والحذف تخفيف، وإثبات البعض وحذف البعض أخذ بالوجهين"[5].

---

[1] . ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير 8 / 375

[2] . الموضح في وجوه القراءات وعللها ص 256

[3] . الواسطي الإمام العلامة الشيخ عبد الله بن عبد المؤمن ابن الوجيه(ت 740 هـ)، ، الكنز في القراءات العشر تحقيق : هناء الحمصي منشورات محمد علي بيوض دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى 1998م ص 255

[4] . الموضح في وجوه القراءات ص 794

[5] . ينظر المصدر السابق ص 256

3 . معالم سورة نوح عليه السلام ومحاورها الكبرى :

تمحورت معالم سورة نوح عليه السلام في النقاط التاليّة :

. إرسال نوح عليه السلام برسالة الحقّ إلى قومه ودعوتهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

. تنوع أساليب وطرائق الدعوة إلى الله ما بين الترغيب والترهيب، والنذارة والبشارة، والحث على التأمل والتفكر في آلاء الله ونعمه، وتذكيرهم بأطوار خَلق الإنسان... استعمال كلّ الوسائل المتاحة واستغلال جميع الفرص السانحة والأوقات المناسبة للتبليغ وإقامة الحجة.

. معاناة نوح عليه السلام في سبيل تبليغ الحق وتألمه بسبب ما لقي من إعراض قومه وإنكارهم لدعوته .

. لجوء نوح عليه السلام إلى الركن الشديد وإلى خير ناصر برفع شكواه إلى الله القهار، والدنو والقرب منه جلّ في علاه بتنويع المناسبة الإفراديّة والتركيبة لاستغراق أطول وقت ممكن في مناجاته لله سبحانه. .

دعاء نوح عليه السلام على قومه الكفار بعد ما يئس من إيمانهم، وبعد ما أخبره الله تعالى باستحالة إيمانهم.

. إغراق الوثنيين من قوم نوح وهلاكهم، ونجاة المؤمنين.

. دعاء نوح عليه السلام لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات الذين أنجاهم الله من الغرق بصفة خاصة، ثمّ تعميم الدعاء لمطلق المؤمنين والمؤمنات على مرّ الأزمان والعصور من دون استثناء .

. هبوط نوح عليه السلام من السفينة بسلام إلى الأرض مع الناجين من الإغراق وإكمال الرسالة الربانية.

فكلّ هذه المحاور الكبرى في سورة نوح تصوّر لنا قصة نوح عليه السلام المبثوثة بين ثنايا سور

القرآن الكريم فيما يزيد عن ثلاثة وأربعين (43) موضعا تصريحا وإشارة :

. تصريحا : (أل عمران الآية 33، النّساء الآية 163، الأنعام الآية 84، الأعراف الآيات 59 ...، التوبة الآية 70، يونس الآيات 71 ...، هود الآيات 25...، إبراهيم الآية 9، الإسراء الآية 3، مريم الآية 58، الأنبياء 7، الحج الآية 42، المؤمنون الآيات 23...، الفرقان الآية 33، الشعراء الآيات 105...، العنكبوت الآية 14، الأحزاب الآية 7، الصافات الآيات 79، ص الآية 12، غافر الآية 5، الشورى الآية 13، ق الآية 12، الذّاريات 46، النّجم 25، القمر الآيات 9، الحديد 26، التحريم 10، نوح الآيات 1...) .

. إشارة : ذكر نوح عليه السلام وقومه إشارة وإيماء في مواطن كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر : في سورة الفاتحة قوله تعالى﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ٧**﴾ [الفاتحة: 6-7]، ونوح عليه السلام ومن آمن معه ممّن أنعم الله عليهم، قال تعالى في سورة النّساء ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا٦٩**﴾ [النساء: 69].

. وفي سورة البقرة قوله تعالى ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ١٣٦**﴾ [البقرة: 136].

. وفي سورة الأحقاف قال تعالى ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ٣٥**﴾ [الأحقاف: 35]، ونوح عليه السلام من أولي العزم.

. وفي سورة الحاقة الآية 11 ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ١١**﴾ [الحاقة: 11]،

طغى الماء : إشارة إلى الطوفان.

. حملناكم في الجارية : إشارة إلى سفينة نوح عليه السلام.

ويمكن القول بأنّ سورة نوح تعتبر النّواة الأساسية والمحور المركزي لقصة نوح، والمتضمّنة لكلّ ما هو متعلق بها، ومبسوط في المصحف الشريف، ومرصوف رصفا مخصوصا حسب السياق الذي تقتضيه كلّ جزئيّة من جزئيّات القصة، أي أنّ آيات سورة نوح المتضمنة لجزئيّات قصة نوح عليه السلام مبثوثة بين ثنايا سور القرآن الكريم كما هو مبيّن في ما يلي :

أولا : الإرسال بالرسالة الربّانيّة

قال تعالى في مطلع سورة نوح ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١**﴾ [نوح: 1] نجد هذا المعنى ودلالات أخر حسب ما يقتضيه رصفها في السياق

في قوله تعالى ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ٥٩**﴾ [الأعراف: 59] .

وفي سورة هود الآية 25 قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢٥**﴾ [هود: 25]

وفي سورة المؤمنون الآية 23 قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ٢٣**﴾ [المؤمنون: 23].

وفي سورة العنكبوت الآية 14 قال الله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ١٤**﴾ [العنكبوت: 14] .

وفي سورة الحديد الآية 26 قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ٢٦**﴾ [الحديد: 26].

ثانيا : دعوة نوح عليه السلام قومه إلى الحقّ والتلطف في مخاطبتهم مع إظهار شفقته عليهم

الآية 2 . 3 من سورة نوح ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣**﴾

[نوح: 2-3] نجد هذا المعنى في كثير من الآيات منها :

قوله تعالى في سورة الأعراف الآية 58 ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ٥٩**﴾ [الأعراف: 59]وقوله أيضا في سورة هود الآية 26 ﴿**أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ٢٦**﴾ [هود: 26] .

وفي سورة المؤمنون الآية 23 قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ٢٣**﴾ [المؤمنون: 23].

وفي الشعراء الآية 106 قال تعالى ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ١٠٦**﴾ [الشعراء: 106].

ثالثا : حرص نوح عليه السلام على هداية قومه بتنويع أساليب التبليغ واختيار أوقاتها كلّما سنحت الفرص ليلا ونهارا وبمختلف الكيفيات ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا٩**﴾ [نوح: 5-9] : يدخل في إطار هذه الآيات ذات الرصف البديع والسبك المحكم والاتساق العجيب كلّ ما هو مفصّل في المواضع المبثوثة في كتاب الله من قصة نوح عليه السلام متصل بجزئيات دعويّة انتهجها نوح عليه السلام بأساليب متنوعة في أوقات مناسبة رجاء استجابة قومه أو إقامة الحجة عليهم، وقد أشرت إلى طرف منها في مبحث مرحلة التبليغ...

رابعا : تكذيب قوم نوح بما جاء به نوح عليه السلام من ربّه جلّ في علاه : الآية الدالة على هذا المعنى في سورة نوح هي قوله تعالى ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا٢١**﴾ [نوح: 21]

ويتجلى هذا المعنى الذي تضمنته آية نوح في قوله تعالى من سورة الأعراف الآية59 ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ٥٩**﴾

[الأعراف: 59]

وفي سورة هود الآية 27 ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ٢٧**﴾ [هود: 27]،

وكذلك في الآية 33 ﴿**قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ٣٣**﴾ [هود: 33]

وفي سورة المؤمنون الآية 24، 25 ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ٢٤ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ٢٥**﴾ [المؤمنون: 24-25]

وكذلك في سورة الشعراء الآية 111 ﴿**قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ١١١**﴾ [الشعراء: 111]

وفي سورة القمر الآية 9 ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ٩**﴾ [القمر: 9]

خامسا : لجوء نوح عليه السلام إلى الركن الشديد ورفع شكواه إلى الله بعد عصيان قومه وإصرارهم على الكفر، وتكبرهم على الحقّ

قال تعالى في سورة نوح الآية 6 ﴿**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦**﴾ [نوح: 6]، وفي الآية 21 قال ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا٢١**﴾ [نوح: 21] ،

ونجد مثل هذا في سورة الشعراء الآية 117 ﴿**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ١١٧**﴾ [الشعراء: 117]

وأيضا في سورة الصافات الآية 75 ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ٧٥**﴾ [الصافات: 75]

سادسا : صنع السفينة ونجاة المؤمنين بها

يفهم هذا المعنى إشارة من الآيتين الكريمتين في سورة نوح :

الأولى : في مطلع السورة ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١**﴾ [نوح: 1]، فمن المفسرين من قال بأنّ العذاب الأليم هو الهلاك بالإغراق.

والثانية : قوله تعالى الآية 25 ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25]، وجاء تفصيل ذلك في آيات منها :

قوله تعالى ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ٣٧**﴾ [هود: 37]

وقوله تعالى ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ٢٧**﴾ [المؤمنون: 27]

وقوله تعالى ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ٣٨**﴾ [هود: 38] .

وقوله ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ٤٢**﴾ [هود: 42] .

سابعا : دعاء نوح عليه السلام على الكافرين من قومه بعد ما يئس من هدايتهم، وعَلِم بوحي من الله أنّه لن يؤمن منهم إلّا من قد آمن : قال تعالى في أواخر سورة نوح الآية 28 ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28] نجد هذا المعنى في سورة المؤمنون الآية 26 ﴿**قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ٢٦**﴾ [المؤمنون: 26] وفي الشعراء الآية 118 ﴿**فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ١١٨**﴾ [الشعراء: 118]

وفي سورة القمر الآية 10 قال تعالى ﴿**فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ١٠**﴾ [القمر: 10].

ثامنا : دعاء نوح عليه السلام لمن آمن من قومه، وطلب النجاة لهم :

وهذا المعنى يستنبط بمفهوم المخالفة، أي لمّا دعا نوح على قومه الكافرين بالهلاك (**ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا**) فبمفهوم المخالفة يفهم طلب التمكين للمؤمنين أهل الحقّ في الأرض، ونجاتهم من الهلاك.

ونجد في سورة الشعراء الآية 116 المعنى صريحا ﴿**فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ١١٨**﴾ [الشعراء: 118].

تاسعا : استجابة دعاء نوح عليه السلام (بهلاك الكافرين، ونجاة المؤمنين، والبشارة بأنّ ذريّته هم الباقين): والآية الدالة على هذا المعنى في سورة نوح قوله تعالى ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦**﴾ [نوح: 26]، هذا بالنسبة للكافرين من قوم نوح، ويفهم من الآية بأنّ الذين لم يقترفوا الخطايا من أتباع نوح عليه السلام وليّهم الله منجّي المؤمنين من عذاب الدنيا والآخرة ، وكذلك دلّت إيحاء آية الدعاء في آخر آية من سورة نوح ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28] على نجاة المؤمنين والمؤمنات أتباع النبيّ نوح عليه السلام من الغرق .

ونجد هذا المعنى في قول الله تعالى في سورة يونس الآية 73 ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ٧٣**﴾ [يونس: 73]

وفي سورة هود الآية 45 ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ٤٤**﴾ [هود: 44] .

وفي سورة المؤمنون الآية 28 ﴿**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ٢٨**﴾ [المؤمنون: 28] .

وفي الشعراء قال تعالى ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ١١٩**﴾ [الشعراء: 119]

وفي سورة الصافات الآية 76 قال تعالى ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ٧٦**﴾ [الصافات: 76]

وكذلك قوله تعالى في السورة نفسها الآية 82 ﴿**ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ٨٢**﴾ [الصافات: 82] .

عاشرا : تخصيص نوح عليه السلام الدعاء لوالديه ومن دخل بيته مؤمنا والمؤمنين والمؤمنات

﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28]، نجد معنى هذه الآية الكرية في قوله الله تعالى ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ٤١**﴾ [هود: 41].

ويفهم من الآية (**ربّ اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا**) إيماء عدم دخول ابنه الكافر وامرأته الخائنة في الدعاء لهما بقرينة التخصيص، لأنّ الله تعالى بيّن لنوح عليه السلام لمّا سأله النجاة لابنه ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ٤٥**﴾ [هود: 45]، وكذلك امرأته التي خانته بمخالفتها عقيدة نوح عليه السلام، قال تعالى ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ١٠**﴾ [التحريم: 10]

إحدى عشر : تعميم الدعاء

قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [نوح: 28] فيحيط هذا الدعاء ويصيب جميع المؤمنين والمؤمنات المتعاقبة على مرّ الأزمان والممتدّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى في معرض قصة نوح ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ٧٧**﴾ [الصافات: 77]،كما تدلّ هذه الآية الكريمة إيماء من خلال قرينة تخصيص الدعاء بالمغفرة للمؤمنين والمؤمنات دون سواهم بأنّه سيكون هناك أقوام من ذرية نوح عليه السلام كافرة ضالة لمّا تأت بعد حال دعائه عليه السلام، لأنّه لم يكن هناك كافر ضال بعد الإغراق، وهذا ما أكدته سورة هود في الآية 48 ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ٤٨**﴾ [هود: 48].

4 . تخصيص سورة نوح بقصة نوح عليه السلام :

قبل ذكر الحكمة من تخصيص سورة نوح بقصة نوح عليه السلام يمكن الإشارة إلى أنّ قصة نوح عليه السلام هي من أكثر القصص القرآني ذكرا في المصحف الشريف وانتشارا على غرار قصة آدم وإبراهيم وموسى ...عليهم السلام جميعا قال صاحب نفحات الرحمن في رياض القرآن :" خصص الله هذه السورة المكيّة (سورة نوح) بقصة نوح عليه السلام مع قومه لما فيها من التناسب والتشابه بين أولئك الأقوام وبين مشركي مكة، فكلّهم عبدوا الأصنام، وكلهم واجه دعوة رسوله بالصدود والإعراض، وبالسخريّة والاستهزاء، فأراد الله تعالى أن يبيّن عاقبة ذلك بعذاب الاستئصال الذي حلّ بقوم نوح، وفي ذلك إنذار وتحذير لكفار قريش، وتسلية لرسول لله في دعوته وما يتعرض إليه من أذى "[1].

[1] . كعباش محمد بن إبراهيم سعيد نفحات الرحمن في رياض القرآن ، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية الجزائر . قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015 . 14 / 161

5 . رصف سورة نوح عليه السلام ومناسباتها

5 . 1 . المناسبة بين اسم السورة ومحاورها :

" اسم السورة . كما هي في المصحف الشريف . سورة نوح، وقد سميّت باسم هذا الرّسول الذي يمثل الحقّ في هذه الفترة، وقد أُرسل إلى قومه لينقذهم من عذاب أليم، والسورة من أولها إلى آخرها أختصّت بقصة نوح عليه السلام، مصوّرة مجريات أحداثها طيلة زمنها الممتدّ، إذ تبدأ بتكليف الله نوحا بالرسالة، قال تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ**﴾، فنهض عليه السلام بمهمة الدعوة فورا امتثالا لأمر ربّه، فجهر بها، ونوّع الأساليب، وعدد الطرق لكي يصل الحقّ إلى أسماعهم، فتعيّه قلوبهم، ولكنّهم أغلقوا كلّ منفذ يمكن للحقّ الدخول منه، (**جعلوا أصابعهم في آذانهم**)، وقابلوا حرصه على دعوتهم بالإصرار على التكبر (**وأصرّوا واستكبروا**)، ثمّ رهّب ورغّب ...بغية إقناعهم، ولكنّهم عصوا رسول الله (**قال نوح ربّ إنّهم عصوني**)، ولمّا لم تجد هذه الوسائل المتعددة، ولا الأساليب المتنوعة في هدايتهم شيئا، وعلم يقينا أنّه لن يؤمن من قومه إلّا من قد آمن، دعا على قومه الكافرين (**وقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دَيَّارا**)، ثم ختمت السورة بدعاء صدّره نوح عليه السلام بطلب دعاء المغفرة لنفسه خشية أن يكون حصل منه تقصير في تبليغ الحقّ، ثمّ ثنّى بوالديه ولمن دخل بيته من المؤمنين والمؤمنات، ثمّ عمّ المؤمنين والمؤمنات في كلّ زمان ومكان ..."[1].

[1] . التفسير الموضوعي لسور القرآن ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ . د / مصطفى مسلم ، الإصدار رقم 102 كليّة الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة ط2010م . 8 / 363 . 364

5 . 2 . مناسبة رصف آيات سورة نوح عليه السلام :

قال وهبة الزحيلي :" بعد أن أخبر الله تعالى عن إرسال نوح عليه السلام إلى قومه، وامتثاله أمر ربّه، ذكر مناجاته لربّه وشكواه إليه، أنّه دعاهم وأنذرهم، فعصوه وتمردوا عليه، بالرغم من تغيير أساليب الدعوة، والوعد بإنزال الأمطار، والإمداد بالأموال والبنين، وتخصيص الجنّات والأنهار، وبالرغم من إقامة الأدلة على عظمة الله وقدرته من خلق الإنسان على أطوار، وخلق السماوات السبع الطباق، وتزيينها بالشمس والقمر، وجعل الأرض ممهدة كالبساط ..."[1].

5 . 3 . التناسب بين مطلع سورة نوح وخاتمتها :

يتجلى بوضوح للعيان ترابط وحدات سورة نوح وانسجامها بحيث يرتبط كلّ رصف ذي دلالة جزئية بالسابق واللاحق في تماسك تام مشكلا رصفا نصيا للسورة في نظم بديع، واتساق وانسجام منقطع النظير في استدعاء دلالاتها، وإحكام حلقاتها، والتناسب بين مطلعها وخاتمتها على أكمل وجه (إنذار ثمّ هلاك)، كما أومأ هذا التناسب بين المطلع والخاتمة إلى الدلالة على مراحل دعوة نوح عليه السلام الممتدة، وما تلقاه نبي الله نوح عليه السلام من إعراض قومه واستهزائهم به حتى جاء موعد هلاكهم، كلّ ذلك جاء متساوقا مع المنحى الدلالي لقصة نوح، قال البقاعي :" ولمّا كان التقدير بما أرشد إليه الاحتباك ولا تكرم المارقين عطف عليه قوله **(ولا تزد الظالمين إلّا تبارا)**، أي إلّا هلاكا مدمرا مفتتا لصورهم قاطعا لأعناقهم مخربا لديارهم، وكما استجاب الله سبحانه وتعالى له في أهل الإيمان والكفران من أهل ذلك الزمان، فكذلك يستجيب له في أهل الإيمان وأهل الخسران بالسعادة والتبار في جميع الأعصار... والآية من الاحتباك إثبات الدعاء المقتضي لأصل

[1] . الزحيلي وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . دار الفكر دمشق 2018 ط 14 . 15 / 152

إكرام المؤمنين أولا، مرشد إلى حذف الدعاء المفهم لأصل إهانة الكافرين ثانيا، وإثبات الدعاء بزيادة التبار ثانيا مفهم لحذف الدعاء الموجب لزيادة المفاز أولا، وهذا الآخر المفصح بالتبار هو ما أرشد إليه الابتداء بالإنذار، فقد انطبق الآخر على الأول على أصرح وجه وأكمل وأحسن حال وأجمل منال"[1].

وقال السيوطي في مراصد المطالع :" بدئت . سورة نوح . بالوعيد بالعذاب الأليم . قال تعالى في مطلعها(**أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم**) . وختمت به في قوله (**أغرقوا فأدخلوا نارا**) الآية 25 "[2] ، فتناسب استهلال أو مطلع السورة مع خاتمتها في رصف لآياتها عجيب يتناغم ودلالة قصة نوح عليه السلام التي تصوّر أول عذاب مهلك على قوم أعرضوا وكفروا بالحقّ المبين.

5 . 4 . دلالات رصف سورة نوح عليه السلام بين سورتي المعارج والجنّ من حيث ترتيب المصحف الشريف :

إنّ ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف الإمام ليس توفيقيا وإنّما هو ترتيب توقيفي بالعرضة الأخيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام . كما أسلفت في مبحث سابق . وهذا الترتيب ينطوي على حِكم باهرات ودلالات تصل إلى حدّ الإعجاز تدلّ على أنَّ ترتيب القرآن الكريم من حيث الأصوات والكلمات والآيات والسور كما هو مثبت في مصحف الإمام ترتيب توقفيّ من الله جلّ في علاه، قال الزركشي في البرهان :" ولترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطّلِع على أنّه توقيفي صدر عن حكيم :

---

[1] . البقاعي نظم الدرر ص 459 . 460

[2] . السيوطي الحافظ جلال الدين، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية الرياض ط الثانية 1434هـ ص 75

أحدهما : بحسب الحروف كما في الحواميم، **وثانيهما** : لموافقة أوّل السورة لآخر ما قبلها في المعنى كآخر الحمد وأول البقرة، **وثالثهما** : للوزن في اللفظ كآخر تبّت وأول الإخلاص، **ورابعها** : لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل : و(الضحى) و(ألم نشرح)"[1]

وإن كان هناك من يرى بخلاف ذلك في ترتيب السور بأنّه أمر اجتهادي، غير أنّ المتمعن في ترتيب سور القرآن الكريم من أصحاب النهى والعقول الحصيفة التي وقفت وتقف على دلالات إعجازيّة تثبت أنّها مرتبة بوحيّ من الله، ولا دخل للاجتهاد في هذا المجال، نهيك عن النّصوص والأدلة التي اعتمدها المثبتون، وقد أثبت الدكتور سعيد بن جمعة الفلاح في مقدمته لكتاب البرهان في تناسب سور القرآن طرفا منها للدلالة على توقيفها فقال :" منها ما يلاحظ من تناسب وترابط متين بين سور الكتاب في ترتيبها الثابت في المصحف الإمام، فإنّ بعضها آخذ برقاب بعض في نظم عجيب معجز، لا يمكن أن يُردَّ إلى اجتهاد البشر وإلّا كان ذلك منفذا للطعن واستنقاصا من شأن هذا الكتاب العزيز"[2]، وقد أكد هذا الأمر الشيخ ولي الدين الملوي من قبل فقال :" فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلّها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة واحدة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر"[3]، ومن أدلّ الأدلة على أنّ هذا الترتيب بوحيّ من الله " أنّ السور المتجانسة في القرآن لم يلتزم فيها الترتيب والولاء على الاطّراد، فإذا كانت الحواميم . السور التي تفتتح بـ (حم). قد رتبت ولاء فإنّ المسبحات . السور التي تفتتح بـ (سبح ويُسبح). لم يتمّ فيها ذلك، بل فصل بينهما بالمجادلة والممتحنة والمنافقون، كما فصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس النّمل مع أنّها أقصر منهما، فلو كان الترتيب اجتهاديا لالتزم فيه التجانس على

---

[1] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 1 / 260

[2] . الثقفي الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن ، تقديم وتحقيق د : سعيد بن جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي ط1428هـ . ص 55

[3]. السيوطي الإتقان في علوم القرآن ص في حدود 80

الاطّراد، ولما حصل التفريق بين المتماثلات من السور في فواتحها وفي طولها وقصرها"[1].

ومن بين هذه الدلالات التي يتفاوت العلماء والباحثون في استخراج دُرَرِها من خلال رصف السور القرآنيّة بهذا الترتيب البديع ما اصطلح عليه بـ (المناسبة)، أي مناسبة السورة بما قبلها وما بعدها، قصد الوقوف على الرابط الدلالي الجامع بينها وتجليّة معانيها، وقد أشار صاحب البرهان في علوم القرآن نقلا عن بعض الأئمة الأعلام إلى هذا المعنى مجملا فقال :" وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبيّة، والالتجاء إليه في دين الإسلام والصيانة عن دين اليهوديّة والنصرانيّة، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكملة لمقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ....، وأمّا سورة النساء فتتضمن جميع الأحكام بين الأنساب التي بين النّاس...، وأمّا المائدة فسورة العقود وبها تمام الشرائع، قالوا : وبها تمّ الدين فهي سورة التكميل، بها ذكر الوسائل كما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد... وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة من أحسن الترتيب"[2].

وبما أنّ هذه الدراسة مقتصرة على سورة نوح عليه السلام المرتبة في المصحف الشريف بين سورتي المعارج والجنّ حاولت جاهدا أن أقف على دلالات هذا الرّصف الترتيبي الذي لم يكن ترتيبا من دون حكمة أو معنى أو دلالة اقتضاها، لأنّ ما من حرف مقترن بحرف أو كلمة مع أختها أو آية مع ضميماتها أو سورة مع ما قبلها وما بعدها في كلام الله تعالى المُحكم إلّا وينطوي على معان تتماشى وعظمة القرآن الكريم المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، ومن أهم هذه الدلالات الرّصفيّة :

---

[1] . ينظر السيوطي الإتقان في علوم القرآن ص يمكن 84

[2] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 1 / 261

5 . 4 . 1 . دلالات المناسبة بين سورة المعارج وسورة نوح

قال الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال في زهرة التفاسير[1] :" هذه السورة (نوح) مكية هي وعدد سور سابقة عليها (الملك، والقلم، والحاقة، والمعارج ، وبينها وبين السورة السابقة (المعارج) ملاءمة ومناسبة، ذلك أنّ مطلع سورة المعارج ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ٢**﴾ [المعارج: 1-2])[2] قيل : إنّ السائل هو نوح عليه السلام دعا بنزول العذاب على قومه بعد أن كذبوه ولم يؤمنوا بما جاء به ما يقرب عشرة قرون من المكذبين والضالين جيلا الآخر، وطال صبره عليهم وانتظاره، فتعجّل نزول العذاب بهم، وهنا في سورة نوح إنذار من الله تعالى لهؤلاء القوم أُمِر بتبليغه إليهم نبيّهم نوح بعد أن تبيّن صرفهم في معاملتهم وإنكارهم الحقّ، واستمرارهم على العناد.

وضرب الأمثلة بالأمم السابقة وما حلّ بهم من العذاب طريقة قرآنيّة أريد بها تذكير الجاحدين والمنكرين رسالة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم "[3].

. ويمكن كشف الدلالات من وجه آخر بين مطلع سورة المعارج وسورة نوح التي تليها في ترتيب

---

[1] . تفسير القرآن الكريم الموسوم بـ (زهرة التفاسير) لصاحبه العالم الأزهري محمد أبو زهرة الذي وافته المنيّة رحمه الله تعالى قبل إكماله تفسير القرآن الكريم حيث انتهى إلى الآية 74 من سورة النمل، فقام الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال بإكمال هذا التفسير العظيم وبنفس الطريقة والعنوان إلى آخر آية من القرآن الكريم في سورة النّاس.

. سأل : فيها قراءات، " سال : غير مهموز، قرأها نافع وابن عامر مثل : قال، والوجه أنّه ممّا عينه واو نحو : قال، لأنّ العرب تقول هما يتساولان، مثل يتقاولان، وهو من الواو، ويكون بمعنى سأل المهموز

[2]. ويجوز أن يكون من الياء، ويكون من سال يسيل كباع يبيع، وهو من السيل لما قيل : إنّ السايل واد في جهنّم، ويدل على ذلك قراءة ابن عباس (سال سيل)، وقرأ الباقون (سأل) بالهمزة

والوجه : أنّه فعل ممّا عينه همزة، فحققت منه الهمزة فقيل (سأل)، ويجوز أن يخفف همزه فيجعل بينَ بينَ، أعني بين الألف والهمزة " ينظر الموضح في وجوه القراءات وعللها للإمام أبي عبد الله نصر بن علي محمد الشيرازي (ت 556هـ) تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني . دار الكتب العلميّة بيروت ط الأولى 2009 ص 789

[3] . هلال عبد الغفار حامد محمد، زهرة التفاسير . دار الفكر العربي القاهرة مصر 14 / 7539

المصحف وهو من خلال الجمع بين سبب النزول والمناسبة، فسبب نزول مطلع سورة المعارج (**سأل سائل**) هو كما قال النيسابوري :" نزلت في النضر بن الحارث حين قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك . (**وإذ قالوا اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**) الأنفال . فدعا على نفسه، وسأل العذاب فنزل به ما سأل يوم بدر وقتل، ونزل فيه ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ٢ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ٣**﴾ [المعارج: 1-3] "[1].

. **تخصيص العذاب الدنيوي بعد ذكر العذاب الغيبي للاعتبار والاتعاظ :**

وهذا المعنى يستفاد بالتمعن في الرّصف القائم بين خواتيم سورة المعارج و سورة نوح وتناسبهما البديع، فلمّا كان إنذار كفار قريش ومشركيها بعذاب الله في الدنيا والآخرة كما جاء في خاتمة سورة المعارج أعقبها بذكر عذاب دنيوي أليم مدمر مستأصل وهالك وقع لقوم تتقاطع عبادتهم مع عبادتهم . عبادة الأوثان . وتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليهم وسلّم كما كُذّب رسولهم من قبل، وهم قوم نوح عليه السلام، لعلّ في ذلك الاعتبار لمن كان له قلب مبصر، وسمع متلق، وعقل متدبر، قال البقاعي :" لمّا ختمت (سأل) . سورة المعارج . بالإنذار للكفار . وكانوا عباد أوثان . بعذاب الدنيا والآخرة أتبعها أعظم عذاب كان في الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام، وكان قومه عباد أوثان، وكانوا يستهزؤون به، وكانوا أشدّ تمردا من قريش، وأجلف وأقوى وأكثر، فلم ينفعهم شيء من ذلك عند نزول البلاء، وبروك النقمة عليهم، وإتيان العذاب إليهم "[2].

. دلالات المناسبة بين آيتي الصبر والإغضاء في سورة المعارج وسورة نوح : تتضح المناسبة بين

---

[1] . النيسابوري الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول الواحدي ، دار الضياء قسنطينة وقصر الكتاب البليدة ص 249

[2] . البقاعي درر نظم القرآن ص 423

آيتي المعارج المتضمنتين للصبر والإغضاء اللّتَيْن أُمِر بهما سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسورة نوح عليه السلام للدلالة على التسليّة والصبر كما صبر نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله التي دامت ردحا طويلا من الزمن، وما استكان يوما، وما انثنت عزيمته أبدا، رغم شدّة إعراض قومه وإنكارهم لدعوته، فإنّ الله تعالى " لمّا أمر نبيه صلى الله عليه وسلّم بالصبر في قوله ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا٥﴾ [المعارج: 5] وجليل الإغضاء في قوله ﴿**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ٤٢**﴾ [المعارج: 42] أتبع ذلك بذكر قصة نوح عليه السلام، وتكرار دعائه قومه إلى الإيمان، وخصّ من خبره حاله في طول مدّة التذكار والدعاء، لأنّه المقصود في موضع تسلية لنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم، ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ٣٥**﴾ [الأحقاف: 35]، فقد دام دعاء نوح قومه أدوم من مدّتك، ومع ذلك لم يزدهم إلّا فرارا ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا٨**﴾ [نوح: 5-8]... وانجرّ في هذا حضّ نبيّنا على الصبر على قومه، والتحمل منهم كما صرّح به في قوله تعالى ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ١٩٩**﴾ [الأعراف: 199]، وكما قيل له قبل ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ٤٨**﴾ [القلم: 48]، ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ١٢٠**﴾ [هود: 120] "[1] .

. دلالات المناسبة بين خاتمة سورة المعارج وافتتاحية سورة نوح عليه السلام في هذا الرّصف القرآني البديع " اختتمت سورة المعارج بالتأكيد على يوم البعث وأنّ المشركين سيلقونه والذلة تغشاهم

[1] . الثقفي البرهان في تناسب سور القرآن ص 195 . 196

. قال تعالى ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ٤٣**﴾ [المعارج: 43]، ثم افتتحت سورة نوح بمثال من الأمم السابقة رسول أرسله الله جلّ جلاله **(إنَّا أرسلنَا نُوحاً إلى قومه)** نوح، وهذا الرسول منهم كما أنّ محمداً صلى الله عليه وسلّم من قريش **(أن أنذر قومك)** نوح وظيفته الإنذار لا الإتيان بالعذاب، فما كان ينبغي على المشركين أن يسألوا وقوع العذاب، وإذا كان السؤال قد وقع فلينصتوا إلى خير الأمم السابقة، فإنّ في قصَصِهم عبراً، وبذا تجعل هذه الافتتاحيّة النّفوس متشوقة لمعرفة ما حصل من هؤلاء، وماذا كان جزاؤهم ... وخاصة أنّ الافتتاحيّة نصّت على العذاب **(من قبل أن يأتيَّهم عَذَابٌ أليمٌ)** نوح ..."[1]

كما أشارت خواتيم سورة المعارج إلى قوة الله القاهر على استئصال المشركين الكفرة المنكرين والمعارضين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم واستبدالهم بقوم آخرين يوحدون الله ويعبدونه " فقال سبحانه ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ٤٠ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ٤١**﴾ [المعارج: 40-41]ولئلّا يظنّ المكذبون من المشركين أنّ ذلك أمر غير ممكن ساق الله تعالى لهم مثلا على المكذبين وإهلاكهم من أولهم إلى آخرهم بقوم نوح، فكان سياق سورة نوح مناسبا لسياق سورة المعارج قبلها، فإنّ قوم نوح قد أغرقوا ولم يبق منهم في الأرض ديّار إلّا من آمن بنوح، وهم عدد قليل، وهكذا تناسب سورة نوح السورة التي قبلها، وترتبط بها ارتباطا معنويّا، وهذا يدلّ على سلامة ترتيب سور القرآن الذي جاء من لدن حكيم خبير وحيا إلهيا في ذروة البلاغة والفصاحة،والمناسب لمقتضى الحال "[2].

. **وخلاصة** دلالة رصف السورتين (المعارج ونوح) من خلال ما تضمنته السورتان الكريمتان من دلالات متكاملة دقيقة ومتناسبة، ومعان مترابطة ومتعالقة أنّه :" لما كان محور سورة المعارج هو

---

[1] . التفسير الموضوعي 8 / 364 . 365

[2]. هلال عبد الغفار، زهرة التفاسير 14 / 7539

الإيمان بالبعث بين المؤمنين والمنكرين فقد جاء الحديث في سورة نوح عن الفريق الذي أنكر يوم البعث، وأصرّ على ذلك واستكبر، فكانت السورة تعرض نماذج من سلوكيات هذا الفريق التي لا تبعد كثيراً عن تصرفات المنكرين في كلّ زمان ومكان، ومنهم مشركو قريش الذين استهزءوا بالبعث، وبالرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك ذكرت السورة عقاب قوم نوح عليه السلام في الدنيا والآخرة تعريضاً بالمشركين عَلّهم يرتدِعون ويأخذون العبرة من هذه السورة "[1] .

. ويمكن القول كذلك أنّ دلالة رصف سورتي المعارج ونوح هو ما أشار إليه البقاعي بأنّ :" مقصودها الدلالة على تمام القدرة على ما أنذر به آخر (سأل) . المعارج . من إهلاك المنذَرين، وتبديل خير منهم، ومن إيجاد يوم القيامة الذي طال إنذارهم به وهم عنهم معرضون، وبه مكذبون، وعنه لاهون. وتسميتها بنوح عليه السلام أدل ما فيها على ذلك"[2].

5 . 4 . 2 . دلالات رصف سورتي نوح والجنّ بترتيب المصحف الشريف

يمكن حصر أهم الدلالات المستفادة من رصف السورتين والمناسبة بينهما في ما يلي :

. التشابه بين دعوة أول رسول أرسل (نوح عليه السلام)، وخاتم رسول بعث (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) :

أول رسول بعثه الله تعالى إلى قومه هو نوح عليه السلام، وليس معنى ذلك بأنّه لم تكن هناك رسل وأنبياء قبل نوح عليه السلام، والله تعالى يقول ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ٧٨**﴾ [غافر: 78]، إنّما المقصود بأول رسول . وهو نوح عليه

---

[1] . التفسير الموضوعي 8 / 365

[2] . البقاعي نظم الدرر ص422 . 423

السلام . بعث إلى أول من أحدث عبادة من دون الله (عبادة الأوثان) والخروج عن ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ ٣٠**﴾ [الروم: 30] ، وعن صبغة الله ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ١٣٨**﴾ [البقرة: 138] ، بمخالفتهم لرسول الله نوح عليه السلام وتكذيبهم له، وتمسكهم بالباطل، قال صاحب نظم الدرر :" لمّا كان نوح عليه الصلاة والسلام أول رسول أرسله الله تعالى إلى المخالفين من أهل الأرض، وكان قومه عباد أوثان، وعصوه أشدّ العصيان، مع أنّه كان منهم نسبا ولسانا، وختمت سورته بدعائهم عليهم، وكان نبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، فهو آخر رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض وغيرهم من جميع الخلق، وكان قومه العرب قد وافقوا قوم نوح عليه السلام في أكثر أحوالهم عبادة الأوثان حتى تلك الأوثان إمّا بأساميها أو بأعيانها على ما ورد في الأخبار[1]، وفي عصيان رسولهم واستضعاف أتباعه واستهزائهم بدئت هذه بما كان من سهولة من سمع هذه الدعوة الخاتمة الجامعة من غير الجنس أصلا عن الموافقين في الجنس مع قصر الزمان وضعف الأعوان لجلالة هذا القرآن، فقال منبها له بالأمر على ما في هذا من عظيم القدر، مع الإشارة في تبكيت العرب على التباطئ عن الإجابة إلى ما يعرفون من رشده بمعناه ونظمه، لكونه بلسانهم، وكونهم من نوع الداعي وقبيله وأقرب الداعي إليه..."[2]، وهذا ما أومأ إليه القرآن الكريم وأشار إليه سياقه في كثير من المواضع من خلال اقتران رسالة نوح عليه السلام برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الترتيب ثمّ يتوالى ذكر الرسل عليهم السلام نحو قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا١٦٣**﴾ [النساء: 163]]، وفي سورة الشورى قوله تعالى ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا**

[1] . من الأخبار الواردة في هذا الصدد في كتب السنن والسيّر

[2] . البقاعي نظم الدرر ص 461 . 462

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ١٣﴾ [الشورى: 13].

. التشابه بين قوم نوح عليه السلام وقوم نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم في عبادتهم الأوثان

التشابه القائم بين قوم نوح عليه السلام والعرب المشركين من قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في عبادتهم الأوثان وشركهم بالله وحده لا شريك له، لأنّ أول من أحدث عبادة الأصنام على البسيطة هم قوم نوح عليه السلام، والعرب أعادوا بعثها وعبادتها في جزيرتهم، وجعلوها وسائط بينهم وبين الله تقربهم إليه زلفة، قال في التحرير والتنوير :" وكان قوم نوح مشركين كما دلّ عليه قوله في سورة يونس ﴿ **فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ٧١**﴾ [يونس: 71] ، وبذلك كان تمثيل حال المشركين من العرب بحال قوم نوح تمثيلا تاما"[1].

وقال صاحب زهرة التفاسير :" ربّما تكمن المناسبة في التشابه بين قوم نوح عليه السلام وقوم سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم في أنّهم كانوا يعبدون الأصنام، حتى إنّ المشركين (مشركي الجزيرة العربيّة) أعادوا أسماء الأصنام التي كانت في عهد قوم نوح وعبدوها "[2]، وقد ذكرت بعضا منها آنفا.

. إبراز حقيقة الجنّ وتوضيح ما يتوهمه ضعفاء الإنس

ولعلّ من دلالات المناسبة بين السورتين(نوح والجنّ) المتراصفتين في ترتيب المصحف إبراز حقيقة الجنّ وما نسج حولها من أوهام وخرافات شاعت في قوم نوح عليه السلام وقوم سيدنا محمد

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 188

[2] . هلال عبد الغفار، زهرة التفاسير 14 / 7594

صلى الله عليه وسلم، لأنّ قوم نوح عليه السلام لمّا طال عليهم العهد من بعد إيمان آبائهم وأجدادهم بالواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد زَيَّن لهم إبليس تعظيم الصالحين منهم

(**وُدّا وسُوَاعا ويَغُوثَ ويَعُوق ونَسْرا**) في البداية، وبتقادم الأيّام وسوس إليهم باتخاذها أصناما تُعبد من دون الله . وإبليس من الجنّ قال تعالى ﴿ **إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ٥٠**﴾ [الكهف: 50] .

فأُرسل نوح عليه السلام لإنذار قومه وإبطال عبادة الأصنام، وتبصيرهم بما مسّهم من طائف الشيطان ، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وإتباع الحقّ المبين والحقيقة الناصعة، والتخلي عن الأوهام الباطلة، والتخيّلات الزائفة، والسراب الكاذب، والخوف المفرط ممّن لا حول له ولا قوة، وكذلك قوم سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم لمّا طال عليهم العهد بعد أن كان آباؤهم وأجدادهم في التعبد على طريقة أبينا إبراهيم عليه السلام ردحا من الزمن زيّن إبليس لبعض سفهائهم جلب عبادة الأصنام من بلاد الشام إلى الجزيرة العربيّة، فشاعت وانتشرت عبادتها من دون الله في ربوعها وحناياها كما تنتشر النار في الهشيم، فكثرت بينهم الخرافات والمخاوف بل الخوف من العوالم الأخرى توهما وتخيلا التي حلت محلّ الحقيقة المغيّبة عن قلوبهم، واستحوذت تلك الأوهام على تفكيرهم فكانت سببا في سذاجة عبادتهم وتسفيه عقولهم رغم شدتهم وجلادتهم وسرعة بديهتهم، قال الرافعي :" فليس في أخلاقهم إلّا الاستسلام للوهم والتخيّل، وإلّا الخوف من كلّ شيء تكون فيه روح الطبيعة كما زعم العرب من البيات مع الغيلان (إناث الجنّ)، وتزوج السعالى (جمع سعلاة : وهي سحرة الجنّ)، ومجاوبة الهواتف (جمع هاتف، وهي الجنّ تهتف بهم وتنذرهم)، والروغان عن الحّن إلى الجنّ (الحّن : نوع من الجنّ)... وصحبة الرئى (جنّي يكون لبعض النّاس يخبره بالغيب)، وما كان لهم من خدع الكاهن، وتدليس العراف، والعيافة (التكهن بالطير أو غيرها)،

والتنجيم، والزجر (أن يزجر الطير ليسعد أو يتشأم إذا أراد أن يهم بأمر)، أو الطرق بالحصى (وسيلة من وسائل للتكهن) وغيرها من خرافاتهم المعروفة، ثمّ الخوف من كلّ شيء تعرف فيه روح الطبيعة، كالأوثان وسائر ما قدسته العادات والشعائر..."[1].

وقال صاحب الظلال في تفسير قوله تعالى ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا٦**﴾ [الجن: 6] :" وهذه إشارة من الجنّ إلى ما كان متعارفا في الجاهلية . وما يزال متعارفا إلى اليوم في بيئات كثيرة . من أنّ للجنّ سلطانا على الأرض وعلى النّاس، وأنّ لهم قدرة على النفع والضرّ، وأنّهم محكمون في مناطق من الأرض أو البحر أو الجو... إلى آخر هذه التصوّرات... والشيطان مسلط على قلوب بني آدم . إلّا من اعتصم بالله فهو في نجوة منه، وأمّا من يركن إليه فهو لا ينفعه، فهو عدو له، إنّما يرهقه ويؤذيه... ولعلّ هذا الرهق هو الضلال والقلق والحيرة التي تنوش قلوب من يركنون إلى عدوهم، ولا يعتصمون بالله منه ويستعذون كما هم مأمورون منذ أبيهم آدم وما كان بينه وبين إبليس من العداء القديم"[2] والآيات الكثيرة تبين مثل هذه الأوهام للأسف التي سيطرت على الإنسان إلّا من آمن واعتصم بالله القاهر قال تعالى ﴿ **يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ١١٢**﴾ [الأنعام: 112] (بل كانوا يعبدون الجنّ)، فبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيهم بالقرآن العظيم " فجاء القرآن يسفه تلك الطباع منهم، ويحول بينهم وبين ذلك الماضين، ويصرفهم إلى العمل، ويذهب عنهم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، ويأتيهم بالبصائر من ربّهم، ويهديهم بالعقل إلى أسرار الطبيعة ليعلموا أنّها مسخرة لهم فلا يسخروا أنفسهم لها، وحرم عليهم التقديس وما في حكمه، وبصرهم بما مسّهم من طائف الشيطان وما نزغهم من أمره خيالا أو وهما أو شعرا أو

---

[1] . ينظر الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص 129

[2] . سيّد قطب، في ظلال القرآن 6/ 3728

عبادة، وجعل أفضل الفضائل في الذي قام يدعو وهو النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم أنّه ابن يومه، وابن عمله، وابن عقله، فلا هو مفاخر ولا واهم ولا شاعر..."[1].

. من دلالة المناسبة كذلك الآثار مشتركة بين الاستغفار والاستقامة

وهذا ما هو ملاحظ بين الاستغفار الذي ذكر في سورة نوح عليه السلام والاستقامة التي ذكرت في سورة الجنّ، بحيث أنّ هناك تقاطع مشترك بينهما يتمثل في تلك النعمة من الله الدائمة العطاء على الإنسان بصفة خاصة وجميع المخلوقات بصفة عامة وهي نعمة الماء، وهذا ما " يبدو من المناسبة بين أثر الاستغفار بنزول المطر وما يتبعه من الخير، ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا١٢**﴾ [نوح: 10-12]، وأثر الاستقامة على الإنسان من نزول المطر الذي يشربون منه عذبا زلالا، ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا١٦**﴾ [الجن: 16] "[2]، والاستقامة كما أمر الله تعالى " تؤدي إلى السعادة التي ليس بعدها سعادة، وأنّ رخاء العيش وشظافته هما لون من ألوان الابتلاء والاختبار، كما قال تعالى(**ونبلوكم بالخير والشرّ فتنة**) آية الأنبياء... وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية : أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة "[3].

والماء هو أصل المعاش والرزق، قال تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ٣٠**﴾ [الأنبياء: 30]، ونظير هذا المعنى في مواطن كثيرة من كتاب الله منها قوله تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ٩٦**﴾ [الأعراف: 96]، وقوله ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا٢**﴾ [الطلاق: 2]...

---

[1] . الرافعي إعجاز القرآن ص129 . 130

[2] . هلال عبد الغفار زهرة التفاسير 14 / 7594

[3] . الطنطاوي التفسير الوسيط للقرآن الكريم 15/ 140

. التوفيق من الله تعالى

ومن الدلالات المبهرة التي تستنبط من تماسك سورة نوح بما قبلها وما بعدها الآخذ بعضها برقاب بعض في نظم عجيب معجز أنّه لمّا " تقدم ذكر حال كفار قريش في تعاميهم عن النّظر، وجريّهم إلى اللدد والعناد حسبما انطوت عليه سورة (ن) القلم، ثمّ أتبعت بوعيدهم في سورة الحاقة ثمّ بتجميعه وقرب وقوعه في سورة المعارج ثمّ بتسليته صلى الله عليه وسلّم وتأنيسه بقصة قوم نوح أعقب ذلك بما يتعظ به الموفَق، ويعلم أنّ القلوب بيد الله "[1] فجاءت سورة الجنّ عقب سورة نوح بعد أن بيّنت هذه الأخيرة مآل المعرضين لسبيل الحق، والمخالفين جحودا والمنكرين تعمدا لما جاء به رسل الله عليهم السلام جميعا، وإن كانت كذلك تعريضا بكفار قريش.

5 . 5 . دلالات رّصف سياقات قصة نوح عليه السلام :

. سورة نوح جامعة ومتضمنة لقصة نوح عليه السلام، ذكرت تفاصيل مجملاتها بإيقاع قصصي دقيق في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، تتساوق ودلالات رصفها وموضعها في السورة القرآنيّة منها :

. سورة الأعراف التي ذكرت فيها قصة نوح عليه السلام مع عدد من القصص لرسل الله عليهم السلام مع أقوامهم في رصف بديع له من الدلالات المبهرة المعجزة أهمها :

. أولا : زمن مبعث نوح عليه السلام

قصة نوح عليه السلام ذكرت في هذه السورة (الأعراف) بعد قصة أبي البشريّة آدم عليه السلام وقبل قصة هود عليه السلام، ثمّ توالى ترتيب القصص على النحو التالي (آدم، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، شعيب، موسى) عليهم السلام جميعا.

---

[1] . ينظر الثقفي البرهان في تناسب سور القرآن ص196

فمن هذا الرّصف القرآني البديع لبعض القصص تحدد التسلسل الزّمني الذي بعث فيه كلّ نبيّ ورسول تضمنته هذه السورة الكريمة بهذا الترتيب، فرسول الله نوح عليه السلام ذكرت قصته بعد قصة آدم عليه السلام، وقبل قصة هود عليه السلام ممّا دلّ على أنّ زمن مبعث نوح عليه السلام إلى قومه منحصر بين آدم عليه السلام وهود عليه السلام ، والقرينة السياقيّة المستفادة من الرّصف نفسه الدالة على ذلك بعد قرينة الترتيب هي قوله تعالى على لسان هود عليه السلام في تذكير قومه بنعم الله عليهم بعد أن جعلهم الله خلفاء من بعد قوم نوح ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ٦٩**﴾ [الأعراف: 69] قال صاحب الظلال :" والقصص في القرآن لا يتبع دائما ذلك الخط التاريخي، ولكنه في هذه السورة . الأعراف . يتبع هذا الخط، ذلك أنّه يعرض سير الركب البشري منذ النشأة الأولى، ويعرض موكب الإيمان وهو يحاول هداية هذا الركب، واستنقاذه كلّما ضلّ تماما عن معالم الطريق، وقاده الشيطان كلية إلى المهلكة، ليسلمه في نهايتها إلى الجحيم"[1]. .

ثانيا : لم يكن حين مبدأ مبعث نوح عليه السلام مؤمن واحد يوحد الله على المعمورة، وهذا ما أشارت إليه آية سورة نوح ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣**﴾ [نوح: 23] الدالة على أنّ قوم نوح عليه السلام لم يكونوا موحدين لله تعالى، وإنّما كانوا عباد أوثان، ويظهر هذا المعنى جليّا من خلال الموازنة بين آيات سورة الأعراف المرصوفة في قصتي نوح وهود عليهما السلام، والألفاظ المختارة بدقة متناهيّة المناسبة لرصف القصة القرآنيّة المتساوقة مع معانيها ودلالاتها، ففي قصة نوح عليه السلام قال نوح لقومه كما جاء في القرآن

[1] . سيّد قطب في ظلال القرآن 3 / 1304

الكريم ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ٥٩**﴾ [الأعراف: 59].

أمّا في قصة هود عليه السلام فقال النبي هود عليه السلام لقومه . وقومه قريبو عهد بقوم نوح عليه السلام، ذكّرهم نبيّهم هود عليه السلام بنعم الله عليهم . ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ٦٩**﴾ [الأعراف: 69].

كما جاء في آية 64 من سورة الأعراف ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ٦٥**﴾ [الأعراف: 65]، فكان جواب قوم نوح مغايرا لجواب قوم هود، وكلّ من الجوابين مناسب للمقام ومقتضى الحال، ولذا جاء سياق كلّ قصة برصف بألفاظ تناسب دلالاته إلى درجة الإعجاز، فنوح عليه السلام بعد أن أمر قومه بعبادة الله وحده أعقب ذلك بقوله (**إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**)، أمّا هود عليه السلام بعد أن أمر قومه بمثل ما أمر به نوح عليه السلام قومه فأعقب ذلك بقوله (**أفلا تتقون**) فقط، ولم يقل مثل ما قال نوح لقومه (**إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**)، وما قاله نوح لقومه دلّ على أنّ الأمم السابقة لم تشهد عذابا هالكا مستأصلا، " لأنّه لم تكن هناك سابقة عذاب من الله لتأديب الكافرين والمعاندين، ولكن عندما جاء هود بعد نوح كان الطوفان قد حدث، وكان النّاس عندهم سابقة علم بما حدث لمن سبقهم، ولذلك لم ينذرهم لأنّهم علموا سلفا ما حدث للمكذبين في عهد نوح... (**أفلا تتقون**) أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية ولكم سابقة قد حدثت لقوم نوح"[1].

قال الشيخ الشعراوي " نلاحظ أنّ جواب قوم نوح اختلف عن جواب قوم هود، فقوم نوح قالوا ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ٦٠**﴾ [الأعراف: 60]، وقوم هود قالوا ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ**

[1] . الشعراوي قصص الأنبياء 1/ 384

كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ٦٦﴾ [الأعراف: 66]، والضلال : هو البعد عن الحق، والسفاهة هي الطيش والخفّة "[1].

. رابعا: أول عذاب من الله نزل على قوم نوح

المعنى الدقيق يقتضي رصفا معينا وسبكا للألفاظ بطريقة مخصوصة، بحيث لا يتأتى المعنى المراد من الخطاب والدلالة المتوخاة منه إلّا من خلال رصف معيّن مترابط الألفاظ في مقام وسياق معينين، فتنبيه نوح عليه السلام لقومه وترغيبهم في ما عند الله (و**لتتقوا ولعلّكم ترحمون**) يتناسب مع حالهم، وما هم عليه بعد أنّ قال لهم ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ٦٣**﴾ [الأعراف: 63]، والإنذار أُمر به نوح عليه السلام في مطلع سورة نوح قال تعالى (**أن أنذر قومك**)، والامتثال لهذا الأمر ذكر في السورة نفسها عقب هذه الآية الكريمة، قال تعالى (**قال يا قوم إنّي لكم نذير مبين**)، ومن وراء الإنذار العمل بثلاثة أشياء (عبادة الله، وتقوى الله، وطاعة النبيّ نوح عليه السلام، " وجزاء هذه الثلاثة وثوابها أن يزيل مضار الآخرة عنهم، وهو قوله تعالى (**يغفر لكم من ذنوبكم**)،ويزيل عنهم مضار الدنيا بقدر الإمكان، وذلك بأن يؤخر أجلهم إلى أقصى الإمكان "[2]، وهذا الجزاء كلّه من بركة التقوى ومن رحمة الله التي رغب فيها نوح عليه السلام قومه فقال(**ولعلّكم ترحمون**) وبالتدقيق والتمعن في رصفي الآيتين المتشابهتين في قصتي نوح وهود المتراصفتين في سورة الأعراف وهما :

الأولى : على لسان نوح عليه السلام ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ٦٣**﴾ [الأعراف: 63] .

---

[1] . قصص الأنبياء للشيخ الشعراوي 1 / 385

[2] . الرازي الإمام محمد الفخر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، دار الفكر . بيروت . ط الأولى 1981. 134 / 15

الثانيّة : على لسان هود عليه السلام ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ٦٩**﴾ [الأعراف: 69]. نلاحظ

الفارق الدلالي المستنبط من ألفاظ الآيتين الكريمتين أنّ هودا عليه السلام لم يزد عن الإنذار في قوله (**لينذركم**)، أمّا نوح عليه السلام من قبل فقال زيادة عن الإنذار الذي يشترك فيه مع هود (**ولتتقوا ولعلّكم ترحمون**)، لأنّ نوح عليه السلام بُعث إلى قومه ولم يُعرف أنّ الله تعالى أنزل عذابا من قبل على قوم سبقوه، فجيء بقوله (**ولتتقوا ولعلّكم تُرحمون**) بعد (**لينذركم**)، أي جعل الوقاية بينهم وبين عذاب الله بالانقياد والاستسلام لما جاء به نوح عليه السلام من الله.

أمّا في قصة هود عليه السلام فلم يقل (**ولتتّقوا**)، بل قال فقط (**لينذركم**)، لأنّ العذاب كان قد وقع، ولذلك أنذرهم هود عليه السلام بأن ذكّرهم بالعذاب الذي وقع، فكأنّ قوم هود وهم خلفاء لقوم نوح كان لابد أن يتذكّروا ما حدث لقوم نوح ويأخذوا العبرة، وكان ذلك أن يطلب منهم أن يتقوا دون أن يشير إلى سابقة حدث فعلا لتجعلهم يتأكدون أنّ العذاب واقع، ثمّ ذكّر هود قومه برحمة الله عليهم ونعمه، وفي هذا يقول الحقّ ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ٦٩**﴾ [الأعراف: 69]"[1].

. خامسا : الإلحاح في الدعوة

رصف آيات سورة نوح عليه السلام الدالة على تنوع طرائق الدعوة إلى الله وأساليبها، والإلحاح على ذلك (ليلا ونهارا، جهرا وسرا، أو الجمع بينهما)، كلّ ذلك مرصوفا في سورة نوح عليه السلام ، كما أنّنا ما نلمحه حين الموازنة بين رصفي قصتي نوح وهود في آيتي الأعراف إثبات حرف

[1] . الشعراوي قصص الأنبياء للشيخ 1 / 382

المعنى (الفاء) في (فقال) في قوله ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ٥٩**﴾ [الأعراف: 59]] وانعدامه في قصة هود؛ أو مجرد من الفاء (قال) في قوله تعالى في السورة نفسها﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ٦٥**﴾ [الأعراف: 65]، فإثبات (الفاء) في قصة نوح يؤكد طبيعة الإلحاح المستمر لدعوة نوح عليه السلام المثبت في آيات سورة نوح، فبالإضافة إلى دلالة حرف الفاء الدالة على التعقيب آية نوح (فقال) لها دلالة إيحائيّة تستفاد من سياقها للدلالة على الإلحاح، قال الشيخ الشعراوي :" الخلاف فقط في نوح قال الحق سبحانه وتعالى (**فقال**)، وفي هود (**قال**) بدون الفاء، وهذا الاختلاف لا ينتبه له الكثيرون،ولكنّه دقة في الأداء القرآنيّ، لأنّ المتكلّم هو الله، (الفاء) هنا في رسالة نوح تقتضي التعقيب، أي كلّ ما أتاه جبريل بوحي يبلّغه لهم، وتفيد الإلحاح، وهذا ما تبيّنه سورة نوح في إلحاحه على قومه بدعوتهم للإيمان، ولذلك يقول الحقّ عن نوح (**قال ربّ إنّي دعوت قومي ليلا ونهارا**) نوح، وهكذا نرى إلحاح نوح عليه السلام في الدعوة لله، وهو مناسب لاستخدام (**الفاء**)، أمّا هود فلم يكن هناك إلحاح في الدعوة مثل نوح، ثمّ أنّ نوحا عاش مع قومه ألف سنة إلّا خمسين عاما مدّة طويلة يدعوهم فيها سرا وعلانيّة، ولذلك كان لابد من استخدام (**الفاء**)، أمّا هود فعاش مع قومه مدّة أقل "[1] كأنّه لا يحتاج إلحاحا متكررا في تبليغ دعوته مثل دعوة نوح عليه السلام الممتدّة، فناسب ذلك عدم إثبات (الفاء) في (قال).

سادسا : الاستمرار في الدعوة إلى الله وتنوع مراتبها، وهذا ما يستفاد من تكرار (ثُمّ) ثلاث مرات في سورة نوح (ثمّ إنّي) الدالة على التراخي الذي يتناسب مع قصة نوح من حيث :

---

1. الشعراوي قصص الأنبياء 1 / 382

. **الزمان** : بحيث دعوة نوح عليه السلام استمرت ألف سنة إلّا خمسين عاما، فيحتاج فيها عليه السلام إلى تجديد الدعوة ، وتنويع أساليبها وطرائقها.

. **ومن حيث الرّتبة** : لأنّ الجهر بالدعوة أقوى من السرّ، والجمع بينهما أقوى وأمكن من كلّ واحدة منهما على حدة، قال الرازي :" وكلمة (ثُمَّ) في قوله تعالى (**ثُمّ إنّي دعوتهم**) دالة على تراخي بعض هذه المراتب . المناصحة في السرّ والمجاهرة، والجمع بين الإعلان والإسرار . عن بعض إمّا بحسب الزمان أو بحسب الرتبة، لأنّ الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الإسرار والجهار أغلظ من الجهار وحده "[1] .

5 . 6 . دلالة رصف سورة نوح من حيث ترتيب النزول :

. ولعلّ القول الذي يرى بأنّ سورة نوح توسطت سورتي النّحل وإبراهيم من حيث النزول هو الأقوى للاعتبارات التالية :

أولا : أنّ أكثر أهل العلم قديما وحديثا على هذا القول بأنّ سورة نوح نزلت بعد سورة النّحل وقبل سورة إبراهيم.

. ومن القدامى الزركشي صاحب البرهان ذكر هذا الترتيب النزولي ضمن ترتيب السور المكيّة، وذهب إلى استقرار روايته عند الثقات فقال :" أول ما نزل من القرآن ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ١**﴾ [العلق: 1]... ثمّ النّحل، ثمّ نوح، ثمّ إبراهيم..."[2]، ووافقه على ذلك السيوطي صاحب الإتقان، واستأنس لذلك بما رواه البيهقي الإمام المحدث في دلائل النبوة، وابن ضريس في فضائل

---

[1] . الرازي التفسير الكبير 15 / 137

[2] . ينظر الزركشي البرهان في علوم القرآن 1 / 193 . 194

القرآن"[1]، وذهب إلى هذا القول كذلك الزمخشري صاحب الكشاف[2]، ومن المعاصرين شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي صاحب التفسير الوسيط للقرآن الكريم قال :" وكان نزولها . (أي سورة نوح) . بعد سورة النّحل وقبل سورة إبراهيم"[3].

ثانيا : الترابط القائم بين سورتي النّحل ونوح، والتقاطع الحاصل بينهما في كثير من الدلالات والمعاني منها :

. الاستهلال المطلعي للسورتين حول يوم القيامة، والإنذار، وعبادة الله وحده، فكلا السورتين جمعتا تلك المعاني، قال تعالى في مطلع سورة النّحل ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ١ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ٢**﴾ [النحل: 1-2]، وفي سورة نوح قال تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢**﴾ [نوح: 1-2].

. التذكير بنعم الله وآياته الدالة على عظمته وقدرته المطلقة من خلال التناسب القائم بين آيات الدالة عليها، ومنها :

. نعمة خلق الإنسان قال تعالى في سورة النّحل ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ٤**﴾ [النحل: 4] ناسب هذا الرصف ما ذكر في سورة نوح إشارة لأطوار خلق الإنسان قال تعالى ﴿**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا١٤**﴾ [نوح: 14] .

نعمة الماء التي هي سبب لكثير من النّعم، قال تعالى في سورة النّحل ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ١٠**﴾ [النحل: 10] ناسبها في سورة نوح قوله تعالى

---

[1] . السيوطي الإتقان في علوم القرآن ص 21 . 22

[2] . الزمخشري الكشاف 4 / 1691

[3] . الطنطاوي التفسير الوسيط للقرآن الكريم 15 / 109

﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا١٣**﴾ [نوح: 11-13].

وقوله تعالى في النّحل ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ١٣**﴾ [النحل: 12-13] يتناسب مع ما رصف في سورة نوح ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا١٩ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا٢٠**﴾ [نوح: 16-20].

. تفصيل المجمل من الأساليب الدعوية

ناسب هذا الإجمال في أواخر سورة النحل . والخطاب لسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه .

﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ١٢٥**﴾ [النحل: 125] تفصيل بعض أساليب الدعوة التي انتهجها نوح عليه السلام . المذكورة في سورة نوح . في دعوة قومه إلى سبيل الله، وهم أشبه بقوم رسول الله الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأساليب الدعوية :

. استمالة القوم بالنداء للإقبال عليه بأذهانهم وأسماعهم.

. وإضافتهم إليه بلفظ (يا قوم) لأنّه هو منهم وهم منه، ولا يريد لهم إلّا ما يريد لنفسه من خير، وما يتطلع إليه من عزّ وسعادة في الدارين، فهذا أحرى بقبول النصيحة.

. الاستدلال عليهم بآثار وجود الله ووحدانيته وقدرته ممّا في أنفسهم من الدلائل إلى ما في العالم منها... من تذكير بالنعمة وإقامة للحجة "[1]، إلى آخره من أساليب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن حسب ما يقتضيه المقام مع تخير أوقاتها وأزمنتها.

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 202

. **الأمر بالصبر**

لما أُمر نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر على دعوة الخلق إلى الله والصبر على آذاهم، والاستعانة بالله وحده لا شريك له ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ١٢٧**﴾ [النحل: 127] أتبع ذلك بسورة نوح المنطوية على أنموذج من أولي العزم من الرسل عليهم السلام جميعا مع قومه، وهو سيدنا نوح عليه السلام رمز الصبر في دعوته إلى الله طيلة ألف سنة إلّا خمسين عاما، ولم يثنه عن الدعوة إلى الله تخاذل قومه، وكفرهم بما أمر به، وكيدهم وإستهزاؤهم به، وإعراضهم عن الحقّ جيلا بعد جيل، بل واصل دعوته إلى آخر رمق من حياته، مستغفرا ربّه تأدبا معه جلّ في علاه عن التقصير (**ربّ اغفر لي**) وهو من هو عليه السلام، فكان في ذلك دلالة على الحض على التحمل، وتسلية لرسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ثالثا : دلالات رصف ترتيب سورة إبراهيم بعد سورة نوح من حيث النزول :

لعلّ هذا الرّصف الترتيبي من حيث النزول . ناهيك عن الشواهد التي أشرت إليها سابقا . يتسق مع التناسب القائم بين السورتين (نوح وإبراهيم) من وجوه متعددة تتساوق ودلالات قصة نوح عليه السلام أذكر منها :

. بعد ذكر قصة نوح في سورة نوح عليه السلام أتبعت بطرف من قصة إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم لما لها من وقع إيجابي على العرب، لأنّ قصة إبراهيم أقرب لاستمالة قلوبهم . قوم النّبي محمد صلى الله عليه وسلم . فهم أعرف بإبراهيم عليه السلام، ويتفاخرون بالنسب إليه، وهم سدنة البيت الذي بناه، وهم على بقية من طريقته رغم ما اعتراها من مخالفات وانحرافات وبخاصة ما يتعلق بشعائر الحجّ... .

كما أنّ هذا الرّصف يشير إلى نسب نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم من حيث الدم (البيولوجي)، والنسب الدعوي.

. **نسب الدم (البيولوجي)** المتصل إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام كما هو معروف عند علماء سيرته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، كما أشارت إليه الآية الكريمة على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ٣٧**﴾ [إبراهيم: 37]، وفي آية صريحة من سورة البقرة قال تعالى على لسانه ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ١٢٩**﴾ [البقرة: 129] ، فإبراهيم عليه السلام هو أبوه الأقرب أمام النّبي نوح عليه السلام، ونوح عليه السلام هو أبوه الأبعد، لأنّ نوحا عليه السلام يعتبر أبو البشرية الثاني بعد آدم عليه السلام بسبب حادثة الطوفان التي بيّن القرآن الكريم أنّ ما بقي من العنصر البشري الممتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أصله من صلب نوح عليه السلام، قال تعالى في معرض قصة نوح عليه السلام ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ٧٧**﴾ [الصافات: 77].

. النسب الدعوي ووحدة الرسالة

بداية من نوح عليه السلام وختاما بخاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد صلى الله عليه السلام الذي هو في الأصل امتداد لرسالة أبيه إبراهيم عليه السلام، قال تعالى مخاطبا نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم في سورة النّحل ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ١٢٣**﴾ [النحل: 123]، وأمره بالصبر ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ١٢٧**﴾ [النحل: 127] ، ثمّ أتبع ما يتناسب مع ذلك بسورة نوح المتضمّنة

ذروة الصبر لصاحب الرسالة الأولى سيدنا نوح عليه السلام . على أرجح الأقوال . لأنّ الصبر على تبليغ الرسالة الرّبانية متكرر في كلّ زمان ومكان كما قال صاحب الظلال :" هذه السورة (نوح) كلّها تقص قصة نوح عليه السلام مع قومه، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشريّة، وشوطا من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشرّ، والهدى والضلال، والحقّ والباطل "[1]، ثمّ أعقبها بسورة إبراهيم التي تتضمن " حقيقة وحدة الرسالة والرسل، ووحدة دعوتهم، ووقفتهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة "[2] .

. واقتران السورتين (نوح وإبراهيم) في رصف واحد من حيث النزول يتناسب وذكر نوح عليه السلام مقرونا بإبراهيم عليه السلام في كثير من المواضع القرآنية إذا ما تعلق الخطاب الموجه إلى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بسياق الاصطفاء والوحي والميثاق والوصية...

نحو قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية 7 ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا٧**﴾ [الأحزاب: 7] وقوله في سورة الشورى ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ١٣**﴾ [الشورى: 13]، ولا يظهر هذا الاقتران مطردا في سرد القصص القرآني المتميّز بإيقاعه الخاص، فعلى سبيل المثال في سورة الأعراف ذُكرت على الترتيب قصة آدم ثمّ نوح ثمّ هود ثمّ صالح ثمّ إبراهيم... وفي سورة الشعراء ذكرت قصة موسى أولا ثمّ إبراهيم ثمّ نوح ثمّ هود... حسب ما يقتضيه السياق وهذا الرّصف القرآني البديع الجامع بين نوح وإبراهيم سمة أسلوبيّة لافتة للنظر لعلّها تدلّ إيماء على أنّ :

---

[1] . سيّد قطب في ظلال القرآن 4 / 2077

[2] . المرجع السابق 4 / 2097

إبراهيم عليه السلام وذريته هم الوارثون لرسالة نوح عليه السلام إلى أن تصل إلى خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم . وهو من ذرية إبراهيم عليه السلام . ممتدّة تعاليم هذه الرسالة وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الغراء في أتباعه إلى يوم الدين.

وهذا ما يفهم أيضا من قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ٣٣**﴾ [آل عمران: 33]، إذ لم يذكر ههنا أسماء نبيين ورسل في هذا الرّصف القرآني بين نوح وإبراهيم، وإن كان القرآن الكريم في موضع آخر في آية الأنعام ذكر بين نوح وإبراهيم النبيين ولم يصرح بأسمائهم قال ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا١٦٣**﴾ [النساء: 163] إشارة إلى أنّ هؤلاء النبيين انقرضت وبادت ذرياتهم وأقوامهم، مثل قوم هود عليه السلام (عاد)، وصالح عليه السلام (ثمود)، فآلت رسالة نوح عليه السلام إلى نبي الله إبراهيم وآل إبراهيم.

. التناسب بين دعاء نوح عليه السلام في أواخر سورة نوح ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28] ودعاء نبيّ الله إبراهيم عليه السلام ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ٤٠**﴾ [إبراهيم: 40].

. توافق المناسبة بين ترتيب النزول وترتيب المصحف الشريف لسورة نوح :

من عجيب نظم القرآن العظيم ورصفه لمّا أمر الله نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر في أواخر سورة النحل أعقبها بسورة نوح من حيث الترتيب النزولي لتناسبها مع ما ذكر في سورة النّحل بما تحمله بين ثناياها من مواطن صبر نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله كما أسلفت تسلية لرسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وكذلك من حيث ترتيب المصحف الشريف على التوالي بين سورتي المعارج ونوح " لمّا أمر الله تعالى نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر في ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا٥**﴾ [المعارج: 5]... أتبع ذلك بذكر قصة نوح عليه السلام، وتكرار دعائه قومه إلى الإيمان، وخص من خبره حاله في طول مدة التذكار والدعاء، لأنّه المقصود في الموضع تسلية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ٣٥**﴾ [الأحقاف: 35]، ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ٨**﴾ [فاطر: 8]، فقد دام دعاء نوح قومَه أدوم من مدتك، ومع ذلك لم يزدهم إلّا فرارا ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥**﴾ [نوح: 5]، ثمّ مضت آي السورة على هذا المنهج من تجريد الإخبار بطول مكابدته عليه السلام، وتكرار دعائه، فلم يزدهم ذلك إلّا بعدا وتصميما على كفرهم، حتى أخذهم الله وأجاب فيهم دعاء نبيّهم عليه السلام ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦**﴾ [نوح: 26]، وذلك ليأسه من فلاحهم، وانجرّ في هذا حضّ نبيّنا عليه الصلاة والسلام على الصبر على قومه والتحمل منهم..."[1].

[1] . الثقفي البرهان في تناسب سور القرآن ص 195

6 . تناسب الألفاظ مع الامتداد الزمني لقصة نوح عليه السلام :

ويمكن توضيح هذا التناسب من خلال بعض الألفاظ المستعملة في رصف قصة نوح الحاملة لشحنات دلالية خاصة، والتي تتساوق مع منحاها الزمني :

أولا : (انصح) وهذا من خلال الموازنة بين توظيف لفظ (النصح) في قصتي نوح وهود المرصوفتين تباعا في سورة الأعراف .

. جيء بفعل **(انصح)** . من النصح . مرصوفا مع باقي ألفاظ آيات قصة نوح عليه السلام المذكورة في سورة الأعراف للدلالة على التجدد والاستمرار. والتجدد والاستمراريّة من دلالات الفعل، وخاصة الفعل المضارع . قال تعالى على لسان نوح عليه السلام مخاطبا قومه ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ٦٢**﴾ [الأعراف: 62] كما أنّ هذا الفعل (انصح) يتساوق ويناسب مع تنوع طرائق وأساليب الدعوة والنّصح المتجددة التي تضمنتها سورة نوح حسب ما تقتضيه مدة مكوث النبيّ نوح عليه السلام في قومه داعيا إلى الله ما يزيد عن تسعة قرون ونيف ما بين إنذار وبشارة، وترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وتذكير ، دون كلل ولا ملل، وكلّ ما سنحت سانحة إلّا وألَحّ في التبليغ عن الله، والدعوة إليه، ليلا و نهارا، سرا وجهرا...

قال صاحب قصص الأنبياء :" ونوح في إلحاحه على قومه ليلا ونهارا وجهرا وسرا كان متجدد الدعوة "[1]

. وبمقابلة فعل (انصح) المستعمل في قصة نوح واسم الفاعل (ناصح) المستعمل في قصة هود المرصوفين في آيات الأعراف على الترتيب يتجلى بوضوح وإعجاز أنّ فعل (انصح) يتماشى مع مسار قصة نوح كما أسلفت،أمّا قوم هود فكذبوا رسولهم، وسفهوا ما جاء به، وأعرضوا عن الحق،

[1] . الشعراوي قصص الأنبياء 1 / 186

وهم أقرب النّاس زمنا بقوم نوح، وأعلم بما أصابهم من هلاك وعذاب أليم لمّا خالفوا رسولهم الذي أرسل إليهم، فجيء باسم الفاعل (ناصح) مرصوفا مع ألفاظ آيات قصة هود في هذا الموضع لما يقتضيه المقام والسياق من تحذّير هود عليه السلام قومه من عذاب الله وهلاكهم إن لم يتقوا الله ويرجعوا إليه قريبا، فقال (**أبلّغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصح أمين**) الأعراف68، ولكن طيش قومه وتسفيههم لنبيّهم عجّل لهم الهلاك، فاستعمال اسم الفاعل (ناصح) . الدال على الثبوت . يتساوق مع قصة هود للدلالة على أنّ دعوة هود عليه السلام ثابتة وقصيرة الزّمن أمام دعوة نوح عليه السلام، ولو استعمل فعل(انصح) في هذا الموضع كما استعمل في قصة نوح لما انسجم مبنى الألفاظ مع معنى القصة من حيث دقة الرّصف، وإعجاز النّظم.

ثانيا : لفظة (**رسالات**) . جمع رسالة . تتناسب في الاستعمال والمسار الزمني لدعوة نوح عليه السلام، قال تعالى (**أبلغكم رسالات ربّي**) يمكن أن يكون المعنى ههنا في هذا السياق القرآني البديع أنّ نوحا عليه السلام لم يتلق من الله رسالة واحدة طيلة دعوته الممتدّة زمنا طويلا فحسب، بل تلقى رسالات، وكلّما جاءته رسالة من هذه الرسالات الربّانية بادر بتبليغها كما أمر ليلا ونهارا، وخاصة أنّ نوحا عليه السلام بلّغ دعوة الله لخمسين جيلا من قومه ممّا يقتضي رسالات متجددة بتجدد الأجيال، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة من سورة نوح ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧**﴾ [نوح: 7] .

ذكر الشيخ الشعراوي أنّ نوحا عليه السلام :" يتلقى كلّ يوم رسالة من الله، وكلّما جاءت رسالة بلّغها لقومه، لأنّه لو قال : رسالة ربّي لكان من اللازم إمّا أن تنزل الرسالة عليه مرة واحدة في وقت واحد، وإمّا أن يبقيها عنده ولا يبلغها للنّاس إلّا إذا اكتملت..."[1]، ويتضح هذا المعنى جليا

[1] . الشعراوي قصص الأنبياء 1/ 266

باستدعاء رصف قرآني مُشاكل له في قصة أخرى من السورة نفسها وهي قصة صالح عليه السلام الذي لم تدم دعوته ورسالته في قومه زمنا طويلا كما يفهم من ظاهر القرآن الكريم، وهذا بعد ما أمر صالح عليه السلام قومه بعبادة الله وحده، وألّا يشركوا به أحدا، وذكّرهم بنعم الله عليهم ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ٧٤**﴾ [الأعراف: 74]، ونصحهم وجاءهم بمعجزة الناقة، ومع ذلك استكبروا وكفروا وعقروا الناقة فقال لهم نبيّهم ﴿**فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ٦٥**﴾ [هود: 65]، ففي اليوم الموعود ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ٦٧**﴾ [هود: 67]، فتناسبت لفظة (رسالة) في قوله (**أبلغتكم رسالة ربّي**) بالمدّة التي قضاها صالح عليه السلام في قومه مبلغا أقصر من مدّتي نوح وهود عليهما السلام .

ثالثا : لفظة (فسوف) استعملت هذه الكلمة أو هذا المساعد الصيغي المقترن بالفعل المضارع (تعلمون) في سياق صنع السفينة، بحيث أنّ الملأ من قوم نوح كلّما مرّوا عليه وهو منهمك في صنع السفينة . كما أُمر في مكان بعيد عن البحر في وسط اليابسة سخروا منه وقالوا من ينقل هذه السفينة إلى البحر، فجاء هذا السياق القرآني على لسان نوح عليه السلام (فسوف تعلمون) في قوله تعالى ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ٣٨**﴾ [هود: 38] هود للدلالة على المستقبل البعيد، أي على أوسع مدى زمني إلى ساعة هلاكهم بالإغراق، كما أنّ هذا المساعد الصيغي (فسوف) في رصف الآية الكريمة السابقة يشير إشارة لطيفة بأنّ نوحا عليه السلام استغرق سنوات طوال في صنع السفينة كما أورد ذلك ابن كثير في تفسيره عن بعض السلف فقال :" أمره الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه وييبسه فكان ذلك في مائة سنة، ونجرها في مائة سنة أخرى، وقيل: أربعين سنة.

والله أعلم "[1]، فمن خلال هذه المعاني المستوحاة من لفظة (فسوف) يتجلّى بوضوح مبهر تناسب استعمال هذه الكلمة وتناغمها مع المدّة الزمنيّة التي قضاها نوح مبلّغا رسالات ربّه للأجيال المتعاقبة طيلة ألف سنة إلّا خمسين عاما.

. لفظة (**ثمّ**) : تكررت في سورة نوح عليه السلام في ثلاث آيات على الترتيب (8 . 9 . 18) قوله تعالى ﴿**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا٨**﴾ [نوح: 8] و قوله ﴿**ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا٩**﴾ [نوح: 9] وقوله ﴿**ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا١٨**﴾ [نوح: 18]، وهذا التوظيف القرآني للفظة (ثمّ)الدالة على التراخي وتكرارها في هذه المواضع المختلفة مع اختلاف الأحوال وتباعدها تتناسب مع المنحى الزمني لقصة نوح عليه السلام ، وقد أشار إلى هذا المعنى صاحب كتاب نظم درر القرآن فقال :" ولما ذكر دعاءه في جميع الأوقات مع إعراضهم، وكان هذا مؤيسا وموجبا للإقلاع عن الدعاء، وإن وجد الدعاء بعده فهو في غاية البعد منه على إيجاده مع الاستغراق به لجميع الحالات كما استغرق جميع الأوقات فعبر بأداة التراخي للدلالة على تباعد الأحوال فقال (ثمّ)"[2].

---

[1] . ابن كثير تفسير القرآن العظيم 2 / 926

[2] . البقاعي نظم درر القرآن ص 435

7 . الإيقاع القصصي في سورة نوح :

تمتاز قصة نوح عليه السلام على غرار سور القرآن الكريم كلّه وآياته بل كلّ مقطع منه ومشهد وقصة ومطلع وختام بأسلوب إيقاعي فني بديع مبهر أخاذ، ويعدّ" الإيقاع القصصي الصوت الداخلي لمعمار القصة، فالتنويع والتقارب في القصة يحملان عناصر التصميم الذي يؤدي تأثيرا يشعر به القارئ، فهذا هو إيقاع القصة الذي يضبط حركة الحدث والمكان والزمان والخط واللون، وينظمها ويكسبها معنى جديدا، وبعدا جديدا"[1]، فقصة نوح تنتهي بهلاك الكافرين المعارضين لنوح عليه السلام وإغراقهم عن بكرة أبيهم بعد إنذارهم المتكرر ردحا طويلا من الزمن، ونجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه من المؤمنين والمؤمنات، وهذا ما أشارت إليه الآيات الثلاث في سورة نوح على التوالي ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢**﴾ [نوح: 1-2] إشارة إلى الغرق والهلاك حال الإعراض، وقوله تعالى ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25]، بيّنت هذه الآية الكريمة مصير المعاندين المكذبين لدعوة نوح عليه السلام، وهو الإغراق في الدنيا والنّار في الآخرة، بالإضافة إلى ذلك أشارت ضمنيا إلى نجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه.

ولعلّ أدلّ آية في السورة الدالة على النجاة قوله تعالى ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28] بقرينة تعميم نوح عليه السلام الدعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات على مرّ الأزمنة والأمكنة؛ واختلاف الأمصار والعصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولم يكن يومئذ على البسيطة من النّاس إلّا قوم نوح، ولم يبق عليها إلّا من نجا بالسفينة على الجودي بعد الطوفان الشامل الذي عمّ الأرض والله تعالى قال في

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ص 23

آية القمر ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢**﴾ [القمر: 11-12]، وقال في سورة هود (**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤٤**﴾ [هود: 1-44] أي استوت السفينة بركابها على قمّة الجبل، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في سورة نوح (ممّا خطيئاتهم أغرقوا) ضمنيا، لأنّ سبب استحقاق قوم نوح الإغراق هو خطاياهم الجسام التي لا تغتفر، ومن أكبرها الشرك بالله وعبادتهم الأوثان، وتماديهم في الإعراض عن دعوة نوح، واستهزائهم المستمر برسول الله عليه السلام وعدم إقلاعهم عن كلّ ذلك، وبمفهوم المخالفة لهذه الآية الكريمة استحق النجاة من وحد الله تعالى، واتبع رسول الله نوح عليه السلام، فأكرموا بسفينة . من صنع نوح عليه السلام بوحي من الله تعالى . تحملهم بسلام، وتحميهم من الطوفان المغرق، قال تعالى في سورة هود الآية41 على لسان نبيّه نوح عليه السلام ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ٤١**﴾ [هود: 41] فالمتأمل في هذه الآية الكريمة المذكورة آنفا والمتمعن في رصفها العجيب الذي يصور المرحلة الأخيرة لجاهزية السفينة لتأدية وظيفتها التي من أجلها أوحى الله إلى نوح بصنعها تجعله يبحث عن فكرة صنع السفينة ومراحل انجازها واستعمالها حتى استوت على الجودي، وتشرئب نفسه إلى معرفة أهم الأحداث والدقائق الهامة التي دارت بين نوح وقومه قبل وأثناء وبعد صنع السفينة التي تصوّرها قصة نوح عليه السلام المبثوثة بين ثنايا آيات سور القرآن الكريم في مشهد مشوق أخاذ مليء بالدلالات والعبر، بداية بأمر الله تعالى لنوح عليه السلام بتبليغ دعوة الله إلى غاية استواء السفينة على الجودي، ونجاة من فيها، وهلاك من تخلّف عنها.

وهذه الآيات الثلاث في سورة نوح التي سبق ذكرها هي المعالم الكبرى التي تصوّر قصة نوح إجمالا، والمتضمنة لمجريات أحداثها من بدايتها إلى نهايتها، المفصلة بين تضاعيف سور القرآن الكريم، والموزعة بين ثناياه بذكر جزئيّات القصة أو رصف قصصي مخصوص من القصة حسب

ما يقتضيه سياقها القرآني المعجز.

فالإيقاع القصصي في قصة نوح يمكن من خلاله تحديد مراحل وتصوير أحداث القصة على النحو التالي :

. المرحلة الأولى : مرحلة ما قبل الصدع بالدعوة إلى الله

وتشمل (الاصطفاء والوحي والهداية والإرسال)، وذكرت هذه الأربع على هذا الترتيب في آيات من سور القرآن الكريم مرتبة بترتيب سور المصحف الشريف .

. الاصطفاء : في قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ٣٣**﴾ [آل عمران: 33] المرتبة في المصحف الإمام الثالثة بعد سورة البقرة.

. الوحي : في قوله ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا١٦٣**﴾ [النساء: 163] وهي الرابعة في المصحف بعد آل عمران .

. الهداية : في قوله تعالى ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ٨٤**﴾ [الأنعام: 84] السادسة في المصحف بعد المائدة .

. الإرسال : فأول ذكر للإرسال كان في الأعراف على حسب ترتيب المصحف في قوله تعالى ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ٥٩**﴾ [الأعراف: 59] المرتبة السابعة بعد الأنعام، ثمّ تكرر ذكر الإرسال في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، مع ذكر جوانب متعددة وجزئيات مغايرة بما يتناسب والسياقات المختلفة لقصة نوح عليه السلام، وهذا الترتيب العجيب للآيات (اصطفاء ـ وحي ـ هداية ـ إرسال) يتناسب مع مسار القصة تصاعديا، وأعجب منه أنّ ترتيب هذه المعاني من خلال مواضعها

القرآنية تجاري ترتيب سور المصحف الشريف تصاعديا كذلك، ولعلّ هذا الترتيب المعجز يصلح أن يضاف كدليل لتوقيفية ترتيب سور المصحف الإمام.

. الترتيب المعجز ودلالته :

الإعجاز الترتيبي يظهر جليا من خلال تتبع تعدد رصف لفظ (الإرسال)، ومطاوعة كلّ رصف للمعنى الذي يقتضيه السياق متساوقا مع ترتيب سور المصحف الشريف ترتيبا تصاعديا

. الآية الأولى : . ذكرت في سورة الأعراف السابعة في ترتيب المصحف قوله تعالى ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ٥٩**﴾ [الأعراف: 59]، وهي آية الإرسال الأولى الدالة على بداية المرحلة الثانية من قصة نوح عليه السلام بعد المرحلة الأولى الممثلة في (الاصطفاء والوحي والهداية) المذكورة على التوالي في سورة آل عمران والنساء والأنعام المرتبة ترتيبا تصاعديا في المصحف الشريف، فأمر عليه السلام بتبليغ دعوة الله إلى قومه والصدح بها إذانا بعهد جديد ترفع فيه كلمة الله تعالى بين قوم طمست عقولهم بالخرافات، وعمت بصائرهم، وتغلغلت في سويداء قلوبهم عبادة الأوثان، فكان الاستفتاح المناسب لمستهل هذه المرحلة من قصة نوح دعوة النبي نوح عليه السلام قومه بالتحرر من عبودية الهوى وسلطان الشهوات وطائف الشيطان, ولا يكون ذلك إلّا بعبادة الواحد الأحد الهادي إلى الطريق المستقيم فقال (**يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**)، وأشفق عليهم في حال التكذيب والإعراض ببيان ما ينتظرهم من أهوال جسيمة، وعذاب لا طاقة لهم به يوم القيامة، فقال(**إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**).

ولقد لخّص صاحب الظلال تساوق ما ذكر من قصة نوح في هذه السورة مع محاورها فقال :" تعرض القصة هنا باختصار، ليست فيها التفصيلات التي ترد في مواضع أخرى من القرآن

في سياق يتطلب تلك التفصيلات، كالذي جاء في سورة هود وفي سورة نوح... إنّ الهدف هنا هو تصوير تلك المعالم التي تحدثنا عنها آنفا... طبيعة العقيدة، طبيعة استقبال القوم لها، حقيقة مشاعر الرسول، تحقق النذير، لذلك تذكر من القصة فحسب تلك الحلقات المحققة لتلك المعالم على منهج القصص القرآني"[1].

. **الآية الثانية :** في سورة هود إحدى عشرة في المصحف

قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢٥ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ٢٦**﴾ [هود: 25-26].

الآية الثالثة : في سورة المؤمنون المرتبة الثالث والعشرين في المصحف

قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ٢٣**﴾ [المؤمنون: 23]..

- **الآية الرابعة :** في سورة العنكبوت التاسعة والعشرين في المصحف قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ١٤**﴾ [العنكبوت: 14]، والإعجاز في هذا الترتيب أنّه ينتقل حسب مسار القصة بذكر المآل المؤجل والمآل المعجل والحال كأنّها ماثلة أمامنا بداية من :

. التحذير من أمر جلل يشيب منه الولدان، ومن عذاب يوم عظيم مؤجل غيبي في الحياة الأخرى الباقية لمن خالف وأعرض عن عبادة الله وحده لا شريك له.

. ثمّ الإنذار مرة أخرى من عذاب أليم قريب سابق (الهالك بالطوفان لمن كفر) .

. ثمّ تذكيرهم بتقوى الله بعد الإنذار.

---

[1] . سيد قطب في ظلال القرآن 3/ 1308

. وهذا كلّه طيلة ألف سنة إلّا خمسين عاما. .

ثمّ جاء سياق آخر يسلط الضوء على ذريّة نوح وإبراهيم الذين ورثوا الكتاب والنّبوة في سورة الحديد المرتبة السابع والخمسين في المصحف الشريف، وإن كان مطلعها تأكيد إرسال النبيَين نوح وإبراهيم عليهما السلام، قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ٢٦**﴾ [الحديد: 26]- ثمّ جمعت هذه الآيات إجمالا وتفصيلا في مطلع سورة نوح المرتبة إحدى وسبعين في المصحف في قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢**﴾ [نوح: 1-2]

- الترتيب من حيث النزول

لعلّ من الإعجاز أن نجد هذه الآيات الأربع المذكورة سلفا ترتيب سورها من حيث النزول مطابق وموافق لترتيبها في المصحف الشريف مساوقة للمنحى الدلالي لقصة نوح عليه السلام وفق مسارها الزمني كما أشرت إلى ذلك سلفا في ترتيبها التصاعدي في المصحف الشريف، وقد ذكر صاحب البرهان في علوم القرآن بأنّ ترتيب السور المكيّة الخمس وثمانين المرتبة حسب النزول قد استقرت رواية الثقات على هذا الترتيب (..الأعراف...هود...المؤمنون..العنكبوت...)، ثمّ أورد قول ابن عباس رضي الله عنه الذي يرى بأنّ آخر ما نزل بمكة سورة العنكبوت"[1] .

أمّا سورة الحديد التي ذكرت فيها الآية المذكورة سلفا في سياق ذكر" النبيين الكريمين نوح وإبراهيم

[1] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 1/ 193 . 194

عليهما السلام اللذين جعل الله النبوة والكتاب في ذريتهما"[1] هي من السور التي نزلت بالمدنية المنورة بعد (إذا زلزلت) وقبل (سورة محمد)[2] .

. **المرحلة الثانية** : مرحلة التبليغ

وهذه المرحلة هي التي شغلت الحيز الأكبر للنّص القرآني المؤلف لقصة نوح عليه السلام في المصحف الشريف عامة وسورة نوح خاصة.

. وسورة نوح وإن كان موضوعها الغالب هو التقرير الذي رفعه نوح إلى ربّه جلّ في علاه طيلة مسيرته الدعويّة في قومه وشكواهم إيّاه تعالى إلّا أنّها تتحدث عن مرحلة تبليغ دعوة الله وما يرتبط بها من تنوع للأساليب والطرائق المختلفة والأوقات السانحة والأحوال المختلفة...فكانت جلّ آياتها تدور حول تبليغ الدعوة الربّانية، بداية من الآية الثانية (**إنّي لكم نذير مبين**) إلى الآية الرابع والعشرين من مجموع ثمان وعشرين آية، فمنها ما هو مجمل مفصل في مواضع أخر في سور متفرقة نحو ما في :

. **سورة الأعراف** في خمس آيات من مجموع ست آيات من أصل قصة نوح في هذه السورة، بداية من الآية 59 إلى 63 حول (العبادة، والإنذار، والنصح، والعلم، والتقوى، والرحمة...).

. **وفي سورة يونس** في الآيتين 71 . 72 حول (حسن التوكل على الله، والثقة المطلقة به تعالى، وقوى الشرّ جميعها لا تغني شيئا أمام من اعتصم بالقوي القهار سبحانه وتعالى، والاعتزاز بالإسلام ...) .

. **وفي سورة هود** بداية من الآية 25 إلى الآية 43 تمحورت حول (الإنذار، وعبادة الله وحده

---

[1] . السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 806

[2] . ينظر المصدر السابق 1 / 194

ودحض الشرك، تبيين الرسالة الربانيّة ورحمة الله عليه...) .

. وكذلك في آيات سورة المؤمنون وسورة الشعراء ....

. المرحلة الثالثة : نجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه وهلاك الكافرين

وهذه المرحلة صورتها آيات سورة هود في رصف عجيب يموج بحركية ماثلة للعيان بداية من قوله تعالى ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ٤١**﴾ [هود: 41]

- ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ٤٢**﴾ **[هود: 42]** - ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ٤٤**﴾ [هود: 44] - ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ٤٨**﴾ [هود: 48]

7 . 1 . الإيقاع المفرد في قصة نوح :

والمقصود بالإيقاع المفرد هو الشخصية المحورية التي تدور حولها القصة من البداية إلى النهاية؛ أو" إنسان واحد يمثل نفسه، إذ أنّ أغلب شخصيات القصص القرآني مفردة "[1]، فنبي الله نوح عليه السلام هو الشخصية المحورية التي رصدت قصته في القرآن الكريم جميع مراحله وتحركاته طيلة الزمن الدعوي الذي عايشه بعسره ويسره مع قومه زهاء ألف سنة إلّا خمسين عاما، مع الإشارة إلى أهمّ الأحداث والتنقلات في الأمكنة التي ذكرت تصريحا تارة وإيماء تارة أخرى في سورة نوح، كما بسطت جزئياتها الهامة مفصلة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم وفق ما يقتضيه السياق القرآني.

يمكن تلخيص هذا الإيقاع القصصي تصاعديا من اصطفاء نوح عليه السلام إلى نهاية قصته

---

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام دراسة أسلوبية ص 23

بإغراق معارضيه ونجاته مع من آمن بدعوته من قومه في الفلك المشحون وهبوطه بسلام و تعميره الأرض مع أدائه رسالة ربّه كاملة على النحو الآتي :

اصطفاء نوح عليه السلام وإرساله من الله عزّ وجل ــ دعوة نوح قومه لتوحيد الله ــ إنذار قومه من قبل أن يأتيهم عذاب أليم من بعد تماديهم في الإعراض ــ تنويع طرائق الدعوة من بشارة وإنذار، وترغيب وترهيب حرصا على قومه لعلّهم يرشدون ــ السفينة (الألواح، الدسر) ومكان صنعها ــ مناجاة نوح ربّه ورفع الشكوى إليه ضد قومه ــ فوران التنور بالماء(مكان يحضر فيه الخبز) ــ دعوة نوح المؤمنين والعوالم (من كلّ زوجين اثنين) ركوب السفينة ــ تفجير الأرض عيونا بالماء، وفتح السماء بماء منهمر ــ أمواج كالجبال ــ مسلك السفينة ــ الجوديّ (جبل) واستواء السفينة ــ نجاة نوح عليه السلام مع المؤمنين وإغراق الكافرين ــ هبوط نوح عليه السلام من على السفينة إلى الأرض بسلام مع المؤمنين.

7 . 2 . إيقاع الشخصية الجماعية :

وهذا النوع من الإيقاع في قصة نوح يشمل قسمين، وهما قوم نوح والملأ من قومه، فأقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم وسلوكاتهم مجتمعة كأنّها من شخصية واحدة، أو صادرة عن شخصية واحدة، والشخصية الجماعية هي :" مجموعة بشرية شخصية واحدة في التصرفات والسلوك "[1]

الملأ من قوم نوح : والذي يظهر في قصة نوح عليه السلام أنّ الملأ من قومه . وهم رؤوس القوم وأشرافهم . ليس ملأ واحدا عايش نوحا عليه السلام مدّة دعوته وتبليغ رسالات ربّه سبحانه وتعالى، وإنّما الملأ متعدد بتعدد الأجيال التي تحمّل تجاهها نوح عليه السلام الشدائد والمحن في توصيل دعوة الحقّ إليهم، وهذا التعدد للملأ كما يفهم من سياقات قصة نوح في القرآن الكريم من خلال

[1]. ينظر مشاهد من قصة موسى في القرآن الكريم ص 24

الانتقال من حدث إلى آخر في خضمّ حركية الأحداث بأسلوب إيقاعي بديع يتساوق والمنحى الزمني للقصة ودلالتها العامة، ومع أنّ الملأ من قوم نوح يتغيّر من جيل إلى آخر ومن حقبة زمنيّة إلى غيرها غير أن السلوك والأفعال والإعراض عن دعوة رسول الله نوح عليه السلام متشابهة بل كأنّها هي هي لم تتغيّر ولم تتبدل مصدرها ملأ واحد رغم تعدد الملأ بتعدد الأجيال.

ويمكن تتبع هذا المعنى في قصة نوح من خلال مرحلتين بارزتين على النحو التالي :

المرحلة الأولى : قبل صنع السفينة

. الملأ الأول من قومه : (منكر لإرسال ومبعث نوح عليه السلام) يستفاد هذا المعنى من آيات الأعراف بدليل أنّ نوحا عليه السلام لمّا أمر قومه بعبادة الله وحده وحذرهم من عذاب عظيم بأمر من الله تعالى أنكر الملأ من قومه ما يدعو إليه ورموه بالضلال المبين، قال تعالى ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٦٠**﴾ [الأعراف: 60]، فنفى نوح عليه السلام عن نفسه الضلالة وأكد لهم أنّه رسول من الله ربّ العالمين مبلغا رسالاته، قال تعالى ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢**﴾ [الأعراف: 61-62]، ولكن كذبّوا نبيّهم وأعرضوا حتى وصفوا بأنّهم (عمين)الآية 64الأعراف لعمى بصيرتهم، وكأنّها صفة ملازمة لهم، بل هي كذلك.

. ملأ آخر من قوم نوح بخلاف الأول :(متكبر ومكذّب) لدعوة نبيّهم عليه السلام بعد ما أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وحذرهم من العذاب العظيم مثل ما حذر به أسلافهم من قبل، كما أمرهم بإتباعه ففي ذلك النجاة، وهذا بعد ما استجاب مجموعة من النّاس لدعوة نوح عليه السلام غير أنّهم لم يكونوا من عِلْيَة القوم ولا من أشرافهم، قال تعالى ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ٢٧**﴾ [هود: 27].

. ملأ آخر : (مفتر كذّاب) كذّبوا نوحا عليه السلام ورموه بالجنون بعد ما أمرهم بما أمر به أسلافهم من قبل ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ٢٣**﴾ [المؤمنون: 23] ، واستمالوا قومهم وبخاصة السذج منهم بافترائهم على الله أنّ الله لا يرسل إلّا ملائكة رسلا، وما نوح إلّا بشر مثلكم، قال تعالى﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ٢٤**﴾ **[المؤمنون: 24]وهؤلاء جميعا قبل صنع السفينة، ووحي الله إلى نوح عليه السلام** ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ٣٦**﴾ [هود: 36]، ومصير الكافرين الهلاك ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ٣٧**﴾ [هود: 37]

- المرحلة الثانية : مع صنع السفينة إلى الهلاك بالإغراق

. ملأ مستهزئ ساخر من صنع السفينة على اليابسة ، قال تعالى ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ٣٨**﴾ [هود: 38]

- ملأ غافل متحدٍ مستعجل للعذاب بعد عمى بصيرتهم، طلبوا من نوح عليه السلام العذاب العظيم بعد أن طال عليهم الأمد، ولم يصب أجدادهم وأسلافهم من عذاب الله الذي وعدهم نوح عليه السلام إيّاه حالة الإعراض والكفر، ممّا شجعهم على استعجاله من شدّة غفلتهم، قال تعالى على لسانهم ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ٣٢**﴾ [هود: 32]

. ملأ انتهت حججهم ولم يبق لهم سبيل أمام نوح عليه السلام فهمّوا بقتله ﴿**قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ١١٦**﴾ [الشعراء: 116]7 .

7 . 3 . الإيقاع القصصي العام في قصة نوح عليه السلام :

والمقصود بالإيقاع القصصي العام " ما يقدم من حركة الشخصيات في الأمكنة المتعددة من خلال قصة واحدة "[1]، أو بمعنى آخر الإحاطة بقصة فرعية من القصة المركزية، وإبراز دقائقها وجزئياتها الهامة من حيث حركة شخصياتها ورصد أمكنتها.

والإيقاع القصصي العام في قصة نوح عليه السلام يتجلى بوضوح من خلال التركيز القرآني على جزئية هامة متمثلة في الحوار السريع الذي دار بين نوح عليه السلام وابنه، مع ذكر دقائق واعظة وجزئيات هادفة موجهة من هذه القصة الفرعية، وإبرازها بشكل ملفت للانتباه بطريقة آسرة للعقول لها وقع على النفوس لما لها من أهمية بمكان في تصحيح المفاهيم وحملها على القانون الإلهي.

فالإيقاع القصصي العام في هذه القصة الفرعية المتكاملة بين نوح وابنه وما جرى من أحداث مع توجهات ربانيّة من الله جلّ في علاه لنبيّه نوح عليه السلام وردت في موضع واحد من القرآن الكريم في سورة هود (الآيات)، مع أنّ هذه القصة مضمنة ضمن الأحداث العامة لقصة نوح عليه السلام، بحيث يمكن رصد تحركات نوح عليه السلام والأحداث والشخصيات والأمكنة على النحو الآتي : نوح

عليه السلام ـــ التّنّور ـ فوران الماء ـــ السفينة ـــ من آمن مع نوح (الناجين من الإغراق) ـــ زوجين اثنين من كلّ العوالم ـــ أمواج كالجبال ـ ابن نوح ـ معزل ـــ جبل ـــ هلاك الكافرين بالإغراق بما فيهم ابن نوح ـ مناجاة نوح عليه السلام ربّه ومناداته ـــ إقلاع السماء عن الماء المنهمر ـ ابتلاع الأرض للماء بعد تفجيرها عيونا ـ استواء السفينة ـــ الجوديّ (جبل) ـــ هبوط نوح عليه السلام ومن آمن معه (الناجين من الغرق) إلى الأرض بسلام.

---

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام، دراسة أسلوبية ص 25

بداية هذه القصة الفرعية كانت بالإسراع إلى ركوب السفينة بعد ما رأى نوح عليه السلام الإشارة التي جعلها الله له علامة على هلاك الكافرين بالإغراق، وهي خروج ماء شديد الغليان من التنّور. والتنّور: مخبز في القرية على رأي بعض المفسرين[1]، أو التنّور كما أورده ابن كثير عن ابن عباس وقال : وهذا مذهب السلف والخلف هو:" وجه الأرض. أي صارت الأرض عيونا تفور حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النّار صارت تفور ماء"[2]، قال تعالى﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠**﴾ [هود: 40]، فسارع عليه السلام بتنفيذ أمر ربّه تعالى فقال ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ٤١**﴾ [هود: 41] فما تخلف عنها إلّا جاحد كافر ضال سبق عليه القول فكان من المغرقين الهالكين . ومن المتخلفين عنها ابن نوح بسبب كفره وعناده . ولمّا بدأت السفينة تشق طريقها بين موج متلاطم كالجبال رأى نوح ابنه في معزل لم يركب السفينة تحركت فيه عليه السلام عاطفة الأبوة مسارعا بمناداته وناصحا له لعلّه يكن من الناجين، قال تعالى على لسان نبيه نوح **(يا بنيّ اركب معنا ولا تكن من الكافرين)**، لكن الكفر المهيمن على قلب ابنه والمستحوذ على ظاهره وباطنه أعماه عن الحقّ والحقيقة حتى جعله يعتقد بعقله القاصر بأنّه يستطيع النجاة من الغرق مجرد هروعه إلى جبل يعصمه من الماء﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ٤٣**﴾ [هود: 43] وإن كان المنطق البشري يرى أنّ قمم الجبال عاصمة من أمواج البحار والمحيطات مهما كانت عاتية، وهنا يتدخل نبيّ الله نوح عليه السلام مصححا لمثل هذه الفهوم المحدودة أمام قدرة الله تعالى المطلقة، ومرشدا ابنه إلى طريق الله المنجي من الهلاك **(قال لا**

[1] . ينظر الشعراوي قصص الأنبياء 1/ 341

[2] . ابن كثير تفسير القرآن العظيم 2/ 927

عاصم اليوم من أمر الله إلّا من رحم)، " أي لا تعتقد أنّ هناك شيئا في كون الله يمكن أن ينجيك من أمر الله، لأنّ كلّ ما في الكون خاضع لإرادة الله قهرا، وهو ينفذ أمر الحق تنفيذا دقيقا، ولذلك فلا الموج ولا الجبال ولا كلّ من في الأرض يستطيع أن ينجي إنسان من أمر الله"[1]، فقدرة الله تعالى فوق ما يتصوره العقل البشري، ولقد أنكرت ملائكة الرحمن على سارة رضي الله عنها زوجة إبراهيم عليه السلام التي اكتفت بالمنطق البشري الذي لا يقبل خوارق العادات وهي من بيت النبوة، وهذا لمّا بشرتها الملائكة بإسحاق عليه السلام قال تعالى ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ٧١**﴾ [هود: 71]، فتعجبت من هذا الأمر، وهي امرأة قد طعنت في السنّ أيست أن يكون لها ولد، وزوجها شيخ كبير . " قيل : كانت(سارة) بنت تسعين سنة، وكان إبراهيم عليه السلام ابن مائة وعشرين سنة قال تعالى على لسانها متعجبة ممّا بشرت به ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ٧٢**﴾ [هود: 72]، وهذا بالمنطق البشري لا يحدث، لكن الملائكة أنكروا عليها هذا التعجب . وإن كان هذا التعجب بالقياس العقلي صحيح لأنّه من المنطق البشري المحدود . أمام مقدورات الله التي لا حدّ لها ولا نهاية وهي من بيت النّبوة تعلم أنّ الله تعالى لا يعجزه شيء، قال القرآن على لسانهم ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ٧٣**﴾ [هود: 73]، قال صاحب زبدة التفسير من فتح القدير في تفسير هذه الآية الكريمة :" وهو لا يستحيل عليه شيء، وإنّما أنكروا عليها مع كون ما تعجبت منه من خوارق العادة، لأنّها من بيت النّبوة، ولا يخفى على مثلها أنّ هذا من مقدوراته سبحانه "[2] .

---

[1]. الشعراوي قصص الأنبياء 1/ 347

[2] . الأشقر الدكتور محمد سليمان بن عبد الله، زبدة التفسير من فتح القدير (وهو محتصر من تفسير الإمام الشوكاني) دار الفيحاء للطباعة والنشر دمشق ط5 . 1994م ص295

ونتيجة هذا الحوار السريع أنّ ابن نوح بقي على كفره معاندا ولم يستجب لداعي الله فكان من المغرقين، قال تعالى **(وحال بينهما الموج فكان من المغرقين)**،لأنّ وقت الإمهال قد انتهى ألف سنة إلّا خمسين عاما، " وكانت هذه المهلة كافية جدا لكلّ ذي عقل أن يفكر ويتدبر ويقلب المسألة في عقله وفي قلبه مرات ومرات، ثمّ جاء وقت العقاب فلا تأجيل ولا إمهال ولا إعطاء لفرصة أخرى ... ثمّ إنّ الأمر انتهى وحسم، بأنّ كلّ كافر لابد أن يهلك في هذه اللحظة التي حدث فيها الطوفان، ولا رجعة في ذلك ولا تعديل"[1]، وهذا الذي ذكرناه يعتبر الشِقّ الأول من هذه القصة الفرعيّة قبل إغراق الكافرين.

أمّا شِقّها الثاني فهو ما كان بعد الإغراق، والمتمثل في أمرين اثنين :

الأول : مناداة نوح عليه السلام ربّه نداء بلطف وتأدب بعد أنّ وعده الله تبارك وتعالى بنجاة أهله إذا جاء أمر الله تعالى القاضي بإغراق الكافرين، وابن نوح عليه السلام من صلبه ومن أهله، فنادى ربّه . من باب الاستعلام بآداب جمّة وتلطف، ثمّ أتبع مسألته بكلمات منتقاة بدقة مناسبة لهذا المقام، وأوصاف تليق بجلال الله جلّ في علاه، على أنّ وعد الله نافذ، ولا يقضي سبحانه وتعالى أمرا إلّا عن حكمة وتدبير، ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ٤٥**﴾ [هود: 45] وحذفت (يا) النداء ولم يقل (يا ربّ) للدلالة على القرب "(قال) مناديا لمن أرسله لأنّه تحقق أن لا قريب منه غيره، وأسقط أداة النداء كما هي عادة أهل القرب، فقال (ربّ)"[2]، قال ابن كثير :" هذا سؤال استعلام وكشف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذي غرق(**فقال ربّ إنّ ابني من أهلي)**، أي وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحقّ

---

[1]. الشعراوي قصص الأنبياء 1/ 347

[2] . البقاعي نظم درر القرآن ص 430

الذي لا يخلف، فكيف عرق وأنت أحكم الحاكمين "[1] .

. أو أنّه " قالها يستنجز ربّه وعده في نجاة أهله، ويستنجزه حكمته في الوعد والقضاء"[2]، فكان التوجيه من الله لنبيّه نوح عليه السلام " في قوة وتقرير وتوكيد "[3] ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٤٦**﴾ [هود: 46]، لأنّ المفهوم الحقيقي للأهل في دين الله وميزانه ليس مرتبطا بقرابة الدم والنسب، إنّما المعتبر هو قرابة العقيدة الواحدة الجامعة لأفرادها مع اختلاف أعراقهم وأنسابهم وألسنتهم، قال في قصص الأنبياء " قوله تعالى (**ليس من أهلك**) لفتة من الحقّ جلّ جلاله إلى أنّ أهلية الأنبياء ليست أهلية الدم واللحم، وإنّما أهلية المنهج والإتباع، فأهل الرسول هم الذين آمنوا به واتبعوه، فإذا قاس نوح ابنه على هذا القانون لوجده أنّه ليس من أهله"[4]، وابن نوح على غير عقيدة أبيه فهو (**عمل غير صالح**) بتعبير القرآن الكريم، وهذا الرّصف القرآني البديع ينطوي على إيحاءات ودلالات دقيقة منها :

. البنوة بالنسبة للأنبياء والرسل عليهم السلام بنوة إتباع وليست بنوة نسب.

. أهل الأنبياء والرسل عليهم السلام حقيقة هم الذين يعملون صالح الأعمال ويتبعونه .

. لو عمل ابن نوح عملا صالحا لكان من أهل نوح عليه السلام بعمله الصالح ، ولتحقق وعد الله بنجاته، (**وعد الله حقّ والله لا يخلف الميعاد**) .

. لم ينكر الله تعالى على نوح عليه السلام أبوته لابنه[5]، وإنّما أنكر عليه أن يكون هذا الابن الكافر

---

[1] . ابن كثير تفسير القرآن العظيم للحافظ 2/ 929

[2] . سيّد قطب في ظلال القرآن 4/ 1879

[3] . المرجع السابق 4/ 1879

[4] . الشعراوي قصص الأنبياء للشيخ 1/ 351

[5] . ينظر أكثر تفصيل الشعراوي قصص الأنبياء 1/ 353

من أهله، وأهل نوح في ميزان الدين هم المؤمنون أتباع الحقّ المبين.

والثاني : مناجاة نوح ربّه أكثر وقت ممكن في حضرته ورحابه جلّ في علاه وهذا دأب الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعا، فعلى سبيل المثال سيدنا موسى عليه السلام لما سأله الله تعالى عن عصاه . وهو أعلم بها سبحانه . " فأجابه عن وظائف العصا وخصوصيتها عنده عن طريق الجملة الاسمية التحولية من خلال (هي عصاي)، إذ ذكر ضمير المسند إليه وكان بالإمكان أن يكتفي بالخبر (عصاي) لدلالة السؤال عليها، وذلك أنّ موسى عليه السلام أجاب الله تعالى بشيء من التفصيل لاستشعاره بعظمة الله تعالى، وقضاء أكثر وقت ممكن في حضرته"[1]، وهذا في قوله تعالى ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى١٨**﴾ **[طه: 18]** .

وكذلك نبي الله عيسى عليه السلام كما في أواخر سورة المائدة لمّا سأله المولى عزّ وجلّ . وهو أعلم بحاله . ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ١١٦**﴾ [المائدة: 116] كانت إجابة عيسى عليه السلام تنزيه الله (**قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ**) ثمّ استرسل في الكلام عليه السلام ليقضي أكثر وقت ممكن في حضرة ربّه جلّ في علاه، ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ١١٧ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ١١٨**﴾ [المائدة: 116-118]ونوح عليه السلام من قبل كذلك . لمّا أرشده الله عزّ وجلّ ووجّهه . أقبل على ربّه مناجيا مستغفرا، متلذذا بمناجاته ملتجئا إليه يدعوه،

[1] . مشاهد من قصة موسى في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ص 25

مستأنسا بإحاطة عفوه ورحمته وكرمه عليه، وعلى من آمن معه (﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [هود: 47]، ثمّ استرسل في المناجاة والبقاء أكثر وقت ممكن في رحاب ربّه **(وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ٤٧)**.

ويتجلى هذا القرب والأنس بالمكوث أكثر وقت ممكن متاح لنوح عليه السلام في حضرة ربّه جلّ في علاه من خلال ما صورته سورة نوح عليه السلام لمّا رفع نوح لربّه تعالى وهو أعلم به . تقريره الدعوي أمام قومه طيلة مدّة التبليغ ألف سنة إلّا خمسين عاما.

لقد أبرز الإيقاع القصصي العام المتمثل في هذه القصة الفرعية أبعاد الشخصيات الكثيرة لاسيما شخصيتي النّبي نوح عليه السلام وابنه المعارض لدعوة الحقّ الكافر بها، فضلا عن شخصيات أخرى ذكرت عرضا في القصة مثل المؤمنين والمؤمنات الموجه إليهم خطاب نوح عليه السلام بركوب السفينة ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ٤١**﴾ [هود: 41] ومن العوالم الأخرى (**من كلّ زوجين اثنين**) الناجية من الإغراق هذا من جهة، والكفار الهالكين بالإغراق من جهة أخرى، قال تعالى على لسان نوح لابنه (**ولا تكن من الكافرين**)، وقال أيضا (**وقيل بعدا للقوم الظالمين**)، وفي نهاية الحوار بين نوح وابنه الذي لم يستجيب هذا الأخير لدعوة أبيه أظهر الإيقاع القصصي شخصية أخرى وهي أهل نوح عليه السلام، حينما لجأ نبي الله نوحا إلى ربّه مناديا (**ربّ إنّ ابني من أهلي**).

كما أبرز الإيقاع القصصي عدّة أمكنة . وهذا رغم سرعة انتهاء هذه القصة من خلال إنهاء الحوار بسرعة خاطفة بين نوح وابنه (**وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**). المتمثلة في : السفينة . مسلك السفينة . موج كالجبال . معزل (مكان من اليابسة) . جبل . الماء (ماء الإغراق المتفجر من الأرض عيونا، والمنهمر من أبواب السماء المفتوحة) . بالوعات الأرض (**وقيل يا أرض ابلعي**

ماءك) . الجوديّ (جبل استوت عليه السفينة بركابها . قيل في الموصل .) . اليابسة من الأرض التي هبط إليها نوح عليه السلام بسلام مع الناجين من الإغراق.

. وفي الأخير يمكن القول : . من خلال هذه المباحث . بأنّ قصة نوح عليه السلام أنموذج من نماذج القصص القرآني الآسر للقلوب والمستحوذ على النفوس لما له من أثر إيجابي على العقول الذواقة لسحر بيانه ودقة نظمه وتماسك نصه وانسجام دلالاته وقوة إيقاع أصواته وكلماته وقصصه الفردي والعام، ويتجلى هذا بوضوح من خلال رصف سورة نوح عليه السلام رصفا محكما بديعا، والمتضمنة لكلّ جزئيات قصة نوح تصريحا أو تلميحا أو إيماء المبثوثة بين ثنايا سور المصحف الشريف، وتساوق دلالاتها مع مسار القصة ومنحاها العام، بداية من تناسب مطلع السورة وختامها، وترابط دلالات رصف آياتها، وانتقاء كلماتها الإيحائية الخادمة لمنحاها الدلالي، ومسايرة رصفها بين سور القرآن نزولا وترتيبا في المصحف للمنحى الدلالي العام الذي رسمته قصة نوح عليه السلام ببلاغة مبهرة، وأسلوب معجز.

الفصل الثاني : دلالات رصف المستويات اللّغويّة في سورة نوح

1 . رصف المستوى الصوتي ودلالاته في سورة نوح

2 . الدلالات الصرفية في رصف سورة نوح

3 . الدلالات التركيبية في رصف سورة نوح

4 . الجوانب الدلالية في سورة نوح

تمهيد:

إنّ أسرار القرآن الكريم وروعته وقوة تأثيره وجاذبيته موجودة في القرآن الكريم ذاته، من رصف محكم مرتب على نسق تنقطع دونه أعناق البلغاء والأدباء.

ومن نظم دقيق بديع معجز في أسلوبه، وجمال تعبيره، وصياغة ألفاظه من فخامة وعذوبة، وأحوال تراكيبه العجيبة من حذف وذكر، وإظهار وإضمار، وإطناب وإيجاز، وبلاغة في ذروة البيان والوضوح، وفصاحة في قمّة الإشراق، وانسجام تام بين المباني والمعاني، وتماسك دلالي مدهش، وتناسب بين الأصوات ودلالاتها في نسيج صوتي بإيقاع مستطاب، ونغمة لها أثر خلاب على السمع الذواق، يرى هاملتون جِب (H.GIPP) بأنّ :" الموسيقى المنبعثة من الأصوات القرآنية تلعب دورا هو فوق التعريف في تكييف عقل السامع وتهيّئته لتلقي الدعوة، وأنّ الجمال الفني في القرآن هو رأس ما جذب العرب إلى الإسلام"[1]، وقد أشار من قبل لمثل هذا من علمائنا القدماء الزرقاني فقال :" وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسته الأذن العربيّة أيّام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام، سواء أكان مرسلا أو مسجوعا، حتى خُيّل إلى هؤلاء العرب أنّ القرآن شعر، لأنّهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة، وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجيع هزة لم يعرفوا شيئا قريبا منها إلّا في الشعر، ولكن سرعان ما عادوا على أنفسهم بتخطئة فيما ظنّوا حتى قال قائلهم وهو الوليد بن المغيرة : وما هو بشعر، معللا ذلك بأنّه ليس على أعاريض الشعر في رجزه..."[2].

وفي هذا الفصل سأقف على بعض هذه الدلالات الإعجازية من خلال تتبع رصف المستويات

---

[1] . أبو زيد أحمد التناسب في القرآن ص 245

[2] . الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن مطبعة عيسى البابي الحلبي ط الثالثة 2 / 310

(الصوتيّة، والصرفيّة، والتركيبيّة) في سورة نوح عليه السلام، بالإضافة إلى بعض الجوانب الدلاليّة.

1 . رصف المستوى الصوتي ودلالاته في سورة نوح :

أشير في مستهل هذا المبحث التطبيقي إلى أهميّة المستوى الصوتي باعتباره المستوى القاعدي والمنطلق الذي تنعكس عليه باقي مستويات اللّغة الأخرى (الصرفيّة والتركيبيّة) والجوانب التداوليّة والدلاليّة... فكلّ مستوى من مستويات اللّغة أو مظهر من مظاهرها يحمل دلالة جزئيّة تكتمل بترابطها جميعا وتضافرها قصد الوقوف على المعنى المقصود من الرّصف النّصي أو الخطابي منطوقا كان أو مكتوبا.

فالأصوات لها دلالات وإيحاءات كما أشار إلى ذلك علماؤنا القدامى كابن جني وابن سينا والسكاكي وغيرهم في مصنفاتهم، ولعلّ الدلالات الصوتيّة وإيحاءاتها لها تأثير على التركيب أو الرّصف الذي سيقت فيه، كما أنّها تتساوق مع منحاها الدلالي العام، لاسيما الأصوات الأكثر انتشارا وتكرارا، فتكرارها وانتشارها في رصف معيّن . في تركيب أو جملة أو نص . ملفت للانتباه يجعلها سمة أسلوبيّة قابلة للدراسة والتحليل.

وقبل الخوض في غمار هذا المبحث الدقيق لابد أن أشير إلى الدراسة الحديثة الصوتيّة لمخارج الحروف العربيّة وصفاتها لدقّتها، وموازنتها بما استقرّ عليه الدرس الصوتي عند علمائنا القدامى في هذا الصدد، وهذا نظرا لأهميّة هذا الموضوع، واتصاله الوثيق بهذا المبحث حتى تتضح معالم الدراسة الصوتيّة لسورة نوح عليه السلام

أ . أصوات اللّغة العربيّة بين المحْدَثِين والعرب القدماء :

تضم أصوات اللّغة العربيّة عند المحدثين أربعة وثلاثين (34) فونيما، موزعة على ثلاثة أصناف وهي : :

. الصنف الأول : **فونيمات الصوامت**[1] **(Consonants)**

عددها ستة وعشرون (26) فونيما وهي : (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ).

. الصنف الثاني : **فونيمات الصوائت (Vowels)**

وهي ستة فونيمات : الفتحة القصيرة مثل : فتحة الجيم في (جَاء)، والفتحة الطويلة هي الألف في (جاء)، والضمة القصيرة مثل : ضمة الألف المهموز في (الأُولى)، والضمة الطويلة هي الواو في (الأُولى)، والكسرة القصيرة مثل : كسرة همزة القطع في (إيمان، والكسرة الطويلة هي الياء في (إيمان) .

. الصنف الثالث : **فونيمات شبه صائتة (Semi vowels)**

وعددها اثنان (2) وهي : . الواو المفتوحة مثل : الواو في (وَلد) أو الساكنة في واو (يوْم) أمّا الواو المضمومة فتتحول إلى صوت صائت طويل.

---

[1] . هذه التقسيمات وتسمياتها (الصوامت والمصوتات) لم تكن معروفة في بدايات الدرس الصوتي مع الخليل وسيبويه بل دخلت إلى العربيّة مع ازدهار الترجمة من اليونانيّة إلى العربيّة وتبنّاها بعض الفلاسفة والكلاميين العرب ، قال أستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح :" إنّ العلماء العرب اطلعوا على هذه المفاهيم الصوتية اليونانية بعد أن ترجمت إلى العربيّة كتبهم لا قبل ذلك، واستساغها الفلاسفة العرب وعلماء الموسيقى، فوضحوها وعلّقوا عليها، وأضافوا إليها أشياء جديدة نتيجة لاجتهادهم العلمي... فهذا الفارابي يقول بعد أن تعرّض للتقسيم إلى مصوت وغير مصوت : كلّ حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير قرن به، فإنّه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنّهم يسمون المصوتات حركات، وكلّ حرف لم يتبع بمصوت أصلا وهو يمكن أن يقرن به فإنّهم يسمونه الحرف الساكن، وكلّ حرف غير مصوت قرن بمصوت طويل نسميه المقطع الطويل(كتاب الموسيقى الكبير ص 1075)" ينظر بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح 2 / 176 وفي موضع آخر قال :" ، وهذا الذي ذهب إليه عبد الرحمن الحاج صالح يدلّ على أصالة الدرس الصوتي العربي بالنسبة للقرون الأولى قبل ازدهار مجالات العلم ومنها الترجمة في العصر العباسي بخلاف ما ذهب إليه الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه البحث اللغوي عند العرب، فهو يرى

. والياء المفتوحة مثل : الياء في(يَلعب) أو المضمومة في (يُولد) أو الساكنة في (ليْل)[1].

وللإشارة : الواو المفتوحة أو الساكنة، والياء المفتوحة أو المضمومة أو الساكنة هي من صنف فونمات شبه الصائتة، ويمكن أن تُعدّ أيضا شبه صامتة كما قال قاسم البريسم صاحب كتاب علم الصوت العربي[2].

ب . أصوات اللّغة العربيّة عند العلماء العرب القدامى :

لم يكن هناك اختلاف كبير بين العلماء العرب قديما في دراستهم للأصوات،وأخصّ بالذكر أساطين علم الصوت العربي :

الأول : الخليل بن أحمد الفراهدي : يعتبر رائدا من رواد علم الصوت، ويعتبره الباحثون في هذا العلم " مؤسسا للدراسات الصوتيّة عند العرب، فقد كان فكره الصوتي وما يزال مثار إعجاب المختصين بالدراسات الصوتية، كما كانت أفكاره مفتاحا لكثير من الآراء والمبادئ الصوتية التي ظهرت في أوربا، حتى إنّ أفكاره لا تزال تُدرّس في الكثير من الجامعات الأوربيّة"[3].

وقد وفّق الخليل بن أحمد الفراهدي بذوقه اللّغوي العالي وحسّه المرهف إلى حدّ بعيد في تحديد مخارج الأصوات العربيّة وصفاتها، وطبيعة نطقها وفزيائيتها، " حتى جاءت أغلب آرائه مطابقة لما هو عليه علم الصوت الحديث، وأن يكشف الكثير من طبيعة الأصوات الفزيائيّة التي تحتاج إلى إمكانيّة خاصة، لم تتحقق إلّا بعد أن قطع علم الصوت أشواطا بعيدة وبمساعدة التكنولوجيا

---

[1] . ينظر البريسم قاسم علم الصوت العربي ص 131

[2] . البريسم قاسم علم الصوت العربي ص 131

[3] . المرجع نفسه ص 95

الحديثة"[1]، فرتب الأصوات حسب ترتيب مخارجها كما تصوّرها بدءا بأقصى الحلق إلى الشفتين تشمل تسعة وعشرين حرفا، فكانت على النحو التالي : (ع ح هـ خ غ . ق ك . ج ش ض . ص س ز . ط د ت . ظ ث ذ . ر ل ن . ف ب م . و ا ي همزة)[2].

. **الثاني : تلميذه سيبويه** :" استدرك على الخليل وأضاف إلى أصوات اللّغة الصحاح (الواو والياء) أشباه الصوائت "[3]، وخالف أستاذه من حيث الترتيب مخالفات جوهريّة فكان ترتيبها على النحو التالي كما قال في الكتاب :" فأصل حروف العربيّة تسعة وعشرون حرفا : (الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو)"[4].

. **الثالث : ابن جني** : لم يختلف عن سيبويه في ترتيب الأصوات التسعة والعشرين وعددها إلّا في بعض التفاصيل الدقيقة من حيث تقديم بعض الأصوات أو تأخيرها،" والتي توحي بعمق إدراكه لجهاز النطق، وطبيعة الأصوات "[5]، فكان ترتيبه للحروف كسابقيه بدءا من أقصى الحلق إلى الشفتين وهي : "(الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والقاف، والكاف، والجيم، والشين، والياء، والضاد، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو)[6].

---

[1] . المرجع نفسه ص 95

[2] . عمر أحمد مختار البحث اللغوي عند العرب ص 101 نقلا عن العين 1 . 53

[3] . المرجع نفسه ص 135

[4] . سيبويه الكتاب 4 / 431

[5] . البريسم قاسم علم الصوت العربي ص 135

[6] . ينظر ابن جني سر صناعة الإعراب 1 / 59

. الرابع : المبرد (ت 285هـ) : كان دقيقا إلى حدّ بعيد في تميّزه بين الحروف التي لها صور (أي لها رموز) وبين المستدلّ عليها في الخط بالعلامات، قال في المقتضب :" اعلم أنّ الحروف العربيّة خمسة وثلاثون حرفا، منها ثمانية وعشرون لها صور، والحروف السبعة جارية على الألسن، مستدلّ عليها في الخط بالعلامات ..."[1].

والحروف الثمانية والعشرون رتبها على النحو التالي : (الهمزة (ء) هـ ح ع خ غ ق ك ش ج ي ض ل ن ر ط ت د س ص ز ظ ث ذ ف و ب م)[2].

يمكن وضع ما سبق في الجدول الآتي لتبسيط الاختلاف في ترتيب الحرف مخرجيا عند علمائنا القدامى

الخليل	سيبويه	ابن جني	المبرد
ع	الهمزة (ء)	الهمزة (ء)	الهمزة (ء)
ح	هـ	الألف (ا)	هـ
هـ	الألف (ا)	هـ	ح
خ	ع	ع	ع
غ	ح	ح	خ
ق	غ	غ	غ
ك	خ	خ	ق

[1] . المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي أبو عباس، المقتضب، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر عالم الكتب بيروت ( ) 1 / 192

[2] . ينظر المبرد المقتضب 1 / 192 . 193 . 194

ج	ق	ق	ك
ش	ك	ك	ش
ض	ج	ج	ج
ص	ش	ش	ي
س	ي	ي	ض
ز	ض	ض	ل
ط	ن	ل	ن
د	ل	ن	ر
ت	ر	ر	ط
ظ	ط	ط	ت
ث	د	د	د
ذ	ت	ت	س
ر	ز	ص	ص
ل	س	ز	ز
ن	ص	س	ظ
ف	ظ	ظ	ث
ب	ذ	ذ	ذ
م	ث	ث	ف
و	ف	ف	و

ا ى ء	ب م و	ب م و	ب م

وأهم ما يلاحظ من خلال هذا الجدول من حيث مخارج الحروف وترتيبها مع مقارنتها بما عند المحدثين :

. أنّ المبرد خالف سابقيه (الخليل وسيبويه وابن جني) باستبعاده الألف المدّية (ا) من الحروف الصحاح (الصوامت)، "وبهذا يعدّ أول عالم عربي يختلف عن سابقيه، ويستبعد الألف من قائمة الأصوات الصامتة، ولم يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه كلّ من سيبويه وابن جني"[1]، غير أنّ المبرد رغم استبعاده للألف ولم يحدد لها مخرجها مع الأحرف الحلقية بالتدقيق إلّا أنّه ذكرها على أنّها هاوية، قال :" فَمِن أقصى الحلق مخرج الهمزة، وهي أبعد الحروف، ويليها في البعد مخرج الهاء، والألف هاوية هناك، والمخرج الثاني من الحلق مخرج الحاء والعين..."[2].

وعلّق صاحب كتاب علم الصوت العربي على هذا الاضطراب الذي وقع فيه المبرد فقال :" بالرغم من استبعاده للألف من قائمة الأصوات الصامتة يعود فيذكر الألف على أنّها هاوية هناك، أي من أقصى الحلق، لكن مبدأه في عدّ الأصوات الصامتة ثمانية وعشرين تبدد هذا

[1] . البريسم، علم الصوت العربي ص 183

[2] . المبرد، المقتضب 1 / 192

الاضطراب، ولو لم يذكرها هنا لجاءت فكرته دون شوائب أو شكوك وتردد"[1] .

. في حين عدّ المحدثون الألف (ا) أو ما اصطلح عليه عندهم (بالفتحة الطويلة) من الصوائت . والصوائت ستة فونيمات (الفتحة القصيرة، والفتحة الطويلة، والضمّة القصيرة، والضمّة الطويلة، والكسرة القصيرة، والكسرة الطويلة) كما ذكرت.

ومن هنا كان النقد موجه لعلمائنا القدامى على عدم اعتبار ما يسمى بالحركات (الفتحة والضمة والكسرة) فونيمات قائمة بذاتها، وعدم وضع رموز مستقلة لهذه الفونيمات، والخلط بينها وبين الفونيمات الصوامت وبخاصة فونيمات الصوائت الطويلة، وهذا رغم" وضع علامات الصوائت القصيرة، فلم تفك الاشتباك وتحل مشكلة، بل ظلّت قائمة حتى الآن، بعد أن خلت اللّغة العربيّة من خمسة رموز صوتيّة هي :(الضمّة القصيرة والطويلة، والكسرة القصيرة والطويلة، والفتحة القصيرة) وكان يمكن أن تعطى هذه الأصوات رموزا صوتية مستقلة، وليس علامات إعراب لا وجود لها داخل متن تركيب الكلمة وجذورها "[2] .

ويرى صاحب كتاب البحث اللّغوي عند العرب أنّ (الألف) حركة طويلة، واعتبر أنّه من الخطأ الذي وقع فيه العرب قديما زعمهم وجود حركة قبل أصوات العلّة الطويلة من جنسها، فقال:" افترض اللّغويون العرب وجود حركة قبل أصوات العلّة الطويلة من جنسها فزعموا وجود فتحة قبل الألف في (قال)، والكسرة قبل الياء في (يرمي) وهذا خطأ، لأنّه ليس هناك فتحة ولا كسرة، لأنّ الألف نفسها هي الحركة، ولكن كلّا منها حركة طويلة "[3] .

ويبدو أنّ أحمد مختار عمر تأثر بالأصوات عند اليونان التي تعتبر الألف المدودة (المصوت

---

[1] . البريسم علم الصوت العربي ص 183

[2] . البريسم علم الصوت العربي ص 135

[3] . عمر أحمد مختار البحث اللّغوي عند العرب أحمد مختار عمر ص 107

الطويل) بعد الحرف الصامت فونيما واحدا، ولذلك قال كما ذكرت: (الألف) نفسها هي الحركة في اللّغة العربيّة.

وهذا لا يعني أنّ القدامى لم يعتنوا بهده الأصوات، وإنّما تصوّرهم لهذه الصوائت يختلف عن تصوّر المحدثين، قال ابن جني عن الألف :" فإنّك إن أشبعتها(أي الفتحة) حدثت بعدها الألف... فلولا أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت... "[1]، وأشار في موضع آخر إلى هذه الصوائت فقال :" اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف (أحرف) المدّ واللين، وهي الألف والواو والياء، فكما أنّ هذه الحروف(الأحرف) ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الكسرة والفتحة والضمّة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمّة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة، ألا ترى أنّ الألف والياء والواو اللواتي هنّ توام كوامل قد تجدهن في بعض الأحيان أطول وأتمّ منهن في بعض، وذلك قولك : يخاف وينام ويسير ويطير ويقوم ويسوم، فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددت طولا، وذلك نحو يشاء ... شابّة دابّة... "[2].

ومن علمائنا المعاصرين اللساني الكبيرعبد الرحمن الحاج صالح الذي ذهب مذهبا خالف فيه رأي المحدثين في انتقادهم للعرب القدامى بالنسبة للفونيمات الصوائت، فقال مبيّنا :" فقد قسّم العرب الأصوات اللّغويّة إلى حروف صحاح وحروف لين، ثمّ قسّموا هذه الأخيرة إلى حروف توامّ وهي حروف المدّ، وحروف ناقصة وهي الحركات "[3] .

---

[1] . ابن جني سرّ صناعة الإعراب ص 1 / 34

[2] . ابن جني سرّ صناعة الإعراب 1 / 33

[3] . الحاج صالح عبد الرحمن بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة 2/ 178

بمعنى أن الأصوات الصحاح عند القدامى هي ما اصطلح عليه عند المحدَثين بالصوامت.

أمّا أصوات اللين بنوعيها : . التوامّ الكوامل (المديّة) . والناقصة (الحركات) عند القدامى فهي نفسها عند المحدثين الأصوات الصوائت وشبيهة بالصوائت.

السؤال المطروح : هل . فعلا . العرب القدامى لم يهتموا بالصوائت كفونيمات مستقلّة وبخاصة الحركات ؟

وللإجابة عن هذا السؤال المهم جدا تطرح الأسئلة التي طرحها عبد الرحمن الحاج صالح بقوله :" فلماذا فرّق العرب بين الحركة وهي صوت عندهم ومدتها، فاعتبروا هذه المدة حرفا قائما بذاته، بل وحرفا تاما دون الحركة التي هي ابتداؤها ؟

ولماذا لم يجعلوهما حرفا واحدا، وهو المصوّت عند اليونان والصوتيين الغربيين؟"[1] .

فكان جواب عبد الرحمن الحاج صالح علميا دقيقا فقال :" إنّ هذه الأسئلة ترتبط الإجابة عنها فيما اعتقد بمفهومي : الحركة و حرف المدّ، وهو شيء لم يستطع المستشرقون ومن تبعهم فهمه إلى يومنا هذا "[2]، هذا من جانب.

ومن جانب آخر نرى " بعض المحدثين يقيمون مقابلة لا بين الحرف الجامد وحرف اللين، بل الحرف والحركة، فيتوهمون أنّ الحرف هو عند العرب الصامت فقط، وهذا غلط فاحش، قال أحدهم وهو الأب فلايش : (مفهوم الحركة هو أبعد مفهوم إلى تصوّرنا الحديث)"[3].

---

[1] . الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة 2 / 179

[2] . المرجع نفسه 2 / 179

[3] . ينظر الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة 2 / 179 في الهامش

جـ . مفهوم الحركة وأحرف المدّ واللين عند القدامى :

أحرف المدّ واللين (ا، و، ي) من فونيمات الصوائت تتفق مع الحروف الصحاح (الصوامت) بأنّها غير ناقصة فهي توامّ كوامل بخلاف الحركات (الضمة والكسرة والفتحة) أو ما اصطلح عليه عند المحدَثين الصوائت القصيرة فهي فونيمات ناقصة.

. وتختلف الأحرف المديّة (الصوائت)عن الحروف الصحاح (الصوامت) من حيث (اتساع المخرج، والتباعد بالخاصية . والخاصية هي الصفة المقابلة للمخرج[1].).

قال سيبويه:" هذه الحروف غير مهموسات وهي حروف لين ومدّ، ومخارجها متّسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمدّ للصوت..."[2]، وقال الرماني :" حروف المدّ واللين قد تباعدت بالخاصية عن الحروف الصحاح تباعدا شديدا... إذ هي من جنس الحركات التي يضطر إلى زيادتها لإمكان النطق بها وليس ذلك للحروف الصحاح، فلمّا تباعدت بالخاصية من جميع الحروف الصحاح صارت بمنزلة ما تباعد بالمخرج"[3].

ويصف ابن يعيش (ت 643هـ) اتساع مخرج أحرف المدّ واللين في شرح المفصل بقوله :" ومنها حروف الليّنة وهي (الألف، والياء، والواو)، وهي حروف المدّ واللين، وقيل لها ذلك لاتساع مخرجها، والمقطع إذا اتسع انتشر الصوت ولَان، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصُلب"[4]، فأحرف المدّ واللين (ا، و، ي) باتساع مخرجها تختلف عن الحروف الصحاح.

---

[1] . ينظر الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة ص 197 في الهامش

[2] . سيبويه الكتاب 4 / 176

[3] . الرماني (5/ 23) . بحوث الحاج صالح 179

[4] . ابن يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلي المعروف بابن يعيش، وبابن الصانع شرح المفصل للزمخشري، تقديم : د / إميل بديع يعقوب، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1422هـ، 2001م . 5 / 525

. مفهوم الحركة

أشرت من قبل أنّ العرب القدامى يرون بأنّ الأحرف المديّة تنشّأت عن الحركات وهي أوائل لها وأبعاضها، ولولها ما تنشأت أحرف المدّ واللين، قال ابن جني :" فإنّك إن أشبعتها (الفتحة) حدثت بعدها ألف...وكذلك (الكسرة) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة...وكذلك (الضمة) لو أشبعتها لنشأت بعدها واوا ساكنة... فلولا أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت عنها، ولا كانت تابعة لها"[1].

وكما أنّ أحرف المدّ واللين أصوات توامّ كوامل فإنّ الحركات التي هي أبعاض وأوائل لهذه الأحرف هي كذلك أصوات ولكنّها ضعيفة وناقصة، لأنّ قوة صوتها تختلف عن قوة صوت حرف المدّ واللين، قال ابن يعيش :" لأنّ الحركات والحروف أصوات، وإنّما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت، فسمّوا العظيم حرفا والضعيف حركة"[2].

يفهم من هذا الكلام اهتمام العرب بهذه الحركات من الجانب الصوتي، قال عبد الرحمن الحاج صالح :" الحركة كصوت أي كمصوت قصير فهو المفهوم السائد عند بعض المتأخرين المحدَثين ولا يعرفون غيره، وقد أكد كذلك على الجانب الصوتي كلّ العلماء القدامى، فقولهم: (إنّ الحركة حرف صغير : ألف أو واو أو ياء صغيرة فهو تأكيد"[3].

لكن عبد الرحمن الحاج صالح ينتقد تجاهل المحدَثين للجانب غير الصوتي، وتجاهلهم له هو سبب لعدم فهم ما ذهب إليه العرب القدامى، وهذا ما أدى بالمحدَثين إلى لمز القدامى بالتقصير في دراسة هذه الصوائت أو عدم إدراك حقيقتها، قال عبد الرحمن الحاج صالح :" التجاهل للجانب غير

---

[1] . ابن جني سر صناعة الإعراب 1 / 34

[2] . ابن يعيش شرح المفصل 5 / 204

[3] . الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة 2 / 180 . 181

الصوتي (عند المحدَثين) هو سبب لسوء فهم لما قاله العلماء القدامى"[1].

فالحركة : هي كما قال عبد الرحمن الحاج صالح :" هي في الحقيقة الحركة العضوية الهوائية التي تُمَكّن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر"[2].

وهذا المفهوم للحركة الذي توصّل إليه عبد الرحمن الحاج صالح استلّ واستنبط من أقوال العلماء العرب القدامى منها :

. قال الأزهري (ت 370هـ) :" وروى غير ابن المظفّر عن الخليل بن أحمد أنّه قال :الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفا، لكلّ حرف منها **صرف وجرس**.

أمّا الجرس : فهو فهم الصوت في سكون الحرف.

وأمّا الصرف : فهو حركة الحرف"[3].

علق عبد الرحمن الحاج صالح على هذا القول فقال :" وعلى هذا ينبغي أن نميّز . كما يفهم من هذا الكلام . بين جرس الحرف وهو ما يدرك منه بالسمع، وهذا يخص الصوت في حدّ ذاته، وهو هوية الحرف الصوتيّة السمعيّة، وبين صرف الحرف وقد فسّره بالحركة، وهو يخص إحداث الحرف والخروج منه إلى حرف آخر"[4].

. وقول ابن جني :" ...لا يجري الصوت في الساكن، فإذا حرّك انبعث الصوت في الحركة، ثمّ انتهى إلى الحرف، ثمّ أشبعت ذلك الحرف"[5].

---

[1] . ينظر المرجع نفسه 2 / 181 في الهامش

[2] . الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربية 2 / 179

[3] . الأزهري محمد بن أحمد الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى 2001م . 1 / 41

[4] . الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة 2 / 180

[5] . ابن جني الخصائص 3 / 130

. وقول الرماني :" الحروف تتقوّم بالحركة على ما يمكن النطق به، ولا تتقوّم بالحرف من الياء ونحوها، ويتوصل بالحركة إلى النطق بالحرف، ولا يتوصل بالحرف إلى النطق بالحرف "[1].

. وقال أيضا في مقابلته الحركة بالسكون :" الحركة تُمكّن من إخراج الحرف، والسكون لا يُمكّن من ذلك"[2].

الخلاصة : ما استخلصه عبد الرحمن الحاج صالح " أنّ للحركة دورين هامّين جدا تتفرد بهما هي وحدها دون الحروف التوامّ (الجامدة منها والليّنة) وهو :

. تمكين الناطق من إحداث الحرف أولا

. وتمكينه ثانيا من الانتقال من مخرج إلى مخرج حرف آخر"[3].

وبهذه الازدواجيّة التي تضطلع بها الحركة (الصوت القصير) تتميّز بهما وتختلف عن جميع الحروف الجامدة منها (الصوامت) والليّنة (الصوائت الطويلة).

قال ابن جني في الخصائص :" لا يجري الصوت في الساكن، فإذا حُرّك انبعث الصوت في الحركة ثمّ انتهى إلى الحرف"[4].

د . الأصوات المختلف في نطقها بين القدامى والمحدثين :

يمكن القول إجمالا بأنّه ليس هناك تغير وتطور في نطق الأصوات العربيّة بين مستعمليها على مرّ الحِقب الزمنيّة المتتالية كما تثبته الدراسات على الأقل منذ فجر الإسلام إلى عصرنا هذا،

---

[1] . ينظر الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية 2 / 170

[2] المرجع نفسه 2 / 170

[3] . الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة 2 / 180

[4] . ابن جني الخصائص 3 / 130

فهي لم تتغير ولم تتبدل، بل بقيت محافظة على مخارجها وقوالبها وأحيازها إلّا في صوت واحد دار حوله الخلاف، وهو (صوت الضاد).

. صوت الضاد (ض) :

السؤال المطروح : هل يمكن القول بأنّ صوت الضاد لم يبق له استعمال على حقيقته الموصوفة عند علمائنا القدامى بين الناطقين بالعربيّة في عصرنا ؟

الجواب : لا بد أن يكون علميا من خلال التفريق بين حرف (فونيم) الضاد وألفوناته (تأدياته) التي لا يتغيّر بها المعنى، فصوت الضاد ليس على درجة واحدة من حيث المخرج والنطق عند العلماء القدامى فهناك :

. الضاد القويّة : وهي على نوعين تمّ تحديد مخرجيهما :

. الضاد الأولى : اتفق كلّ من سيبويه وابن جني على وصف مخرجها . وهو ما يتناقله القراء إلى يومنا هذا حسب اطلاعي . قال سيبويه :" ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد"[1]، وقال مثل ذلك ابن جني[2]، فهي بهذا التوصيف يمكن وصفها بأنّها لثوية حنكيّة، " وبذلك يكون موضع نطق الضاد التي وصفوها لنا بين الحنك الصلب واللثة، أي بتعبير حديث لثوية حنكيّة"[3].

الضاد الثانية : كذلك هذه الضاد تعدّ ضادا قويّة . ولكن الأولى أقوى منها للاتفاق الحاصل بين أهل هذا العلم عليها، وهذا ما لم يكن للثانية . وصفها ابن جني فقال :" إنّك إن شئت تكلفتها . أي

---

[1] . سيبويه الكتاب 4 / 333

[2] . ابن جني سر صناعة الإعراب 1 / 60

[3] . البريسم علم الصوت العربي ص 59

تحملتها مع مشقة . من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر"[1]، وإن كان سيبويه من قبله يرى بأنّ هذه الضاد ضعيفة لأنّها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيل حين تخالط أحرف اللسان، وهي عنده غير مستحسنة في قراءة القرآن الكريم والشعر، قال :" ... أنّ الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف... وإنّها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيل حين تخالط حروف اللسان"[2]، غير أنّ صاحب كتاب علم الصوت العربي يراه ألفونا لحرف الضاد فقال :" ... إلّا أنّنا يمكن تحديد نطق هذا الصوت بأنه جانبي متفشي، وعندي أنّ هذا الصوت هو ألفون لفونيم الضاد"[3].

وهذه الضاد تعتمد على مقدرة كبيرة للناطقين بها وهي صعبة النطق تحتاج إلى تكلف، " ولذا كان يضرب المثل ببلاغة الخليفة عمر رضي الله عنه بأنّه يستطيع أن يخرج الضاد من أيّ شدقيه شاء"[4].

. وهناك ضاد ما بين الأسنان شبيهة بالظاء

وهذا النوع من صوت الضاد هو في الحقيقة تأدية أو ألفون من ألفونات الضاد القويّة الأولى، يعتبر أكثر انتشارا واستعمالا في عصرنا إلّا أنّه يختلف صوته عن صوت الظاء، لأنّ" طرف اللسان مع هذا الصوت يلامس الثنايا العليا من الداخل وليس بينهما كما في الظاء، إضافة إلى وجود الانفجار الذي يظهر في مرحلة نشوئه"[5]، وهذا النطق ليس حديثا معاصرا كما يتوهم، فقد أشار إليه ابن يعيش وعدّه ضادا ضعيفة فقال:" والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها

---

[1] . ابن جني سر صناعة الإعراب 1 / 60

[2] . ينظر سيبويه الكتاب 4 / 432

[3] . البريسم علم الصوت العربي ص 151

[4] . المرجع نفسه ص 59

[5] . البريسم علم الصوت العربي ص 60

ظاء، وذلك أنّهم يخرجونها في طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا اخراجها من مخرجها فلم يتأتى لهم فخرجت بين الضاد والظاء"[1]، وابن الجزري نفسه صاحب النشر وصف صورا لنطق الضاد أو فروعا لها يبدو أنّها كانت متفشيّة في عصره ويتضح هذا من قوله :" والضاد انفرد بالاستطالة،وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإنّ ألسنة النّاس فيه مختلفة، وقلّ من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يخرجه لاما مفخمة، ومنهم من يشمّه الزاي"[2]، ولعلّ هذا ما حدا بابن كثير ذكر حكم وترجيح من يخلط بين صوتي (الضاد والظاء) في قراءته للقرآن الكريم قال :" والصحيح من مذاهب العلماء أنّه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب مخرجهما، وذلك أنّ الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ولأنّ كلّا من الحرفين من الحروف المجهورة، ومن الحروف الرخوة، ومن الحروف المطبقة، فلهذا كلّه اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميّز ذلك والله أعلم"[3].

بيد أنّ هذا الصوت للضاد يكاد يكون هو المهيمن على النطق بالفصحى وفي كثير من اللّهجات العربيّة في عصرنا، قال جان كانتينو :" أكثر أنواع نطق الضاد في الفصحى شيوعا نطقها كالظاء إذا كان في لهجة المتكلم حروف ما بين الأسنان"[4]، ويمكن أن يعدّ هذا الصوت ألفونا . فرعا . من ألفونات فونيم الضاد، وهو الألفون الأساس عند قاسم البريسم، قال :" ويمكن أن نطلق عليه بالألفون الأساس (Principle allophone) وهو أكثر أنواع فونيم الضاد شيوعا، حيث يظهر هذا الألفون في الكثير من الأقطار العربيّة سواء في نطق المتكلمين بالفصحى أو اللّهجات، خاصة

---

[1] . ابن يعيش المفصل 10 / 129

[2] . ابن الجزري النشر في القراءات العشر 1 / 219

[3] . ابن كثير تفسير القرآن العظيم 1 / 37

[4] . كانتينو جان دروس في علم أصوات العربيّة . ترجمة صالح القرماوي ص 85

في العراق ودول الخليج العربي ولهجات الحضر بشمال إفريقيا"[1].

. الضاد الحديثة : صوت أسناني لثوي وهي " النظير المفخم للدال، تنطق باعتماد طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة، حيث يتوقف الهواء لفترة من الزمن ثمّ يطلق سراحه فيحدث انفجارا وتذبذب الأوتار الصوتيّة معه..."[2]، وهذه الضاد حديثة حسب ما أقره الباحثون تختلف عن الضاد القويّة عند القدامى بأنّها أسنانية لثويّة انفجاريّة مجهورة مفخمة تخرج من منطقة (الدال، التاء، الطاء)، في حين الضاد القديمة مخرجها من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس **.** فهي لثويّة حنكيّة بتعبير المحدَثين . مفخمة .....

فالضاد الحديثة اعتبرها بعض الباحثين ألفونا مساعدا متطرفا لأنّها أقل استعمالا ودورانا بين الناطقين باللّغة العربيّة، رغم نطقها الصحيح، قال قاسم البريسم:" وعلى الرغم من أنّ هذا الصوت . صوت أسناني لثوي للضاد . يمثل النطق الصحيح للضاد في اللّغة الفصحى إلّا أنّه أقل أنواع الضاد شيوعا في النطق في العربيّة الحالية، حيث يختصر في نطق المختصين وقراء القرآن، لذا يعدّ ألفونا مساعدا ومتطرفا لفونيم الضاد"[3]

. الضاد الضعيفة : وهذا الصوت للضاد دون الأصوات المذكورة سلفا من الفروع غير المستحسنة عند ابن جني ولا يقرأ به القرآن الكريم، ولا حتى الشعر قال ابن جني في سر صناعة الإعراب :" وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف، وهي فروع غير مستحسنة، ولا تؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إلّا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء

---

[1] . البريسم علم الصوت العربي ص 63

[2] . المرجع نفسه ص 59 . 60

[3] . المرجع نفسه ص 63

التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم"[1].

وخلاصة هذا المطلب حسب دراسات الباحثين وبمساعدة ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة في الضبط الدقيق لتحديد مخارج الحروف وفزيائيتها وخاصة جهاز (Spectrogram) تبين أنّ الضاد القويّة بنوعيها كما وصفها القدامى تكاد تكون منعدمة في عصرنا، وقد حلّت محلّها ألفونات لها، فمنها : . الضاد الشبيهة بالظاء التي تعتبر الألفون الأساس لكثرة شيوعها واستعمالها . والضاد الأسنانية اللثوية النظير المفخم للدال، ويكاد ينحصر هذا الصوت للضاد بين قراء القرآن الكريم وبعض المختصين، فهو بذلك ألفون مساعد متطرف لقلّة شيوعه.

أمّا باقي ألفونات الضاد وهي كثيرة متعددة بتعدد اللهجات العربيّة لا ترقى إلى الفصاحة، يمكن أن تعدّ من قبيل الضاد الضعيفة، أو من الفروع غير المستحسنة.

هـ . مخارج الأصوات العربيّة بين القدامى والمحدثين :

للإشارة وفِقَ العلماء العرب القدامى في تحديد مخارج الحروف العربيّة إلى حدّ كبير رغم عدم توفر الوسائل التكنولوجيّة الحديثة التي اعتمدها المحدثون في التحديد الدقيق لمخارج الأصوات وكشف طبيعتها الفيزيائية.

عند القدامى	عند المحدَثين
. أقصى الحلق(ء . هـ)	. (ء . هـ) من الحَنجرة (Glottal)
. وسط الحلق (ع . ح)	. أصوات الحلق(Pharngeals)(ع . ح)
. أدنى الحلق (غ . خ)	أمّا . (خ . غ) فمن الحنك اللين(velar)

[1] . ابن جني سر صناعة الإعراب 1 / 59

. أقصى اللسان وما يقابله من أقصى الحنك الأعلى (ق، ك)	(حنكية قصية) ويضاف إليهما صوت (ك) و (الواو) .
. وسط اللسان مع ما يقابله من وسط الحنك الأعلى (ج . ش . ي (الياء غير المديّة))	اللهويّة (uvelar)(ق) . وسط الحنك(palatal) (الياء) .
. حافة اللسان اليمنى أو اليسرى أو منهما معا، مع ما يجاورها من الأضراس العليا مخرج (ض)	اللثويّة الحنكية (palato–alveolar) (ش . ج)
. أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه مع ما يحاذيهما من الحنك الأعلى فوق اللثة بقليل مخرج (ل)	ملاحظة : الفرق بين صوت ط الحنك والأصوات اللثوية الحنكية ضئيل جدا ويمكن اعتبار الأصوات الثلاثة من موضع نطق واحد . الأصوات اللثوية (alveolar) (س . ص . ز . ر . ل . ن)
. طرف اللسان مع ما يقابله من لثة الثنايا العليا تحت مخرج اللام بقليل مخرج (ن)	. الأسنانيّة اللثويّة (dental–alveolar) (ت . د . ض . ط)
. طرف اللسان مع ما يقابله من اللثة مخرج (ر)	. ما بين الأسنان (interdentaly) (ث . ذ . ظ) .
. طرف اللسان مع ما يقابله من أصول منابت الثنايا العليا مخرج (ط . د . ت)	شفوي أسناني (labiodental)(ف)
. منتهى طرف اللسان (أسلة اللسان) مع أسفل الثنايا السفلى مخرج (ص . س . ز)	. الشفوية (bilabial) (ب . م) وبعضهم أضاف(الواو) شبه الصائت[1].

[1] . ينظر علم الصوت العربي ص 176 . 177

. طرف اللسان مع ما يقابله من أطراف الثنايا العليا مخرج (ظ . ذ . ث) . بطن الشفة مع ما يقابله من أطراف الثنايا العليا مخرج (ف) . للشفتين معا مخرج (و . غير المديّة . ب . م) . أمّا أحرف المدّ الثلاثة (ا . و . ي) فمخرجها الجوف (الحلقي الفموي)[1] ملاحظة : مخارج الحروف بهذه الكيفيّة وفق ما ذكره الإمام ابن الجزري (ت) في منظومته.	

و . صفات الحروف المختلف فيها بين القدامى والمحدَثين : أقف في هذا المطلب على بعض الأصوات العربيّة التي خالف فيها المحدَثون القدامى في صفة؛ أو صفتين على الأكثر، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على القدرة التي تمتع بها الأوائل من العلماء العرب في التوصل إلى تصنيف صفات الحروف التي جاءت في أغلب مواصفاتها مطابقة لدراسة الأصوات الحديثة المختبريّة.

[1] . ينظر بوسعدة عمر بن أحمد الشامل في التجويد منشورات آلفا برج الكيفان الجزائر ط5 . 2018م ص 21 إلى 34 / وينظر موسى إسماعيل، المقدمة الجزريّة في علم التجويد للإمام الحافظ ابن الجزري، دار الإتقان، بني تامو البليدة الجزائر، ط الأولى 2019م ص 39 . 40

. صوت (الطاء) :

عند القدامى : صوت **مجهور** مفخم ...

عند المحدَثين : فهو صوت **مهموس** (غير مجهور) انفجاري مفخم..

. صوت (القاف) :

عند القدامى : صوت مجهور مفخم شديد

عند المحدَثين : صوت مهموس انفجاري شبه مفخم.

. صوت الهمزة (ء) :

عدّه القدامى من الأصوات المجهورة

أمّا بعض المحدثين فوصفوه بأنّه صوت محايد، لا هو مهموس ولا هو مجهور كما يثبته المختبر الصوتي، لأنّ الهمزة " في حالتها النطقيّة يقوم الوتران الصوتيان بحبس الهواء خلفهما بقوة، فلا يتذبذبان، لذا فإنّ الهمزة صوت محايد بطبيعته في اللّغة العربيّة"[1]، وعدّه بعضهم من الأصوات المهموسة.

فالهمزة تعدّ من الحروف الانفجارية، لأنّ الاقتراب الحاصل بين الوترين الصوتيين لا يسمح بتسرب الهواء، " لذا فإنّ الانفجار الذي يحدث في أثناء إنتاج الهمزة يتصف بصفتين :

الأولى : انفجار شفوي يحدث في أثناء خروج الهواء فجأة عبر الشفتين.

الثانية : الانفجار المزماري الذي يحدث حين يطلق الوتران الصوتيان تسريح الهواء فجأة"[2] .

---

[1] . البريسم علم الصوت العربي ص 169

[2] . المرجع نفسه ص 174

ولعلّ هذا الانفجار والضوضاء لصوت (الهمزة) وكذلك في صوتي (الطاء والقاف) بالإضافة إلى تفخيم الصوتين الأخيرين هو الذي حمل القدامى على إدراج هذه الأحرف الثلاثة في الحروف المجهورة، لأنّهم كانوا يعتمدون على مقياس تيار الهواء في تصنيف المجهور والمهموس[1]

قال صاحب علم الصوت العربي :" لذا لا أستبعد أن يكون الانفجار الثنائي والضوضاء القويّة المصاحبة له . أي صوت الهمزة . قد أثرا على اختيار همس وجهر هذا الصوت، فاعتبر سيبويه وابن جني الانفجار المزماري والضوضاء القويّة نوعا من الجهر...لذا لا أستبعد أيضا أن يكون الانفجار القوي المصاحب لهذين الصوتين (ط . ق)، يضاف لهما شبه التفخيم للقاف والتفخيم الكامل للطاء، هما اللذان قادا سيبويه وابن جني في تحسس هاتين الظاهرتين وتصنيفهما مع المجهور"[2].

للإشارة : عدّ العلماء القدماء (ق . ط) من أحرف القلقة، أمّا (الهمزة) فلا توصف بالقلقلة عندهم رغم تقاطعها مع (ق . ط) في الانفجار والضوضاء، وشدّة الحفز والضغط، وهذا ممّا لاحظه بعض المحدثين، قال قاسم البريسم:" إنّ سيبويه وابن جني عدّا القاف والطاء ضمن حروف القلقلة، وقالا عنها أنّك لا تستطيع الوقوف عليها إلّا بصوت، وذلك لشدّة الحفز والضغط، ولا أدري

---

[1] . فعلى سبيل المثال عرّف سيبويه الحرف المهموس بقوله :" حرف أُضعف الاعتمادُ في موضعه حتى جرى النّفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه" الكتاب 4 / 434

وقال ابن جني عن المهموس :" فحرف أُضعف الاعتمادُ من موضعه حتى جرى معه النّفس، وأنت تعتبر ذلك بأنّه قد يمكنك تكرير الحرف مع جَرْي الصوت نحو : سَسَسَ، كَكَكَكَ، هَهَهَ، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك" سر صناعة الإعراب 1 / 75

[2] . البريسم علم الصوت العربي ص 174 . 175

لماذا لم يصنفا (الهمزة) ضمن حروف القلقلة التي تحفز في الوقف، وتضغط عند مواضعها ؟"[1].

وهذا التساؤل منطقي يحتاج إلى بحث دقيق.

أمّا ما نلمحه ابتداء من الناحية الصوتيّة في سورة نوح فأجمله في ما يلي:

. أن سورة نوح شملت جميع الحروف الهجائية (الألفبائية) الثمانية والعشرين للغة العربيّة من ألفها إلى يائها أو ما يصطلح عليها (بالصوامت)، بالإضافة إلى جميع الصوائت الطويلة منها والقصيرة (المصوتات).

. هيمنة بعض الصفات الصوتيّة وبشكل ملفت للغاية .

. الانتشار البارز لبعض الأصوات الأسريّة وبكثافة أكثر من غيرها، مثل : (ل . ر)، (ق . ك) التساؤلات التي يمكن طرحها بعد التأمل والتمعن في هذه الأصوات الأكثر انتشارا في سورة نوح والتي شغلت حيّزا كبيرا من مساحة نصها المعجز :

لماذا كانت هذه الأصوات أكثر انتشارا في هذا النّص القرآني؟

وهل تعدّ هذه الأصوات سمة أسلوبيّة للنّص القرآني المعجز؟

وهل لها أثر على دلالات رصف سورة نوح؟

وهل دلالاتها تتساوق مع السياق العام لقصة نوح؟

1 . 1 : الأصوات الثنائية . القائمة على علاقة الأخوة :

بداية أشير أنّ العلاقة بين أصوات اللّغة العربيّة فيما بينها قائمة على علاقة الأخوة قال ابن جني في الخصائص :" ... الحاء أخت الهمزة، اللام أخت الرّاء، السين أخت الزاي ،

---

[1] . البريسم علم الصوت العربي ص 175

والدال أخت الطاء، والقاف أخت الكاف..."[1]، أو العلاقة فيما بينها هي علاقة الأصالة والفرعيّة على رأي الدكتور عمار ساسي حسب قوله :" ومصطلح الأخت هو مبني مسبقا على فلسفة الأصالة والفرعية (الأصل والفرع) في أصوات العربيّة، ونعني به برأيّنا تأكيد أسريّة أصوات العربيّة، وأنّ بعض الأصوات بحكم قربها من بعضها في المخرج كانت كأنّها أخوات "[2]، ومنها في سورة نوح :

. **صوت (اللام والراء)**

. الأول : صوت (اللام) : هو أكثر الأصوات انتشارا في النّص القرآني لسورة نوح، بلغ عدده مائة وإحدى عشرة (111) مرّة، موزعا توزيعا دقيقا معجزا.

ثانيا : صوت (الراء) : ذكر إحدى وستون (61) مرة.

فبإحصاء الكلمات الحاملة لصوت (اللام) الموزعة على مساحة النّص القرآني لسورة نوح والمرتبة في رصف إعجازي بديع (أرسلنا، أليم، أجل الله، ليلا، جعلوا، أعلنت، فقلت، يرسل، يجعل لكم، خلقكم، جعل القمر، جعل الشمس، جعل لكم الأرض، لتسلكوا، آلهتكم، أضلوا، ضلالا، أدخلوا نارا، يضلوا عبادك) نلاحظ ما يلي :

. أنّ الرابط الدلالي بين هذه الكلمات . والذي من أحرف مبناها حرف (اللام). هو اشتراكها في معنى القوة، بحيث يُشْتَم من كلّ كلمة من هذه الكلمات معنى القوة في سياقها الذي هي فيه ورصفها المخصوص، وهذا ما أضفاه كذلك صوت اللام على هذه الكلمات، لأنّ القوة من دلالات صوت

---

[1] . ابن جني الخصائص، 2 / 151 . 152

[2] . ينظر ساسي عمار مقال المنهج الوظيفي الوصفي ،مجلة رسالة المسجد العدد السادس الصادرة في 2009م من منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر ص 16

اللام كما أشار إلى ذلك السكاكي قال :" مخرج اللام يفيد دلالة القوة "[1]، ومن تمثيل ابن سينا لصوت اللام " دلالة واقعية على القوة والعلو "[2] .

- الانتقال من معنى إلى آخر وفق رصف الكلمات وسياقها يتساوق ودلالة النّص القرآني لسورة نوح، فالكلمات الحاملة لصوت اللام (أرسلنا، عذاب أليم، يغفر لكم، أجل مسمى، أجل الله،لا يؤخر، لتغفر لهم، يرسل السماء عليكم ، يمددكم بأموال، يجعل لكم، خلقكم، خلق الله، جعل القمر، جعل الشمس، جعل لكم الأرض لتسلكوا) تدل على العظمة والعلو والقوة، والقوة هنا ثابتة وحقيقية لأنّ مصدرها علوي، أو هي علويّة من الله تعالى القاهر فوق عباده.

كما أنّ الكلمات التي هي من نوح عليه السلام . وحرف اللام من بنيتها . (دعوت قومي ليلا، أعلنت، قلت، لا تذر، اغفر لي، ولوالدي، للمؤمنين) تدل على القوة كذلك، قوة أصلها ثابت وفرعها في السماء،لأنّها قوة مستمدة من القوة العلويّة، قوة في الحقّ والنصح والتبليغ و الثبات واليقين والصبر... فكانت الاستجابة من الله.

وأمّا كلمة (آلهتكم) فإن تقمصت دلالة القوة في سياقها . والقوة من دلالات صوت اللام . إلّا أنّها قوة مزعومة غير حقيقية، سفلية أرضية مالها من قرار، والكلمات المرتبطة بها أو هي امتداد لها (أضلوا، ضلالا، الظالمين) لها من معنى القوة ما هو ظاهر، غير أنّ هذه القوة عارضة مآلها الزوال، بدليل قوله تعالى ﴿**مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا٢٥**﴾ [نوح: 25].

.كما أنّ هذه القوة العارضة مؤقتة مرتبطة بزمن ومكان معين لا استمرار لها، وحتى في هذا النّص

---

[1] . ينظر ساسي عمار، المنهج الوظيفي ، مقال ص16

[2] . المرجع نفسه ص 16

القرآني المعجز جاءت هذه القوة العارضة محصورة بين قوتين علويتين ثابتتين (إنّا أرسلنا) و(أغرقوا فأدخلوا نارا).

. صوت الراء : تتجلى دلالاته بوضوح من خلال إحصاء الكلمات الحاملة لصوت الراء في سورة نوح على النحو التالي :

. الأفعال ومفعولاتها : (أصرّوا، استكبروا استكبارا، أسررت إسرارا) كلّ هذه الأفعال والأفعال مع مفعولاتها تفيد تكرير الفعل، تستفاد هذه الدلالة من سياقاتها ومن القرائن اللفظية كقول نوح عليه السلام (**كلّما دعوتهم**)...

. الأسماء : جلّ الأسماء المستعملة في سورة نوح الحاملة لصوت الراء جاءت للدلالة على المبالغة والكثرة والتكرار والاستمراريّة .

ربّ : من معانيه : . إصلاح الشيء والقيام عليه

. لزوم الشيء والإقامة عليه .

. ضمُّ الشيء للشيء.

وكلّ هذه المعاني متناسبة مع بعضها توحي بدلالة التكثير والتكرار.

قال أحمد بن فارس :" ربّ : الراء والباء يدلّ على أصول :

. الأول : إصلاح الشيء والقيام عليه، فالربُّ : المالك والخالق والصاحب...

والربّ : المصلح للشيء، والله جلّ ثناؤه الربّ لأنّه مصلح أحوال خلقه...

والأصل الآخر : لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول، يقال : أربت السحابة بهذه البلدة إذا دامت، وأرض مَرَبَّ لا يزال بها مطر، ولذلك سمي السحاب رباباً...

والأصل الثالث : ضمّ الشيء للشيء، وهو أيضا مناسب لما قبله...

ومن الباب الثالث الرّبَب : وهو الماء الكثير، سمي بذلك لاجتماعه .

قال : والبُرّةُ السمراءُ والماء الرَّبَب "[1]

غفّارا : صيغة مبالغة للمغفرة

مدرارا : تفيد تتابع الغيث لكثرته وتكريره، قال ابن عاشور :" والمدرار : الكثيرة الدُّر والدُّرور، وهو السيلان، يقال : درت السماء بالمطر، وسماء مدرار، ومعنى ذلك: أن يتبع بعض الأمطار بعضا، والمدرار : زنة مبالغة، وهذا الوزن لا تلحقه علامة التأنيث إلّا نادرا... "[2]، فلذلك لم تلحق تاء التأنيث كلمة (مدرارا) مع أنّ كلمة السماء المرتبطة بها في هذا الرّصف مؤنث.

أطوارا : طور بعد طور، أي تكرير الأطوار مع اختلاف أحوالها، وفي التحرير والتنوير قال :" فأريد من الأطوار هنا ما يحصل في المرات والأزمان من أحوال مختلفة، لأنّه لا يقصد من تعدد المرات والأزمان إلّا تعدد ما يحصل فيها، فهو تعدد بالنوع لا بالتكرار، قال النابغة :

فإنْ أفاقَ لقد طالت عَمايَتُه والمرءُ يُخْلَق طوراً بعدَ أطوارِ"[3].

. نورا : (جعل القمر فيهنّ نورا) : مبالغة في وصف القمر بالإنارة، لأنّ ضوءه ينتشر في الأرض وخاصة حينما يكون بدرا، وهذا ما لم توصف به النّجوم، والأقمار الأخر.

. **إخراجا** : تكرير الإخراج قال تعالى في الآية من **سورة** ﴿۞**مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ٥٥**﴾ [طه: 55]

كفّارا : صيغة مبالغة من كفر.

ما نلمحه من خلال تتبع هذه الكلمات الحاملة لصوت الراء :

. أنّها أشربت دلالة التكرير الذي هو من سمات صوت الراء، والكثرة والاستمرارية

---

[1] . ابن فارس أحمد معجم مقاييس اللغة 1 / 381 . 382. 383

[2] . اين عاشور التحرير والتنوير 29 / 198

[3] . المرجع نفسه 29 / 201

. كما أنّها متساوقة ومنسجمة انسجاما تاما مع الكلمات الحاملة لصوت اللام في رصف هذه السورة القرآنية المعجزة لأنّ : اللام أخت الرا، فبينهما تأثير وتأثر فنلاحظ :

. تكرار العظمة والقوة المطلقة التي هي من صفات القاهر سبحانه وتعالى، وهذا ما يستفاد من مطلع السورة (إنّا أرسلنا) وخاتمتها ﴿**مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا٢٥**﴾ [نوح: 25] قصد تبيين الحقّ، و إنذار الكافرين والضالين لعلّهم يهتدون ، وبشارة المؤمنين وتثبيت قلوبهم.

. تكرار الأحداث مع قوة نصح وتبليغ وإنذار وبشارة ومناجاة وتضرع تستفاد من صوتي اللام والراء.

1 . 2 . رصف صفات الحروف ودلالاتها في سورة نوح :

اشتمل النّص القرآني لسورة نوح على جميع صفات الحروف العربيّة، والملاحظ أنّ من هذه: الصفات منها ما هو أكثر انتشارا من غيرها تتساوق مع دلالات القصة وتتناغم مع نصّ السورة كما سيأتي تبيينه من خلال الجداول التالية:

. الجهر[1] والهمس[2]

الجهر	تواترها	الهمس	تواترها

[1] **. الجهر** : عرفه القدامى :" هو انحباس النّفس لقوة الاعتماد عليها . حروف الجهر . في موضع مخرجها لا تخرج إلّا بصوت شديد قوي يمنع النّفس من الجريان معها " ينظر التمهيد ص 31 ، أمّا تعريف المحدَثين للجهر فمرتبط باهتزاز الوترين أو ذبذبتهما " فالأصوات المجهورة تهتز فيه الأوتار الصوتية بقوة فيضاف هذا الاهتزاز العضوي للتجاويف العليا " ينظر مبادئ في اللسانيات ص 58

[2] **. الهمس** : عند القدماء هو :" جريان النّفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجهّ ينظر التمهيد ص 30، وتعريفه عند المحدَثين هو أنّ :" الأصوات المهموسة لا يقع فيها اهتزاز الوتران " ينظر مبادئ في اللسانيات ص 58

ل	111	ت	36
ن +	74 +	ه	33
التنوين	46	ك	32
م	83	س	21
و	57 +	ق	21
+ المديّة	28	ف	20
الألف المدية	77	خ	12
ر	61	ث	6
ي	30 +	ط	5
+ المديّة	24	ص	4
ب	33	ح	3
ع	27	ش	3
د	26	ء	58
ج	19		
ذ	10		
غ	8		
ز	4		
ظ	4		
ض	6		
المجموع	728	المجموع	244

الشدة	تواترها	الرخوة	تواترها
ء	58	(ا) المديّة	77
ت	36	و +	57 +
ب	33	المديّة	28

. الشدّة[1] والرخاوة[2]

ك	32	ي +	30 +
د	26	المديّة	24
ق	21	ه	33
ج	19	س	21
ط	5	ف	20
		خ	12
		ذ	10
		غ	8
		ث	6
		ض	6
		ظ	4
		ص	4
		ز	4
		ح	3
		ش	3
المجموع	230		347

[1] **. الشدّة** : عند القدماء هي :" انحباس جريان الصوت عند النطق بالحرف لكمال قوة الاعتماد على المخرج" ينظر التمهيد ص 31، وقال في الرعاية ص 37:" الحرف الشديد حرف اشتدّ لزومه لموضعه حتى منع الصوت أن يجري معه" انزر أكثر تفصيلا النور الجامع لرواية ورش عن نافع ص 299 . 300، أمّا الشدّة عند المحدَثين أو الحبسيّة أو كذلك يطلق عليها بالإنفجاريّة هي التي :" إذا وقع انسداد تام وذلك باعتراض العضو المصوّت على الهواء المتصاعد من الصدر حصل حبس ثمّ انطلاق، أي أنّه يقع حبس الهواء مدّة وراء العضو المعترض ثمّ اطلاقه دفعة واحدة بإزالة الاعتراض وانفتاح القناة " مبادئ في اللسانيات ص 57

[2] **. الرخاوة** : عند القدماء هي :" جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد عليه" التمهيد ص32، عند المحدَثين الرخاوة أو ما يطلق عليها الأصوات الاحتكاكيّة أو التسريبية هي :" إذا نفذ الهواء في تلك التجاويف . تجاويف الآلة الصوتيّة . واعترضه عضو كالأوتار نفسها أو جوانب الحلق أو اللهاة أو اللسان أو الشفتين اعتراضا غير تام فيضيق ممرّه يحصل احتكاك بين الهواء والجوانب الداخليّة لهذه الأعضاء يحدث صوت من نوع خاص من جرّاء هذا الاحتكاك " ينظر مبادئ في اللسانيات ص 57

الاستعلاء والاستفال

الاستعلاء	تواترها	الاستفال	تواترها
ق	21	ل	111
خ	12	ن +	74 +
غ	8	التنوين	46
ض	6	م	83
ط	5	ا (المديّة)	77
ص	4	ر	61
ظ	4	ء	58
		و	57
		ت	36
		ه	33
		ب	33
		ك	32
		ي	30
		و(المديّة)	28
		ع	27
		د	26
		ي (المديّة)	24
		س	21
		ف	20
		ج	19
		ذ	10
		ث	6
		ز	4
		ش	3

		ح	3
المجموع	60	المجموع	892

وبعد إحصاء صفات الحروف الموزعة في سورة نوح كما هي مثبتة بعضها في الجداول أول ما نلمحه :

أولا : بين الجهر والهمس :

إنّ صفات الجهر تواترت ما يربو عن سبعمائة وثماني وعشرين (728) مرّة أكثر من صفات الهمس الذي بلغ تواترهذه الأخيرة ما يزيد عن مائتين وأربع وأربعين (244) مرّة تدل على أنّ الأصل في أيّ دعوة ربانيّة إلى الله تعالى الجهر بها، والله تعالى يقول ﴿**فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ٩٤**﴾ [الحجر: 94]، وقوله ﴿**وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ٢١٤**﴾ [الشعراء: 214]، ولعلّ تقديم الجهر والإعلان بالدعوة إلى الله قبل الإسرار بها في سورة نوح نفسها لدليل على ذلك في قوله ﴿**ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا٩**﴾ [نوح: 8-9] هذا من جهة

ومن جهة ثانية انتشار صفات الجهر في بناء النّص القرآني لسورة نوح بشكل بديع ورصف دقيق أكثر من صفات الهمس التي هي ضدها تناسب نصاعة دعوة نوح عليه السلام ووضوحها من خلال الجهر بها أمام الأجيال المتعاقبة من قومه دون كلل ولا ملل، ولا تغيير ولا تبديل لأصل دعوته طيلة مسيرته الدعويّة الممتدّة.

وقد يُسلك في الدعوة إلى الله مسلك الإسرار إستثناء إذا ما اقتضت الحاجة إلى ذلك، فكانت صفات الهمس الأقل مناسبة لهذا الإستثناء.

ثانيا : بين الرخوة والشديدة :

صفات الرخاوة التي بلغ تواترها ما يزيد عن ثلاثمائة وسبع وأربعين(347) مرة بالإضافة إلى الصفات البينيّة أو اللين المتجانسة في الدلالة والمعنى معها جاءت أكثر توزيعا وانتشارا في رصف سورة نوح، وفي المقابل الصفات الشديدة لا تقارن مع سابقاتها لقلّتها عددها مائتان وثلاثون (230)، وهذه الصفات بهذا العدد والانتشار تتناغم تناغما عجيبا مع دعوة نوح عليه السلام وجميع دعوات الأنبياء والرسل عليهم السلام المبنيّة على اللين والرفق في التبليغ، والاقناع بالتي هي أحسن، وهذه طبيعة الدعوة إلى الله ، أو نقول خاصيّتها، والله تعالى لمّا أمر موسى وهارون عليهما السلام بتبليغ فرعون رغم تجبره وادعائه الربوبيّة قال لهما تعالى ﴿**فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ٤٤**﴾ [طه: 44].

وهذا الأسلوب الدعوي الليّن الذي يمتاز بالرفق وقوة الاقناع استخدمه نوح عليه السلام، كما هو واضح دلت عليه آيات سورة نوح منها : ﴿**أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ٤**﴾ **[نوح: 3-4]**

﴿**فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا١١**﴾ [نوح: 10-11].

ثالثا : بين الاستعلاء والاستفال :

فالملاحظ أنّ صفات الاستفال والمجانسة لها (الترقيق) تكاد تكون هي المهيمنة على نص سورة نوح والتي بلغ عددها ما يزيد عن ثمانمائة واثنين وتسعين(892) مرة، وفي المقابل صفات

الاستعلاء و التفخيم أو التغليظ التي هي ضدها لم تذكر سوى ستون(60) مرّة، ولعلّ هذه الصفات المرصوفة بهذا الرّصف المعجز يتساوق مع طبيعة دعوة الأنبياء والرّسل عليهم السلام جميعا، وطبيعة دعوة من يرثهم إلى يوم الدين، لأنّ الدعوة إلى الله تناسبها صفات الرفق واللين والرقائق والتواضع في مواضعه التي تتناغم مع صفات الترقيق والاستفال لا الاستعلاء والتغليظ، فهذا أنسب للدعوة، وأجدر للتأثير، وأحرى للاستجابة، وأقوى للإقناع، والله مدح نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا اللين والرقّة والرفق في تبليغ الدعوة إليه تعالى قال ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ١٥٩**﴾ [آل عمران: 159]، وقال أيضا ﴿**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ١٢٥**﴾ [النحل: 125] .

رابعا : بين الإطباق والانفتاح :

أقل الحروف انتشارا في سورة نوح هي أحرف الإطباق[1] (Velarized)، بحيث جاءت متقاربة من حيث العدد (ض : 6 . ط : 5 . ظ : 4 . ص : 4)، وبهذا العدد الضئيل أمام كثرة الحروف المتصفة بالانفتاح[2] في نصّ السورة .

كأنّ صفة الإطباق لا أثر لها، لأنّ الإطباق به ينهى الشيء، قال الزمخشري في أساس البلاغة :"

---

[1] . **الإطباق** : عند القدماء هو :" تلاصق اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، وكلّ مطبق هو مستعلي،وليس كلّ مستعلي هو مطبق " النور الجامع لرواية ورش عن نافع ص 303 ، أمّا المحدَثون

[2] . **الانفتاح** : عند القدماء هو :" ابتعاد اللسان عن الحنك حتى يخرج الريح عند النطق بالحرف، والانفتاح أعمّ وأشمل، فكلّ مستفل هو منفتح، وليس كلّ منفتح مستفل كاخاء والقاف والغين" النور الجامع لرواية ورش عن نافع ص 304

وبيت مُطْبَقٌ انتهى عروضه في وسط الكلمة"[1]، وهذا لا يتناسب مع قصة نوح في دعوته لقومه، ولا مع القصص القرآني الذي تبقى عبره وعظاته جديدة متجددة صالحة لكلّ زمان ومكان، تتناغم وصفة الانفتاح المهيمنة على جميع صوامت سورة نوح وصوائتها ومصوتاتها التي يزيد عددها عن الألف مرّة، ما عدا المطبق منها أقل من عشرين مرة، توحي دلالتها على انفتاح دعوة نوح عليه السلام على فضاءات الزمان والمكان الممتدّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

1 . 3 . الحركات (المصوتات القصيرة) :

ما هو ملاحظ أنّ حركة الفتحة (مصوت قصير) في سورة نوح فاق عددها ما يزيد عن ثلاثمائة وست وسبعين (376) مرة، في حين الكسرة ذكرت مائة وتسع وعشرون(129)مرة، والضمّة مائة وتسع (109) مرات ، فبمجموعهما أقل عددا من عدد الفتحات، تعدّ هذه سمة أسلوبية بهذا الرّصف في نصّ سورة نوح تتساوق ودلالات قصة نوح من شقين على الأقل :

أولا : الفتحة خفيفة على اللسان لا تكلف فيها، فمصاحبتها لأكثر أحرف مباني الكلمة العربيّة في السلسلة الخطيّة تجعلها أيسر نطقا، وأخف على اللسان، وعلى جهاز التصويت، ولعلّ هذا ما جعل العربي يميل في مباني كلمات لغته إلى استعمال حركة الفتحة أكثر من ضميماتها، بل تنفرد في مبنى بعض الكلمات لتوخي السهولة في استعمالها، كما أنّ أكثر كلام العرب موشح بالفتحة (المفاعيل، اسم إنّ وأخواتها، خبر كان وأخواتها، الحال المفردة، التمييز، الصفات المنصوبة.. الأفعال المصوبة، بعض الأفعال المبنية على الفتح، أحرف المعاني المبنيّة على الفتح ...)، وهذا بخلاف الضمة، وأقل منها الكسرة للمشقة الحاصلة عنهما نطقا، والصعوبة التي تعتري جهاز التصويت، وهذا واضح بيّن لا يتناغم وحقيقة الدعوة إلى الله التي تجنح إلى التيسير ورفع المشقّة،

[1] . الزمخشري أساس البلاغة ص 275

وهي في وسْع الجميع، فناسبها كثرة الفتحات في يسرها وسهولتها.

ثانيا : انتشار الفتحة (الحركة القصيرة) في النّص القرآني لسورة نوح وبرصف دقيق أكثر من حركتي (الضمة والكسرة) تتناغم وتتساوق والخطاب المهيمن على السورة، وهو خطاب الشكاية والتضرع والمناجاة الذي تناسبه الفتحة والمدّة.

1 . 4 . الإيقاع الصوتي في سورة نوح :

الإيقاع الصوتي ممّا يتميّز به اللسان العربيّ المبين بفضل الاعتدال في توزيع أصواته وتآلفها، وترابط كلماته وتعالقها، واتساق جمله وانسجامها، وسبك رصفه ودقته في نظم محكم إلى درجة سحر بيانه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور **(إنّ من البيان لسحرا)**، وإن كان منبع هذا الإيقاع الصوتي كما قال صاحب مشاهد من قصة موسى " اللّغة نفسها، وهي ائتلاف الأصوات في اللفظة الواحدة، وفي سياق الألفاظ وتناسبها وتناغمها، وأدائها للمعنى ودلالتها عليه"[1] ففي القرآن الكريم الإيقاع آكد وبخاصة في القصص القرآني لما يمتاز به " من حيث اشعاع للنظم الخاص في كلّ موضع، وتابع لقصر الفواصل وطولها، وتابع لانسجام الحروف في الكلمة المفردة، ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة"[2]، ومن دلالات الإيقاع الصوتي في سورة نوح :

1 . 4 . 1 . التجمع الصوتي

. التجمع الصوتي بحرف واحد :

---

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ص 26

[2] . المرجع نفسه ص 26

حينما نمعن النظر في رصف الحروف خطيا وتوزيعها العجيب في النّص القرآني لسورة نوح نلمح بعض الأحرف أكثر بروزا من غيرها، وتظهر للعيان بشكل ملفت للانتباه في سياق معيّن ورصف محكم على شكل تجمع صوتي له إيقاع نغمي يهز النّفوس، وموحٍ بدلالات ومعان معجزة منها :

. صوت (القاف) :في الكلمات التالية (قومه . قومك . قبل . قال . يا قوم . واتقوه) مجموعة في الآيات الثلاث الأولى من مطلع السورة ﴿**إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣**﴾ [نوح: 1-3] بالإضافة إلى الإيقاع الصوتي المنسجم، والنّغم المستحلي الذي شكّله صوت (القاف) من خلال تكراره في تجمع الكلمات المذكورة آنفا فإنّه بتعدد ذكره وتوزيع كلماته في رصف الآيات الكريمة بشكل بارز الذي أشربت دلالات صفات هذا الحرف(ق) الذي وصفه الخليل بن أحمد الفراهيدي مع حرف (ع) :" بأنّهما أطلق الحروف وأضخمها جرسا، وهما إذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما"[1] يتناسب مع معاني الآيات ودلالاتها من جدية الأوامر، و شدّة في تحمل ثقل الدعوة، وقوة في وضوح دعوة الله ونصاعتها وضخامة تبليغها، واستعلاء على سفاسف الأمور وصغائرها، مع الاستمرار على ذلك طيلة مسيرة الدعوة.

فحرف القاف جاء متساوقا مع هذه الدلالات ومحاكيا لها في تناغم عجيب من حيث تكراره وصفاته، لأنّه من حروف الشدّة والانفجار والقوة و الوضوح وهذا ما جعل ابن جني يصفها بذلك فقال :" على أنّ العين والقاف قد حسنتا الحال لصناعة العين، ولذاذة مستمعها، وقوة القاف، وصحة جرسها..."[2].

---

[1] . الفراهدي الخليل بن أحمد، العين 1 / 60

[2] . ينظر ابن جني سر صناعة الإعراب 1 / 79

ومن عجيب اللسان العربي وبديعه أنّ حرف القاف في مبنى الكلمة يشربها تلك الدلالة (دلالة القوة)، فتشترك بذلك كلّ الكلمات العربيّة الحاملة لحرف القاف في هذه الدلالة . دلالة القوة . كدلالة عامة، ثمّ تنفرد كلّ كلمة إضافة لهذه الدلالة بدلالتها الخاصة المركزيّة أو السياقية، وعلى سبيل المثال :

. القلب : قوة النبض رمز للحياة، قوة في التبصر ...

. القلم : قوة الكتابة وما يتعلق بها من دلالات..

القسوة : قوة ظاهرة، فهي اسم على مسمى . .

القمر : قوة في الإنارة و الإفراط في العلو...

. القول : قوة في الكلام، قوة البيان... .

القوم : قوة المنعة والعصبة والاتحاد...

. التقّوى : قوة العبادة، قوة إتباع الصراط المستقيم ....

وتأمل دلالة القوة في هذه الكلمات القرآنية الحاملة لحرف القاف : .

الحقّ، القتل، قلوبكم : في قوله تعالى ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤**﴾ [آل عمران: 154.

. المحق : في قوله ﴿**وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤١**﴾ [آل عمران: 141 .

. القرح : في قوله ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠**﴾ [آل عمران: 140].

. فالق : في قوله تعالى ﴿**فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ٩٦**﴾ [الأنعام: 96].

أقسم والقيامة : في قوله ﴿**لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ٢**﴾ [القيامة: 1-2]

. الحاقة (يوم القيامة) : ﴿**ٱلۡحَآقَّةُ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ٢**﴾ [الحاقة: 1-2].

. القارعة (يوم القيامة) : ﴿**ٱلۡقَارِعَةُ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ٢**﴾ [القارعة: 1-2].

. الشفق والوسق (الضم والجمع) : ﴿**فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ١٧**﴾ [الانشقاق: 16-17].

الطارق الثاقب ﴿**وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ٣**﴾ [الطارق: 1-3]. -

القدر : ﴿**إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ٢**﴾ [القدر: 1-2].

الفلق . خلق . غاسق (الليل المظلم) . وقب (دخل) . العُقَد (ما يعقدن من السحر) في سورة الفلق ...

وهذا مبحث لطيف في دلالة حروف اللسان العربي أشار إليه بعض الباحثين لا يتفرد به حرف القاف فحسب، وإنّما كلّ حرف من حروف العربيّة يلقي بدلالته على بنية الكلمة الذي هو أصل في بنيتها، فعلى سبيل المثال :

. حرف(الميم) للدلالة على العِلْويّة في الغالب(السماء، النجوم، الملائكة، الشمس، القمر، الملأ الأعلى، المنارة...).

. وحرف (الحاء) للدلالة على الطاقويّة (الحرارة، الحسد، الحقد، الحزن، الحيويّة، الحمد، الحج، الحصاد....).

. و حرف (الغين) للدلالة على الظلمة والسترة (الغبن، الغور، الغابة، الغسق، الغمام، الغيرة،

الغائب، المغفرة....) ....

. صوت (السين) : والسين من أحرف الاستفال والصفير احتكاكي مهموس، إذا ما تكرر صوته في كلمات مرصوفة أعطى انسجاما نغميا بديعا، وإيقاعا صوتيا محببا، كما هو واضح الإيقاع النّغمي اللذيذ في الكلمات (أسررت، إسراراً، استغفروا، يرسل، السماء) المرصوفة في الآيات الكريمة من سورة نوح ﴿**ثُمَّ إِنِّيَ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا١١**﴾ [نوح: 9-11]، والأعجب من هذا الإيقاع أنّ صوت (السين) تجلت صفة همسه .

. صوت (الراء) : في ﴿**وَمَكَرُوا مَكۡرٗا كُبَّارٗا٢٢**﴾ [نوح: 22]**أشرت** آنفا إلى أنّ حرف الراء يتفرد بصفة التكرار، وفي هذا الرّصف القرآني البديع ﴿**وَمَكَرُوا مَكۡرٗا كُبَّارٗا٢٢**﴾ [نوح: 22] أعطى التجمع الصوتي لصوت الراء إيقاعا نغميا محببا فيه من حلاوة الجرس ما لا يُملّ.

كما أنّ صفة تكرار الراء مع تكرارها المتتالي في هذه الكلمات المتوالية في السلسلة الخطية يتناسب ودلالة هذه الرّصف العجيب الذي يدل على تولّد المكر وتكراره باستمرارية دون توقف حتّى وصف بأعلى درجات المبالغة (كُبَّارا) من شدّة هذا المكر الذي لا تحيط به العبارة.

1 . 4 . 2 . دلالات تكرار الألفاظ

. تكرار ألفاظ (الدعوة) :

./ دعوت / دعائي / دعوتهم/ دعوتهم /. أربع مرات بشكل متتالي في الآيات 5. إلى ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا٨**﴾ [نوح: 5-8]**فإلى** جانب الإيقاع الذي يحدثه هذا التجمع الصوتي

لمشتقات ألفاظ الدعوة بـ" تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا"[1] من خلال تكرارها في رصف واحد بداية مطلع خطاب الشكاية والتضرع والمناجاة يصور لنا دلاليا المغزى الذي يستفاد من قصة نوح عليه السلام وهو الدعوة إلى الله والتكثير منها مع الاستمرارية وتكريرها كلّما أتيحت الفرص السانحة بإستغراق أوقات الوعاء الزمني بوسائل متنوعة وطرائق متعددة مع التجمل بالصبر والتَحَمُّل.

ومن جانب آخر يرسم لنا هذا التكرار المحور الأساسي لهذه السورة الكريمة وهو الدعوة إلى الله تعالى وما يتعلق بها.

. وحرف العين في بناء لفظة (الدعوة) ومشتقاتها للدلالة على وضوح هذه الدعوة الربانيّة ونصاعتها، ذكرت قول الخليل وهو يصف صوت (ع) مع (ق) :" بأنّهما أطلق الحروف، واضخمهما جرسا، وهما إذا اجتمعتا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما"[2].

. تكرار ألفاظ (الاستكبار) . / استكبروا / استكبارا / .

. تكرار ألفاظ (الإسرار) . / أسررت / إسراراً / .

. تكرار ألفاظ (الإخراج) . / يخرجكم / إخراجاً / .

. تكرار لفظ (المكر) . / مكروا / مكرا / .

إلى جانب مع ما تحدثه هذه الألفاظ المشتقة من مادة واحدة من نغم صوتي مستحلٍ ومحبب، فإنّ هذا التكرار ينطوي على معنى التكثير الذي يتساوق والدلالات العامة لقصة نوح عليه السلام.

. كما أنّ جميع هذه الألفاظ المكررة من أصول بنائها حرف (الرّاء) الذي أفضى بصفته التكراريّة عليها فأشربت دلالته.

---

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ص 27

[2] . الفراهدي الخليل بن أحمد العين 1 / 60

1 . 5 . دلالات الفواصل في سورة نوح :

تنوعت فواصل سورة نوح بين : الفاصلة القصيرة المنتهية بالياء والميم، والياء والنون (أليم . مبين) في الآيتين المتصدرتين لمطلع السورة، قوله تعالى (**من قبل أن يأتيهم عذاب أليم**) وقوله (**إنّي لكم نذير مبين**) والفاصلة الطويلة المنتهية بالواو والنون (أطيعون . تعلمون) في موضعين من السورة على رأسي الآيتين الثالثة والرابعة.

أمّا الفاصلة المتوسطة المنتهية بالتنوين بالنصب وألف التأسيس قبل حرفها الأخير فهي أكثر الفواصل شغلت مساحة نّص السورة موزعة على أربع وعشرين (24) آية من مجموع ثماني وعشرين (28) آية المؤلفة لسورة نوح، وهي على التوالي (نهارا . فرارا . استكبارا . جهارا . إسرارا . غفّارا . مدرارا . أنهارا . وقارا . أطوارا . طباقا . سراجا . نباتا . إخراجا . بساطا . فجاجا . خسارا . كُبّارا . ضلالا . أنصارا . دَيّارا . كَفّارا . تبارا) ماعدا لفظة (نسرا) خالية من ألف التأسيس.

وهذا التنوع للفواصل الذي اتسمت به هذه السورة الكريمة سمة أسلوبية قابلة للتأمل والدراسة والوقوف على دلالاتها .

وقد أشار أحمد أبو زيد إلى بعض السمات الأسلوبية من خلال وظائف أحرف المدّ واللين في فاصلة الآية القرآنية في سورة نوح المنتهية بصوت (الراء المتحرك) الواقع بين صوتين مدّين، وبيّن بأنّها تؤدي .(أحرف المدّ) . وظيفة إيقاعية ووظيفة دلالية بعد أن ساق مثالا من السورة نفسها (الآيات من 5 إلى 10 ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا١٠**﴾ [نوح: 5-10]، قال:" فالفاصلة التي تنتهي بها هذه الآيات تتألف من مقطع يتكون من صوت متحرك هو الراء، ومن صوتين ممدودين

هما الألف التي قبل الراء، والألف التي بعدها، ولهذين المدّين وظيفة إيقاعية ووظيفة دلاليّة :

أمّا الأولى (الإيقاعية) : فيؤديانها بالسماح للصوت بالارتفاع والامتداد نهاية كلّ آية بمقدار متناسب.

وأمّا الثانية (الدلالية) : فيؤديانها بالإسهام في الإيحاء بصورة الجهد الضخم والزمن الطويل الذي أمضاه نوح عليه السلام في دعوة قومه، وقد أشار القرآن في مكان آخر إلى أنّه عليه السلام **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ١٤﴾** [العنكبوت: 14]][1] .

وهذا الذي ذهب إليه أحمد أبو زيد يمكن أن يظهر جليا في حالة الوقف على رؤوس الآي، أمّا في حالة الوصل فينعدم، لأنّ في حالة الوقف لا يكون الوقف إلّا على مدّ العوض للتنوين، مقداره حركتين أو النطق بحرفين متتاليين، لا يزيد على ذلك وإلّا كانت الزيادة على المقدار تكلفا ومبالغة في المدّ، وليس ذلك من أصل القراءة القرآنية في شيء، لأنّ التأدية القرآنية سنة متبعة، أمّا في حالة الوصل فلا وجود لمدّ بعد حرف الراء . في فواصل الآيات المنتهية بحرف الراء المنوّن .، إنّما تبقى الكلمة التي هي فاصلة الآية على أصلها عبارة عن مقطع مقفل، أي منتهية بتنوين، والتنوين حرف نون ساكن مثله مثل النون الخطية الساكنة، لهما الأحكام نفسها في علم التجويد.

والذي يظهر لي من خلال التمعن والإمعان في النّظم البديع المعجز لهذه السورة الكريمة أنّها اشتملت على ثلاث مراحل خطابية كبرى، وكلّ مرحلة من هذه المراحل اختصّ رصفها بفاصلة متناسبة مع دلالته :

---

[1] أبو زيد أحمد التناسب البياني في القرآن (دراسة في النّظم المعنوي والصوتي) . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب ط 1992م ص 354 .

الأولى : خطاب (إخباري) من الله سبحانه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١**﴾ **[نوح: 1] متضمنا خطابا أمريا تفسيريا من الله تعالى إلى نوح عليه السلامّ .**

الثانية : خطاب (أمري تبليغي) من نوح عليه السلام إلى قومه ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ٤**﴾ [نوح: 2-4] .

الثالثة : خطاب شكاية وتضرع ومناجاة بداية من الآية الخامسة ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥**﴾ **[نوح: 5] إلى خاتمة السورة مع الآية الثامنة والعشرين ما عدا الآية الخامسة والعشرين** ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25] فهي من كلام الله، وليست من حكاية نوح عليه السلام.

وما هو ملاحظ من خلال رصف هذين الخطابين أنّ فواصل آياتها الأربع (**أليم**) في الآية الأولى و(**مبين**) في الآية الثانية و(**أطيعون**) في الآية الثالثة و(**تعلمون**) في الآية الرابعة كلّها تنتهي بحرف قبلها حرف من أحرف المدّ واللين(الواو والياء) التي مخرجها جوف الفم، وهذه الأحرف المديّة التي اشتملت عليها فواصل الخطابين في الآيات الأربع بالإضافة إلى الإيقاع الذي تحدثه أثناء نطق الكلمة، وما تضفيه عليها من نغم آسر محبب، قال الزركشي:" قد كثر في القرآن الكريم ختمُ كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المدّ واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك... وجاء القرآن على أعذب مقطع، وأسهل موقف "[1]، وقال سيبويه من قبل أيضا في الكتاب :" أمّا إذا ترنّموا فإنّهم يُلحقون الألف والواو والياء، ما ينون وما لا ينون، لأنّهم أرادوا مدّ

[1] . الزركشي البرهان في علوم القرآن 1 / 68 . 69

الصوت، فإذا أنشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة أوجه :

أمّا أهل الحجاز فيَدَعون هذه القوافي (ما نُوِّن منها وما لم ينوّن) على حالها في الترنّم، ليفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للغناء، وأمّا ناس كثير من بني تميم فإنّهم يبدلون مكان المدّة النون فيما ينوّن، وما لم ينوّن لما لم يريدوا الترنّم أبدلوا مكان المدّة نونا ولفظوا بتمام البناء وما هو منه"[1].

وفي الخصائص قال :" إنّما جيء بالمدّ في هذه الموضع لنَعْمته . رقة الصوت . وللين الصوت به، وذلك أنّ آخر الكلمة موضع الوقف، ومكان الاستراحة والأوِن . الدعة والسكون . فقدّموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه، وما يُخَفِّض من غُلَوَاء (النشاط والسرعة) الناطق واستمراره على سَنَن جَرْيه، وتتابع نطقه، ولذلك كثرت حروف المدّ قبل حرف الرويّ كالتأسيس والرِّدْف ليكون ذلك مؤذنا بالوقوف، ومؤدّيا إلى الراحة والسكون، وكلّما جاور حرف المدّ الرويّ كان آنس به، وأشدّ إنْعاما لمستمعه"[2].

ومن الباحثين المحدثين عز الدين علي السيد ذكر قيمة هذه المدود في الفواصل القرآنية إلى درجة إعجازها فقال :" والمدود في الفواصل وهي نهايات الدفعات الصوتية للجمل عند الوقف، نجد لها في القرآن الكريم من الحلاوة والإطراب حظا يثير الإحساس بأنّ لها دخلا كبيرا في الإعجاز، وهي إمّا مدود مطلقة يوقف عليها بصوتها، وإمّا ملحقة بحرف صائت تسبقه، وقد تتكرر في كلمة

---

[1] . ينظر الكتاب 2 / 299

وممّا استشهد به سيبويه بإبدال المدّة نونا ما ذكره في الكتاب من بعض أشعار العرب وعمّا سمعه من أهل الحجاز قولهم : " **يا أبتَا عَلَّكَ أو عَسَاكَنْ** " ، وقول العجاج : " **يا صاحِ ما هاجَ العيون الذُّرَّفَنْ** "، وقوله أيضا : " **مِنْ طللٍ كالأَتْحميَ أَنْهَجَنْ** "

[2] . ابن جني الخصائص 1 / 233

الفاصلة فيضاعف التكرير قيمتها بما لا يخفى جماله وأسرار إيقاعه"[1] .

فكذلك هذه المدود في فواصلها القرآنية لها وظيفة دلالية مرتبطة برصفها الذي هي منه بحيث تتناسب مع قصة نوح عليه السلام وتتناغم معها تناغما منسجما، إذ يفهم من رصف الآيات الأولى الأربع من سورة نوح إيحاء أنّ دعوة نوح عليه السلام ستمتدّ زمنا طويلا بدليل أمر الله لنوح عليه السلام ﴿ **أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١** ﴾ [نوح: 1] وقول نوح عليه السلام لقومه ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ٤** ﴾ [نوح: 3-4]، إذ أنّ هذه الأوامر؛ أو الدعوة تحتاج إلى قوة إقناع، وشدّة تمرّن ردحا من الزمن عند كثير من النّاس، وخاصة عند من يحتاج وقتا للتخلص من الشوائب المتراكمة، شوائب العقيدة الباطلة والأفكار الساذجة، والأخلاق المنحطة، والعادات السيّئة، فالمدّ اليائي والواوي قبل الصوت المتحرك في الفواصل الأربع من مطلع سورة نوح ناسب قصة نوح كما أسلفت، وتجلت وظيفته الدلالية بالإسهام في إبراز الصورة الإيحائية للسياق الزمني الممتد والطويل لدعوة نوح عليه السلام (ألف سنة إلّا خمسين عاما)، لأنّ الياء المديّة في (أليم) و(مبين)، والواو في (أطيعون)، و(تعلمون) دلت على هذا المعنى من خلال الإيقاع الصوتي بالامتداد والارتفاع لهذه الفواصل وصلا، وزيادة في امتدادها وقفا، وهذا النوع من المدود في حالة الوقف يكون عارضا للسكون، والمدّ العارض للسكون عند القراء يصل مقدار مدّه من الحركتين إلى ست حركات، وكأنّه يساير السياق الزّمني طيلة مدّة التبليغ التي قضاها نوح عليه السلام مع قومه ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ**

[1] . التكرير بين المثير والتأثير ص 65، نقلا عن أبو زيد. أحمد التناسب البياني في القرآن . دراسة في النّظم المعنوي والصوتي ص 354

سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ١٤ ﴾ [العنكبوت: 14]، والتي رُسمت بداياتها ونهاياتها في سورة نوح، وهذا ما لم يكن مع باقي الفواصل المنتهية مقاطعها بالصوت المنوّن بالفتح قبله صوت مدّ، لأنّ صوت المدّ بعد صوت (الراء) في فواصل الآيات أربع وعشرين في الأصل هو مدّ العوض للتنوين بالفتح في حالة الوقف فقط، أمّا في حالة الوصل فلا أثر له، بل هو آخر صوت ساكن من الفاصلة، مقطعها مقفل، وحتى وإن كانت هذه الفاصلة المنتهية بصوت (ر، ق، ج، ت، ل) وهذا الصوت قبله مدّ وبعده مدّ في حالة الوقف عليها إلّا أنّ إيقاعها المدّي من حيث المقدار الامتدادي يختلف عن سابقاتها في الفواصل الأربع الأولى. فالفواصل الأربع الأولى(أليم، مبين، أطيعون، تعلمون) كما ذكرت سابقا تنتهي بصوت . أي صوت (م، ن) . قبله مدّ، وهذا المدّ لا يقتصر امتداده في حالة الوقف على مقدار حركتين بل يمتدّ إلى مقدار ست حركات، فيصوّر لنا هذا الإيقاع الصوتي العجيب بالإضافة إلى النطق المتزن، وجمال النغم الذي يتلذذ به السمع، وسرّ التأثير المعجز دلالة محاكاة السياق الزمني الطويل لقصة نوح عليه السلام.

أمّا باقي فواصل السورة الكريمة الأربع والعشرين (نهاراً، فراراُ، استكباراً، جهاراً، إسراراً، غفاراً، مدراراً، أنهاراً، وقاراً، أطواراً، طباقاً، سراجاً، نباتاً، إخراجاً، فجاجاً، خساراً، كُبَّاراً، نسراً، ضلالاً، ناراً، أنصاراً، ديّاراً، كفّاراً، تباراً) تنتهي بصوت منوّن بالفتح . (ر، ق، ج، ت، ل) . قبله مدّ . فمثلها مثل الفواصل الأربع الأولى . ماعدا فاصلة الآية (نسرا) . وهذه اللفظة من الأسماء الأعجميّة . وأمّا المدّ الذي بعد صوت (الراء) و(القاف)... الذي ذكره أحمد أبو زيد في قوله :" ... من صوتين ممدودين وهما الألف قبل الراء والألف بعدها ..." فهذا الألف . أي الذي بعد الراء والقاف هو مدّ العوض للتنوين بالفتح، يُمدّ في حالة الوقف مقدار حركتين فقط، ولا أثر له في حالة الوصل، والذي يبدو أنّ هذه المدود في الفواصل الأربع والعشرين ناسبت الرّصف الأخير من

السورة المتمثل في النوع الثالث من أنواع الخطاب الذي اشتملت عليه هذه السورة الكريمة، وهو : خطاب (الشكاية والتضرع والمناجاة) الذي يمثل المرحلة الأخيرة من العمر الزمني لدعوة نوح عليه السلام، إذ يصوّر لنا الإيقاع الصوتي لهذه الفواصل من خلال امتداد صوت المدّين في كلّ فاصلة، وهذا بالإضافة إلى ما يحدثه من انسجام إيقاعي بديع بالوقوف عليه على رؤوس الآي تطرب له النّفس من جمال النغم الآسر :

أولا : معاناة نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله من خلال ما قدّم من جهد كبير ضخم منقطع النظير في ذلك ، وذلك بسبب ما لقيّ من إعراض وتعنت قومه، وإيثارهم للباطل على الحقّ، وتبرز هذه المعاناة من خلال قوله عليه السلام أو خطاب الشكاية والتضرع والمناجاة ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧**﴾ **[نوح: 5-7]**، ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا٢٢**﴾ [نوح: 22]، ﴿**وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا٢٤**﴾ [نوح: 24]، ﴿﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦**﴾ [نوح: 26]، ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28]، وفواصل الآيات الأربع والعشرين ترجمت تلك المعاناة التي أرادها نوح عليه السلام أن تنتهي بعد ما دامت أمدا بعيدا من خلال دلالات المدّ الذي قبل الصوت الأخير للفاصلة بإيقاع صوته الامتدادي الموحي بالمعاناة، والرغبة في انتهاء هذه المعاناة من خلال المقطع المقفل من الفاصلة المتمثل في الحرف الأخير المنون بالفتح . وما التنوين إلّا صوت نون ساكنة ..

ثانيا : الإيقاع الصوتي للمدّ في الفاصلة يتناسب مع خطاب الشكاية والتضرع والمناجاة والدعاء، فامتداد هذا الصوت المدّي يدل على أنّ نبيّ الله نوح عليه السلام استغرق أكثر مكث في حضرة

ربّه سبحانه وتعالى ، وزيادة قرب وأنس منه جلّ في علاه بالتضرع والتلذذ بمناجاته، ولعلّ هذا هو السرّ في كثرة هذه الفواصل وانتشارها في النّص القرآني لسورة نوح.

ثالثا : الإيقاع الصوتي لمدّ عوض التنوين بالفتح في حالة الوقف على فاصلته يتناسب والعمر الزّمني الأخير المتبقي لقصة نوح عليه السلام، فالوقوف عليه بمقدار حركتين لا زيادة فيه دلالة إيحائية على دنو وقرب نهاية قصة نوح عليه السلام باستجابة الله تعالى دعاء نبيّه نوح عليه السلام على قومه الظالمين بهلاكهم ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ٢٥**﴾ [نوح: 25] ونجاة المؤمنين، قال تعالى (اهبط بسلام).

وخلاصة المطلب :

تنوعت الفواصل في سورة نوح عليه السلام بتنوّع الخطاب، وتعددت بتعدد الرّصف الذي يتألف منه النّص القرآني للسورة إلى درجة الإعجاز، بحيث كلّ رصف ناسبه نوع معين من الفواصل يتساوق والمنحى الدلاليّ لقصة نوح عليه السلام ومسارها الزّمني بصفة عامة، ويتماشى مع سياق سورة نوح عليه السلام بصفة خاصة في اتساق تام وانسجام منقطع النظير.

1 . 6 . دلالات المقاطع الصوتية في سورة نوح

ذكرت في مبحث سابق بأنّ القرآن الحكيم له دور كبير وريادي في المحافظة على اللّغة العربيّة الفصحى على الأساس المقطعي كما قال صاحب التناسب البياني في القرآن :" وذلك لأنّ المسلمين أخذوا قراءته . أي القرآن . سنة، وتناقلوها رواية، فلمّا حفظت سنة القراءة القرآنية حفظ معها مبدأ القصر والامتداد في التركيب المقطعي للغة العربيّة..."[1]، كما أنّ ترتيب مقاطع القرآن

[1] . نظرية إيقاع الشعر العربي 149 . / ينظر أبو زيد التناسب البياني في القرآن 113

الحكيم وتوزيعها في رصف الآيات لها وظيفة جمالية تسهم " في جعل الصورة السمعية لها متناسبة الأجزاء، معتدلة التركيب"[1]، متوازنة الصوت، مؤثرة بنغمها، أمّا ما تؤديه وظيفتها الدلالية فتكمن " في التعبير عن معاني الآيات، وإيضاح ما يكتنفها من الدقائق الدلالية، وذلك باختيار ما يناسب المعنى من أنواع تلك المقاطع"[2] المتعددة بتعدد الرّصف مع مراعاة المقام والسياق.

وقد أشرت في مطلب المقاطع الصوتية إلى تعدد مفهوم المقطع الصوتي عند المحدثين ، ومن بين هذه المفاهيم ما اصطلح عليه (بالمقطع المفتوح . وهو الذي ينتهي بصوت مدّ قصير أو طويل .، والمقطع المقفل وهو الذي ينتهي بسكون حيّ .) فسأحاول الاقتصار على هذا المفهوم في إحصاء المقاطع الصوتية لسورة نوح وتتبع مدى تناسبها مع معاني رصفها الذي هي منه، وإبراز دقائق ترتيبها وتوزيعها على النّص القرآني للسورة الكريمة، ودلالات إيقاعها، إذ "لا يمكن أن نعرف قيمة هذا التناسب الإيقاعي القائم على ترتيب المقاطع إلّا بمعرفة علاقته بالمعنى"[3].

وقبل دراسة سورة نوح مقطعيا أشير إلى أنّ المقاطع في اللّغة العربيّة في الغالب لا تخرج عن ثلاثة مقاطع :

. إمّا صوت متحرك بحركة قصيرة، مثل : (/ بَ /،/ بُ /،/ بِ /) .

. وإمّا صوت متحرك بحركة طويلة، مثل : (/ بَا /، / بُو /،/ بِي /،/ لَا /) .

. وإمّا صوت متحرك + ساكن، مثل :(/ قَدْ /،/ مِنْ/، أو حرف منون/ رٌ /،أي رُنْ).

ملاحظات :

. الصوت المتحرك بحركة قصيرة يعتبر مقطعا صوتيا مستقلا بنفسه ما لم يكن بعده مباشرة في

---

[1] . أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 321

[2] . أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 321

[3] . أبو زيد التناسب البياني في القرآن ص 320

السلسلة الخطية من حيث النطق صوت ساكن أو صوت مدّ طويل (حركة طويلة).

. لا يمكن للصوت الساكن أن يكون مقطعا مستقلا، لأنّ العرب لا تبدأ بساكن في كلامها، والوقوف عليه يكون متصلا بصوت متحرك قبله اتصالا مباشرا مثل : / عَنْ /، أو همزة وصل مثل : / الْ /، وهي بذلك تشكل مقطعا صوتيا مستقلا .

. الصوت المضعّف (المشدد) لا ينفرد بمقطع مستقل، مثل النّون المضعّفة في(إنّ)، وإنّما يفك التضعيف إلى صوتين الأول ساكن (نْ)، والثاني متحرك (نَ)، وعلى هذا فالصوت المضعّف بعد أن يفك صوته الأول يرتبط بما قبله، فمجموعهما يشكلان مقطعا مستقلا /إِنْ/، والصوت الثاني متحرك ينتهي بحركة قصيرة فهو مقطع مستقل بنفسه / نَ/.

. اللام القمريّة والشّمسيّة : ذكرت بأنّ المقاطع الصوتية لا يعتبر من أصواتها إلّا ما ينطق من الأحرف، وما لا ينطق مثل اللام في (أل) الشّمسية تهمل، ولا أثر لها في المقطع.

أ . اللام القمريّة : تجمع مع همزة الوصل التي قبلها في مقطع مستقل، مثال ذلك في كلمة (القمر) : / الْ / عبارة عن مقطع مستقل، لأنّ صوت اللام في كلمة (الْقمر) ينطق، أمّا في حالة ما أدرجت في الكلام فتحذف . (أي تهمل نطقا) . همزة وصلها وترتبط بالصوت المتحرك الذي قبلها؛ أو تجمع معه في مقطع مستقل، مثل : / لَلْ / في قوله تعالى﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا١٦﴾ [نوح: 16] أي همزة الوصل في كلمة (القمر) في حالة الوصل بما قبلها لا تنطق، وبذلك فهي غير معتبرة في المقطع، واللام في (القمر) ساكنة لا تنفرد بمقطع مستقل إلّا بانضمامها إلى صوت متحرك قبلها وهو (لَ) في كلمة (جعلَ) فيكون المقطع / لَلْ / مكون من صوتين، الأول صوت متحرك (لَ) من (جعلَ) والثاني صوت ساكن (لْ) من (الْقمر).

وفي حالة توالي السواكن نحو قوله تعالى ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**) [الأعراف: 43] الأعراف، فالمقطع هنا / لُلْ / اللام الأولى المتحركة من كلمة (وقالوا)، واللام الثانية الساكنة من كلمة (الْحمد)، أمّا بالنسبة إلى (واو الجماعة مع ألفها) في كلمة (قالوا) و(همزة الوصل) في (الْ) (الحمد) لا يلتفت إليها في حالة الوصل، لأنّها لا أثر لها في النطق، والمقاطع الصوتية لا تعتبر إلّا المنطوق أو الملفوظ فقط من الأصوات، ولا ينظر إلى المكتوب.

ب . اللام الشمسيّة : لامها تكتب ولا تنطق، أي لا يعتمد عليها في المقطع ولا أثر لها، وإنّما ينظر للصوت المضعّف (المشدد) الذي يليها في السلسلة الخطية نطقا يفك إلى صوتين، الأول ساكن يجتمع مع الذي قبله في مقطع مستقل، والثاني متحرك يكون بنفسه مقطعا مستقلا إذا لم يكن بعده صوت ساكن أو صوت مدّ طويل نحو ما في قوله تعالى﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [يونس: 5]

في حالة الوصل : صوت الشين المضعّف في كلمة (الشّمس) يفك تضعيفه، الأول ساكن والثاني متحرك (شْ شَ)، الأول الساكن يرتبط بما قبله من حيث النطق ولا ينظر للكتابة الخطية، وهو صوت (لَ) المتحرك في (جعلَ) مجتمعا معه في مقطع مستقل / لَشْ /، لأنّ (لام الشّمس وهمزة وصلها) لا أثر لهما من حيث النطق، أمّا صوت الثاني متحرك (شَ) وبما أنّ الذي يليه مباشرة من الأصوات صوت ساكن (مْ) فلا يمكن أن يستقلّ بمقطع لوحده، وإنّما يجمع معه في مقطع منطوق / شَمْ / .

. أمّا في حالة الابتداء بكلمة (الشّمس) فاللام تهمل لعدم نطقها، وهمزة الوصل مع الصوت الأول الساكن من الشين المضعّفة يجتمعان في مقطع واحد مستقل / اشْ/.

مقاطع آيات سورة نوح :

مقاطع الآية الأولى والثانية والثالثة : ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣**﴾ [نوح: 1-3] .

تقطيعها على النحو التالي :/ إنْ /، / نَا /، / أَرْ /، / سَلْ /، / نَا /، / نُو/، / حاً /، / إ /، / لى /، / قَوْ /، / مِ /، / هِ /، / أنْ /، / أَنْ /، / ذِرْ /، / قَوْ /، / مَ /، / كَ /، / مِنْ /، / قَبْ /، / لِ /، / أَنْ /، / يَأْ /، / تِ /، / يَ /، / هُمْ /، / عَ /، / ذَا /، / بٌ /، / أَ /، / لِي /، / مٌ /، / قَا /، / لَ / ، / يَا /، / قَوْ /، / مِ /، / إِنْ /، / نِي /، / لَ /، / كُمْ /، / نَ /، / ذِي /، / رٌ /، / مُ /، / بِي /، / نٌ /، / أَ /، / نِعْ /، / بُ /، / دُلْ /، / لا /، / هَ /، / وَتْ /، / تَ /، / قُو /، / هُ /، / وَ /، / أَ /، / طِي /، / عُو /، / نِ /.

. مقاطع الآية الرابعة : ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ٤**﴾ [نوح: 4]

/ يغ /، / فرِ/، / لَ /، / كمْ /، / منْ /، / ذُ /، / نو /، / بِ /، / كمْ /، / وَ /، / يُ /، / أخْ /، / خِرْ /، / كمْ /، / إ /، / لى /، / أَ /، / جَ /، / لِمْ /، / مُ /، / سَ /، / مىً /، / إنْ /، / نَ /، / أَ /، / جَ /، / لَنْ /، / لا /، / هِ /، / إ /، / ذَا /، / جا /، / ءَ /، / لا /، / يُ /، / أَخْ /، / خَ /، / رُ /، / لوْ /، / كنْ /، / تُمْ /، / تعْ /، / لَ /، / مُو /، / نَ /.

مقاطع الآيات (5 . إلى . 14) ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا**

وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا١٤﴾ [نوح: 5-14]

/ قا /، / لَ /، / ربْ /، / بِ /، / إنْ /، / نِي /، / دَ /، / عوْ /، / تُ /، / قوْ /، / مي /،

/ ليْ /، / لوْ /، / وَ /، / نَ /، / ها /، / راً /، / فَ /، / لمْ /، / يَ /، / زِدْ /، / هُمْ /، / دُ /،

/ عا /، / ئي /، / اِلْ /، / لا /، / فِ /، / را /، / راً /، / وَ /، / إنْ /، / نِي /، / كلْ /،/ لَ /،

/ ما /، / دَ /، / عوْ /، / تُ /، / هُمْ /، / لِ /، / تَغْ /، / فِ /، / رَ / / لَ /، / همْ /،

/ جَ /، / عَ /، / لو /، / أَ /، / صا /، / بِ /، / عَ /، / هُمْ /، / في / / ءا /، / ذا /،

/ نِ /، / هِمْ /، / وَسْ /، / تَغْ /، / شَوْ /، / ثِ /، / يا /، / بَ /، / هُمْ /، / وَ /، / أَ /،

/ صَرْ/، / رُو/، / وَسْ /، / تَكْ /، / بَ /، / رُسْ/، / تِكْ /، / با /، / راً /، / ثُمْ /، / مَ /،

/ إنْ /، / نِي /، / دَ /، / عَوْ /، / تُ /، / هُمْ /، / جِ /، / ها /، / راً /، / ثُمْ /، / مَ /،

/ إنْ /، / نِي /، / أعْ /، / لَنْ /، / تُ /، / لَ /، / هُمْ /، / وَ /، / أسْ /، / رَرْ /، / تُ /،

/ لَ /، / هُمْ /، / إسْ /، / را /، / راً /، / فَ /، / قُلْ /، / تُسْ /،/ تَغْ /، / فِ /، / رُو /،

/ رَبْ /، / بَ /، / كُمْ /، / إنْ /، / نَ /، / هُ /، / كا /، / نَ /، / غَفْ /، / فَا /، / راً /،

/ يُرْ /، / سِ /، / لِسْ /، / سَ /، / ما /، / ءَ /، / عَ /، / لَيْ /، / كُمْ /، / مِدْ /، / رَا /،

/ رَوْ/، / وَ /،/ يُمْ /، / دِدْ /، / كُمْ /، / بِ /، / أَمْ /، / وَا /، / لِوْ /، / وَ /، / بَ /، / نِي /،

/ نَ /، / وَ /، / يَجْ /، / عَلْ /، / لَ /، / كُمْ /،/ جَنْ /، / نا /، / تِوْ /، / وَ /، / يَجْ /،

/علْ /، / لَ /، / كُمْ /، / أنْ /، / ها /، / رمْ /، / ما /، / لَ /، / كُمْ /، / لا /، / تَرْ /،

/ جُو /، / نَ /، / لِلْ /، / لا /، / هِ /، / وَ /، / قَا /، / رَوْ /، / وَ /، / قدْ /، / خَ /، / لَ /،

/ قَ /، / كُمْ /، / أَطْ /، / وَا /، / رَا /.

. **الآيات** (15 . إلى . 20) ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا١٩ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا٢٠**﴾ [نوح: 15-20].

/ أَ /، / / لَمْ /، / تَ /، / رَوْ /، / كَيْ /، / فَ /، / خَ /، / لَ /، / قَلْ /، / لا /، / هُ /، / سَبْ /، / عَ /، / سَ /، / مَا /، / وَا /، / تٍ /، / طِ /، / بَا /، / قَوْ /، / وَ /، / جَ /، / عَ /، / لَلْ /، / قَ /، / مَ /، / رَ /، / فِي /، / هِنْ /، / نَ /، / نُو /، / رَوْ /، / وَ /، / جَ /، / عَ /، / لَشْ /، / شَمْ /، / سَ /، / سِ /، / را /، / جَوْ /، / وَلْ /، / لا /، /هُ /، / أَنْ / . / بَ /، / تَ /، / كُمْ /،/ مِ /، / نَلْ /، / أَرْ /، / ضِ /، / نَ /، / با /،/ تاً /، / ثُمْ /، / مَ /، / يُ /، / عِي /، / دُ /، / كُمْ/، / فِي /، / ها /، / وَ/،/ يُخْ /، / رِ/، / جُ /، / كُمْ /، / إخْ /، / رَا /، / جَوْ /، / وَلْ /، / لا /، / هُ/، / جَ /، / عَ /،/ لَ /، / لَ /، / كُ /، / مُلْ /، / أَرْ /، / ضَ /، / بِ /، / سَا /، / طَلْ /، / لِ /، / تَسْ /، / لُ /، / كُو /، / مِنْ /، / ها /، / سُ /، / بُ /، / لاً /، / فِ /، / جا /،/ جاً /.

مقاطع الآيات من (21 . إلى . 28) ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا٢٢ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا٢٤ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا٢٧ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 21-28]

/ قا /، / لَ /، / نُو /، / حُرْ /، / رَبْ /، / بِ /، / إنْ /، / نَ /، / هُمْ /، / عَ /، / صَوْ/، / نِي /، وثْ /، / تَ /، / بَ /، / عُو /، / مَلْ /، / لَمْ /، / يَ /، / زِدْ /، / هُ /، / ما /، / لُ /، / هُ /، / وَ /، / وَ /، / لَ /، / دُ /، / هُ /، / إلْ /، / لا /، / خَ /، / سَا /، / رَوْ /،

/ وَ /، / مَ /، / كَ /، / رُو /، / مَكْ /، / راً /، / كُبْ /، / بَا /، / رَوْ /، / وَ /، / قَا /، / لُو /، / لا /، / تَ /، / ذَ /، / رُنْ /، / نَ /، / آ /، / لِ /، / هَ /، / تَ /، / كُمْ /، / وَ /، / لا /، / تَ /، / ذَ /، / رُنْ /، / نَ /، / وَدْ /، / دَوْ /، / وَ /، / لا /، / سُ /، / وَا /، / عَوْ /، / وَ /، / لا /، / يَ /، / غُو /، / ثَ /، / وَ /، / يَ /، / عُو /، / قَ /، / وَ /، / نَسْ /، / رَوْ /، / وَ /، / قَدْ /، / أَ /، / ضَلْ /، / لُو /، / كَ /، / ثِي /، / رَوْ /، / وَ /، / لا /، / تَ /، / زِ /، / دِظْ /، / ظَا /، / لِ /، / مِي /، / نَ /، / إلْ /، / لا /، / ضَ /، / لا /، / لَمْ /، / مِمْ /، / مَا /، / خَ /، / طِي /، / آ /، / تِ /، / هِمْ /، / أُغْ /، / رِ /، / قُو /، / فَ /، / أُدْ /، / خِ /، / لُو /، / نَا /، / راً /، / فَ /، / لَمْ /، / يَ /، / جِ /، / دُو /، / لَ /، / هُمْ /، / مِنْ /، / دُو /، / نِلْ /، / لا /، / هِ /، / أَنْ /، / صَ /، / رَوْ /، / وَ/، / قَا /، / لَ /، / نُو /، / حُرْ /، / رَبْ /، / بِ /، / لا /، / تَ /، / ذَرْ /، / عَ /، / لَلْ /، / أَرْ/، / ضِ /، / مِ /، / نَلْ /، / كَا /، / فِ /، / رِي /، / نَ /، / دَيْ /، / يا /، / رأً /، / إنْ /، / نَ /، / كَ /، / إنْ /، / تَ /، / ذَرْ /، / هُمْ /، / يُ /، / ضِلْ /، / لُو /، / عِ /، / بَا /، / دَ /، / كَ /، / وَ /، / لا /، / ي /، / لِ /، / دُو /، / إلْ /، / لا /، / فا /، / جِ /، / راً /، / كَفْ /، / فا /، / راً /، / رَ بْ /، / بِغْ /، / فِرْ /، / لِي /، / وَ/ ، / لِ /، / وَا /، / لِ /، / دَيْ /، / يَ /، / وَ /، / لِ /، / مَنْ /، / دَ /، / خَ /، / لَ /، / بَيْ /، / تِ /، / يَ /، / مُؤْ /، / مِ /، / نَوْ /، / وَ /، / لِلْ /، / مُؤْ /، / مِ /، / نِي /، / نَ /، / وَلْ /، / مُؤْ /، / مِ /، / نَا /، / تِ /، / وَ /، / لا /، / تَ /، / زِ /، / دِظْ /، / ظا /، / لِ /، / مِي /، / نَ /، / إلْ /، / لا /، / تَ /، / با /، / راً /.

عدد المقاطع في سورة نوح ما يقارب ستمائة وخمسة عشر (615) مقطعا . وهذا على رواية حفص عن عاصم، وهي على النحو التالي :

. المقاطع المفتوحة (القصيرة والطويلة) ثلاثمائة وواحد وتسعون (391) مقطعا

أ . المقاطع المفتوحة القصيرة مائتان وسبعة وخمسون (257) مقطعا

ب . المقاطع المفتوحة الطويلة مائة وأربعة وثلاثون (134) مقطعا

. المقاطع المقفلة مائتان وأربعة وعشرون (224) مقطعا

المقاطع بين رواية حفص ورواية ورش عن نافع

لم يكن هناك كبير اختلاف بين الروايتين من حيث هذه المقاطع المفتوحة والمقفلة إلّا في بعض المواضع محصورة في ما يلي :

أ . قرأ حفص عن عاصم كلمة (**بيتيَ**) بفتح الياء، ولم يفتح ورش عن نافع (بيتي)، فلفظة (بيتي) في كلا الروايتين مقطعها الأخير مفتوح، غير أنّ في رواية حفص تنتهي بمدّ قصير / يَ /، وفي رواية ورش بمدّ طويل / تِي/.

ب . الاختلاف في ميم الجمع التي بعدها همزة قطع :

. حكم ميم الجمع التي بعدها همزة قطع الإظهار في رواية حفص، أي لا تكون الميم عنده إلّا ساكنة في هذه الحالة، وهي سبعة (07) مقاطع مقفلة في آخر كلّ كلمة على النحو التالي : (يؤخركُمْ . في (**يؤخركمْ إلى أجلٍ**) .، لهُمْ . في (**لهمْ إسراراً**)، ربّكم . في (**ربّكمْ إنّه**)، لكُمْ . في (**لكمْ أنهاراً**)، خلقكُم . في (**خلقكمْ أطواراً**)، يخرجكُمْ . في (**ويخرجكمْ إخراجاً**)، خطيآتهُمْ . في (**وممّا خطيآتهم أغرقوا**)).

أمّا عند ورش فلا تكون ميم الجمع التي تليها كتابة ونطقا همزة قطع إلّا مضمومة أو مضمومة مع مدّها مدّا مشبعاً، ولذلك أدرجت تلك الفواصل السبع مع الفواصل المفتوحة.

جـ . الاختلاف في الحرف الأخير الساكن من كلّ كلمة بعدها همزة قطع

. عند حفص رحمه الله إظهار الصوت الساكن وتحقيق الهمز الذي بعده، وهي ثمانية مواضع في

سورة نوح :

. **نون التنوين الساكنة بعدها همزة قطع في** ستة مواضع : / حاً / في (**نوحاُ إلى**)، و/ بٌ / في (**عذابٌ أليم**)، و/ نٌ / في (**مبينٌ أن**)، / ماً / في (**مسمًّى إنّ**)، و/ راً / في (**أطواراً ألم**)، و/ راً / في (**ديّاراً إنّك**).

. **النون الخطية الساكنة بعدها همزة قطع في** موضعين : / أنْ / في (**أنْ أنذر**)، و/ قدْ / في (**وقدْ أضلوا**)) .

. أمّا عند ورش فالحكم نقل حركة الهمز إلى الحرف الساكن قبلها في النطق، وإسقاط الهمزة، وبهذا فالفاصلتان عنده مفتوحتان.

فالملاحظ أنّ هناك تقاربا كبيرا جدا بين الروايتين في عدد الفواصل، وتزيد الفواصل المفتوحة زيادة طفيفة في رواية ورش عن نافع كما بينت سابقا .

وإن كانت المقاطع المفتوحة في السورة أكثر من المقاطع المقفلة . في كلا الروايتين المتواترتين والأكثر انتشارا بين المسلمين . فإنّ دلالتها توحي إلى التناسب مع الخطاب المهيمن على نصّ السورة، وهو خطاب التضرع والمناجاة والشكاية الذي تكثر فيه المقاطع والفواصل المفتوحة . وبخاصة المنتهية بمدّ طويل . الدالة على الابتهالات، ومواقف الدعوة، ووصف النّعم السابغة، والتذكير... فكلّ هذه الدلالات وغيرها اشتملت عليها السورة ممّا ناسب فواصلها المفتوحة تلك المعاني والدلالات التي يحملها رصف هذا النوع من الخطاب بين تضاعيفه.

. ولمّا كان خطاب الأمر من الله تعالى إلى نوح عليه السلام بتبليغ رسالة الله تعالى لقومه الذي يقتضي الصبر والجهد الكبير والتضحية طيلة مرحلة التبليغ ناسب ذلك الفاصلة المنتهية بمقطع مقفل (أليمٌ، ومبينٌ). أي المنتهي بصوت ساكن والمتمثل في (التنوين) للدلالة على الجدّ والحزم

والحسم والصرامة والتحمّل طيلة زمن التبليغ هذا من جهة.

. ومن جهة ثانيّة صوت المدّ قبل الصوت المتحرك الأخير من الفاصلة فإنّه يتساوق والسياق الزّمني الطويل لقصة نوح، فبامتداد صوته يوحي دلاليا بطول مدّة التبليغ.

وحتى طول المدّة التي لبثها نوح عليه السلام في دعوة قومه تتناسب مع التعبير القرآني (**ألف سنة إلّا خمسين عاما**) فهي أوقع على السمع، ودليل طول المدّة بكثرة حروفها من (تسعمائة وخمسين عاما)؛ أو (خمسين وتسعمائة عاما)، فالأولى (الآية) أبلغ وأدق وأبين للمعنى المراد.

. أمّا المقاطع في الفاصلتين(أطعونِ، تعلمونَ) فتتناسب والرّصف الذي هي منه، لأنّ الخطاب خطاب تبليغ . تبليغ نوح قومه دعوة الله .، وهذا الخطاب تستعمل فيه مشاهد مختلفة وصور متنوعة من إنذار وتقريع وتهديد، ودعوة إلى الخير، ووصف النعم، والتذكير، والنّدم والحسرة... وكلّ هذا من دلالات الفاصلة المنتهية بمقطع مفتوح . أي الصوت الأخير بحركة قصيرة أو طويلة .

1 . 7 . الدلالات فوق المقطعية :

. النبر والتنغيم : يمكن الوقوف على بعض الدلالات فوق المقطعية؛ أو فوق التركيبية في آيات سورة نوح عليه السلام، نحو نبر لفظة (يا قوم) في قوله (**يا قوم إني لكم نذير مبين**) مع مدّ حرف النداء (يا) بمقداره للدلالة على الانتباه " وطلب إقبال أذهانهم "[1].

. تنغيم قوله تعالى (مالكم لا ترجون لله وقاراً) بنغمة الإستفهام " كناية تلويحية عن حثهم على

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 188

الإيمان بالله الذي يستلزم رجاء ثوابه وخوف عقابه، لأنّ من رجا تعظيم الله إياه آمن به، وعبده، وعمل الصالحات"[1]...

. الوقف : الوقف : ظاهرة صوتية؛ أو هو " من الفونيمات فوق المقطعية؛ أو فوق التركيبة، يطلق عليه في كتب اللّغة الحديثة مصطلح (المفصل)"[2]، وهو :" عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما؛ أو مقطع ما، وبداية آخر"[3].

وللوقف دور كبير في توجيه المعنى وتنوّع الدلالة في الكلام العربي عموما وفي القرآن الكريم خصوصا، فهو " فصل كوصل؛ أو فكّ كربط...إذ إنّه في نهاية كلّ عبارة؛ أو حتى بين العبارات يميّز بين حدود مفترضة لدى المتكلم عند مقاصد معيّنة"[4].

ومن توجيهات الوقف للمعنى في سورة نوح الوقف على (ضلالاً) في (**ولا تزد الظالمين إلّا ضلالا**)، لأنّ الآية التي تعقبها (**ممّا خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً**) " جملة معترضة بين مقالات نوح عليه السلام، وليست من حكاية قول نوح، فهي إخبار من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنّه قدّر النصر لنوح، والعقاب لمن عصوه من قومه قبل أن يسأله نوح استئصالهم.... والغرض من الاعتراض بها التعجيل بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يلاقيه من قومه ممّا يماثل ما لاقاه نوح من قومه"[5]...

---

[111] . المرجع نفسه 29 / 200

[2] . العاني زينب الرّصف وعلم لغة النّص ص 137

[3] . جمعان عبد الكريم، إشكالات النّص ص 422

[4] . ينظر المرجع نفسه ص 423

[5] . ابن عاشور ، التحرير والتنوير 29 / 212

2. الدلالات الصرفيّة في رصف سورة نوح :

سأقف في هذا المبحث على بعض صيغ الكلمات المرصوفة رصفا بديعا محكما، والموزعة في النّص القرآني الحكيم لسورة نوح توزيعا دقيقا، لها إيحاءات دالة من خلال هيئة بنيتها تتساوق ودلالات رصفها، وتساير المنحى الدلالي العام لقصة نوح عليه السلام.

2 . 1 . صيغ المبالغة في الأسماء :

الملاحظ استعمال صيغ المبالغة بتنوّعاتها وانتشارها في النّص القرآني لسورة نوح عليه السلام لدلالات مختلفة منها :

. مِفْعَال :

مدرارا : على وزن (مِفْعالا)، وهي من صيغ المبالغة منقولة من اسم الآلة، قال ابن طلحة في (بغية الأمل) :" أنّ (مِفْعالا) لمن صار له كالآلة"[1]، ونقل عن اللّغويين بأن هذه الصيغة (مفعال) في المبالغة لمن اعتاد الفعل أو دام منه[2]، و" مِفعال ممّا يستوي فيه المذكر والمؤنث، كقولهم : رجل أو امرأة مِعطار"[3] .

. فَعّال :

. وظفت كلمتان على زنة (فَعّال) في سورة نوح، وكلّ كلمة مرتبطة دلاليا برصفها الخاص زيادة على ما تحمله من دلالة المبالغة، وهي على الترتيب (**غَفَّارا، كَفَّاراً**) .

---

[1] . ينظر السامرائي معاني الأبنية في العربية ص 98

[2] . ينظر أكثر توضيحا السامرائي معاني الأبنية في العربية ص 97

[3] . الزمخشري الكشاف 4 /1692

. فُعَّال :

. كُبَّاراً (فُعَّالا) : بضم الكاف وتشديد الباء هو من أبنية المبالغة، وأبنية المبالغة ليست على سواء من حيث الدلالة، فكُبَّار بالتشديد أشدّ في المبالغة وأبلغ من كُبَار المخففة، وكلاهما من صيغ المبالغة، والزيادة في المبنى زيادة في المعنى كما قرره اللغويون، قال ابن جني :" في المبالغة لابد أن تترك موضعا إلى موضع، إمّا لفظا إلى لفظ وإمّا جنسا إلى جنس، فاللفظ كقولك : عُراض، فهنا قد تركت لفظ (عَريض)، فعُراض أبلغ من عريض، وكذلك رجل حُسّان ووُضّاء فهو أبلغ من قولك : حسن ووضي، وكُرّام أبلغ من كريم، لأنّ كريما على كرم وهو الباب، وكُرّام خارج عن بابه، فهذا أشدّ مبالغة من كريم"[1].

وجاء في لسان العرب عن الخليل بن أحمد :" بين العجيب والعُجاب فرق، أمّا العجيب فالعجب يكون مثله، وأمّا العُجاب فالذي تجاوز حدّ العجب..."[2].

وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ٢٢**﴾ [نوح: 22] :" وهو مبالغة في الكبير، فأول المراتب : الكبير والأوسط الكُبَار بالتخفيف والنهاية الكُبّار بالتثقيل، ونظيره : جميل وجُمَال وجُمّال..."[3]

وصاحب التحرير والتنوير يرى أنّ لفظة(كُبَّاراً) على صيغة (فُعَّال)، وإن كانت من صيغ المبالغة فهي قليلة في اللّغة العربية، وهي لغة يمانية فقال:" و(كُبَّاراً) مبالغة، أي كبيرا جدا، وهو وارد بهذه الصيغة في ألفاظ قليلة مثل : طُوَّال، أي طويل جدا، وعُجَّاب، أي عجيب، وجُمَّال، أي

---

[1] . ابن جني الخصائص 3 / 46

[2] . ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جما الدين الأنصاري، لسان العرب، الناشر : دار صادر بيروت، ط الثالثة 1414هـ، 1 / 581

[3] . الرازي التفسير الكبير "مفاتيح الغيب" 30 /656

جميل، وقُرَّاء لكثير القراءة، ووُضَّاء، أي وضيئ. قال عيسى بن عمر : هي لغة يمانية "[1]، وإن كانت هذه الصيغة (فُعّال) قليلة في اللّغة العربيّة وفي أعلى درجات المبالغة فهي ليست أصلية في المبالغة . " والأصل في المبالغة هو النقل من شيء إلى آخر فتحصل عند ذلك المبالغة "[2] . بل هي منقولة من اسم الآلة (فُعّال) مثل : كُلّاب، وعُكّاز... لإفادة معنى التكثير في الآلة وبناء (فُعّال) في المبالغة على اسم الآلة أو أنّ هذه الصيغة منقولة من اسم الآلة مع أنّها أشدّ وأبلغ في المبالغة فإنّها تفيد كذلك دلالة أصلها المنقول وهو التكثير ولا تقتصر على المبالغة فحسب.

قال ابن جني :" فأمّا قولهم : خُطَّاف . وإن كان اسما . لاحق بالصفة في إفادة معنى الكثرة، ألا تراه موضوعا لكثرة الاختطاف به؟، وكذلك سكين إنّما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به...وكذلك النُسَّاف لهذا الطائر كأنّه قيل له ذلك لكثرة نسفه بجناحيه ..."[3] .

وإن كان فاضل السمرائي يرى أنّ جميع أبنية المبالغة منقولة من (أبنية الصفة المشبهة، واسم الآلة، والصنعة...) إلّا (فُعّال) في المبالغة فهو أصل في المبالغة منقول إلى اسم الآلة

قال :" وأغلب الظنّ أنّ هذا البناء أي (فُعّال) هو أصل ما وافقه من أسماء الآلة كالكلّاب... وليس العكس وذلك لكثرته في المبالغة وقلته في الآلة "[4].

ولابن القيم نظرة لطيفة ونكتة لغوية قيّمة لدلالات المبالغة التي أصل جذرها أو فعلها واحد، إذ يرى بأنّ المبالغة في شيء ما يقتضي هيئة أو بنية خاصة تعبر عنه للدلالة على المعنى الدقيق المراد منه، فالزيادة في المبنى زيادة في المعنى كما قرره كثير من اللّغويين في مظانهم، وقد أشار إلى ذلك الصبان في حاشيته على شرح الأشموني فقال :" وقد يؤخذ من قولهم زيادة البناء تدل على

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 207

[2] . السامرائي معاني الأبنية في العربية ص 95

[3] . ابن جني الخصائص 3 / 267

[4] . ينظر السامرائي فاضل معاني الأبنية في العربية ص 103

زيادة المعنى"[1].

قال ابن القيّم :" وتأمّل قولهم : طال الشيء فهو طويل، وكبركبير، فإن زاد طوله وكبره قالوا : طُوالا وكُبارا، فأتوا بالألف التي هي أكثر مدّا وأطول من الياء في الأطول، فإن زاد كبَر الشيء وثقل موقعه من النّفوس ثقّلوا اسمه فقالوا : كُبّارا بشدّ الباء...."[2].

والمعنى :" كُبّاراً : أي مكرًا كبيراً جداً لا تحيط بحجمه العبارة"[3] .

ولعلّ هذا المكر الموصوف بأنّه (مكر كُبّار) لم تقتصر صيغته على دلالة المبالغة الشديدة في المكر الذي لا تحيط بحجمه العبارة فحسب، بل تعدت إلى دلالة أصل الصيغة المنقولة من اسم الآلة (فُعّال) إلى المبالغة، أي (المكر الكبّار) كأنّه آلة في صنع المكر المستمر الكثير الذي لم يتوقف طيلة مرحلة دعوة نوح عليه السلام من طرف مناوئيه مع بشاعته وشدّته الذي لم تعرف له البشرية نظير.

فتوظيف (كُبّاراً) على وزن (فُعَّال) وهي أشدّ وأبلغ من غيرها في المبالغة تتناسب مع منحاها الدلالي العام من حيث الشدّة والاستمرارية والمبالغة والتكثير... ومن جانب آخر كأنّها تحاكي دلالات قصة نوح من حيث السياق الزمني الطويل.

2 . 2 . صيغ الأفعال :

والمبالغة لا نجدها مقتصرة في هذا النّص على الاسماء فحسب بل تتعدى إلى بعض الأفعال لتأكيد المنحى الدلالي للقصة نحو :

---

[1] . الصبان حاشية الصبان على شرح الأشموني 2 / 296 معاني الأبنية في العربية 93

[2] . الجوزيّة ابن القيّم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، تفسير القرآن الكريم، تحقيق : مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر : دار ومكتبة الهلال بيروت، ط الأولى 1410هـ، ص 2011

[3] . الطنطاوي التفسير الوسيط 15 / 122

. استغشوا : " التعبير بصيغة الطلب للمبالغة"[1]

. أصرّوا : صيغة توحي بالمبالغة في الإصرار على الشرك والعناد

. استكبروا : قال ابن عاشور :" (واستكبروا) مبالغة في (تكبروا)، أي جعلوا أنفسهم أكبر من أن يأتمروا لواحد منهم (قالوا ما نراك إلّا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلّا الذين هم أراذِلنا بادئ الرأي وما نرى لكم علينا من فضل) هود "[2].

. فكلّ هذه الأسماء والأفعال الدالة على المبالغة والتكثير، والمرصوفة في النّص القرآني لسورة نوح تخدم المنحى الدلالي لقصة نوح عليه السلام، وتتناسب مع زمنيتها الممتدّة.

3 . الدلالات التركيبيّة في رصف سورة نوح :

يقوم المستوى التركيبي أساسا على كشف تراكيب الجمل التي تعمل على تماسك والتحام العناصر المكوِنة للنّص، وبيان دلالاتها، ويشمل شِقين نحوي وبلاغي :

3 . 1 . الدلالات النّحويّة :

تتجلى الدلالات النّحوية في تركيب الجمل المكونة لنص سورة نوح من خلال تناوب شكليها الاسمي والفعلي.

2 . 1 . 1 . تركيب الأفعال :

جميع الأفعال في أصلها أنّها مرتبطة بالزمن والمعنى.

ومجموع هذه الأفعال تنوعت في سورة نوح بين الماضي والمضارع والأمر في نصها الكريم

---

[1] . البيضاوي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي . أنوار التنزيل وأسرار التأويل . المعروف بتفسير البيضاوي ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت 5 / 152

[2] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 196

لدلالات متعددة تتناسب والمنحى الدلالي العام لقصة نوح عليه السلام على النحو التالي :

. الأفعال الماضية : أكثر انتشارا بثلاثين (30) مرّة، صيغها على الترتيب :(أرسلنا. قال . قال . جاء . كنتم . دعوت . دعوتهم . جعلوا . استغشوا . أصرّوا . استكبروا . دعوتهم . أعلنت . أسررت . فقلت . خلقكم . خلق . جعل . جعل . أنبتكم . جعل . قال . عصوني . اتبعوا . مكروا . قالوا . أضلّوا . أُغرقوا . أُدخِلوا . قال) بحيث تتناغم كثرت انتشار هذا النوع من الأفعال مع قصة نوح عليه السلام من حيث :

. جاءت هذه الأفعال الماضية لتدلّ على حدث هام مركزي وهو الدعوة إلى الله التي قام بها نبيّ الله نوح عليه السلام، وما يتعلق بها من تنوع في أساليبها وطرائقها مع استغراق الزمن كلّه، دلّت عليه الأفعال التالية (دعوت، دعوتهم جهارا، أعلنت، أسررت لهم، فقلت، جعل...)، فكانت ردّ ة فعل قومه معاكسة وسلبيّة (جعلوا أصابعهم، استغشوا، أصرّوا، استكبروا، عصوني، اتبعوا، مكروا، أضلّوا...).

كما أنّ هذه الأفعال الماضية تشير دلاليا من خلال تجمّعها في سورة نوح عليه السلام المحكيّة إلى الأدوار التي قام بها نوح عليه السلام خلال مسيرته الدعويّة الطويلة مع قومه. أمّا الفعلان (أُغرقوا . أُدخلوا) المبنيان للمجهول إذان بنهاية قصة نوح عليه السلام، وتحقيق العاقبة المأسويّة لقوم نوح المكذبين، وتأكيد ما أنذروا به في بدايات القصة **(أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم).**

. الأفعال المضارعة : مجموعها خمسة وعشرون (25) فعلا (يأتيهم . يغفر . يؤخركم . يؤخر . تعلمون . يزدهم . لتغفر . يرسل . يمددكم . يجعل . يجعل . ترجون . تروا . يعيدكم . يخرجكم . لتسلكوا . تذرنّ . تذرنّ . تزد . يجدوا . تذر . تذرهم . يضلوا . يلدوا . تزد) .

للدلالة على التجدد والاستمراريّة والتعليل والإقناع، وهذه الأفعال المستعملة تتناغم واستمرارية

دعوة نوح عليه السلام، وتجددها بتجدد الأجيال طيلة ألف سنة إلّا خمسين عاما.

. الأفعال الأمريّة : ستة (6) أفعال، (أنذر . اعبدوا . اتقوا . أطيعون . استغفروا . اغفر) جاءت مرصوفة برصف عجيب من حيث الترتيب.

المرحلة الأولى : (**أنذر**) أمر من الله إلى نبيّه.

المرحلة الثانيّة : تنفيذ الأمر (**أنذر**) بأمر(**اعبدوا**) وهو أول أمر يبلغة صاحب الدعوة الرّبانيّة، وهذا ما تؤكده قصص الأنبياء في القرآن الكريم المتعاقبة، فما من نبيّ أرسل إلّا ويبلغ قومه بعبادة الله الواحد الأحد ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ٥٩**﴾ [الأعراف: 59].

. والتقوى **مرحلة موالية** للعبادة، إذ بالعبادة الصحيحة تحصل التقوى، فجاء الأمر بالتقوى (**اتقوا**)

وهذا مع طاعة الله ورسوله (**اطيعون**)، فطاعة الرسول من طاعة الله ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١**﴾ [آل عمران: 31﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ٣٢**﴾ [آل عمران: 32].

ولمّا كان التقصير حاصل من الإنسان والذنوب والمخالفات هي ديدنه شُرع الاستغفار (**استغفروا**) جبرا لما ذُكر، ورحمة من الله بعباده ، والاستغفار هو قمّة التذلل والانكسار بين يدي الله، والاعتراف بالاحتياج إليه سبحانه.

فهذا الرصف العجيب لهذه الأفعال وبهذا الترتيب المعجز في هذه السورة يتناسب مع المنحى الدلالي العام لقصة نوح عليه من خلال مراحل دعوته عليه السلام، ويتناغم من جانب آخر مع جميع القصص القرآني، لأنّ دعوة الأنبياء والرسل تهدف إلى تعبيد النّاس لرب العباد.

ويمكن القول أنّ أفعال الأمر الستة في سورة نوح بتقارب معانيها وارتباط بعضها ببعض، وبرصف تكامليّ عجيب شكلت وأعطت حقلا دلاليا واحدا متعالقا ومترابطا في انسجام تام يمثل

أصل أي دعوة ربانيّة والمقصد منها.

الإنذار (أنذر) = العبادة (اعبدوا) + التقوى (اتقوا) + الطاعة (أطيعون) + الاستغفار (استغفروا)

وخلاصة هذا المطلب : ما نلمحه أنّ سورة نوح عليه السلام صُدّرت بأفعال الأمر على قلّتها (أنذر، اعبدوا، اتقوا، أطيعون) لأنّها المقصد من رسالة نوح عليه السلام ودعوته . وهي مقصد دعوات الأنبياء والرسل عليهم السلام . والأمر طلب القيام بالفعل، والقيام بالفعل يحتاج إلى إقناع، ولا إقناع إلّا بتعليل هذه الأوامر، فكانت من أساليب التعليل للاقناع استعمال الأفعال المضارعة بكثرة وانتشارها في نصّ السورة التي تليق بهذا اللون من الخطاب، كما أنّها تحمل بين تضاعيفها دلالات التجدد والاستمرار نحو (يغفر . يرسل . يمددكم . يزدكم ...) الذي يتناسب والتطور الزمني الممتد للقصة، وإن كانت من جانب آخر الأفعال الماضيّة تقاربها أو أكثر بقليل لأنّ جلّ آيات سورة نوح قامت بدور الحكاية التي تتناسب معها الأفعال الماضية.

3 . 1 . 2 . جمل الحدث :

والمقصود بجمل الحدث هي :" هي الجمل التي ترتبط بالأفعال الماضية أو المضارعة للتعبير عن أحداث القصة في سياق السرد"[1]

. الجمل الفعليّة : وهي الجمل التي يتصدّرها فعل تام أو ناقص[2].

أ . جمل الحدث المنتهي في سورة نوح :

---

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ص 21

[2] . ينظر مشاهد من قصة موسى عليه السلام ص 20 / وينظر ضيف شوقي، تجديد النحو، دار المعارف، ط الثانية (د . ت) ص 13، الذي يرى : أنّ كان وأخوتها تعرب فعلا تاما وبعدها فاعل وبعد الفاعل حالا منصوبا.

وهي كلّ الجمل التي جاءت بصيغة الماضي للتعبير عن مجريات أحداث القصة في سياق السرد، وهي في سورة نوح على الترتيب التالي :

(أرسلنا نوحا) . (قال يا قوم إنّي لكم نذير) . (قال ربّ إني دعوت قومي) . (دعوتهم لتغفر لهم) . (جعلوا أصابعهم في آذانهم) . (استغشوا ثيابهم) . (وأصرّوا واستكبروا) . (أعلنت لهم وأسررت لهم) . (كان غفارا) . (فقلت استغفروا ربّكم) . (قال نوح ربّ إنّهم عصوني) . (اتبعوا من لم يزدهم) .(مكروا مكرا) . (قالو لاتذرنّ آلهتكم) . (أضلّوا كثيرا) . (أُغرقوا فأُدخلوا نارا) . (وقال نوح ربّ لا تذر من الكافرين ديّارا).

ب . جمل الحدث القائم :

والمقصود بالحدث القائم : هوما يعبر عنه بالجمل الفعلية مضارعها مرفوع، أو هي " الجمل التي تعبر عنها القصص القرآني بالأفعال المضارعة المرفوعة للتعبير عن أحداث القصة في سياق السرد"[1] ، **(لا ترجون لله وقارا) . (يعيدُكم فيها) . (ويخرجُكم إخراجا) .**

جـ . جمل الحدث المنتظر :

(أن يأتيّهم عذاب أليم) . (يغفرْ لكم من ذنوبكم) . (ويؤخِّرْكم إلى أجل مسمى) .(لتغفرَ لهم) . (يرسلِ السماء عليكم مدرارا) . (ويمددْكم بأموال ...) . (ويجعل لّكم جنّات) . (ويجعل لّكم أنهارا) . (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) . (لا تذرُنَّ آلهتكم) . (ولا تذرُنّ ودا ...). (ولا تزدِ الظالمين إلّا ضلالا) . (لا تذرْ على الأرض من الكافرين ديّارا) . (إن تذرْهم يضلّوا عبادك) . (ولا يلدوا إلّا فاجرا

---

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية ص 22

كفّارا) . (ولا تزدْ الظالمين إلّا تبارا) .

. ما هو ملاحظ على هذه الجمل الفعليّة :

. أنّ جمل الحدث المنتهي هي الأكثر انتشارا من غيرها، وهذا طبيعي في سورة نوح عليه السلام، لأنّ أصل خطابها المهيمن هو حكاية مناجاة نوح ربّه، من خلال رفع حصيلة الدعوة إلى ربّه التي قام بها نوح عليه السلام مع قومه زهاء ألف سنة إلّا خمسين عاما " بتلوين لحكاية أقواله، وأقوال قومه، وقول الله له، وتلك ثمان مقالات :

. (أن أنذر قومك) . (قال ياقوم) . (قال ربّ) . (فقلت استغفروا ربّكم) . (قال نوح ربّ) . (ولا تزد الظالمين إلّا ضلالا) . (وقال نوح ربّ) . (ربّ اغفرلي)"[1].

. جمل الحدث المنتظر قريبة من جمل الحدث المنتهي من حيث الانتشار، لأنّها تمثل الحوار الدعوي، والأساليب المتجددة التي كان يعتمدها نوح عليه السلام قصد إقناع قومه بالهداية ونبذ الشرك طيلة دعوته الممتدّة مع ما يراه من تعنّتهم إلى أن يئس من إيمانهم بالله الواحد الأحد.

. أمّا جمل الحدث القائم فهي قليلة جدا لأنّه لم يكن هناك تغيّر حاصل، ولا بصيص أمل من استجابتهم.

الخلاصة : يمكن القول أنّ جمل الحدث المنتهي تتناغم وسورة نوح، لأنّها عبارة عن سرد قصصي فائدته مناجاة نوح عليه السلام ربّه، فيه من العبر والعظات الممتدّة عبر الأزمنة السابقة واللاحقة. وجمل الحدث المنتظر من تجديد دعوة نوح لقومه واستمراريتها تتناسب والوعاء الزمني الممتدّ لقصة نوح مع قومه

[1] . ينظر ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 193 . 194

3 . 1 . 3 . الجمل الاسميّة[1] :

(إنّا أرسلنا نوحا) . (إنّي لكم نذير) . (إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر) . (إنّي دعوت قومي) . (وإنّي كلّما دعوتهم) . (إنّي دعوتهم جهارا) . (إنّي أعلنت لهم) . (إنّه كان غفارا) . (الله أنبتكم من الأرض) . (والله جعل لكم الأرض بساطا) . (إنّهم عصوني) . (إنّك إن تذرهم) . (ربّ اغفر لي).

. كثرة الجمل الإسميّة وانتشارها في نص سورة نوح بالإضافة إلى هيمنة الأسماء والصفات والضمائر مقابل الأفعال للدلالة على ثبوت الموضوع الأساسي البارز في السورة وهو الدعوة إلى الله، فالدعوة إلى الله ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، ومن حمل إرثهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إنّما التجدد والتغير في وسائلها وطرائقها...

. أسماء النّكرة :

النّكرة سمة بارزة في سورة نوح، فلا تكاد تنتهي فاصلة من فواصل الآيات إلّا بنكرة نحو : (أليم، مبين، نهارا، فرارا، استكبارا، جهارا، إسرارا، غفّارا، مدرارا، أنهارا، وقارا، أطوارا، طباقا، سراجا، نباتا، إخراجا، بساطا، فجاجا، خسارا، كبّارا، ضلالا، أنصارا، ديّارا، كفّارا، تبارا).

وهذه سمة أسلوبيّة في رصف سورة نوح، بالإضافة إلى ما تحدثه هذه الأسماء المنكّرة من إيقاع صوتي محبب مستطاب، فهي تدلّ إيحاء في الغالب على التعظيم الذي يتناغم مع عِظم قصة نوح عليه السلام.

---

[1] . المقصود بالجمل الاسمية :" هي الجمل التي يكون صدرها اسما صريحا أو مؤولا في محلّ رفع، أو اسم فعل، أو يتصدّرها حرف مشبه بالفعل " ينظر مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم ص 19

3 . 2 . الشقّ البلاغي والبياني في سورة نوح :

يظهر وبوضوح هذا الشقّ التركيبي المتغيّر من خلال دلالات صوره، فالصورة تمثل في أبسط تعريفاتها " رسم قوامه الكلمات "[1]، " إذ تستوعب الصورة الشكل والمضمون، بما لها من ميزات، وما بينهما من وشائج"[2].

وأسلوب القرآن الكريم يكاد يتميّز بطريقته التصويريّة، " فيعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثمّ يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة؛ أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، والحالة النفسية مجسمة مرئية. أمّا الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار استوت لها كلّ عناصر التخييل"[3].

3. 2 . 1. صوّر الكناية في سورة نوح :

. قوله تعالى﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧**﴾ [نوح: 7]،

هذه الجملة القرآنية عجيبة التصوير بسبب إعراض قوم نوح عن دعوة نبيّهم ، بحيث تشدّ الانتباه وتخترق الأسماع وتشدّ الأبصار إلى درجة تساؤل العقل السليم عن أيّ نوع هذا من البشر؟ لشدّة قبح إعراضهم الفاحش لدعوة نبيّهم عليه السلام.

---

[1] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ص 10

[2] . المرجع نفسه ص 10

[3] . مشاهد من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ص 10

فهذا التصوير (استغشوا ثيابهم) في رصفه العجيب يحتمل أن يكون كناية كما يمكن أن يكون على الحقيقة :

. **الكناية** : في (**استغشوا ثيابهم**) " كناية عن المبالغة في إعراضهم عمّا دعاهم نوح إليه، فمنهم بمثابة من سدّ سمعه وغشي بصره كيلا يسمع ويرى، يقال : لبس فلان ثياب العداوة"[1]، أي هذا الرّصف " كناية عن العداوة الشديدة"[2] البشعة التي أظهرها قوم نوح بتعطيلهم أسماعهم وأبصارهم عمّا يدعو إليه نبي الله نوح عليه السلام، وكفرهم المستمر.

. **الحقيقة** : في (**استغشوا ثيابهم**)، وقيل : هذا الكلام على الحقيقة، وحمل صاحب التحرير والتنوير هذه الحقيقة على العادة أو العرف السائد في قوم نوح فقال :" فيجوز أن يكون جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب هنا حقيقة بأن يكون ذلك من عادات قوم نوح إذا أراد أحد أن يظهر كراهية لكلام من يتكلم معه أن يجعل أصبعه في أذنه، ويجعل من ثوبه ساترا لعينيه"[3]

ولقد صور لنا هذا المشهد القرآني البديع حقيقة قوم نوح المنطوية على الإعراض الكلي لدعوة نوح عليه السلام، وعدم ترك منفذ لسماع صوت الحقّ إلّا سدّ(جعلوا أصابعهم في آذانهم)، ولو بالإشارة إلّا (واستغشوا ثيابهم) وبالغوا وأصرّوا على ذلك بطريقة صبيانية، فهذا التعبير القرآني البديع يرسم بكلماته تلك الصورة الطفوليّة البدائيّة شاخصة للعيان لقوم نوح عليه السلام وهم في إعراض مستمر عن الهدى كلّما دعوا إليه، كما قال صاحب الظلال :" فإذا لم يستطيعوا الفرار، لأنّ الداعي واجههم مواجهة، وتحيّن الفرصة ليصل إلى أسماعهم بدعوته، كرهوا أن يصل صوته إلى أسماعهم، وكرهوا أن تقع عليه أنظارهم، وأصروا على الضلال، واستكبروا عن الاستجابة

---

[1] . الدرويش إعراب القرآن الكريم وبيانه 8 / 77 . 78

[2] . الطنطاوي التفسير الوسيط 15 / 115

[3] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 196

لصوت الحقّ والهدى ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧**﴾ [نوح: 7] وهي صورة لإصرار الداعية على الدعوة، وتحيّن كلّ فرصة ليبلغهم إيّاها، وإصرارهم على الضلال تبرز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العنيدة، تبرز في وضع الأصابع في الآذان، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب،والتعبير يرسم بكلماته صورة العناد الطفولي الكامل، وهو يقول : (إنّهم جعلوا أصابعهم في آذانهم)، وآذانهم لا تسع أصابعهم كاملة، إنّما هم يسدونها بأطراف الأصابع، ولكنّهم يسدونها في عنف بالغ، كأنّما يحاولون أن يجعلوا أصابعهم كلّها في آذانهم ضمانا لعدم تسرب الصوت إليها بتاتا، وهي صورة غليظة للإصرار والعناد، كما أنّها صورة بدائية لأطفال البشرية الكبار"[1].

فرصف هذه الجملة . سواء كان على الحقيقة أو كناية . يتناسب مع دلالة خاتمة قصة نوح عليه السلام التي بيّنت سبب هذا الإعراض الفاحش والقبيح على مرّ زمان دعوته الممتدّة الذي لم يسبقوا إليه ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25]

- **(ومن دخل بيتي مؤمنا)** في قوله تعالى ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28] كناية عن من يسكنوا معه في بيت واحد، قال صاحب التحرير والتنوير :" فدخل أولاده وبنوهم والمؤمنات من أزواجهم، وعبّر عنهم بمن دخل بيته كناية عن سكناهم معه، فالمراد بقوله (دخل بيتي) دخول مخصوص، وهو الدخول المتكرر الملازم. ومنه سميّت بطانة المرء دخيلته، ودُخْلته"[2] .

. ومن الكناية أيضا لفظة **(ديَّارا)** في قوله ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ**

---

[1] . سيّد قطب في ظلال القرآن 6 / 3712

[2] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 215

دَيَّارًا٢٦﴾ [نوح: 26] وهذا أخذنا (**ديّارا**) بمعنى أنّه اسم مخصوص يدلّ أويعمّ كلّ إنسان، قال صاحب التحرير والتنوير :" ومعنى ديّار : من يحلّ بدار قوم كناية عن الإنسان"[1]

3 ـ 2 . 2 . المجاز المرسل :

(**جعلوا أصابعهم في آذانهم**) في قوله تعالى ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧**﴾ [نوح: 7]

مجاز مرسل علاقته الجزئية أو البعضية، لأنّ الذي يسد الأذن ويمنع بلوغ الصوت إلى المسامع هو أنملة الأصبع لا الأصبع كلّه، والتعبير(بالأصابع) بدل (الأنامل) مجاز للدلالة على المبالغة وكثرتها، وهذا الاختيار الاستعمالي (الأصابع) في رصف السورة بدل (الأنامل) يساير ويتناغم مع دلالات القصة منها (الكثرة والمبالغة ...)، قال البقاعي :" جعلوا : أي في كلّ دعاء، ودلّ على مبالغتهم في التصامم بالتعبير بالكلّ عن البعض فقال (أصابعهم)"[2]

. قوله تعالى (﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا١١**﴾ [نوح: 11] مجاز مرسل علاقته المحليّة، فقد أراد بالسماء المطر ، لأنّ المطر ينزل منها.

قال الشاعر[3]:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غِضابا

والمراد بالبيت الشعري : وصف شجاعتهم، لأنّهم إذا اجترؤوا على رعي نبات القوم الغضاب فهم

---

[1] . المرجع نفسه 29 / 213

[2] . البقاعي نظم الدرر ص 431

[3] . نسب أغلب شراح التلخيص للقزويني هذا البيت من (الوافر) إلى جرير من قصيدة مطلعها :

أقلي اللومَ عاذِلَ والعتابَا وقولي إن أصبتُ لقد أصابَا

ينظر المنحى الدلالي لصابر الحباشة ص 66

وعزاه صاحب إعراب القرآن الكريم وبيانه إلى الشاعر : معاوية بن مالك بن جعفر، ينظر إعراب القرآن 8 / 82

أحرى بأن يجترئوا على غيرهم، وفي البيت أيضا استخدام[1]، فقد أطلق السماء(المطر) وأعاد عليها الضمير بمعنى النبات (رعيناه)، لأنّها سببه "[2]، " فالذي يقول : (إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه) أكثر ثقة في كفاءة المتقبل الدلالية من ذاك الذي يقول : (إذا نزل السماء بأرض قوم رعينا السماء)"[3].

وقد تستعمل العرب (السماء) مجازا للدلالة على المطر . يستفاد هذا المعنى من رصفه وسياقه . كما في بيت معاوية، وفي الحديث الذي رواه الإمام في الموطأ عن زيد بن خالد الجهني أنّه قال : (صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبيّة على إثر سماء كانت من الليل)[4].

. قوله تعالى ﴿**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا٢٧**﴾ [نوح: 27] مجاز مرسل علاقته ما يؤول إليه، لأنّهم لم يفجروا وقت الولادة، بل بعدها بزمن طويل على كلّ حال"[5].

---

[1] . ومبحث الاستخدام عند البلاغيين يتقاطع مع التورية ، وهو من المباحث الدقيقة جدا " يبرز لنا الوعي الدقيق لدى علماء البلاغة بتداخل مباحث الدلالة والبلاغة، فالتورية تشبه الاستخدام، وكلاهما يقوم على وجود الاشتراك الدلالي، فكأنّ الاشتراك الدلالي ظاهرة أصلية تتفرّع إلى وجهين بلاغيين هما : التورية والاستخدام وهذا ما يبرزه، ونقل الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى (فض الخاتم عن التورية والاستخدام) ما يؤكد هذا، فإنّه قال : المشترك إذا لزم استعماله في مفهوميه معا فهو الاستخدام، وإن لزم في أحد مفهوميه في الظاهر مع لمح الآخر في الباطن فهو التورية " ينظر المنحى الدلالي ص 66

[2] . الدرويش إعراب القرآن الكريم وبيانه 8 / 82

[3] . الحباشة صابر، المنحى الدلالي ص 70

[4] . مالك ابن أنس ، موطأ مالك، تصحيح و تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، 1406هـ -1985م الحديث رقم 4 1/ 192

[5] . الدرويش إعراب القرآن وبيانه 8 / 87

3 . 2 . 3 . صوّر التشبيه :

. (سراجا) وهو المصباح الوهاج الزاهر نوره، شبهت به الشمس في قوله**(وجعل الشمس سراجا)**، وهو من التشبيه البليغ الذي لم يذكر فيه إلّا المشبه (الشمس) والمشبه به (السراج) قصد تقريب الفهم، ووضوح الصورة.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم شبهت الشمس بالضياء، ودلالة السراج والضياء واحدة في الغالب كما في قوله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ٥**﴾ [يونس: 5]، لكن في آية نوح ذكر السراج بدل الضياء لعلّ ذلك رعاية للفاصلة القرآنية كما ذهب إلى ذلك صاحب التحرير والتنوير قال :" ولم يخبر عن الشمس بالضياء كما في آية يونس **(وهو الذي جعل الشمس ضياء)**، والمعنى واحد، وهو الإضاءة، فلعلّ إثار السراج هنا لمقاربة تعبير نوح في لغته، مع ما فيه من الرعاية على الفاصلة، لأنّ الفواصل التي قبلها جاءت على حروف صحيحة، ولو قيل ضياء لصارت الفاصلة همزة، والهمزة قريبة من حروف العلّة، فيثقل الوقف عليها"[1].

ومثلها مسايرة كلمة (إخراجا) للفاصلة في قوله ﴿**ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا١٨**﴾ [نوح: 18] " فإنّه لم يعدل عنه إلى (خُروجا) لعدم ملائمته لألفاظ الفواصل قبله المبنيّة على ألف، مثل ألف التأسيس، فكما تعدّ مخالفتها في القافية عيبا، كذلك تعدّ المحافظة عليها في الأسجاع والفواصل كمالا"[2]، وهذا الاتساق والانسجام في انتقاء الألفاظ ومراعاة الفواصل قمّة البيان، وروعة البلاغة، وعين الإعجاز.

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 203

[2] . المرجع نفسه 29 / 205

. (**بساطاً**) في قوله تعالى ﴿﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا١٩**﴾ [نوح: 19]، وهذا النوع من التشبيه في هذه الآية الكريمة هو تشبيه بليغ، لأنّه لم يذكر إلّا المشبه (الأرض) والمشبه به (البساط)، وحذفت الأركان الأخر، وللطاهر بن عاشور كلام نفيس نثبته هنا للفائدة قال :" فالإخبار عن الأرض ببساط تشبيه بليغ، أي كالبساط، ووجه الشبه تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه، بحيث لا يوجع أرجل الماشين، ولا يُقِضُّ جنوب المضطجعين، وليس المراد أنّ الله جعل حجم الأرض كالبساط، لأنّ حجم الأرض كروي، وقد نبه على ذلك بالعلة الباعثة في قوله (لكم)، والعلة الغائيّة في قوله ﴿**لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا٢٠**﴾ [نوح: 20]، وحصل من مجموع العلّتين الإشارة إلى جميع النّعم التي تحصل للنّاس من تسوية سطح الأرض مثل الحرث والزرع، وإلى نعمة خاصة هي السير في الأرض، وخصت بالذكر لأنّها أهم لاشتراك كلّ النّاس في الاستفادة منها"[1].

3. 2 . 4 . صوّر الاستعارة :

الاستعارة من الصور البيانية في البلاغة العربيّة، وإن كانت الاستعارة في الأصل تشبيها، بيد أنّ الاستعارة أبلغ من التشبيه، منها في سورة نوح :

. قوله تعالى ﴿**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦**﴾ [نوح: 6]]، اختيار لفظ (فراراً) الذي هو أكثر من الإسراع . من أنواع المشي . في هذا الرّصف البديع يتناسب مع الطول الزمنيّ لقصة نوح عليه السلام (ألف سنة إلّا خمسين عاما)، ومع تجديد أساليب الدعوة فيها.

وهذا الاستعمال (فراراً) استعمال مجازي(أي مجاز بالاستعارة) ليس على الحقيقة، استعير للدلالة على شدة إعراضهم عن دعوة نوح عليه السلام، ونفورهم منها طيلة هذه المدّة الطويلة رغم

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 205

تجدد الدعوة ليلا ونهار، سرا وجهرا، قال البقاعي :" ولمّا كان الفرار مجازا عن ردّ كلامه عطف عليه ما يبيّنه، فقال مؤكدا. لأنّ إعراضهم مع هذا الدعاء الطويل ممّا لا يكاد يصدّق . (**وإنّي كلّما**) على تكرار الأوقات وتعاقب الساعات (**دعوتهم**) أي إلى الإقبال عليك بالإيمان بك والإخلاص لك ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧**﴾ [نوح: 7] ...

. (**يرسل**) في قوله تعالى ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا١١**﴾ [نوح: 11] " مستعار للإيصال والإعطاء، وتعديته بـ (عليكم) لأنّه إيصال من علو، كقوله تعالى ﴿**وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ٣**﴾ [الفيل: 3]"[1].

. قوله تعالى ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا١٧**﴾ [نوح: 17] " استعارة تصريحيّة، لأنّه شبّههم بالنبات، فقد استعار الإنبات للإنشاء، كما يقال : زرعك الله للخير، وكانت هذه الاستعارة ذات فائدة، لأنّها دلّت على الحدوث، فإنّهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات، ومنه قيل : للحشوية :النباتية، والنوابت، لحدوث مذهبهم في الإسلام"[2]

وقال في التحرير والتنوير :" وأطلق على معنى (أنشأكم) فعل (أنبتكم) للمشابه بين إنشاء الإنسان وإنبات الإنبات من حيث إنّ كليهما تكوين كما قال تعالى ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ٣٧**﴾ [آل عمران: 37] حكاية عن مريم عليها السلام. أي أنشأها، وكما يقولون : زرعك الله للخير، ويزيد وجه الشبه هنا قربا من حيث إنّ إنشاء الإنسان مركب من عناصر الأرض، وقيل التقدير : أنبت أصلكم، أي آدم عليه

---

[1] . المرجع نفسه 29 / 198

[2] . الدرويش إعراب القرآن وبيانه 8 / 82

السلام، قال تعالى ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥٩**﴾ [آل عمران: 59]"[1].

3 . 2 . 5 . البديع :

الطباق في قوله تعالى ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ٢٥**﴾ [نوح: 25]، وهذامن البديع اللطيف جدا " محسن الطباق، لأنّ بين النّار والغرق المشعر بالماء تضادا"[2].

الخلاصة : العجيب في هذه الصوّر البلاغيّة أنّها جاءت خادمة لدلالات رصف سورة نوح، وتتناغم تناغما عجيبا مع المنحى الدلالي العام لقصة نوح عليه السلام من حيث الدلالة والإيحاء من :مبالغة، وتكثير، وتكرار، واستمراريّة، وتجديد، وامتداد زمني ، فالأصابع بدل الأنامل للمبالغة والتكثير، واستغشاء الثياب للمبالغة، والسماء مدرارا للتكرير والكثرة، ونور القمر للتعميم، والشمس سراجا دلالة على الانتشار والتجديد، والأرض بساطا توحي بالامتداد ...

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 204

[2] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 212

4 . الجوانب الدلاليّة في سورة نوح :

4 . 1 . الدلالة المعجمية :

. (نذير) : منذر من عقاب الله، وعذابه بالكافرين لاحق

" النذير هو : المنذر غير جار على القياس، وهو مثل بشير، ومثل حكيم بمعنى محكم... وسميع بمعنى مسمع، في قول عمرو بن معد يكرب :

أمن ريحانةَ الداعي السميع "[1]

. (مبين) : إمّا أصلها من الفعل المتعدي (أبان)، وبهذا يكون المعنى أي موضّح، " أبين لكم ما فيه نجاتكم "[2]، أو هو من (أبان) القاصر، وبهذا يكون المعنى أي واضح لكم

قال صاحب التحرير والتنوير :" **المبين** : يجوز أن يكون من أبان المتعدّي الذي مجرده (بان)، أي موضّح، أو من أبان القاصر، الذي هو مرادف (بان) المجرد، أي نذير واضح لكم أنّي نذير"[3]، والرّصف يحتمل جمع المعنيين للفظة (مبين) لما تحتمله هذه الكلمة من إيحاءات الوضوح

نذير مبين : نذير موضّح

نذير مبين : واضح لكم أنّي نذير لكم.

. (نباتاً) : " قال الخليل : معناه : فنبتم نباتاً، وقال الزجاج : نباتاً : محمول في المصدر على المعنى، لأنّ معنى أنبتكم : جعلكم تنبتون نباتاً.

قال ابن قتيبة : هذا ممّا جاء فيه المصدر على غير المصدر، لأنّه جاء على (نَبَت)، ومثله

---

[1] المرجع نفسه 29 / 188

[2] . الأشقر زبدة التفاسير ص 767

[3] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 188

﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا٨**﴾ [المزمل: 8]، فجاء على (بَتَّل).

قال الشاعر :

وخَيرُ الأَمرِ ما استَقبَلتَ من ـه وليس بأن تَتَبَّعَهُ اتِّباعاً

فجاء على (اتَّبَعْتُ).

وقال الآخر : وإن شئتم تَعاودنا عواداً

فجاء على (عاودنا)، وإنّما تجيء المصادر مخالفة الأفعال لأنّ الأفعال وإن اختلفت أبنيتها واحدة في المعنى"[1].

. (دَيّارا) :

. المعنى الأول : مأخوذة من الدار، وعلى هذا المعنى (ديّارا) في الآية الكريمة ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦**﴾ [نوح: 26] بمعنى (أحداً) أي أحدا يسكن دارا

قال ابن قتيبة : أي أحداُ، يقال : ما بالمنازل دَيّارٌ، أي : ما بها أحد، وهو من الدار، أي : ليس بها نازل داراً، وقال الزجاج : أصلها : دَيْوَار (فَيْعال)، فقلبت الواو ياء، وأدغمت إحداهما في الأخرى"[2]، وقال محمد الطاهر بن عاشور :" ديّار : اسم مشتق من اسم الدار، فعينه واو، لأنّ عين دار مقدرة واوا، فأصل ديّار : ديوار، فلمّا اجتمعت الواو والياء واتصلتا وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، ثمّ ادغمت في الياء الزائدة..."[3]

. المعنى الثاني : مأخوذ من الدوران : التحرك، وعلى هذا المعنى (ديّاراً) في الآية الكريمة

---

[1] . ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير 8 / 372

[2]. ابن الجوزي، زاد المسير 8 / 375

[3] . ينظر ابن عاشور التجرير والتنوير 29 / 213

(واحدا . أحدا . يدور في الأرض ويتحرك عليها"[1].

. (**تبارا**) : هو الهلاك، قال الزمخشري :" ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿ **تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا٣٩**﴾ [الفرقان: 39]، أي " دمرناهم تدميرا "[2]

4 . 2 . دلالات الرّصف والسياق :

4. 2 . 1 . رصف حروف المعاني :

. (**إنّ**) : فاتحة مطلع السورة الكريمة في قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١**﴾ [نوح: 1] بهذا الرّصف للدلالة على الاهتمام بالخبر، والاتعاظ بما جاء في قصة نوح عليه السلام من توجيهات وإرشادات وهدايات، بحيث " تبدأ السورة بتقرير مصدر الرسالة، والعقيدة، وتوكيده (**إنّا أرسلنا نوحا**)، فهذا هو المصدر الذي يتلقى منه الرسل التكليف، كما يتلقون حقيقة العقيدة، وهو المصدر الذي صدر منه الوجود كلّه، وصدرت منه الحياة، وهو الله الذي خلق البشر وأودع فطرتهم الاستعداد لأن تعرفه وتعبده، فلمّا انحرفوا عنها وزاغوا أرسل إليهم رسله..."[3]، ولا علاقة لهذا الرصف القرآني بالمنكرين ولا بالمترددين الذين يخاطبون بأسلوب التوكيد كما هو مبيّن في كتب البلاغيّن، إذ ليس السياق هاهنا سياق إنكار ولا تردد، ولا يقتضيه المقام، إنّما سياق هذه الآية الكريمة المؤكدة للاهتمام بالخبر والعناية به، وهذا النوع مستعمل في كلام العرب، وكثير الدوران بين بلغائهم وخطبائهم، قال صاحب التحرير والتنوير . في تفسيره لهذه الآية الكريمة . :" افتتاح الكلام بالتوكيد للاهتمام بالخبر، إذ ليس المقام

---

[1] . الطنطاوي التفسير الوسيط 15/ 125

[2] . الأشقر زبدة التفسير ص 475

[3] . سيّد قطب في ظلال القرآن 6 / 3710

لرد إنكار منكر، ولا دفع شك عن متردد في هذا الكلام، وكثيرا ما يَفتتح بلغاء العرب أو الكلام بحرف التوكيد لهذا الغرض، وربما جعلوا (إنّ) داخلة على ضمير الشأن في نحو قوله تعالى (**إنّه من سليمان وإنّه باسم الله الرحمن الرحيم**) الآية 30النمل"[1].

. (**أنْ**)، في قوله تعالى (**أنْ أنذر قومك**) تفسيرية، وقال بعضهم بأنّها مصدرية، وتفسيريتها أقرب وأدل، وهذا ما يرشحه السياق،" لأنّها وقعت بعد (أرسلنا)، وفيه معنى القول دون حروفه"[2]، فالجملة لا محل لها من الإعراب، واستشهد الزمخشري بقراءة ابن مسعود الدالة على هذا المعنى فقال :" وقرأ ابن مسعود (أنذر) بغير (أن) على إرادة القول"[3]، فيكون الرّصف على قراءة ابن مسعود (إنّا أرسلنا نوحا إلى قومه أنذر قومك).

. دلالة (**ثمّ**) في رصفها ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا٩**﴾ [نوح: 5-9]على تباعد الأحوال، لأنّه " لمّا ذكر دعاءه في جميع الأوقات مع إعراضهم، وكان هذا مؤيسا وموجبا للإقلاع عن الدعاء وإن وجد الدعاء بعده فهو في غاية البعد منه على إيجاده مع الاستغراق به لجميع الحالات كما استغرق جميع الأوقات فعبر بأداة التراخي للدلالة على تباعد الأحوال فقال (ثمّ)"[4]

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 186

[2] . المرجع نفسه 29 / 186

[3] . الزمخشري الكشاف 4 / 1691

[4] . البقاعي نظم الدرر ص 435

. (**ما**) في قوله تعالى ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا١٣**﴾ [نوح: 13]" استفهام قُصد بهم توبيخهم والتعجب من حالهم"[1].

وهذا الرّصف المُصدّر بالمبتدأ والخبر(مالكم) لتوبيخ قوم نوح المعرضين والتعجب من حالهم وهم في حالة إعراض مستمر وإنكار لدعوة نوح عليه السلام رغم تعاقب الأجيال يتساوق مع المنحى الدلالي لقصة نوح عليه السلام ومسارها الزمني الطويل، وقد أومأ القرآن في مواضع إلى هذا فقال في موضع ﴿﴿**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا٦**﴾ [نوح: 6] ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧**﴾ [نوح: 7﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ٣٦**﴾ [هود: 36].

. (**ألم تَروا**) في قوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا١٥**﴾ [نوح: 15]، الاستفهام في (ألم) استفهام تقريري.

. دلالة تعدد المؤكدات : جمع الرّصف البديع للآية الكريمة ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢**﴾ **[نوح: 2]**﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢**﴾ [نوح: 2] خمسة مؤكدات :

. (**يا**) النداء، وجعل المنادى لفظ (يا قوم) المضاف إلى ضميره (ياء) المتكلم (نوح عليه السلام) المحذوفة، تقدير الكلام (يا قومي)، وللإشارة يجوز عدم حذفها نحويا، والشائع حذفها، وقد أثبتها القرآن الكريم في بعض المواطن غير محذوفة منها قول الله تعالى (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله**) الآية 53 الزمر

. افتتاح كلامه بحرف التأكيد (**إنّي**)

. لام التعليل في (**لكم**)

---

[1] . الطنطاوي التفسير الوسيط 15 / 118

. تقديم المجرور (**لكم**) على عامله (**نذير**)

قال صاحب التحرير والتنوير :" فجمع في صدر دعوته خمسة مؤكدات وهي: النداء، وجعلُ المنادى لفظ (يا قوم) المضاف إلى ضميره، وافتتاح الكلام بحرف تأكيد، واجتلاب لام التعليل، وتقديم مجرورها"[1]، ولعلّ تعدد المؤكدات بسب شركهم، وكفرهم الشديد بالله الواحد الأحد.

. الاستعطاف والترغيب : وهذا المعنى دلّ عليه قوله تعالى (**يغفر لكم**) من خلال موضعها في رصف خطاب الأمر بعد أن أمر نوح عليه السلام قومه (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) جاءت عقب هذه الأوامر دلالة الاستعطاف والترغيب وهذا " لمّا كان الإنسان محل النقصان فلا ينفك عن ذنب... أشار إلى ذلك مرغبا مستعطفا لهم لئلا ييأسوا فيهلكوا بقوله جوابا للأمر (**يغفر لكم**)، أي كرما منه وإحسانا ولطفا"[2].

. دلالة قوله تعالى ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٤**﴾ [نوح: 4] بهذا الرّصف البديع ذكر كما قال البيقاعي :" ولما كان الإنسان مجبولا على الأطماع الفارغة فكان ربما قال التعنت أو غيره لِمَ لا يخلدنا؟

قال فطما عن ذلك مؤكدا لاقتضاء المقام له (إنّ أجل الله) أي الذي له الكمال كلّه فلا رادّ لأمره (إذا جاء لا يؤجل)، وأمّا قبل مجيئه فربما يقع الدعاء والطاعات والبرّ في البركة فيه يمنع الشواغل، وإطابة الحياة، فبادروا مجيئ الأجل بالإيمان، لأنّه إذا جاء لم يمكنكم التدارك،ولا ينفعكم بعد العيان الإيمان"[3]

. دلالة تكرار النداء وحذف حرفه (يا) في الرّصف العام لسورة نوح عليه السلام . في أربعة

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 188

[2] . البقاعي نظم الدرر ص 427

[3]. المصدر نفسه ص 429

مواضع من السورة : ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥**﴾ [نوح: 5 ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا٢١**﴾ [نوح: 21]، ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦**﴾ [نوح: 26] ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28]، في هذا الكلام القرآني العجيب بداية النوع الثالث من أنواع الخطاب الذي اشتمل عليه النّص القرآني لسورة نوح عليه السلام، وهو خطاب مناجاة وتضرع ورفع شكوى، ألفاظ رصفه أو وحدات رصفه منتقاة بدقة متناهيّة تتناسب والمقام يستفاد من تكرار المناداة أنّ نوح عليه السلام في مناجاة وتضرع لله، فهو في حضرة ربّه سبحانه وتعالى ليس بينه وبين ربّه واسطة، فناسب هذا القرب . قرب نوح عليه السلام من ربّه جلّ في علاه . تكرار المناداة وحذفت (**يا**) النداء في الماضع الأربعة . وأصل الرّصف إثباتها . ناسب المقام، لأنّ نوح عليه السلام في مقام القرب، وليس هناك أقرب من الله تعالى إلى نوح عليه السلام منه جلّ في علاه، والله قريب مجيب، قال تعالى ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ١٨٦**﴾ [البقرة: 186]، قال البقاعي : "(قال نوح) مناديا لمن أرسله، لأنّه تحقق أن لا قريب منه غيره، وأسقط أداة النّداء كما هي عادة أهل القرب فقال : (ربّ)"[1].

. والدلالات الإيحائية كثيرة يمكن أن تستفاد من تكرار المنادة في هذا الرّصف البديع منها :

. **أولا :** هذا المقام مقام القرب والصفاء، ومقام المحبة العالية يقتضي استغراق أكثر وقت ممكن في الحضرة العليّة،والتلذذ بمناجاته ومناداته سبحانه جلّ في علاه مع تنوعها.

. **ثانيا :** تكرير مواضع المناداة دلالة إيحائية على ما تلقاه نوح عليه السلام من مشقة وتعب طيلة

[1] . البقاعي نظم الدرر ص 430

مسيرته الدعويّة ليلا ونهار بسبب تعنت قومه وإعراضهم عن الحقّ، وتكذيبهم له إلى حدّ تهديدهم بقتله ﴿**قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ١١٦**﴾ [الشعراء: 116]

ثالثا : تعدد المناداة في هذا الرّصف وتكريرها يتساوق مع الخط الزمني تصاعديا لقصة نوح عليه السلام الممتدّة ألف سنة إلّا خمسين عاما.

ـ أثناء الإنذار المستمر. استغرق زمنا طويلا من عمر دعوة نوح عليه السلام (**قال ربّ إنّي دعوت قومي ليلا ونهارا**)، قبل الهلاك ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا٢١**﴾ [نوح: 21] ـ قبيل الإغراق﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦**﴾ [نوح: 26] ـ قبيل الإغراق ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28] ـ

. ولم تقترن لفظة (**قال**) في هذا الرّصف بحرف العطف في مستهل هذا الخطاب . خطاب المناجاة والتضرع . لأنّ هذا الرّصف عبارة عن حكاية جواب،" فجرد فعل (قال) هنا من العاطف، لأنّه حكاية جواب نوح عليه السلام عن قول الله له (**أنذر قومك**)، عومل معاملة الجواب الذي يُتلقى به الأمر على الفور على طريقة المحاورات...تنبيها على مبادرة نوح عليه السلام بإبلاغ الرسالة إلى قومه، وتمام حرصه في ذلك كما أفاده قوله (**ليلا ونهاراً**)، وحصول يأسه منهم، فجعل مراجعته ربّه بعد مهلة مستفادة من قوله (**ليلا ونهاراً**) بمنزلة المراجعة في المقام الواحد بين المتحاورين "[1].

. دلالة تكرار حرف النفي مرتين في ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣﴾ [نوح: 23] لتأكيد النفي المذكور قبلها في قوله (لا تذرنّ آلهتكم)، " وعدم

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 193

إعادة (لا) مع قوله (ويعوق ونسراً) لأنّ الاستعمال جارٍ على أن لا يزاد في التأكيد على ثلاث مرات"[1].

. (**الفاء**) في (فأدخلوا) قوله تعالى ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25] فالتعبير (بالفاء) في هذا الكلام القرآني البديع أضفت عليه ثلاثة أوجه من الدلالة :

الوجه الأول : قال صاحب الظلال :" والتعقيب بالفاء مقصود هنا، لأنّ إدخالهم النّار موصول بإغراقهم، والفاصل الزمني القصير كأنّه غير موجود، لأنّه في موازين الله لا يحسب شيئا، فالترتيب مع التعقيب كائن بين إغراقهم في الأرض وإدخالهم النّار يوم القيامة"[2]، ولذلك قيل من مات قامت قيامته، لأنّ الحدث مفرغ من الزمن الدنيوي.

وقال محي الدين الدرويش :" فأدخلوا عطف على أغرقوا، وجعل دخولهم النّار متعقبا لإغراقهم نظراً لاقترابه، ولأنّه كائن لا محالة، فكأنّه قد كان"[3].

الوجه الثاني :" للإشعار بأنّ دخولهم النّار كان أعقاب غرقهم بدون مهلة، وبأنّ صراخهم وعويلهم كان بعد نزول العذاب بهم مباشرة، إلّا أنّهم لم يجدوا أحدا..."[4]، وعذابهم بالنّار في القبور؛ أو ما يسمى بالحياة البرزخية قبل يوم القيامة وبعد هلاكهم في الدنيا بالإغراق بسبب خطيئاتهم التي لا تغتفر، إذ لازمتهم حتى الإغراق، قال صاحب التفسير الوسيط :" بسبب خطيئاتهم الشنيعة، وليس بسبب آخر (**أغرقوا فأدخلوا ناراً**) يصلون سعيرها في قبورهم إلى يوم الدين،﴿**وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ**

---

[1] . المرجع نفسه 29 / 210

[2] . سيّد قطب في ظلال القرآن 6 / 3716

[3] . الدرويش إعراب القرآن الكريم وبيانه 8 / 86

[4] . الطنطاوي التفسير الوسيط 15 / 125

أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى١٢٧﴾ [طه: 127][1]، وقد أكد القرآن العظيم هذا النوع من العذاب في حقّ فرعون وأتباعه المعرضين الضالين في سورة غافر، قال تعالى ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ٤٦**﴾ [غافر: 46].

. الوجه الثالث : (فأدخلوا نارا) في الدنيا، أي أنّ الغرق مقترن بالنّار، وهذا ما ذهب إليه الضحاك، قال ابن الجوزي :" وقال الضحاك : (فأدخلوا نارا) في الدنيا، وذلك أنّهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب"[2].

بيد أنّ الذي يظهر ويرشحه رصف سورة نوح بصفة خاصة، وسياق قصة نوح عليه السلام بصفة عامة هو دلالة الوجهين الأول والثاني، ويستبعد الوجه الثالث لأنّ :

أولا : أنّ العذاب بالنّار أخروي غيبي غير مرئي في هذه الدنيا فهو حاصل بعد الممات في الحياة البرزخية وفي الآخرة، قال تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى١٢٧**﴾ [طه: 127]، وكما دلت عليه جملة (**فأدخلوا نارا**) في رصفها، بدليل ما أعقبها ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25].

وغالبا ما يرتبط هذا الكلام القرآني في كتاب الله بعذاب الآخرة كقوله تعالى في سورة النّساء حكاية عن المنافقين ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا١٤٥**﴾ [النساء: 145] في سورة ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا٦٥**﴾ [الأحزاب: 64-65].

---

[1] . المرجع نفسه 15 / 124

[2] . ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير 8 / 374

ثانيا : في سياق قصة نوح عليه السلام في سورة هود لمّا نادى نوح عليه السلام ابنه الكافر . لعلّه يستجيب ويؤمن في اللحظات الأخيرة مع بدايات الغرق وتلاطم أمواج الماء ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢**﴾ [هود: 42]، فكان جواب ابن نوح ﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ٤٣**﴾ [هود: 43] ، ولم يقل (يعصمني من الماء والنّار)، فلو كان هناك ماء بجانبه نار لذكر ذلك، والنتيجة ﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ٤٣**﴾ [هود: 43].

ثالثا : الشاهد الأقوى في استبعاد أنّ العذاب بالنّار إلى جانب الغرق دنيوي هو أنّه لمّا تمّ إغراق قوم نوح الضالين كما أراد الله عزّ وجلّ جاء الأمر للسماء بأن تمسك ماءها، وللأرض بأن تبتلع ماءها لإعادة الحياة على طبيعتها، ولم تذكر النّار لا من قريب ولا من بعيد بأن تنطفئ، قال تعالى ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤٤**﴾ [هود: 44].

رابعا : رصف هذه الآية الكريمة ﴿**مِمَّا خَطِيَّٰتِهِم أغرقوا فأدخلوا نارا**) [نوح: 25] سيق في سياق التخويف، فهي تعريض بمشركي قريش الضالين الذين لم يستجيبوا لدعوة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يؤمنوا بالبعث والنشور، فمآلهم النّار، فمثلهم مثل سابقيهم من قوم نوح ومن على شاكلتهم خالدين فيها أبدا، (فأدخلوا ناراً) إيحاء بأنّ هناك حياة أخرى غيبية، وعذاب شديد وعظيم في الدار الآخرة لمن أشرك وكفر برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنّ المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكروا البعث والنشور، قال تعالى ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ**

بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ٧٩﴾ [يس: 78-79]، وفي سورة الجاثية قال تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ٢٣﴾** [الجاثية: 23].

. وقوله ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧﴾** [نوح: 7]، فهذا الرّصف القرآني يتساوق بشكل عجيب مع المنحى الدلالي العام للقصة، فنوح عليه السلام من شدّة حرصه على هداية قومه وتبليغ ما أمر به لم يترك وقتا ولا بابا يراه مناسبا يتوسّم في قومه قَبول دعوته إلّا طرقه، " فجعل دعوته مظروفة في زمني الليل والنّهار للدلالة على عدم الهوادة في حرصه على إرشادهم "[1]، ومع هذا التفاني المنقطع النظير من حيث المدّة الزمنية في تبليغ دعوة الله قابله قومه بداء إبليس، وهو(التكبر)، أي تكبروا على أن يأتمروا بأمر بشر مثلهم، وهم أفضل منه بزعمهم كما أخبر به القرآن ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ٢٧﴾** [هود: 27]، بل بالغوا في التكبر **(واستكبروا استكباراً)**، فتناغم هذا الفعل في رصف سورة نوح الدال على المبالغة مع تأكيده بمفعوله المطلق(استكباراً) " للدلالة على تمكن الاستكبار"[2] وشدته مع المنحى الدلالي العام لقصة نوح المفضي إلى التكرار والمبالغة والشدّة والقوة...

. قرينة (الواو) في قوله تعالى ﴿﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦﴾** [نوح: 26] دلالة على أنّ هذه الجملة مستقلّة عمّا قبلها، قال صاحب التحرير والتنوير :" وقرنت بواو العطف لتكون مستقلّة، فلا تتبع جملة (إنّهم عصوني)، للإشارة أنّ دعوة نوح حصلت بعد

---

[1] . ابن عاشورالتحرير والتنوير 29 / 194

[2] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 196

شكايته بقوله (إنّهم عصوني)"[1].

. انعدام حرف (الفاء) التفريعي : في رّصف الآية ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢**﴾ [نوح: 2] لماذا لم يثبت حرف الفاء التفريعي؟ وجرد من (قال) ولم يقل (فقال)، والآية مرصوفة عقب قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١**﴾ [نوح: 1] لأنّها جاءت في معنى البيان لجملة (**أن أنذر قومك**) التي قبلها، فالرّصف في هذا المقام لا يقتضي (الفاء) لا حقيقة (إثباتا) ولا حكما (إضمارا)، قال في التحرير والتنوير :" لم تعطف جملة (**قال يا قوم**) بالفاء التفريعية على جملة (**إنّا أرسلنا نوحا إلى قومه**) لأنّها في معنى البيان لجملة (**أنذر قومك**) لدلالتها على أنّه أنذر قومه بما أمره الله أن يقوله لهم، وإنّما أدمج فيه فعل قول نوح للدلالة على أنّه أمر أن يقول فقال تنبيها على مبادرة نوح لإنذار قومه في حين بلوغ الوحي إليه من الله بأن ينذر قومه"[2].

. **دلالة الاستثناء (إلّا)** في قوله ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 28] فالاستثناء في هذه الآية منقطع يتناغم مع دلالات الآيات المرصوفة في النّص القرآني لهذه السورة، "لأنّ التبار ليس من الزيادة المدعو بنفيّها، فإنّه أراد لا تزدهم من الأموال والأولا، لأنّ في زيادة ذلك لهم قوّة لهم على أذى المؤمنين"[3]، وطلب زيادة الأموال والأولاد للظالمين لا ينسجم ودلالة قوله (**إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك**).

---

[1] . التحرير والتنوير 29 / 213

[2] . المرجع نفسه 29 / 187

[3] . المرجع نفسه 29 / 15

4 . 2 . 2 . رصف الكلمات:

. لفظة (**السماء**) في قوله تعالى ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا١١**﴾ [نوح: 11]

والسماء في هذه الآية الكريمة المراد بها الغيث النافع، ومطر الرحمة الذي هو من رحمة الله تعالى كما أشارت إليه الآية الكريمة في موضع من سورة الشورى قال تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ٢٨**﴾ [الشورى: 28]، وهذه الدلالة . (الغيث النافع). التي اكتسبتها لفظة السماء مرتبطة بوحدات مرصوفة نحويا ودلاليا، فلفظ (يرسل) التي قبل لفظة السماء و(مدراراً). من الدرّ والدرور بمعنى السيلان . التي بعدها دلّتا على أنّ المراد بالسماء ههنا (المطر).

وكذلك جاءت هذه الجملة (**يرسل السماء**) عقب طلب ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا١٠**﴾ [نوح: 10] توحي بأنّ (السماء) غيث رحمة لا مطر عذاب، لأنّ الاستغفار ملازم للرحمة قال الله تعالى في سورة الأنفال الآية ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ٣٣**﴾ [الأنفال: 33]، بالإضافة إلى أنّها .(السماء) . ههنا بمعنى الغيث ، لأنّها سيقت في رصف منسجمة وحداته للدلالة على نعم الله . المعطوفات . ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا١٢**﴾ [نوح: 10-12].

. كلمة (**تروا**) . **الرؤية**. في قوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا١٥**﴾ [نوح: 15] " رؤية بصرية وعلمية، لأنّهم يشاهدون مخلوقات الله تعالى، ويعلمون أنّه سبحانه هو الخالق"[1]، وهذه الرؤية متاحة للجميع ومتكررة في كلّ وقت وحين، وخاصة الرؤية البصرية.

[1] . الطنطاوي التفسير الوسيط 15 / 118

. ضمير (**هن**) في (**فيهن**) عائد على السموات، في قوله تعالى ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ١٦**﴾ [نوح: 16]، فهذا الرّصف القرآني عجيب بديع، (فيهن) دلت على الكثرة، وكأنّها تحاكي قصة نوح عليه السلام لما تتضمنه من وحدات رصفيّة للدلالة على الكثرة والمبالغة تساوقا مع منحاها الدلالي ومسارها الزمني الممتد، مع أنّ القمر المنير المعروف في واقع النّاس هو قمر في السماء الدنيا،إلّا أن يكشف العلم جديدا.

بيد أنّ للمفسرين أقوالا منها : .

. **الأول** : ما أورده ابن الجوزي فقال :" أن وجه القمر قِبلَ السموات، وظهره قِبل الأرض، يضيء لأهل السماوات، كما يضيء لأهل الأرض، وكذلك الشمس، هذا قول عبد الله بن عمرو"[1].

. الثاني :" أنّ القمر في السماء الدنيا، وإنّما قال : (فيهن) لأنّهن كالشيء الواحد، ذكره الأخفش والزجاج ، وغيرهما، وهذا كما تقول : أتيت بني تميم، وإنّما أتيت بعضهم، وركبت السفن"[2]، وذهب إلى هذا الألوسي من المتأخرين قال :" وجعله فيهن .(أي القمر). مع أنّه في إحداهن . وهي السماء الدنيا . كما يقال : زيد في بغداد، وهو في بقعة منها، والمرجح له الإيجاز والملابسة بالكلية والجزئية"[3].

. ومن المعاصرين شيخ الأزهر سيد طنطاوي قال في تفسيره :" وإنّما قال (فيهن) مع أنّه . أي القمر . في السماء الدنيا لأنّها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون كأنّه في الكلّ، أو لأنّ كلّ واحدة منها شفافة، فيرى الكلّ كأنّه سماء واحدة، فساغ أن يقال (فيهن)"[4].

---

[1] . ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير 8 / 371

[2] . المصدر نفسه 8 / 371

[3] . ينظر الألوسي روح المعاني 29 / 75

[4] . الطنطاوي التفسير الوسيط 15 / 119

. المفعول المطلق (استكبارا) في قوله ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧**﴾ [نوح: 7] "، وتأكيد(استكبروا) بمفعوله المطلق للدلالة على تمكن الاستكبار.

وتنوين (استكباراً) للتعظيم، أي استكباراً شديداً.

. ضمير (واو) الجماعة في قوله ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣**﴾ [نوح: 23] أغلب المفسرين يرون بأنّ ضمير الجماعة (واو الجمع في قالوا) عائد على قوم نوح الكفرة، أي أنّ قوم نوح قالوا لأتباعهم (لا تذرنّ آلهتكم)، وانصروها، والتفوا حولها، ولا تنظروا إلى ما يدعوا إليه نوح... وهذا ما يقتضيه رصف آيات السورة ونظمها.

ولكن هناك بعض المفسرين من عدل عن هذا المعنى وذهب إلى تأويل رصف هذه الآية بقوله : أنّ الضمير في (قالوا)عائد على مشركي العرب، وهذا التأويل يبدو بعيدا، وفيه تعسف وتكلف لتفكيك أجزاء رّصف السورة وانسجامها، وقد أشار إلى هذا صاحب التحرير والتنوير فقال :" ولقد اضطرّ بعض المفسرين إلى تأويل نظم الآية بأنّ معاد ضمير (قالوا) إلى مشركي العرب، وأنّ ذكر ذلك في قصة نوح بقصد التنظير، أي قال العرب بعضهم لبعض : لا تذرنّ آلهتكم ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً كما قال قوم نوح لأتباعهم **(لا تذرنّ آلهتكم)**، ثمّ عاد بالذكر بعد ذلك إلى قوم نوح، وهو تكلّف بيّن وتفكيك لأجزاء نظم الكلام..."[1] ولعلّ الذي حملهم على هذا التأويل ربّما يرجع سببه إلى بعض الروايات المحفوظة أنّ أسماء هذه الأصنام **(وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً)** المذكورة في سورة نوح عليه السلام لم تندثر بالطوفان أسماؤها ولا ذواتها (عينها) إلى الأبد، وإنّما تناقلها النّاس بعد قوم نوح، ووجدت أسماؤها في قبائل العرب إلى زمن

[1] . ينظر ابن عاشور التحرير والتنوير 29/ 209

البعثة المحمدية، قال الزجاج :" هذه الأصنام كانت لقوم نوح، ثمّ صارت إلى العرب، فكان (ودّ) لكلب، و(سواع) لهمدان، و(يغوث) لبني غُطيف، وهم حي من مُراد. وقيل : لما جاء الطوفان غطى على هذه الأصنام وطمّها التراب، فلمّا ظهرت بعد الطوفان صارت إلى هؤلاء المذكورين"[1].

وأحسن ما قيل في هذه الأصنام من التفاسير ما لخّصه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بيانا في قوله :" أنّ أصنام قوم نوح قد دثرت وغمرها الطوفان، وأنّ أسماءها بقيت محفوظة عند الذين نجو مع نوح من المؤمنين، فكانوا يذكرونها ويعظون ناشئتهم بما حلّ بأسلافهم من جراء عبادة تلك الأصنام، فبقيت تلك الأسماء يتحدث بها العرب الأقدمون في أثارات علمهم وأخبارهم، فجاء عمرو بن لُحَيّ الخزاعي الذي أعاد للعرب عبادة الأصنام، فسمى لهم الأصنام بتلك الأسماء وغيرها، فلا حاجة بالمفسر إلى التطوح إلى صفات الأصنام التي كانت لها هذه الأسماء عند العرب، ولا إلى ذكر تعيين القبائل التي عبدت مسميات هذه الأسماء"[2].

. لفظة (الظالمين) في قوله ﴿**وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ٢٤**﴾ [نوح: 24] جاءت مبيّنة لما تحمله هذه اللفظة من دلالات إيحائية كالشرك والكفر الذي هو سبب استحقاقهم حرمان عناية الله تعالى بهم، وأصل الرّصف التعبير عنهم بضمير عائد على ما قبله (ولا تزدهم إلّا ضلالا)، قال الطاهر بن عاشور :" والمراد (بالظالمين) قومه الذين عصوه، فكان مقتضى الظاهر التعبير عنهم بالضمير عائدا على (قومي) من قوله ﴿**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ٦**﴾ [نوح: 6]، فعدل عن الإضمار إلى الإظهار على خلاف مقتضى الظاهر لما يؤذن به وصف (الظالمين) من استحقاقهم الحرمان من عناية الله بهم لظلمهم، أي إشراكهم بالله، فالظلم هنا

---

[1] . الأشقر زاد المسير في علم التفسير 8 / 374

[2] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 209

الشرك، قال تعالى (**إنّ الشرك لظلم عظيم**)"[1].

. دلالة (الضلال) في قوله ﴿**وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ٢٤**﴾ [نوح: 24] لا تدرك دلالة لفظة الضلال ومعناها إلّا من خلال الرّصف النّصي للسورة الكريمة، لأنّ تتبع التعالق الدلالي بين الوحدات الرّصفية للسورة الكريمة في نظمها المحكم هو الطريق الأمثل للوقوف على المعنى المقصود من ألفاظها، وخاصة إذا ما كانت اللفظة عائمة تتزاحم دلالاتها مثل :

. لفظة الضلال التي استعملها أهل يعقوب عليه السلام وصفا لحالته لما قال ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ٩٤**﴾ [يوسف: 94 ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ٩٥**﴾ [يوسف: 95] أي قال الحاضرون عنده من أهله إنّك يا يعقوب لمستمرّ على ما كنت عليه من ذهابك عن طريق الصواب من إفراط حبك ليوسف لا تنساه، وتتوهم أنّه حيّ، وترجو أن يعود إليك، وقد أكله الذئب"[2].

. دلالة الفعلين (أغرقوا) و (أدخلوا) : جاءا في قوله تعالى ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ٢٥**﴾ [نوح: 25] بصيغة الماضي، والسياق يدلّ على أنّ هذا الفعل لمّا يتم ولمّا يحدث بعد، وأصل الرّصف أن يكون بصيغة المضارع المقترن بحرف (السين)، أو ما يسمى بالمساعد الصيغي فيكون الرّصف المعاد (ممّا خطيآتهم سيغرقون فسيدخلون ناراً)، وإنّما جاءا بصيغة الماضي لأنّ هذا الأمر أو هذا الوعد من الله متحقق وحقّ وثابت في حقّهم (**والله لا يخلف وعده**)، قال ابن السائب في ما أورده صاحب زاد المسير :" المعنى : سيدخلون في الآخرة نارا، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال، لأنّ الوعد حق، هذا

---

[1] . التحرير والتنوير 29 / 110 . 111

[2] . الأشقر زبدة التفسير من فتح القدير ص 317

قول الأكثرين"[1].

. دلالة تنكير النّار في (**فأدخلوا ناراً**) " للتعظيم، أو المراد نوع من النيران"[2]

ورصف هذه الآية التي نكّرت فيها لفظة (نارا) تدلّ على تعظيم هذه النّار لشدة لفحها وعظيم فيحها، قال تعالى في موضع آخر واصفا حال أهل النّار ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا٥٦**﴾ [النساء: 56]، وقال في سورة المؤمنون ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ١٠٤**﴾ [المؤمنون: 103-104].

4 . 2 . 3 . رصف شبه الجمل والجمل :

. دلالة الجار (**من قبل**) في رصف مطلع السورة ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١**﴾ [نوح: 1]للتخفيف، قال البقاعي :" ولما كان المقصود إعلامهم بذلك .(**أن أنذر قومك**) . في بعض الأوقات، لأنّ الإنسان لا بد له من أوقات شغل بنفسه من نوم وأكل وغيره أتى بالجار تخفيفا عليه، ورفقا به عليه السلام فقال (**من قبل أن يأتيهم عذاب**) "[3].

. حذف متعلق (**نذير**) في قوله تعالى ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣**﴾ [نوح: 2-3] لدلالة القرينة اللفظية عليه، وهي قوله تعالى ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣**﴾ [نوح: 3]، والحذف في مثل هذا الموضع أفصح وأبلغ .

والرّصف كما بينت في تعريفه يستغرق جميع وحداته اللّغويّة سواء كانت ظاهرة مثبتة أو مضمرة مقدرة دلّت عليها قرينة للوقوف على معناه المراد، ودلالته المقصودة .

---

[1] . زاد المسير 8 / 374

[2] . البيضاوي تفسير البيضاوي 5 / 153

[3] . البقاعي نظم الدرر ص 424

ففهم معنى الآية الكريمة يتجلى من خلال إعادة رصفها وإظهار ما حذف أو اضمر من وحدات رصفيّة لوجود قرينة دالة، وهو ما أشار إليه الطاهر بن عاشور في قوله :" والتقدير : إنّي لكم نذير بعذاب أليم إن لم تعبدوا الله، ولم تتقوه، ولم تطيعوني"[1].

. قوله تعالى ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢**﴾ [نوح: 2]، " ولما كان طبع البشر إنكار ما لم يعلم إلّا من عصمه الله فجعله منقادا للإيمان بالغيب أكّد قوله (**إنّي لكم نذير**) أي مبالغ في النذارة، (مبين)، أي أمري بيّن في نفسه، بحيث أنّه صار من شدّة وضوحه كأنّه مظهر لما يقتضيه، مناد بذلك للقريب والبعيد، والفطن والغبي"[2].

(**لكم**) : في قوله تعالى ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢**﴾ [نوح: 2] قدمت على عاملها وهو (نذير) للاهتمام، و" للإشارة إلى أنّ فائدة استجابتهم له تعود عليهم لا عليه، فهو مرسل من أجل سعادتهم وخيرهم"[3].

. قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ١**﴾ [نوح: 1] . والقوم : هم البشرية جمعاء يومئذ الساكنة على المعمورة قاطبة، فهم النّاس كافة ولم يكن غيرهم وقت أرسل إليهم نوح عليه السلام لتبليغهم دعوة الله كما أُمر. وعدل عن رصف (أنذر النّاس) إلى (أنذر قومك) " إلهابا لنفس نوح عليه السلام ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإنّ فيهم أبناءه وقرابته وأحبته، وهم عدد تكوّن بالتّوالد في بني آدم في مدّة ستمائة سنة

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 188

[2] . البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ص 426

[3] . الطنطاوي التفسير الوسيط للقرآن الكريم 15 / 111

من حلول جنس الإنسان على الأرض، ولعلّ عددهم يوم أرسل إليهم نوح عليه السلام لا يتجاوز بضعة آلاف"[1].

. من القرائن العلائقيّة : إضافة كلمة (**قوم**) في قوله تعالى (**إلى قومه أن أنذر**) إلى الضمير الغائب (**الهاء**) العائد على نوح عليه السلام للدلالة على مزيد اختصاص، قال الطاهر بن عاشور:" وإضافة (قوم) إلى ضمير (نوح) لأنّه أرسل إليهم، فلهم مزيد من الاختصاص به، ولأنّه واحد منهم، وهم بين أبناء له وأنسباء، فإضافتهم إلى ضميره تعريف لهم إذ لم يكن لهم اسم خاص من أسماء الأمم الواقعة من بعد"[2].

. دلالة (**كلّما**) المرصوفة في قوله تعالى ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**٧﴾ [نوح: 7] للاستغراق والشمول، فكلمة (كلّ) في هذا الرّصف " اسم يدل على استغراق أفراد ما تضاف هي إليه، وكلمة (ما) مصدريّة، وهي حرف يفيد أنّ الجملة بعده في تأويل مصدر، وقد يراد بذلك المصدر زمان حصوله، فيقولون : (ما) ظرفيّة مصدرية، لأنّها نائبة عن اسم الزمان"[3].

والمعنى الذي يقتضيه الرّصف من خلال ترابط وحداته أنّ قوم نوح لم يتركوا منفذا لتلقي دعوة نوح عليه السلام ولا طريقا لسماعها ولو بالإشارة، بل أعرضوا وصدّوا عنها في جميع أوقات تبليغ الدعوة المستفادة من قوله (ليلا ونهاراً)، ولم يأبهوا بتنوع أساليبها وتعدد طرائقها، لا جهرا نفعتهم ولا سرا وعظتهم، ولم " يظهروا مخِيلة من الإصغاء إلى دعوته، ولم يتخلفوا عن الإعراض والصدود

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 187

[2] . المرجع نفسه 29/ 187

[3]. ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 195

عن دعوته طرفة عين "[1]، فجيء في هذا الرّصف بمركب من كلمتين (كلّما) متعلق بما قبله وما بعده للدلالة على الشمول والاستغراق لكلّ الدعوات المتجددة التي دعا بها نوح عليه السلام قومه كما أُمر طيلة ألف سنة إلّا خمسين عاما، إلّا أنّهم (**عَمُوا وصَمُّوا**)، قال صاحب التحرير والتنوير :" فلذلك جاء بكلمة (كلّما) الدالة على شمول كلّ دعوة من دعواته مقترنة بدلائل الصدّ عنها "[2].

حذف متعلق (**دعوتهم**) في قوله (**كلّما دعوتهم لتغفر لهم**) : والرّصف يقتضي إثباته للوقوف على دلالته ومعناه، فبإعادة الرّصف المقدر في خطاب التضرع والمناجاة (كلّما دعوتهم لعبادتك وتقواك وإتباعي من خلال طاعتي) يتجلى هذا المعنى بوضوح، وإنّما حذف لدلالة ما تقدم عليه من قوله ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣**﴾ [نوح: 3] في رصف الخطاب الأمري، وهذا أبلغ وناف للتكرار، كما يُبرز حذف متعلق (دعوتهم) . لدلالة ما تقدم عليه . التماسك النّصي من خلال الخيط الدلالي الرابط بين الرّصف المتعدد والمنسجم في نظم هذه السورة الكريمة.

. دلالة قوله تعالى ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧**﴾ [نوح: 7] في رصفها الخطابي لشناعة إعراضهم ومخالفة نبيّهم عليه السلام، قال صاحب نظم الدرر :" وقد نادت هذه الآيات بالتصريح في غير موضع بأنّهم عصوا نوحا عليه الصلاة والسلام وخالفوه مخالفة لا أقبح منها، ظاهرا بتعطيل الأسماع والأبصار، وباطنا بالإصرار والاستكبار، ولم يوافقوه بقول ولا فعل"[3].

. حذف متعلق (**أصرّوا**) في قوله تعالى ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**

---

[1] . التحرير والتنوير 29 /195

[2] . المرجع نفسه 29 / 195

[3]. البقاعي نظم الدرر ص 432

وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧﴾ [نوح: 7] لدلالة وضوحه بقرينة المقابلة ، لأنّ نوح عليه السلام دعاهم لعبادة الله وحده وتقواه فأصرّوا على الإشراك بالله جلّ في علاه . وهذا أصل الرّصف . كما أنّ القرينة العقلية تقتضي ذلك الفهم المتبادر لوضوح معناه من الرّصف، فبذلك استغني عن إظهار هذا المتعلق، وأضمر بين وحدات رصفه.

. جملة (**استغفروا ربّكم إنّه كان غفّارا**) : هذه الآية الكريمة بهذا الرّصف العجيب من خلال استعمال الأحرف والكلمات المتعالقة في رصفها، والدالة على المعنى المراد منه والمستفاد، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى موصوف بصفة الغفران الثابتة، تستغرق كلّ المستغفرين وتصيبهم، وعدًا من الله، (**والله لا يخلف وعده**)، وما يؤكد هذه الدلالة حرف التوكيد (إنّ)، والفعل (كان)، وصيغة المبالغة (غفّارا)، " فأفاد التعليل بحرف (إنّ)، وأفاد ثبوت الصفة لله بذكر فعل (كان)، وأفاد كمال غفرانه بصيغة المبالغة بقوله (**غفّارا**)"[1]

. جملة ﴿**وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا٢٤**﴾ [نوح: 24] تدلّ على معنيين :

المعنى الأول : كبراء القوم وأصحاب النفوذ والمال من قوم نوح قد **أضلوا كثيرا من النّاس**، وهم الذين أشار إليهم نوح عليه السلام حكاية عن إتباع النّاس لهم بقوله ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا٢٢**﴾ [نوح: 21-22]

. والمعنى الثاني : هي الأصنام التي عبدت من دون الله، المذكورة في الآية الكريمة تفصيلا بعد إجمال . ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣**﴾ [نوح: 23] . أضلت كثيرا من النّاس.

فكلا المعنيين مجتَمِعَين يرشحهما الرّصف الذي تنتمي إليه هذه الآية ، لأنّ الآية الكريمة ﴿**وَقَدْ**

---

[1] . ابن عاشور التحريروالتنوير 29 / 197

أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ٢٤﴾ [نوح: 24] . أي أضلوا كثيرا من النّاس . جاءت عطفا على ما سبق، وكنتيجة حاصلة على المكر الكُبّار الذي قام به كبراء القوم لصدّ النّاس عن عبادة الله وحده، والإعراض عن دعوة نوح عليه السلام، وحثّ النّاس على التمسك بآلهتهم والالتفاف حولها ونصرتها، وهذا هو عين الضلال وذروته، وهو السبيل الأقوى المتبع، والمدخل الرابح المستعمل عند الملأ وكبراء القوم يوظف لاستمالة السوقة من النّاس وعامتهم لسذاجة عقولهم، بحيث يُعزف على الوتر الحساس لدى العامة، وهو حثهم على التشبث بعقيدتهم والتفافهم حول آلهتهم المزعومة، وهذا حتى يكون الولاء المطلق لهم وعدم زعزعة عروشهم، والمحافظة على مكانتهم الاجتماعية، ومناصبهم المرموقة كما يتوهم الملأ في كلّ قوم.

وهذه الصورة تتجدد مع كلّ رسول من رسل الله، ذكر لنا القرآن الكريم طرفا منها :

. مع أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، بعد أن دعا قومه إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام كما في سورة الشعراء ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ٧٠ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٣**﴾ [الشعراء: 70-73] وبعد أن أقام عليهم الحجة قال الملأ من قومه وكبراؤهم ﴿**قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١**﴾ [الأنبياء: 61] . أي سيدنا إبراهيم عليه السلام . هذه المرحلة الأولى، وفي المرحلة الأخيرة قال عليه السلام ﴿**أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٧**﴾ [الأنبياء: 67].

- مع كليم الله سيدنا موسى لمّا امتثل إلى أمر الله تعالى مع أخيه هارون عليهما السلام ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ٤٤**﴾ [طه: 43-44]، فما كان من ملأ فرعون إلّا أن بادروا بالصدّ ومحاولة إجهاض هذه الدعوة الرّبانيّة في مهدها على طريقة من سبقهم بأساليب تحريضيّة ماكرة، ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ١٢٧**﴾ [الأعراف: 127]،

وفي سورة غافر الآية 26 استغل فرعون سذاجة العامة من النّاس لتبرير فعلته الشنيعة وهي محاولة قتل موسى عليه السلم كما حكاه القرآن الكريم ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ٢٦**﴾ [غافر: 26]، ونصر الله رسوله وأظهر دينه ﴿**وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ٦٦**﴾ [الشعراء: 65-66]. ومع خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمّا دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهم عباد أوثان .كان الردّ شديدا وقاسيا من لدن رؤوس الشرك والملأ من قومه عليه الصلاة والسلام مثل ما قاله الملأ من قوم نوح عليه السلام إلى حدّ بعيد، فالملأ من قوم نوح قالوا للنّاس ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣**﴾ [نوح: 23]، والملأ من قوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ﴿**وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ٦**﴾ [ص: 6].

ولقد صوّر لنا القرآن الكريم في مطلع سورة (ص) هذا المشهد بطريقة منقطعة النظير لما يتضمنه رصف الآيات من وحدات ذات دلالات إيحائية تتناغم والمعنى المراد، نحو : (عجبوا، ، ساحر كذّاب، الآلهة إله واحدا، شيء عجاب، اصبروا على آلهتكم، لشيء يُراد، إن هذا إلّا اختلاق ...)، قال تعالى ﴿**وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ٥ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ٧**﴾ [ص: 4-7].

.كما أنّ تمسك السوقة من النّاس بعبادة الأصنام لسذاجة عقولهم تجعلهم رهينة لهذه الأصنام وهذا الضلال، كأنّما حُجر على عقولهم، وقد أشار إلى هذا المعنى سيدنا إبراهيم عليه السلام من خلال دعائه ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ٣٦**﴾ [إبراهيم:

.[36-35

. جملة ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥﴾ [نوح: 25] من دلالاتها الإيحائية التعريض بالمشركين العرب على عهد رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم بأنّ أصنامهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة التي لا يؤمنون بها، إذ التشابه قائم بين الوثنيين على عهد نوح عليه السلام والمشركين على عهد سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم في عبادتهم الأصنام؛ أو جعلها وسائط بينهم وبين الله تعالى، قال صاحب التحرير والتنوير :" وتفريع **(فلم يجدوا لهم من دون الله** أنصارا) تعريض بالمشركين من العرب الذين كانوا يزعمون أنّ الأصنام تشفع لهم، وتدفع عنهم الكوارث، يعني في الدنيا، لأنّهم لا يؤمنون بالبعث، أي كما لم تنصر الأصنام عبدتها من قوم نوح كذلك لا تنصركم أصنامكم"[1].

4 . 2 . 4 . رصف الآيات والنّص :

. القرينة الالتزاميّة : في قوله تعالى **﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا١٧﴾** [نوح: 17]، ففي هذا الرّصف البديع البليغ أستعير (الإنبات) لِـ (الإنشاء) للدلالة على " الحدوث والتكون من الأرض"[2]، وهو الأصل الأول الذي خلق منه الإنسان، بمعنى: أنشأكم من الأرض، قال تعالى **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ١٣﴾**

[المؤمنون: 12-13]

وأصل هذا الكلام **(والله أنبتكم ...**) بعد إعادة رصفه "(أنبتكم من الأرض إنباتا فنبتم نباتا)،

---

[1] . ابن عاشورالتحرير والتنوير 29 / 212 . 213

[2] . البيضاوي تفسير البيضاوي 5 / 153

فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزاميّة "[1].

وقال صاحب الظلال ما ملخصه :" والتعبير عن نشأة الإنسان من الأرض بالإنبات تعبير عجيب موحٍ، وهو يكرر في القرآن في صور شتى كقوله تعالى ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ٥٨**﴾ [الأعراف: 58]، وهو يشير في هذا إلى نشأة النّاس كنشأة النبات.

كما يقرن نشأة الإنسان بنشأة النبات في مواضع متفرقة، ففي سورة الحج يجمع بينهما في آية واحدة في صدد البرهنة على حقيقة البعث فيقول ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ٥**﴾ [الحج: 5]، وفي سورة المؤمنون يذكر أطوار النشأة الجنينية قريبا ممّا ذكرت في سورة الحج، ويجيء بعدها ﴿**فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ١٩**﴾ [المؤمنون: 19]، وهكذا، وهي ظاهرة تستدعي النظر ولا ريب، فهي توحي بالوحدة بين أصول الحياة على وجه الأرض، وأنّ نشأة الإنسان من الأرض كنشأة النبات، من عناصرها الأولية يتكون، ومن عناصرها الأولية يتغذى وينمو، فهو نبات من نباتها، وهبه الله هذا اللون من الحياة كما وهب النبات ذلك اللون من الحياة، وكلاهما من نتاج الأرض، وكلاهما يرضع من هذه الأم.

وكذلك ينشئ الإيمان في المؤمن تصورا حقيقيا حيّاً لعلاقته بالأرض والأحياء... والنّاس الذين نبتوا من الأرض يعودون إلى جوفها مرة أخرى، يعيدهم الله إليها كما أنبتهم منها ...ثمّ يخرجهم الذي

---

[1] . البيضاوي 5 / 153

أخرجهم أول مرّة، وينبتهم كما أنبتهم أول مرة... مسألة سهلة يسيرة لا تستدعي التوقف عندها لحظة حين ينظر الإنسان إليها من هذه الزاوية التي يعرضها القرآن منها" [1].

. قوله تعالى ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا٢٢**﴾ [نوح: 21-22]، هذه الآية كلام مستأنف لكلام سابق يستدعي سؤالا مضمرا يكشف بإعادة رصف الكلام لتتجلى دلالة قوله ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا٢١**﴾ [نوح: 21] ، فيكون الرّصف المضمر على شكل سؤال " تقديره ماذا كانت عاقبة قوم نوح بعد أن نصحهم ووعظهم بتلك الأساليب المتعددة؟

فكان الجواب ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا٢١**﴾ [نوح: 21]"[2].

. كما أنّ قوله تعالى (**وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ٢١**) تدلّ دلالة إيحائية تستفاد من رصفها على أنّ نفوذ أهل المال المخالفين للحقّ ينفقون أموالهم لتأليف قلوب أتباعهم وشراء ذمم السُوقَة من النّاس لاتباعهم، والالتفاف حولهم، بالإضافة إلى ذلك يتخذون أولادهم عصبة لإظهار قوتهم، وجبروتهم، ومنعتهم لمواجهة سبيل الحقّ، وإرهاب من تسول له نفسه معارضتهم، واستعمالها في تأييد الكفر والفساد،" فأدمج في الصلة أنّهم أهل أموال وأولاد إيماء إلى أنّ ذلك سبب نفاذ قولهم في قومهم، وائتمار القوم بأمرهم، فأموالهم إذ أنفقوها لتأليف أتباعهم، قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ٣٦**﴾ [الأنفال: 36]، وأولادهم أرهبوا بهم من يقاومهم "[3].

---

[1] . ينظر سيد قطب في ظلال القرآن 6 / 3714 . 3715

[2] . الطنطاوي التفسير الوسيط 15 / 122

[3] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 207

ولكن كلّ ذلك لم ينفعهم، بل ما زادهم ذلك إلّا خسارا، وكلّ ما أنفق في أبواب الباطل والصدّ عن الحقّ سيكون عليهم حسرة، ثمّ يغلبون، قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ٣٦**﴾ [الأنفال: 36].

. **دلالة الاهتمام والعناية** في قوله ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣**﴾ [نوح: 23] ينظر إليها من جهتين أو أكثر يحتملهما الرّصف :

الأولى :. يفهم من رصف هذه الآية ذكر الخاص(**ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً**) بعد العام (**لا تذرنّ آلهتكم**) للدلالة على الاهتمام، وزيادة عناية، لأنّ هذه الأصنام الخمسة هي آلهة تُعبد من دون الله لدى قوم نوح الكفرة، يحتمل أن تكون أهم الأصنام من بين الأصنام الكثيرة المنتشرة وقتها بدليل قولهم (**لا تذرنّ آلهتكم**)، " ثمّ خصّوا بالذكر أعظمها، وهي هذه الخمسة، فيكون ذكرها من عطف الخاص على العام للاهتمام به"[1].

الثانية :. كذلك يستفاد من رصف الآية تفصيل المجمل وتأكيده لزيادة العناية والاهتمام به، فالمجمل (**لا تذرنّ آلهتكم**) والمفصل لهذه الآلهة المجملة هو تعيين الأصنام الخمسة، وذكرها بأسمائها(**ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً**)، وهي الآلهة نفسها التي أمر قوم نوح أتباعهم الالتفاف حولها ونصرتها، وأكدوا ذلك بإعادة الفعل (لا تذرنّ) في الرّصف، ثمّ ذكر تلك الآلهة بأسمائها ليس للاهتمام بها فقط، بل ذكرها من قبيل عطف المرادف لها للتأكيد. كما قال ابن عاشور :" ويحتمل أن لا يكون لهم غير تلك الأصنام الخمسة، فيكون ذكرها مفصلة بعد الإجمال

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 209

للاهتمام بها، ويكون العطف من قبيل عطف المرادف"[1]. بل الاهتمام بها وزيادة العناية أكثر من ذي قبل بسبب ظهور من يسفهها ويسفه عقول من يعبدها من دون الله، وذكر هذه الأصنام الخمسة بأسمائها مفصلة إلهابا لنفوس من يعبدها قصد نصرتها والتمسك بها ولو كلفهم ذلك هلاك نفوسهم.

الثالثة : يحتمل ذكر هذه الأصنام الخمسة بأسمائها كوسيلة لإلهاب نفوس من اتخذها آلهة من دون الله وحده، واستعطاف جموع النّاس على وجه الأرض وقتها . وهم يمثلون بمجموعهم قوم نوح . واستمالة كلّ مجموعة بذكر اسم صنمها الخاص بها، إذ يحتمل أنّ كلّ مجموعة لها صنم معين من هذه الخمسة يعبد من دون الله.

ولعلّ القول الثاني الذي يرى بأنّ الأصنام الخمسة أو الأوثان المذكورة في الآية الكريمة هي الآلهة نفسها التي عبدها قوم نوح من دون الله إنّما جاءت من باب تفصيل المجمل . وهذا نوع من الإطناب في الكلام فائدته الاهتمام والعناية . هو الراجح بقرينة السياق الخارجية المتمثلة في ما يلي :

. أنّ قوم نوح أول من أحدث عبادة الأوثان كما هو واضح جليّ في آيات القرآن الكريم، ولم يكن إحداثهم لهذه العبادة الباطلة أو الشرك بالله هي نزوة نفس عابرة، أو إشباع لغريزة الهوى كما فعل العرب بداية بعمرو بن لحيّ الخزاعي، وإنّما عبادتهم لهذه الأصنام الخمسة في الأصل لم تكن أصناما، وإنّما كانت أسماء رجال صالحين موحدين لله تعالى بين آدم ونوح عليهما السلام، ثمّ مع تقادم الأيام وتغير الأجيال وقعوا ضحية سذاجة عقولهم في حبال الشيطان إذ زيّن لهم تعظيم هذه الأصنام . المنحوتة أو المصوّرة تخليدا لعلمائهم الخمسة الصالحين . وعبادتها من دون الله الواحد

[1] . التحرير والتنوير 29 / 209

الأحد، روى ابن جرير الطبري في تفسيره بأنّ هذه الأسماء (**ودّاً وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً**) المذكورة في الآية القرآنية :" كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلمّا ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلمّا ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال : إنّما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم"[1].

وللإشارة فلا يمكن أنّ يفهم من دعاء نوح عليه السلام . ﴿**وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا٢٤**﴾ [نوح: 24] - على الملأ من قومه وكبرائهم الظالمين بسبب مكرهم الكبير الذي تعجز عن إحاطته العبارة ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا٢٢**﴾ [نوح: 22] أنّه دعا عليهم بالضلال " عن طريق الحقّ والتوحيد، لظهور أنّه ينافي دعوته قومه إلى الاستغفار والإيمان بالبعث، فكيف يسأل الله أن يزيدهم منه"[2]، وهو عليه السلام الذي أمرهم باتباع سبيل الحقّ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا٥**﴾ [نوح: 3-5]، ورغبهم في خير الآخرة بوعد منه بمغفرة الله لهم ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا١٠**﴾ [نوح: 10] " ورتب عليه وعدا بخير الدنيا بطريق جواب للأمر ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا١٢**﴾ [نوح: 11-12][3]، وبيّن لهم المآل البعثي، والمستقر الدائم الأبدي، فقال﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا١٧**﴾ [نوح: 17]، فمن كان منهجه كذلك لا يمكن بل يستحيل أن يدعو على قومه

---

[1] . ابن كثير تفسير القرآن العظيم 4 / 1950

[2] . ابن عاشور، التحرير والتنوير 29 / 211

[3] . التحرير والتنوير 29 / 198

بالضلال عن الصراط المستقيم، إنّما المعنى من الضلال هنا والذي يرشحه رصف السورة هو الذي أشار إليه البيضاوي في تفسيره فقال :" ولعلّ المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أو الضياع والهلاك"[1]، لأنّ " الدعاء بالضلال عن طريق الآخرة لا يناسب النبي، لأنّهم مبعوثون للهداية"[2].

أو معنى الضلال في هذه الآية هو ما ذكره صاحب التحرير والتنوير في تفسيره :" والضلال مستعار لعدم الاهتداء إلى طرائق المكر الذي خشي نوح غائلته في قوله ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا٢٢**﴾ [نوح: 22] أي حُلْ بيننا وبين مكرهم ولا تزدهم إمهالا في طغيانهم علينا إلّا أن تضللهم عن وسائله، فيكون الاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضده"[3].

. ويمكن أن يفهم الضلال هنا بمعنى : أن يطمس عليهم طرق النفع وإبهامها من أموال وبنين وغيرها حتى تلين شكيمتهم، ويضعف جانبهم، وتنكسر شوكتهم، ولا يبقى لهم تأثير على النّاس، ليذيقهم نظير مكرهم الكُبَّار، وكيدهم المستمر، وهذا " نظير قول موسى عليه السلام ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ٨٨**﴾ [يونس: 88][4].

. دلالة التقديم والتأخير :

من خلال التمعن والإمعان في رصف هذه الآيات الكريمة ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ**

---

[1] . البيضاوي تفسير البيضاوي 5 / 153

[2]. الكازروني حاشية العلامة أبي الفضل الخطيب المشهور بالكازروني بهامش تفسير البيضاوي 5 / 153

[3] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 211

[4] . ينظر ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 211

دَيَّارًا٢٦﴾ [نوح: 25-26]، المنسجمة تركيبا، والمتسقة دلالة يظهر بأنّ هناك تقديما وتأخيرا في الآيات، لأنّ قوله ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25] من كلام الله سبحانه جلّ في علاه، وليس من كلام نوح عليه السلام، جاء بين قوله ﴿**وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا٢٤**﴾ [نوح: 24] وقوله ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦**﴾ [نوح: 26]، وكلا القولين من كلام نوح عليه السلام كما حكاهما القرآن العظيم، وأصل رصف هذه الآيات ترتيبها، فيكون، آخر ما ختمت به هذه السورة الكريمة حكم الله تعالى العادل من فوق سبع سماوات في قوم نوح الكفرة بأنّهم استحقوا عذاب الإغراق في الدنيا وعذاب النّار في الآخرة خالدين فيها أبدا بسبب خطيآتهم الشنيعة التي لا تغتفر ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25]، ولعلّ تقديم هذه الآية في ترتيب رصف السورة وتأخير ما حكي عن نوح عليه السلام ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا٢٧ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا٢٨**﴾ [نوح: 26-28] لدلالة وغرض :

. الدلالة : تقديم قوله تعالى ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25] في رصف السورة على قوله ﴿...**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦**﴾ [نوح: 26] حتى لا يفهم بأنّ قوم نوح عليه السلام استحقوا عذاب الدنيا والآخرة بسبب دعاء نوح عليه السلام . ودعاء الأنبياء والرسل عليهم السلام مستجاب . وإن كان نوح عليه السلام قد أُخبر بالوحي أنّه لن يؤمن أحد من قومه إلّا من قد آمن، قال تعالى في موضع آخر ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ٣٦**﴾ [هود: 36]، وإنّما سبب إغراقهم ثمّ دخولهم نارا خالدين فيها أبدا سنّة إلهية لا تحابي أحدا ﴿ **فَهَلْ يَنْظُرُونَ**

إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا٤٣﴾ [فاطر: 43]، فكلّ من بلغته الرسالة الربّانية ولم يؤمن بها، وأشرك بالله وكفر ومات على ذلك دخل النّار مخلّدا فيها، وفي المقابل كلّ من آمن بالله ورسله...ومات مؤمنا موحدا لا يشرك بالله وحده دخل جنّة الله مخلّدا فيها أبدا، قال صاحب التحرير والتنوير :" وقُدم (ممّا خطيآتهم) على عامله لإفادة القصر، أي أغرقوا فأدخلوا نارا من أجل مجموع خطيآتهم لا لمجرد استجابة دعوة نوح التي ستذكر عقب هذا ليعلم أنّ الله لا يُقرّ عباده على الشرك بعد أن يرسل إليهم رسلا "[1].

. الغرض : غرض تقديم **(ممّا خطيآتهم)** وتأخير ﴿...**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦**﴾ [نوح: 26] هو تعجيل البشرى لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنّه منصور كما نصر نوح عليه السلام من قبل، وتسليته ، قال الطاهر بن عاشور :" والغرض من الاعتراض بها . الآية ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥**﴾ [نوح: 25] . التعجيل بتسلية رسول الله على ما يلاقيه من قومه ممّا يماثل ما لاقاه نوح من قومه على نحو قوله تعالى ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ٤٢**﴾ [إبراهيم: 42][2].

كما أنّ غرض تقديم هذه الآية أو الاعتراض بها بين مقالات نوح عليه السلام هو التعريض بمشركي قريش " الذين كانوا يزعمون أن أصنامهم ستشفع لهم يوم القيامة، والذي حكى القرآن عنهم قولهم ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ٣**﴾ [الزمر: 3]]"[3].

---

[1]. ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 212

[2] . ينظر ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 212

[3] . الطنطاوي التفسير الوسيط 15 / 124

. فائدة : لماذا تأخر عذاب قوم نوح الكافرين إلى ما بعد دعوة نوح ولم يُعجل لهم العذاب ؟

قال الطاهر بن عاشور :" وإنّما تأخر عذابهم . أي الكفرة من قوم نوح . إلى ما بعد دعوة نوح عليه السلام لإظهار كرامته عند ربّه بين قومه، ومسرة له وللمؤمنين معه، وتعجيلا لما يجوز تأخيره"[1].

ويرى البقاعي بأنّه يمكن لا يكون هناك تقديم ولا تأخير، والمعنى :" ويجوز . وهو أقرب . أن يكون هذا الدعاء عند ركوبه السفينة وابتداء الإغراق فيهم، يريد به العموم كراهية أن يبقى أحد منهم على ذروة جبل أو نحوه لا أصل الإغراق، وأن يكون معنى ما قبله الحكم بإغراقهم وتحتم القضاء به أو الشروع فيه"[2].

. قوله تعالى ﴿**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**٢٧﴾ [نوح: 27] يستفاد من رصف هذه الآيات دلالة إيحائية على أنّ غاية المصلحين وهدفهم الرئيس إصلاح جيلهم الذي يعتبر تأسيسا لإصلاح الأجيال القادمة المتعاقبة، وهذا ما يفهم من دعاء نوح عليه السلام، لأنّ " في كلام نوح دلالة على أنّ المصلحين يهتمون بإصلاح جيلهم الحاضر، ولا يهملون تأسيس أسس إصلاح الأجيال الآتية، إذ الأجيال كلّها سواء في نظرهم الإصلاحي"[3].

4 . 3 . رصف الحقول الدلاليّة في سورة نوح :

الحقول الدلاليّة في نّص ما وخاصة في النّص القرآني هي نسيج من ألفاظ مترابطة مع بعضها في رصف معين، ومتعالقة في سياق تعبيري خاص، تشترك من خلالها دلالات متداخلة، مركزيّة وفرعيّة، تستهدفها بنية رّصف النّص القرآني.

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنور 29 / 212

[2]. البقاعي نظم الدرر ص 457

[3] . ابن عاشور التحرير والتنوير 29 / 114

1.3.4 حقول الأسماء :

1	2	3	4	5	6
أسماء وصفات الله تعالى	الآيات الكونيّة للإقناع الدعوي	أسماء الأصنام والآلهة	صفات أهل الضلال	الجزاء المعجّل في الدنيا والمؤجل في الآخرة بالهداية	عاقبة المشركين والجاحدين
(الله) الآيات 3 . 4 . 15 . 17 . 19 . 25. (لله) الآية 13 (ربّ) الآيات 5 . 21 . 26 . 28. (غفّارا) الآية 10	(ليلا)الآية 5 (نهارا) الآية 5 (السماء) الآية 11 (جنّات) الآية 12 (أنهارا) الآية 12 (سموات طباقا) الآية 15 (القمر) الآية 16 (نورا) الآية 16 (الشمس) الآية 16	(آلهتكم) الآية 23 (ودّا) الآية 23 (سُواعا) الآية 23 (يغوث) الآية 23 (يعوق) الآية 23 (نسرا) الآية 23	(كُبّارا) الآية 22 (الظالمين) الآيات 24 . 28 (ضلالا) الآية 24 (الكافرين) الآية 26 (فاجر) الآية 27 (كفّارا) الآية 27	(يؤخركم إلى أجل مسمى) الآية 4 (السماء) . الغيث مدرارا . الآية 11 (أموال) الآية 12 (بنين) الآية 12 (جنّات). حدائق . الآية 12 (يغفر لكم من ذنوبكم) الآية 5	(عذاب أليم) الآية 1 (أغرقوا) الآية 25 (فأدخلوا نارا) الآية 25 (تبارا) الآية 28

	(الأرض) الآية 17 (نباتا) الآية 17 (سبلا فجاجا) الآية 20				

2.3.4 حقول الأفعال :

1	2	3	4	
الدعوة وما يتعلق بها	العبادة والهداية	قدرة الله المطلقة	الضلال والغيّ	
(دعوت) الآية 5 (دعوتهم) الآيات 7 . 8 (أعلنت) الآية 9 (أسررت) الآية9 (ترجون) الآية 13 (تروا) الآية 15 (لتسلكوا) الآية 20.	(اعبدوا) الآية 3 (اتقوا) الآية 3 (أطيعون) الآية 3 (استغفروا) الآية 10	(يغفر) الآية 5 (يؤخركم) الآية 5 (يرسل) الآية 11 (يمددكم) الآية 12 (يجعل) الآية 12 (خلقكم) الآية 14 (خلق) الآية 15 (جعل) الآيات 16 . 19 (أنبتكم) الآية 17 (يعدكم) الآية 18 (يخرجكم) الآية 18.	(جعلوا) الآية 7 (استغشوا) الآية 7 (أصرّوا) الآية 7 (استكبروا) الآية 7 (عصوني) الآية 21 (اتبعوا) الآية 21 (مكروا) الآية 22 (لا تذرُنّ) الآية 23 (أضلوا) الآية 24 (يضلوا) الآية 27	

الملاحظات والدلالات من خلال حقول الأسماء والأفعال :

أول ما يلاحظ من خلال الحقول الدلاليّة الاسميّة والفعليّة أنّها جميعها متعلقة بمحورين كبيرين في عالم الدعوة إلى الله تعالى وهما :

المحور الأول الإيمان بالله تعالى : ويستقطب هذا المحور الحقول التالية من الأسماء : (حقل (1) . أسماء وصفات الله، حقل(2) . الآيات الكونيّة للإقناع الدعوي، حقل (5) . الجزاء المعجّل في الدنيا، والمؤجّل في الآخرة بالهداية)

أمّا من الحقول الفعليّة فيستقطب ثلاثة حقول : (حقل (1) . الدعوة وما يتعلق بها، حقل (2) . العبادة والهداية، حقل (3) . قدرة الله المطلقة).

المحور الثاني الشرك بالله والجحود : ويستقطب هذا المحور الذي هو نقيض المحور الأول من الأسماء الحقول التالية : (حقل (3) . أسماء الأصنام والآلهة، حقل (4). صفات أهل الضلال، حقل (6) . الجزاء في الدنيا والآخرة للظالمين والمشركين) .

أمّا من حقول الأفعال فيتعلّق بهذا المحور حقل واحد وهو : (حقل (4) . الضلال والغيّ).

. ومن خلال رصف هذه الحقول الدلاليّة وترتيبها يمكن أن نقف على بعض الإيحاءات والمعاني منها :

أولا : التعريف بالله سبحانه من خلال أسمائه وصفاته، وهذا جانب عقدي صرف، وهذا ما جاء في الحقل الأول، فقد تكررت الألوهية (الله) ست (6) مرات، والربوبيّة (ربّ) أربع (4) مرات . وذكرت هنا ما هو صريح، أمّا الضمائر العائدة على الإسمين في السورة فهي كثيرة . ولم يذكر من الصفات إلّا صفة واحدة، وهي (غفّارا)، لأنّ المقام ههنا مقام إثبات عقيدة التوحيد، ومجابهة الشرك وعبادة الأصنام.

. ثانيا : يترتب على الحقل الأول الجانب العملي والسلوكي المتمثل في الحقل الثاني من عبادة

وتقوى وطاعة واستغفار، وهذا أساس كلّ دعوة ربانيّة، وهذا ما يمثله الحقل الثاني من الأفعال (العبادة والهداية).

. ثالثا : ويستلزم الحقل الثاني (العبادة) قوة إقناع المدعو بهذا، فترتب على هذا في الرّصف حقل ثالث للإقناع من خلال لفت الأنظار إلى قدرة الله المطلقة في كلّ شيء، مع مراعاة أزمنة الدعوة وأساليبها وطرائقها المذكورة في الحقل الأول من الأفعال (الدعوة وما يتعلق بها).

. ويترتب على هذا كلّه من إيمان وعمل وتفكر الجزاء الدنيوي والأخروي لمن اهتدى واقتنع والتزم، وهذا ما يفسره الحقل الخامس (الجزاء المعجل في الدنيا، والمؤجل في الآخرة).

. أمّا الشقّ الثاني من حقول الأسماء في مقابل ما ذكرنا من عالم الإيمان بالله، وما يتصل به فنجد عالم الشرك والجحود المتمثل في الحقل الثالث من الأسماء في اتخاذ آلهة تعبد من دون الله، وجحودهم لعبادة الله الواحد الأحد، وتكبرهم، وكيدهم، ومكرهم الذي تقصر عن دلالته العبارة، استقطب هذه المعاني الحقل الرابع من الأسماء (صفات أهل الضلال)، والحقل الرابع من الأفعال (الضلال والغي).

فالجحود والشرك والإصرار على ذلك نهايته الهلاك في الدنيا والعذاب المخلّد في النّار، كما هو واضح في الحقل السادس (6) في الأسماء (عاقبة المشركين والجاحدين).

وهذا الترتيب الرصفي البديع للحقول الدلاليّة . التي ذكرت بعضها . يساير قصة نوح عليه السلام وتطوراتها، ومجريات أحداثها من بدايتها إلى نهايتها، كما هو واضح جليّ في ما أشرت إليه.

الخاتمة :

من خلال ما تقدم في ثنايا هذا البحث، وما انطوت عليه فصوله ومباحثه ومطالبه يمكن أن نجمل أهمّ النتائج في ما يلي :

1 . أنّ القرآن الكريم منهل فيّاض، ونبع دافق، ومعين لا ينضب، لم يستغن عنه الدّرس اللّغوي العربيّ قديما، ولا مندوحة من الرجوع بالدّراسات الحديثة والأبحاث الجديدة إليه، لأنّه الأصل المتجدد، والعطاء السخيّ الدائم والمستمر في تأصيل اللّغة العربيّة وتطويرها، وفتح الآفاق أمام تنميتها وتفوّقها بالمزاوجة بين الأصالة والمعاصرة. فتنحيته عن مجالات اللغة العربيّة وميادينها من أكبر الأخطاء وأخطرها.

2 . أنّ الأحرف السبعة في القرآن الكريم تعددت مفاهيمها بسب تعدد العلوم، فكلّ علم أو فن يفسرها من خلال خصوصياته.

3 . أنّ القراءات القرآنيّة المتواترة والصحيحة المعروفة بأركانها وشروطها هي القرآن الكريم المتعبد بتلاوته، وهي الأصل المعجز في أصواتها وألفاظها ورصفها ونظمها ودلالاتها...

4 . أنّ القراءة الشاذّة ليست قرآنا بالاتفاق، ولا يصحّ التعبد بتلاوتها، ومن فوائدها الاحتجاج بها في العربيّة، وتفسير القرآن الكريم وبيان معانيه، أمّا الاحتجاج بها في الأحكام الفقهيّة والتشريعيّة فهي على اختلاف...

5 . أنّ ترجمة القرآن بالمعنى ضرورة ملحّة لتبليغ دعوته للعالمين، وتقريب مفاهيمه للنّاس جميعا، والمقصود هنا ترجمة معاني القرآن؛ أو ترجمة تفسير القرآن، وترجمته لا تعدّ قرآنا مهما كانت دقيقة، لأنّ نظم القرآن معجز بالرّصف والمعنى.

6 . أنّ الرّصف اللّغوي هو استغراق لجميع وحداته اللّغويّة المنتقاة، والممتدّة من الصوت إلى النّص تحقيقا وتقديرا واحتمالا المترابطة نحويا والمتعالقة دلاليا وفق نظامها اللّغوي الخاص، وفي سياق محدد، لإفادة غرض معين، ودلالات مقطعيّة وفوق مقطعيّة.

7 . أنّ للرّصف الصحيح الحسن (العادي وغير العادي) . وذروته الرّصف القرآني . فائدة لها أهميّة بمكان في ترقيّة اللّغة، وتطوير المهارات اللّغويّة، وهذا من خلال الرّصد الدقيق لإمكانات التأليف، وأنماط التعبير، وإعادة رصفها قصد الاستفادة منها في النسج على منوالها، وانتحاء سمتها.

8 . أنّ الرّصف هو المعيار الحاسم للتمييز بين التماثل اللفظي التام . أوما يطلق عليه مصطلح (الهومونيمي) الناتج عن تطابق النطق لأصواتها، وتحديد دلالاتها . ويدخل في هذا الاشتراك اللفظي ومنه ظاهرة التضاد .

9 . يمكن بناء معجم دلالي يمتاز بالاقتصاد اللّغوي ووضوح الدلالة وسحر البيان من خلال تتبع الاستعمالات القرآنيّة والنّبوية وكلام العرب قديما وحديثا... بحيث يعتمد على أنماط التراكيب الخاضعة لمعيار (الرّصف غير العادي)، وهو اقتران وحداته اللّغويّة اقترانا تاما تخضع لمجال العلاقات التلاؤميّة الأفقيّة، مشكلة بذلك بنية لا يمكن تجزئة عناصرها، وتمتاز بثبات دلالتها، ومفارقة معناها الحرفي المعجمي.

10 . أنّ مفاهيم الرّصف ليست من المواضيع التي استأثرت بها اللسانيات الحديثة، إنّما بواكيرها مثبت في تراثنا اللّغويّ العربيّ، وقد ضرب علماؤنا القدماء بسهم وافر في هذا المجال.

11 . تعدد مفهوم الرّصف والتوسع في حدّه الاصطلاحي عند المحدَثين من المفهوم المعجمي والتركيبي إلى استيعاب أكبر وحدة دلاليّة (النّص والخطاب) انطلاقا من أقل وحدة دلاليّة قابلة

للتحليل، مع مراعاة دلالاته المقطعيّة وفوق المقطعيّة.

12 . أنّ الرّصف هو الصورة المشرقة للسياق ، فالسياق يشمل الرّصف ويحتويه، وبينهما علاقة تبادل، فمن الرّصف نستطيع أن نتصوّر السياق الذي نشأ فيه هذا الرّصف ونبت كما يمكن من خلاله رسم ملامحه العامة، وهذا في الغالب، ومن خلال السياق بنوعيه (اللّغوي / غير اللّغوي) تترشح لنا دلالات الرّصف، وتأليف وحداته بطريقة خاصة.

13 . أنّ الرّصف يتشابك دلاليا ويتقاطع مع كثير من المصطلحات اللّغويّة إلى درجة الترادف في الظاهر، وهذا ممّا أحدث الخلط قديما وحديثا عند المؤلفين والباحثين بين هذه المصطلحات، مثل النّظم والاتساق والانسجام والتأليف، فلا يكاد التمييز بينها إلّا بفارق أو فاصل دقيق.

14 . فلا بلاغة كلام، ولا فصاحة لسان، ولا سحر بيان إلّا برصف محكم، ونظم دقيق

15 . تطوّر الدلالة اللّغويّة وتغيرها يرجع في الغالب إلى سببين :

. الأول داخلي : مرتبط باللّغة ذاتها منها ماهو صوتي، ومنها ما هو اشتقاقي...

. والثاني خارجي : متعلق بمجالات استعمال اللفظ واستخدامه، وعادة ما تكون متصلة بالنواحي الدينيّة والاجتماعية والثقافية والسياسية والنفسيّة...

16 . اهتمام الدّراسات الدّلاليّة . قديما وحديثا . منصب في الغالب على مدلولات الألفاظ، وأسباب انتقالها بين النّاس وتعددها، والصعوبة التي تكتنف ضبط هذا المجال هي عدم توفر ضوابط تتحكم فيه، مع صعوبة وضع قواعد وقوانين يمكن أن يخضع لها التغير الدلالي رغم المحاولات البحثيّة الجادة.

17 . أنّ الدلالة في الدّرس اللّغوي لها أهميّة بمكان، إذ لا يمكن أن يستغني عنها مستوى من مستويات اللّغة، بل إنّ الدلالة هي غاية هذه المستويات جميعا، فالأصوات والمقاطع الصوتيّة، والأبنية الصرفيّة، والتراكيب النحويّة والبلاغيّة، والسياقات التداوليّة ...كلّ ذلك لا يتأتى وضوحه،

ولا تتجلى إجراءاته، ولا تتحدد معانيه إلّا بالدلالة.

18 . أنّ الدلالة ملازمة وبقوة للأشكال الصوتيّة القرآنيّة على تنوعها :

. أنّ الصوت في اللفظة القرآنيّة يحمل دلالة تتقمصه لفظته، فتترشح بذلك دلالتها الدقيقة في رصفها القرآني، ويتجلى معناها المعجز.

. دلالة الإيقاع الصوتي من خلال تنوّع الأساليب القرآنيّة، وتعدد فواصل الآيات بنغم إيقاعي مناسب للمنحى الدلالي الذي رسمته السورة القرآنيّة، أو مشاهد قصصيّة.

. إسهام القرائن الصوتيّة فوق المقطعيّة كالتنغيم والنبر والوقف في التفريق بين المعاني المتزاحمة في بعض الألفاظ والتراكيب (حمالة الأوجه) . في الظاهر . في رصفها المقطعي، وترشيح الدلالة المتوخاة والمقصودة.

19 . من سمات الأبنية والصيّغ القرآنية أنّها لا تقبل في رصفها الذي هي جزء منه إلّا نفسها، اسمية كانت أوفعليّة، فلا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تُستبدل بصيغة أخرى مشاركة لها في الدلالة والتعالق والترابط، ومهما بلغ معناها في التقارب إلى حدّ الترادف في الظاهر، لأنّ لها من الدلالات الخاصة ما يتعلّق بمعنى رصفها المخصوص، ومنحاه الدلالي المعجز، فبغيرها تهدر المعاني الدقيقة، ويرفع الإعجاز، كما أنّ الصيّغ القرآنيّة لا يكفي الوقوف على دلالتها من صيغتها المعجميّة فحسب، بل تتحدد دلالتها الدقيقة وتترجح من خلال رصفها الذي هي جزء منه، وسياقها الذي هي فيه.

. كما أنّ القرآن الكريم تفرّد عن اللّغة العربيّة بتخصيص قسم من الجموع في الاستعمال بصيغة معيّنة، وهذا ممّا خصّ به القرآن الكريم بعض الجموع في الدلالة وإن كان مفردها واحد.

20 . الوقوف على إسناد قرآني بديع، وتراكيب عجيبة المبنى والمعنى، منسجمة الدلالة، مرصوفة رصفا محكما معجزا يثير الدّهشة، وبأسلوب آسر أخّاذ، ونظم دقيق يحث على التأمّل والبحث، لم

يعهدها العرب الأقحاح في استعمالهم المألوف للسانهم العربيّ المبين.

21 . أنّ رصف النّص القرآني القداسي رصف غير عادي يتفرد به كسمة أسلوبيّة فارقة عن النّصوص الأخرى وكلام البشر، أو ما ألِفَه النّاس في رصف كلامهم ونظمه، فذلك هو موطن الإعجاز في القرآن الكريم بنية ودلالة.

21 . أنّ رصف القصص القرآني ينقل مجريات القصة وتطورات أحداثها بأسلوب بديع فيه من الإثارة والتشويق من الصوّر المتخيّلة عن المعنى الذهني والحالة النّفسيّة إلى صوّر شاخصة يمنحها الحياة والحركة المتجددة، فإذا هي مجسّمة حاضرة مرئية.

22 . أنّ رصف سورة نوح لنصها تضمّن كلّ جزئيات قصة نوح المنطويّة بين تضاعيف سوّر المصحف الشريف تصريحا أو تلميحا، إيحاء أو إيماء، مع استعمال كلمات إيحائية خادمة لمنحاها الدلالي العام ، والمتساوقة دلاليا مع مسار القصة.

23 . تناسب مطلع السورة مع خاتمتها، وتعالق دلالات رصف آياتها وترابطها

24 . تنوعت فواصل ومقاطع آيات سورة نوح بتنوّع خطابها، وتعددت بتعدد رصفها المعجز، بحيث كلّ رصف خطابي ناسبه نوع معيّن من الفواصل والمقاطع تتساوق ونصّ السورة، وتتناغم والمنحى الدلالي لقصة نوح عليه السلام وزمنيّتها.

25 . الترتيب المعجز لمراحل قصة نوح عليه السلام ومجرايات أحداثها ترتيبا تصاعديا يتماشى وترتيب سور المصحف الشريف، وترتيب نزول السوّر.

26 . تنوع استعمال صيغ المبالغة من الأسماء، وأبنيّة الأفعال الدالة على المبالغة والتكثير والتجدد والاستمراريّة بنسب متفاوتة وفق رصفها الخاص بها ناسب وبطريقة إعجازيّة المنحى الدلالي العام لقصة نوح . المتضمَّنة في سورة نوح . وتساوق مع مسارها الزمنيّ الممتدّ.

. فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم بروايتي ورش وحفص

- إبراهيم رجب عبد الجواد، موسيقى اللغة، دار الآفاق العربية، مدينة نصر القاهرة، ط الثانية 2008م
- **الإبراهيمي** خولة طالب، مبادئ اللسانيات البنوية، دار القصبة للنشر الجزائر ط 2000م
- **ابن الأثير** ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد **الحوفي**، وبدوي طبانة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة (د . ت)
- **ابن الأثير** نجم الدين أحمد بن إسماعيل، جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة . دار النشر منشأة المعارف الإسكندرية، (د . ت)
- **ابن الجزري** شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف :

. النشر في القراءات العشر، تحقيق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتب العلمية)، (د . ت)

. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط الأولى 1420هـ . 1999 م .

- **ابن الجوزي** الإمام أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي بيروت ط الرابعة 1978م
- **ابن الصلاح** عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين، مقدمة ابن الصلاح (معرفة علوم الحديث) تحقيق : نور الدين عتر، دار الفكر بسوريا ودار الفكر المعاصر بيروت، 1406هـ . 1986م
- **ابن باديس** عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينيّة والأوقاف الجزائرية، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة . الجزائر . ط الأولى 1982م .
- **ابن جني** أبو الفتح عثمان :

. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق : علي النجدي

ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر، 1386هـ 1966م .

. الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار، دار الكتاب العربي بيروت لبنان(د . ت)

. سر صناعة الإعراب، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة 2012م.

- **ابن حزم** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي:

. المحلى بالآثار، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري، دار الفكر بيروت (د . ت)

- . الإ حكام في أصول الأحكام، تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار الأفاق الجديدة بيروت (د .ت)
- **ابن خلدون** عبد الرحمن بن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ضبط : أ خليل شحادة، مراجعة : سهيل زكار دار الفكر بيروت، ط الأولى 1401هـ 1981م.
- **ابن عاشور** محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط 1984م .
- **ابن عبد** الكريم محمد (الجزائري)، توجهات القرآن العظيم، الناشر مؤسسة المعالي للنشر والإعلان، ط الأولى 2013م .
- **ابن عقيل**، شرح ألفية ابن مالك ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي بيروت (د . ت)
- **ابن فارس** أبو الحسين أحمد بن فارس زكرياء(ت 395هـ)، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمر دار الفكر العربي، ط2 ، 1428هـ .
- **ابن قتيبة** أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري:

. أدب الكاتب، تحقيق : محمد الدالي، مؤسسة الرسالة (د . ت)

. الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، دار الحديث القاهرة 1423هـ .

- **ابن قدامة** موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي، المغني، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، د / عبد الفتاح محمد حلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض السعودية، ط الثالثة 1417هـ . 1997م .
- **ابن كثير** الحافظ عماد الدين أبي إسماعيل، البداية والنهاية . دار الإمام مالك . الجزائر . ط2006م .

- **ابن ماجه** أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه في باب طلاق المكره، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، فيصل عيسى البابي الحلبي (د. ت)
- **ابن منظور** محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط الثالثة، 1414هـ،
- **ابن يعيش** بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلي المعروف بابن يعيش، وبابن الصانع شرح المفصل للزمخشري، تقديم : د / إميل بديع يعقوب، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1422هـ، 2001م .
- **أبو حيان** محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، البحر المحيط في التفسير، تحقيق : صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، ط 1420هـ
- **أبو زهرة** محمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1998م .
- **أبو زيد** أحمد التناسب البياني في القرآن (دراسة في النّظم المعنوي والصوتي) . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب ط 1992م
- **أبو زيد** نواري سعودي ، الدليل النّظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، ط 2007م .
- **أبو هلال** الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق : علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، العصرية بيروت، ط 1419هـ .
- **الأزهري** محمد بن أحمد الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى 2001م .
- **الأشقر** محمد بن سليمان بن عبد الله، زبدة التفسير من فتح القدير (تفسير مختصر من تفسير الإمام الشوكاني فتح القدير)، مكتبة دار الفيحاء للنشر دمشق، ومكتبة دار السلام الرياض، ط الخامسة، 1994م
- **الأصفهاني** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: . معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ط 2004م

. المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بيروت والدار الشامية دمشق، ط الأولى 1412هـ

- **الأفغاني** سعيد، في أصول النحو، مطبعة جامعة دمشق، ط الثانية 1383هـ 1964م
- **الألوسي** شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1415هـ .
- **الآمدي** سيف الدين أبو الحسن علي بن أبو علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1403هـ . 1983م .
- **الأنصاري** أبو زيد، كتاب النوادر في اللغة، تحقيق : د / محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق بيروت ط الأولى 1981م .
- **أنيس** إبراهيم، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط 2004م
- **بازمول** محمد بن عمر بن سالم، القراءات القرآنيّة وأثرها في التفسير والأحكام، دار الهجرة للنشر، الرياض (د .ت)
- **الباقلاني** أبو بكر، إعجاز القرآن ، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف مصر ط الخامسة . 1997م
- **بحيري** سعيد حسن، علم لغة النّص . الشركة المصرية العالمية، ط1 .1997م
- **البخاري** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق : د/ مصطفى الديب البغا، دار ابن كثير ، واليمامة، دمشق ، ط الخامسة 1414هـ . 1993م
- **البركاوي** عبد الفتاح محمد، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار القاهرة ط1991م
- **البريسم قاسم**، علم الصوت العربي . في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، الناشر إفريقيا الشرق . المغرب . 2018م
- **البقاعي** برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د . ت)
- **بلعيد** صالح، نظرية النّظم، دار هومه للنشر والتوزيع الجزائر ط2001م
- **بن حمزة** يحي، كتاب الطراز . دار الكتب العلميّة لبنان (د . ت)

- **بن لعلام** مخلوف، مبادئ في أصول النحو، دار الأرامل للطباعة والنشر والتوزيع المدينة الجديدة تيزي وزو ، الجزائر.
- **بنت الشاطئ** عائشة عبد الرحمن، كتاب العربيّة الأكبر، منشورات مؤتمر الأدباء السابع، القاهرة 1966م
- **بوجادي خليفة**، محاضرات في علم الدلالة . دار الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر ط الأولى 2009
- **بوسعدة** عمر بن أحمد الشامل في التجويد منشورات آلفا برج الكيفان الجزائر ط5 . 2018م
- **البوطي** محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن . تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزّ وجلّ، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 1420 هـ . 1999م .
- **بوقرة** نعمان المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب . علم كتب الحديث . عمان ط1 . 2009 م
- **البيضاوي** ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي . أنوار التنزيل وأسرار التأويل . المعروف بتفسير البيضاوي ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع(د . ت)
- **بيير جيرو**، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي ، دار طلاس للدراسة والترجمة والنشر . دمشق . ط 20
- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك أبو عيسى (ت 279هـ)، سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبد الباقي و إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ط الثانية 1395 هـ -1975م.
- **التنويجي** محمد و أ/ **راجي** الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت(د . ت)
- **التواتي بن التواتي :**

. الدّرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف الجزائرية قسنطينة عاصمة الثقافة العربيّة 2015م

. القراءات القرآنية وأثارها في النحو العربي والفقه الإسلامين، دار الوعي للنشر والتوزيع الجزائر، ط 2008م

. محاضرات في أصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، رويبة الجزائر، ط 2008م

- **الثقفي** الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن ، تقديم وتحقيق : د سعيد بن جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي ط1428هـ .

- **الجاحظ** أبو عثمان عمر بن بحر (ت 255هـ) :

. البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر مؤسسة الخانجي القاهرة . ط الثالثة (د. ت)

. الحيوان، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثانية 1424هـ .

- **الجرجاني** أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 471هـ) :

. دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، دار المدني جدة، ط الثالثة 1413هـ . 1992م .

. دلائل الإعجاز ؛ من مقدمة الدكتورين : فايز الداية ورضوان الداية، دار قتيبة،

- **الجرجاني** علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، دار الكتب العلميّة بيروت، ط الأولى 1403هـ 1983م
- **جمال الدين** مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، المكتبة الوطنية بغداد الرقم 1485، السنة 1980م
- **جمعان** عبد الكريم، إشكالات النّص المداخلة أنموذجا، النادي الأدبي الرياض السعودية، والمركز الثقافي الدار البيضاء المغرب، ط الأولى 2009م
- **جميل** عبد المجيد البديع، بين البلاغة العربيّة واللسانيات النّصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1998م

- **الجوزيّة** ابن القيّم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين :

. تفسير القرآن الكريم، تحقيق : مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر : دار ومكتبة الهلال بيروت، ط الأولى 1410هـ

. إعلام الموقعين، تحقيق :عصام الدين الصبابطي ،دارالحديث القاهرة ، ط2004

. زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة المنار بالكويت، ط 27 . 1415هـ 1994م

- **الجوهري** أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت 393)، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط الرابعة، 1407هـ 1987م .
- **جيجك** محمد خليل، أثر المعنى في القرآن الكريم، دار السلام القاهرة ط1 . 1999م .
- **الحباشة** صابر، المنحى الدلالي . دراسات في الاشتراك الدلالي ووجوه المعنى . دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط الأولى 1434هـ 2013م .

- **الحجازي** محمود فهمي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة(د .ت)
- مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة . (د . ت)
- **حسّان تمّام :**

. الخلاصة النّحوية، عالم الكتب القاهرة، ط الثانية 1425هـ . 2005م

- اللّغة العربيّة معناها ومبناها، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية 1979م
- **حسن** عباس فضل البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، دار الفرقان الأردن ط2 . 1989م
- **حسن عبد الكريم** محمود، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، جيل دار المعرفة الجامعية (د . ت)
- **حسن** عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة القاهرة ط 1985م
- **الحملاوي** فرج صابر، زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، مطبعة مصطفى الباي القاهرة ط الأولى 1971م
- **الحموي** شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت 626هـ)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، تحقيق : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط الأولى 1414هـ . 1993م .
- **الخضري** بك محمد، أصول الفقه، دار القلم بيروت لبنان، ط الأولى 1407هـ 1987م
- **الخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني**، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق : خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف سلسلة ذخائر العرب، (د . ت).
- **خليل** إبراهيم، الأسلوبيّة ونظريّة النّص، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر . بيروت . ط1. 1998م
- **الخولي** محمد علي، معجم علم اللغة النظري إنجليزي عربي، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ط3, 2009مـ
- **الداني** أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، الأحرف السبعة للقرآن، تحقيق : عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة مكة المكرمة ط الأولى 1408هـ .
- **داوود محمد** محمد، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار غريب للنشر القاهرة 2003م **دراز** محمد بن عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ . 2005م .

- **الدرويش** محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار اليمامة وابن كثير، دمشق، ط السابعة، 1999م
- **الدمياطي** أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق : أنس مهرة، دار الكتب العلمية لبنان، ط الثالثة 1427هـ 2006م
- **دي سوسير** فرديناند، محاضرات في علم اللسان، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق . المغرب . ط3 . 2016 م **الراجحي عبده** فقه اللغة في الكتب العربية . دار النهضة العربية بيروت . 1979 م
- **الرازي الإمام محمد الفخر**، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، دار الفكر . بيروت . ط الأولى 1981م
- **الرازي زين الدين** أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(ت 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية بيروت صيدا، ط الخامسة، 1420هـ .
- **الرافعي** مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر :

. تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي (د .ت)

. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت، ط الثامنة 1425هـ . 2005م
- **الرماني**، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل، جمع وتعليق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام دار المعارف مصر، ط الثانية 1969
- **روبرت دي بوجرند**، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة د . تمّام حسّان، عالم الكتب القاهرة مصر، ط الثانية 1428هـ 2007م
- **الزبيدي محمد** مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء الكويت والمجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت (د . ت)

- **الزحيلي وهبة :**

. أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر بيروت لبنان، ط 21 . 2015م .

. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . دار الفكر دمشق ط 14 . 201

- **الزرقاني** محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي ط الثالثة (د . ت),

- **الزركشي** أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر
. البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب ط الأولى 1414هـ 1994م .
. البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط الثالثة، 1980م
- **الزمخشري** جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت 538هـ) :
. أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود دار المعرفة بيروت لبنان(د . ت)
. الكشاف عن حقائق غوامض وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه : مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث القاهرة، ودار الكتاب العربي بيروت، ط الثالثة، 1407هـ 1998م
- الزوزني حسين بن أحمد بن حسين أبو عبد الله(ت 486ه)، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى 1423ه 2002م
- **زيد الخير** مبروك، العلاقات الإسناديّة في القرآن الكريم دراسة نحويّة بلاغية، دار الوعي للنشر والتوزيع رويبة الجزائر ط الأولى 2011م
- **ساسي** عمار، الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية في الآيات المحكمات العبادات والمعاملات، دار المعارف للإنتاج والتوزيع بوفاريك البليدة الجزائر ط 1423هـ /2003م
- **السامرائي** إبراهيم :
. دراسات في اللّغة . مطبعة العاني بغداد ط الأولى 1961م
. فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين بيروت، ط الثالثة، 1983م .
- **السامرائي** فاضل صالح معاني الأبنيّة في العربيّة، دار عمار ط2017م
- **السرخسي** أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، تحقيق : أبو الوفا الأفغاني، الناشر لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر أباد الهند (تصوير دار المعرفة بيروت) (د . ت)
- **السعدي** الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، تحقيق : عبد الرحمن بن معلّا اللويحق، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط الأولى، 1424هـ 2003م .
- **السعران** محمود، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي القاهرة، ط الثانية 1997م
- **السكاكي** يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثانية 1407هـ 1987م

- **سيبويه** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، ط الثالثة، 1408هـ . 1988م
- **سيد قطب :**

. التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق مصر، ط6 .

. في ظلال القرآن، دار الشروق بيروت والقاهرة، ط 24 . 1415هـ . 1995

- **السيوطي** الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر، :

. الإتقان في علوم القرآن، ضبطه محمد سالم هاشم، دار الكتاب الحديث القاهرة، الكويت، الجزائر، ط الأولى 2004م .

. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، مكتبة دار المنهاج للنشروالتوزيع المملكة العربية السعودية الرياض ط الثانية 1434هـ

. الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق : محمد عبد الله ، دمشق ط 1986م .

. الاقتراح في أصول النحو وجدله، تحقيق : د / محمود فجال، دار القلم دمشق، ط الأولى، 1409هـ 1989م .

. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية

مصر (د . ت) .

. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ضبط : محمد جاد المولى، وعلي محمدالبجاوي ومحمد أبو الفضل، دار الجيل بيروت لبنان (د . ت)

- **شاهين** عبد الصبور المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة ، ط 1980م
- **الشرقاوي** عفت، بلاغة العطف في القرآن الكريم . دراسة أسلوبية . دار النهضة العربية بيروت . ط الأولى .1981م .
- **الشريف** محمد صلاح الدين، الشرط والإنشاء النحوي للكون، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب بمنوبة تونس ط 2002م .
- **الشعراوي** محمد متولي، قصص الأنبياء، جمع : منشاوي غانم جابر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان (د . ت)
- الشيرازي الإمام أبو عبد الله نصر بن علي محمد(ت 556هـ)، الموضح في وجوه القراءات وعللها

تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني ـ دار الكتب العلميّة بيروت ط الأولى 2009

- **الصابوني** محمد علي، التبيان في علوم القرآن، مكتبة رحاب الجزائر، طبع بدار البعث قسنطينة، ط الثالثة، 1407هـ 1986م
- **صالح** محمد سالم، أصول النحو . دراسة في فكر الأنباري ، دار السلام للطباعة والنشر و التوزيع الإسكندرية ط1 2006
- **الصالح** إبراهيم صبحي، علوم الحديث و مصطلحه، دار العلم للملايين بيروت لبنان ط 15 . 1984م .
- **صحراوي** مسعود التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، حسن داي الجزائر، ط الأولى 1429هـ 2008م
- **ضيف شوقي**، تجديد النحو، دار المعارف القاهرة، ط الثانية (د . ت)
- **طبانة** بدوي، البيان العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 1962م
- **الطبراني** أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب مطير اللخمي المعجم الكبير، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية القاهرة مصر ط الثانية (د . ت)
- **الطرهوني** الإمام أبي عبد الله نصر بن علي محمد الشيرازي الموضح في وجوه القراءات وعللها (ت 556هـ) تحقيق : عبد الرحيم . دار الكتب العلميّة بيروت ط الأولى 2009 م
- **طنطاوي** محمد سيّد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار السعادة مصر، (د . ت)
- **عبد التواب** رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي ط3 . 1997م
- **عبد الراضي** أحمد محمد، نحو النّص بين الأصالة والحداثة، نشر مكتبة الثقافة الدينية القاهرة مصر، ط الأولى 2008م .
- **عبد المعطي** عرفة عبد العزيز تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، دار الطباعة المحمدية القاهرة ط الأولى 1983م
- **عتيق** عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت لبنان (د . ت)
- **العكبري** أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادي (ت 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، دار ابن حزم، بيروت لبنان ط الأولى 2016م
- **عمر محمد** عمر، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، الناشر مأمون للتراث دمشق ط1993م

- **عمر مختار أحمد :**

. البحث اللّغوي عند العرب، عالم الكتب القاهرة، ط الرابعة 1402هـ 1982م

. علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط الأولى 1982م

- **العياشي** محمد، نظرية إيقاع الشعر العربي، المطبعة المصرية تونس ط1976م
- **عياشي** منذر، الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، الناشر مركز الإنماء الحضاري، ط الأولى 2002م
- **عيد رجاء**، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف . الإسكندرية مصر ط الثانية (د . ت)
- **الغزالي** أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، تحقيق : عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الثالثة 2014م .
- **الفراهدي** ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، معجم العين، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د . ت)
- **الفقي** صبحي إبراهيم، علم اللّغة النّصي بين النظرية والتطبيق دار قباء للطباعة و النشر القاهرة ط1 سنة 2000م
- **الفيروز آبادي** مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، القاموس المحيط، مراجعة د/ محمد الإسكندراني دار الكتاب العربي بيروت لبنان 2008م .
- **القاسمي محمد** جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق : أحمد بن علي وحمدي صبح، دار الحديث الحديث القاهرة، ط 1424هـ . 2003م .
- **القالي** أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، الأمالي . دار الأفاق الجديدة بيروت ط1980م .
- **القباقبي** محمد بن خليل، *إيضاح* الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربع عشر ، تحقيق : د/ فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية 1995
- **القرطبي** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط الثانية 1384هـ 1964
- **القزويني** الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة،تحقيق :محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني ط الرابعة، 1975م
- **الكازروينى** حاشية العلامة أبي الفضل الخطيب المشهور بالكازروينى بهامش تفسير البيضاوي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع (د . ت)

- **الكاساني** علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة شركة المطبوعات العلمية مصر (تصوير دار الكتب العلمية) ط الأولى 1327
- **كانتينو** جان دروس في علم أصوات العربيّة . ترجمة صالح القرماوي، تونس، ط 1966م

كتاب الدعوة إلى الله تعالى

- **كعباش** محمد بن إبراهيم سعيد نفحات الرحمن في رياض القرآن ، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية ،الجزائر . قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015م
- **الكفوي** أبو البقاء الكليات ، تحقيق / عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ط2 (د . ت)
- **الكفوي** أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، تحقيق : عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت ط الثانية (د . ت) .
- **ماريو باي** أسس علم علم اللّغة . ترجمة : أحمد مختار عمر . عالم الكتب القاهرة ط2 . 1983م
- **مالك بن أنس**، الموطأ ، تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي، داراحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط 1406ه 1985م
- **مبارك** محمد مبارك معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنجليزي عربي، دار الفكر اللبناني ط1 1995م
- **المبارك** محمد، فقه اللّغة وخصائص العربيّة ، دار الفكر بيروت لبنان ط الثانية 1982م
- **المبرد** محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي أبو عباس :

. البلاغة، تحقيق : رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينيّة القاهرة، ط الثانية، 1985م .

. المقتضب، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر عالم الكتب بيروت(د . ت)

- **محمد أحمد محمد معبد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام القاهرة، ط الثانية 1426ه 2005م**
- **المسدّي** عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار العربية للكتاب ط الثالثة (د . ت)
- **مسلم** أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، ط 1374ه . 1955م

- **مكي** بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي المالكي، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق د / عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر(د . ت)
- موسى إسماعيل، المقدمة الجزريّة في علم التجويد لإمام الحافظ ابن الجزري، دار الإتقان، بني تامو البليدة الجزائر، ط الأولى 2019م
- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط الرابعة 2008م
- **ناصف** مصطفى، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس بيروت ط الثانية (د. ت)
- **نحلة** محمود أحمد، لغة القرآن في جزء عمّ، دار النهضة العربية بيروت، ط1981م
- **النيسابوري** الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول الواحدي ، دار الضياء قسنطينة وقصر الكتاب البليدة (د . ت)
- **النيسابوري** نظام الدين الحسن بن محمد بنحسين القمّي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق : الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1416هـ .
- **الهاشمي** أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلميّة، ط السادسة، (د . ت)
- **هلال عبد الغفار** حامد محمد، زهرة التفاسير (إتمام ما تبقى من تفسير محمد أبي زهرة على نفس الطريقة) . دار الفكر العربي القاهرة مصر (د . ت)
- **الواسطي** الإمام العلامة الشيخ عبد الله بن عبد المؤمن ابن الوجيه(ت 740 هـ)، الكنز في القراءات العشر، تحقيق : هناء الحمصي، منشورات محمد علي بيوض دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى 1998م
- **وافي علي** عبد الواحد علم اللّغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع فبراير 2000م
- **يقطين** سعيد، انفتاح النّص الروائي (النّص والسياق) –الناشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط1 . 2001م

الرسائل الجامعية :

- **جحيش** عبد الفتاح، نظرية المعنى في الفكر النقدي عند العرب من الممارسة إلى التنظير، أطروحة دكتوراه (2018م)، قسم الآداب واللّغة العربيّة، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة الجزائر
- **ردّة الله** بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية مكة، ط الأولى 1424هـ .

الدوريات ووقائع المؤتمرات :

- **بن عروس** مفتاح، الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقارنة لسانية) ، مجلة اللّغة والأدب العدد 7 ديسمبر 1997م
- **التفسير الموضوعي** لسور القرآن ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ . د / مصطفى مسلم ، الإصدار رقم 102 كليّة الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة ط2010م
- **الحاج صالح** عبد الرحمن :

. مدخل إلى علم اللسان . مجلة اللسانيات الجزائر 1917م، معهد العلوم اللسانيّة والصوتيّة، المجلد الأول

- . بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة الجزء الثاني، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية . موفم للنشر الجزائر 2007م

. بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر الجزائر 2007م

- **ساسي** عمار، مقال (المنهج الوظيفي الوصفي) ،مجلة رسالة المسجد العدد السادس الصادرة في 2009م من منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر
- **السعدون** نبهان حسون عبد الله، و **الطحان** يوسف سليمان إسماعيل، مشاهد من قصة موسى عليه السلام دراسة أسلوبية، مجلة كلية العلوم الإسلامية الموصل العراق، تاريخ النشر 31 . 12 . 2012 المجلد 6 العدد 12

- **علوش كمال**، نظرية الرّصف وآفاق بناء معجم تاريخي للتعبير الإصطلاحي العربي، مجلة الأثر في الآداب واللغات الصادرة عن جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد28 /2015/12م
- **العاني زينب** عادل كعيد خلف، الرّصف وعلم لغة النّص، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب العدد 07 السنة 2012 م

المراجع باللّغة الأجنبية

- −Firth's Theory of meaning J.Lyons ;in Memory of J.R.Firth ;ed

-Meaning and style ;S.Ullmann ;Oxford ;1973.
-Semantic Feilds and Lexical Structure .ALehrer ;Amsterdam-London ;1974.

-Jones ;Daniel*The Phoneme its Nature And Use*Cambridge;1967
-Jones;Daniel*The History And Meaning Of TheTerm Phoneme*.In Phonology; Selected Readings(Ed)By Erik C.Fudge 1973;pp 17-34.

الملاحق

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي
آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا
لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ
اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

facebook.com/wahaj2012

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنَ اَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَّاتِيَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ (1) قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (2) اَنِ ا۟عْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (4) قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَاراً (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَاراً (6) وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَاسْتَكْبَرُوا۟ ا۟سْتِكْبَاراً (7) ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً (8) ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً (9) فَقُلْتُ ا۟سْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّاراً (10) يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰراً (12) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (14) ۞ اَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً (15) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجاً (16) وَاللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْاَرْضِ نَبَاتاً (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً (18) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْاَرْضَ بِسَاطاً (19) لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجاً (20) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَاتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَاراً (21) وَمَكَرُوا۟ مَكْراً كُبَّاراً (22) وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً (23) وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً (24) وَقَدْ اَضَلُّوا۟ كَثِيراً وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا (25) مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ ا۟غْرِقُوا۟ فَا۟دْخِلُوا۟ نَاراً (26) فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَاراً (27) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْاَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّاراً (28)

ٱللَّهِ أَنصَاراً (27) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْاَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّاراً (28)

إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً (29) رَّبِّ ا۟غْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُومِناً وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَاراً (30)

ملاحظة:

رواية ورش عن نافع بالكتابة المغربية للمصحف الشريف مثال :

(ق) نقطة واحدة فوق حرف القاف، و(ف)نقطة واحدة أسفل حرف الفاء...

فهرس الآيات

(أ)

﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ٦٩﴾ [الواقعة: 69]..... 92

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾[الأعراف: 62]..... 293

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ١﴾ [النحل: 1]..... 367

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ٥﴾ [ص: 5]..... 295

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ١٨٧﴾ [البقرة: 187]..... 91

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا٣١﴾ [النازعات: 31]..... 191

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ١٢٥﴾ [النحل: 125]..... 368

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى٣٨﴾ [طه: 38]..... 221

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ٤٠ [طه: 40]..... 233

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ٣١﴾ [ص: 31]..... 65

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ٧٠﴾ [الشعراء: 70]..... 504

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ١٠٦﴾ [الشعراء: 106]..... 338

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى٤٣﴾ [طه: 43]..... 504

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ١٩﴾ [المجادلة: 19]..... 102

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ٤٣﴾ [فاطر: 43]..... 511

﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ٦٧﴾ [الأنبياء: 67]..... 504

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ ٢٣﴾ [الجاثية: 23]..... 491

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى١٩﴾ [النجم: 19]..... 206

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ٨٢﴾ [النساء: 82]..... 07

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ٤٦﴾ [الحج: 46].....290

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ٨﴾ [فاطر: 8]..... 373

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ١﴾ [العلق: 1].....136

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ٣﴾ [الزمر: 3].....512

﴿الْحَاقَّةُ١ مَا الْحَاقَّةُ٢﴾ [الحاقة: 1-2]..... 438

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ١٩٧﴾ [البقرة: 197].....91

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ٧٨﴾ [الشعراء: 78]..... 299

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ١٤١﴾ [النساء: 141]..102

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ١﴾ [الحجر: 1].....
139.....

﴿الرَّحْمَنُ١﴾ [الرحمن: 1]..... ..... 40...

﴿الْقَارِعَةُ١ مَا الْقَارِعَةُ٢﴾ [القارعة: 1-2]..... 438

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ٢٣﴾ [الزمر: 23]..... 143

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ٣١﴾ [لقمان: 31]..... 191

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا٨٣﴾ [مريم: 83].....270

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ٢٤﴾ [إبراهيم: 24]..... 138

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ٤٦﴾ [غافر: 46].....489

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ٣﴾ [نوح: 3].....
493.....

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ١٣﴾ [الانفطار: 13].....95

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ٥٦﴾ [النساء: 56].....505

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ٣٦﴾ [الأنفال: 36].....508

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ٥٧﴾ [الأحزاب: 57].....65

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا ٣٣﴾ [آل عمران: 33].....372

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ٥﴾ [آل عمران: 5].....185

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٤﴾ [الأحزاب: 64].....490

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ٤﴾ [الصف: 4].....22

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٤٥﴾ [الحجر: 45].....301

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: 145].....490

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ٥٤﴾ [الأعراف: 54].....187

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٣﴾ [الكوثر: 3].....65

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ٢٦﴾ [هود: 26].....338

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ٥٩﴾ [آل عمران: 59].....479

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ٩﴾ [الإسراء: 9].....178

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ٦٢﴾ [آل عمران: 62].....141

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ٢٥﴾ [المؤمنون: 25].....334

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: 196].....35

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ١٤٠﴾ [آل عمران: 140].....438

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١﴾ [نوح:1 446

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢﴾ [القدر: 1-2].....438

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢﴾ [يوسف: 2].....137

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ١٦٣﴾ [النساء: 163].....355

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ١١﴾ [الحاقة: 11]..... 336

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ٩﴾ [الحجر: 9],..... 126

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ٥١﴾ [الشعراء: 51].....298

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ٢﴾ [الأنفال: 2].....142

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ٧٧﴾ [الواقعة: 77]..... 139

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ١٣﴾ [الطارق: 13].....285

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ٦﴾ [الفاتحة: 6].....331

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا٤١﴾ [الكهف: 41].....305

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ٧٣﴾ [الشعراء: 73]..... 510

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ٦٩﴾ [الأعراف: 69].....360

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا٣٠﴾ [الأنبياء: 30].....355

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا٧٥﴾ [الفرقان: 75].....75

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ ﴾ [البقرة: 184].....170

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ٢٦٦﴾ [البقرة: 266].....292

(ب)

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ٢﴾ [ق: 2].....295

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ٥﴾ [الأنبياء: 5].....65

(ت)

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ١٠٤﴾ [المؤمنون: 104].....505

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى٢٢﴾ [النجم: 22]..... 287

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴾ [هود: 49].....217

(ث)

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ٦٦﴾ [الشعراء: 66].....511

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ٨٢﴾ [الصافات: 82].....342

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾ [آل عمران: 154].....437

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا٨﴾ [نوح: 8]..... 431

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123].....370

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ١٣﴾ [المؤمنون: 13]..... 512

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا١٨﴾ [نوح: 18]..... 377

(ح)

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [هود: 40].....389

(خ)

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا٦٥﴾ [الأحزاب: 65]..... 497

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ١٩٩﴾ [الأعراف: 199].....191

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ٤﴾ [النحل: 4]..... 367

(ذ)

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ١٠٠﴾ [هود: 100].....218

(ر)

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ٤٠﴾ [إبراهيم: 40].....372

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: 37]..... 370

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا ٥﴾ [الممتحنة: 5]..... 287

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ [البقرة: 129]..... 370

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ٣٣﴾ [ص: 33].....65

(س)

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحديد: 21].....70

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١﴾ [المعارج: 1].....349

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢﴾ [الأحزاب: 62].....228

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ٦﴾ [الأعلى: 6].....167

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ٦﴾ [المنافقون: 6].....288

(ش)

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ١٣﴾ [الشورى: 13].....355

(ص)

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ١٣٨﴾ [البقرة: 138].....354

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7].....331

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى: 53].....305

(ط)

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ١﴾ [النمل: 1].....139

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ٦٥﴾ [الصافات: 65].....97

(ع)

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ [الرحمن: 2].....40

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن: 4].....40

﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٤١﴾ [المعارج: 41].....347

(ف)

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا٤﴾ [العاديات: 4].....287

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ٢٨﴾ [المؤمنون: 28].....342

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ٢﴾ [الطلاق: 2].....355

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ٩٨﴾ [النحل: 98].....137

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ ﴾ [الأعراف: 133].....109

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا٥﴾ [المعارج: 5]..... 372

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ٣٥﴾ [الأحقاف: 35].....373

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: 48].....351

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ٩٤﴾ [الحجر: 94].....431

﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ١١٨﴾ [الشعراء: 118]..... 340

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ٣٠﴾ [الروم: 30].....11

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا٩٦﴾ [الأنعام: 96]..... 438

﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ٤٤﴾ [الشعراء: 44].....67

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا٣﴾ [العاديات: 3].....287

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا٢﴾ [العاديات: 2].....287

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ١٣﴾ [فصلت: 13].....193

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ١١٩﴾ [الشعراء: 119]..... 342

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ١٩﴾ [المؤمنون: 19].....507

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ٧٧﴾ [الشعراء: 77].....298

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ٢٧﴾ [المؤمنون: 27].....302

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ١٥٩﴾ [آل عمران: 159].....64

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ٣٧﴾ [آل عمران: 37].....479

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ٤٢﴾ [المعارج: 42].....351

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ٦٥﴾ [هود: 65].....374

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ١١﴾ [القمر: 11]..... 378

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ٥٠﴾ [الذاريات: 50]..... 71

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ٢٧﴾ [هود: 27].....491

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ٢٤﴾ [المؤمنون: 24].....339

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا١٠﴾ [نوح: 10].....358

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى٤٤﴾ [طه: 44].....432

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ٧٣﴾ [يونس: 73].....341

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ١٧﴾ [الانشقاق: 16-17].....438

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ٤٠﴾ [المعارج: 40].....352

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17].....302

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ٩٦﴾ [يوسف: 96].....203

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً٣١﴾ [يوسف: 31].....,.....98

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ [سبأ: 14].....232

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ٦﴾ [الأعراف: 6].....190

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ٤٩﴾ [المدثر: 49].....284

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ٣٧﴾ [الأعراف: 37].....269

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ٩٢﴾ [الحجر: 92].....190

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا٥﴾ [العاديات: 5].....287

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ٦٦﴾ [الرحمن: 66].....270

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ٦٦﴾ [الأعراف: 66].....362

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٦٠﴾ [الأعراف: 60].....362

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ٧١﴾ [طه: 71].... 287

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ٣٣﴾ [هود: 33].....339

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا٦٤﴾ [الكهف: 64].....211

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ٤١﴾ [آل عمران: 41].....223

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ١١٧﴾ [الشعراء: 117]..... ...339

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ٢٦﴾ [المؤمنون: 26]..... 337

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا٤﴾ [مريم: 4].....318

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ٤٣﴾ [هود: 43].....390

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ٧٢﴾ [الشعراء: 72].....510

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ٤٦﴾ [هود: 46].....392

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ٣٤﴾ [النمل: 34].....274

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ٧٢﴾ [هود: 72].....390

﴿قَـــالُوا أَتَعْجَبِـــينَ مِـــنْ أَمْـــرِ اللَّهِ ٧٣﴾ [هـــود: 73]..... 391

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ٤٧﴾ [الشعراء: 47].....66

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ١١١﴾ [الشعراء: 111].....339

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ٩٥﴾ [يوسف: 95].....497

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا٨٥﴾ [يوسف: 85].....205

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ٧٤﴾ [يوسف: 74].....275

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ١١٦﴾ [الشعراء: 116].....487

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ٧١﴾ [الشعراء: 71].....504

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ٩١﴾ [هود: 91].....307

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ٣٠﴾ [الأحقاف: 30.....137

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ٢٤﴾ [المائدة: 24].....309

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ٣٢﴾ [هود: 32].....385

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ٥٢﴾ [يس: 52].....274

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ٣٢﴾ [آل عمران: 32]..... 466

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ٢٤﴾ [التوبة: 24].....95

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ٣١﴾ [آل عمران: 31].....466

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ١﴾ [الجن: 1].....135

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ٩﴾ [فصلت: 9].....310

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ ١٠٩﴾ [الكهف: 109].....133

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ٨٨﴾ [الإسراء: 88.....7

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ٧٩﴾ [يس: 79].....498

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ٣٨﴾ [البقرة: 38].....172

﴿قُمْ فَأَنْذِرْ ٢﴾ [المدثر: 2].....,..... 284

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ [البقرة: 136].....336

(ك)

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ١٧﴾ [الذاريات: 17].....299

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ٩﴾ [القمر: 9].....336

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ٢٨﴾ [البقرة: 28]..... 304

(ل)

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ١﴾ [القيامة: 1].....438

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ٤٢﴾ [فصلت: 42].....190

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ٨٩﴾ [المائدة: 89].....168

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ١٣﴾ [الحجر: 13].....209

﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا٢٠﴾ [نوح: 20].....477

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا١٠٠﴾ [المؤمنون: 100].....138

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [الأعراف: 59].....204

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ٧﴾ [يس: 7].....35

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى١١١﴾ [يوسف: 111].....7

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ٤٩﴾ [الشورى: 49].....289

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ١١٣﴾ [آل عمران: 113].....306

(م)

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى٢﴾ [طه: 2]..... 137

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا١٣﴾ [نوح: 13].....484

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ١٠٦﴾ [البقرة: 106].....171

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ٤﴾ [الفاتحة: 4].....310

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ٣٣﴾ [النازعات: 33].....191

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25].....340

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ٥٥﴾ [طه: 55].....426

(ن)

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ١﴾ [القلم: 1].....248

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ٣﴾ [يوسف: 3].....133

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ١٣﴾ [الكهف: 13].....217

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ٢٢٣﴾ [البقرة: 223].....91

(هـ)

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ٣٨﴾ [آل عمران: 38].....222

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ١٠﴾ [النحل: 10]..... 367

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ٥﴾ [يونس: 5].....452

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ١٥﴾ [الملك: 15]..... 70

(و)

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا٣٤﴾ [إبراهيم: 34].....277

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي٧١﴾ [يو نس: 71].....356

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ٦٧﴾ [هود: 67].....374

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ٣٤﴾ [القصص: 34].....115

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ٧﴾ [الأحزاب: 7].....371

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ٣٥﴾ [إبراهيم: 35].....505

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ ﴾ [المائدة: 116]..... 393

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ١٣﴾ [لقمان: 13].....298

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا٥٨﴾ [البقرة: 58].....296

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا٥٠﴾ [الكهف: 50].....354

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ٦١﴾ [الأعراف: 161].....296

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ [الشعراء: 130].....308

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ١٨٦﴾ [البقرة: 186].....486

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ٢٠٤﴾ [الأعراف: 204].....137

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ٣﴾ [التوبة: 3].....113

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا٨﴾ [المزمل: 8].....481

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ٧٤﴾ [الأعراف: 74].....374

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ٣﴾ [الفيل: 3].....478

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا٣٧﴾ [هود: 37].....301

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ٤٣﴾ [البقرة: 43].....315

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا ١٥٦﴾ [الأعراف: 156].....173

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: 58].....506

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً٣٩﴾ [النور: 39].....97

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ٥٩﴾ [المؤمنون: 59].....35

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا٦٤﴾ [الفرقان: 64].....302

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ٧٤﴾ [الفرقان: 74].....74

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ٥﴾ [المدثر: 5].....284

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا١﴾ [العاديات: 1].....287

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ١٨﴾ [الانشقاق: 18].....59

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ١٥﴾ [النحل: 15].....318

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا١٧﴾ [نوح: 17].....479

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا١٩﴾ [نوح: 19].....477

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ١٧﴾ [الانشقاق: 17].....59

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ٦٥﴾ [الأعراف: 65].....361

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ٧١﴾ [هود: 71].....390

﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ٣٥﴾ [عبس: 35]..... 95

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ١٤﴾ [الانفطار: 14].....95

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ١٨﴾ [النحل: 18].....277

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا١٦﴾ [الجن: 16].....358

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ٦٥﴾ [الشعراء: 65]..... 504

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ٢١٤﴾ [الشعراء: 214].....431

﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ٦﴾ [ص: 6].....505

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا٦﴾ [الجن: 6].....357

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ٧﴾ [نوح: 7].....374

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ٦٨﴾ [النحل: 68].....317

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ٣٦﴾ [هود: 36].....479

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص: 7].....221

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا٨٧﴾ [يونس: 87].....207

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ١٨﴾ [الكهف: 18].....289

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ١٦٦﴾ [الشعراء: 166]..... 306

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ٧٢﴾ [الزخرف: 72].....309

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ٤﴾ [المدثر: 4]..... 285

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ٥٨﴾ [يوسف: 58].....231

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى ﴾ [القصص: 20].....302

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا١٦﴾ [نوح: 16].....447

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ ﴾ [الإسراء: 12].....242

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ٧٧﴾ [الصافات: 77].....342

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى٢٣﴾ [الفجر: 23].....286

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ١٧﴾ [النمل: 17].....34

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ٣﴾ [المدثر: 3].....284

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: 133..... 70

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [النحل: 12].....361

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ٧٨﴾ [يس: 78].....491

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا٦٣﴾ [الفرقان: 63].....75

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ٤﴾ [ص: 4].....65

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ٥٩﴾ [الأنعام: 59].....185

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ١٢﴾ [القمر: 12].....303

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ٤١﴾ [هود: 41].....378

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ٧﴾ [سبأ: 7].....231

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 127].....504

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ٢٦﴾ [غافر: 26].....504

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا٨٨﴾ [يونس: 88].....512

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا٢٦﴾ [نوح: 26].....341

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا٥﴾ [الفرقان: 5].....35

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا١٦٠﴾ [الأعراف: 160].....98

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ [هود: 44].....384

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ١١٢﴾ [الأنعام: 112].....357

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ١٢٧﴾ [طه: 127].....489

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا٣٩﴾ [الفرقان: 39]..... 482

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ١٢٠﴾ [هود: 120].....348

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ٢١﴾ [النساء: 21].....87

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ٤٢﴾ [إبراهيم: 42].....514

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ ٤٨﴾ [الأحزاب: 48].....63

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ٦﴾ [المدثر: 6].....284

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ٥٥﴾ [الحج: 55].....309

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا٢٥﴾ [الكهف: 25].....290

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ٧﴾ [المدثر: 7].....284

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ٨٧﴾ [البقرة: 87].....34

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ٧٨﴾ [غافر: 78].....354

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ٢٥﴾ [هود: 25].....337

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ٢٣﴾ [المؤمنون: 23].....337

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ٢٦﴾ [الحديد: 26].....337

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ٣٦﴾ [القمر: 36].....198

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ١٢﴾ [المؤمنون: 12].....506

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ١٥٢﴾ [آل عمران: 152].....288

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ٧٥﴾ [الصافات: 75].....339

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ١٧﴾ [القمر: 17].....108

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ١٧٩﴾ [البقرة: 179].....191

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ١٢﴾ [النساء: 12].....261

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: 94].....203

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ٢٤﴾ [الرحمن: 24].....97

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 96].....359

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: 27].....133

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ٩﴾ [النساء: 9].....292

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ١٤١﴾ [آل عمران: 141].....438

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ٤﴾ [إبراهيم: 4].....34

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107].....62

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ٢٨﴾ [سبأ: 28].....178

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ٣٣﴾ [الأنفال: 33]..... 493

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ٦﴾ [هود: 6].....67

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ٥٩﴾ [الإسراء: 59].....31

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا٢٢﴾ [نوح: 22]..... 439

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ١١﴾ [الحج: 11].....149

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ٢٨﴾ [فاطر: 28].....301

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ١٠٣﴾ [المؤمنون: 103].....498

﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ١٤﴾ [المعارج: 14].....85

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ٦٩﴾ [النساء: 69].....333

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ٤٣﴾ [يونس: 43].....316

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ٤٥﴾ [هود: 45].....342

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ٧٦﴾ [الصافات: 76].....342

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ٤٣﴾ [الأعراف: 43].....451

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ٢٨﴾ [الشورى: 28].....493

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ٤٢﴾ [هود: 42].....340

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ٨٤﴾ [الأنعام: 84].....380

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ٣٨﴾ [هود: 38].....340

(ي)

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ٦﴾ [الانشقاق: 6]..... 286

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ٩﴾ [الجمعة: 9]..... 317

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ ١٠﴾ [الصف: 10]..... 233

﴿ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١﴾ [المدثر: 1]..... 284

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ٥﴾ [الحج: 5]..... 506

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا٤٥﴾ [الأحزاب: 45].....63

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: 87]..... 203

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى٧﴾ [مريم: 7]..... 225

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ١١﴾ [المعارج: 11]..... 95

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ٣٧﴾ [المائدة: 37]..... 307

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ١٧٦﴾ [النساء: 176]..... ..257

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ٤﴾ [نوح: 4]..... 149

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ١١﴾ [النساء: 11]..... 261

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: 2].....186

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ٤٣﴾ [المعارج: 43].....352

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ٣٤﴾ [عبس: 34].....,,,..... 95

فهرس الأحاديث النّبويّة

" أقرأني جبريل القرآن على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني" 142

" إنّ من البيان لسحرا "..... 40

" أنزل القرآن على سبعة أحرف"..... 142

" أنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف كلّها شاف كاف "..... 142

. " إنّ الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ "..... 36

" إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمّتك القرآن على حرف"..... . 142

" حبل الله المتين والنور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به " 140

"خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه "..... 136

" صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبيّة على إثر سماء "..... 475

" فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر 187

" كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته"..... 188

" لقيت رجلا بمكة على دينك ..." 191

فهرس الأبيات الشعريّة

إذا نزل الســـــماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غِضـــــابا.....474

أَمْسَوْا كَمَذْعُورَةِ الأَرْوَى إذا أَفْزَعَها عَرَجُ الضِبَاعِ تُبَارِي الأُسْدَ و**ذِئْبَا**.....**101**

تسمع الحُـــــــدَاث قولا حسناً لو أرادوا غيره لم يُســـــــمْعِ 191

تضع الحديث على مواضـــعه وكلامُها من بعـــــــده نزر.....191

ذِراعَيْ عَيـــــــطلٍ أدماء بِكرٍ هجانِ اللّونِ لم تَقرأْ جَنـــــينا.....129

ضعيف الموالي مُسْلَـمٌ بِجَرِيرة له بعد نومات **العـــيون** عويل 299

غدائره مستــشرزات إلى العــلا تضل العقاص في مثنى ومرسل..... 196

فإن أفاق فقد طارت عمـــــايَتُه والمرءُ يُخْلَق طوراً بعد أطـــــوارٍ..... 426

فقصّوا عليه ذنبنا و تجـــاوزوا ذنوبهم عند القصيـصة و الأثــر..... ..208

قذى بعينيك أم بالعين عـــوّار أم أقفرت إذ خلت من أهلــها الدار..... 192

قفا نبك من ذكرى حبــيب ومنزل من نبك قفا حبيب ذكرى منـــــزل..... 52

لقد زادَ الهـــــــــلال إليَّ حُبّا **عيونٌ** تلتقي عند الهـــــــــــلال..... 299

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجـــــــدة دما..... 192

له حاجب عن كلّ شيء يشـــينه وليس له عن طالب العرف حاجــب..... ...206

هل غادر الشعـــــراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد تـــــــــوهم..... 231

وأَعلمُ عِلمَ اليوم والأمسِ قَـــــبْله ولكنّني عن عِلم ما في غَدٍ عَـــــــم..... 185

والسخط قطاع رجاء من رجــا أزمان أبدت واضحا مفلـــــــــــّجا..... 104

وإن شئتم تَـــــــعاودنا عواداً..... 481

وإني وإن بلغتني شرف الغنى وأحققت من رقّ المطامع **أخدعي**..... **104**

وخَيرُ الأَمرِ ما استَقبَلتَ منه وليس بأن تَتَبَّعَهُ اتِّبـــــــــاعاً..... 481

ورثتم قناة المجد لا عن كلالة عن ابن منـــاف عبد شمس وهاشم..... 258

وقافية مثل حدّ الســـــنّـان تبقى و يذهب من قالهـــــــــا..... 147

وما مثله في النّاس أحد يقاربه إلّا مملكا أبو أمه أبـــــــــــوه..... 106

يا دهر قم من **أخدعيـــــك** فقد أضججت هذا الأنام من خـــــرقك 104

يُقطّع موضوع الحديث ابتسامُها تقطّعَ ماء المزن في نُزَف الخــمر..... 98

معجم المصطلحات (عربي ـ انجليزي)

(أ)

ـ الإبراز	ـ Prominence
ـ الاتساق	ـ Cohesion
ـ الإحالة	ـ Reference
ـ الاحتكاك	ـHissing
ـ إخباري	ـ News
ـ الاستبدال	ـ Substitution
ـ استبدال اسمي	ـ Substitution nominale
ـ استبدال فعلي	ـ Substitution verbale
ـ استبدال قولي	ـ Substitution clausule
ـ الاستدراك	ـ Contrajunction
ـ الاستعلاء	- Elevation
ـ استعمال	-Usage
ـ الإسماع	- Auditory
ـ الأسلوبية	- Stylistics
ـ الأسنانية الشفوية(الأصوات)	Labiodental
ـ الأسنانية اللثوية(الأصوات)	ـ Dental-Alveolar
ـ إشارة	–Signal
ـ الأصوات الصائتة	Cardinal Vowels

ـ الإطباق	ـVelarized
ـ اعتباطية	–Arbitrariness
ـ الإعلامية	–Informativite
ـ الأعضاء المساعدة	ـ Subsidiary Allophnes
ـ أعضاء النطق	ـ The vocal organs
ـ الالتحام	ـ Coherence
. الفونات	ـAllophones
الألفون الأساس	ـ Principle Allophone
ـ الألفون المساعد	-Subsidiary Allophones
ـ الإنسجام	ـ Coherence
ـ الانزلاقية(الأصوات الانزلاقية)	ـDiphthongs
ـ الانفجارية (الأصوات الانفجارية)	–Plosives
ـ الأنفية .	–Nasals

(ب)

– البلعوم	ـ Pharyngel dorsum
. البنوية	–Structuralism
. بنية	–Structure
. بنية سطحية	–Surface structure
- بين الأسنان	ـ Inerdental

(ت)

ـ التبعية	ـ Subordination
- التبرير	ـ Reason

ـ التتابع	— Consequence
ـ التجويف الأنفي	– Nasal Cavity
ـ التخيير	– Disjunction
ـ التحليق	- Pharyngealization
ـ تحليل النص	– Text analysis
. تحويل	–Transformation
ـ تردد	–Frequency
. ترتيب الكلمات	–Word order
ـ التصوير الشعاعي السيمي	-Cinefluorographic
ـ التضام	– Collocation
ـ تغليظ	– Thickening
ـ تفخيم	- Emphasis
ـ التفريغ	– Subordination
ـ التفسير	– Reason
ـ التقابل الأصغر	– Minimal Contrast
ـ تقلص	– Contraction
ـ التقليل من قوة الصوت	– Lessfull Sound
ـ التكرار	– Reiteration
ـ التناص	– Intertextualite
. تنغيم	–Intonation
ـ تنوعات	– Variants

ـ التنوع الحر	ـ Free Variants
ـ تنوعات مشروطة	-Conditional Variants
ـ توزيع تكاملي	ـ Mutually Exclusive

(ث)

ـ الثنائيات الصغرى	ـ Minimal Pairs

(ج)

ـ الجانبية	ـ Lateral
ـالجدار الخلفي للبلعوم	ـ Posterior Pharyngeal Wall ـ
-الجزء الأمامي من اللسان	-Anterior portion of the tongue dorsum
ـ الجزء الخلفي للسان المقابل للحنك	ـ Palatine dorsum
ـ الجزء المقابل للبلعوم	-The pharyngeal portion
من مؤخرة اللسان	of the tongue dorsum
ـ الجزء المقابل للحنك	-Palatine portion
من مؤخرة اللسان	of the tongue dorsum
ـالجمع	ـ Conjunction

(ح)

ـالحبك	ـ Coherence
ـ حد اللسان	-Tip
ـــالحذف	- Elimination /Ellipsis
ـ الحركات الأمامية	-Front vowels
ـ الحركات الخلفية	- Back Vowels

ـ الحركات الضيقة	ـClose Vowels
ـ الحركات المركزية	ـ Central Vowels
ـ الحركات المنفتحة	ـOpen Vowels
ـ الحركات النصف الضيقة	ـ Half-close Vowels
ـ الحركات نصف المتسعة	ـHalf-open Vowels
ـ حرية مرور الهواء	ـAirstream
ـ الحزم	ـFormants
ـ الحزمة الأساسية	ـ Fundamental Formants
ـ الحلقية (الأصوات)	ـPharangeals
ـ الحنجرة	ـ The Larynx
ـ الحنجرية (الأصوات)	ـ Glottal
ـ الحنك	ـ Palate
ـ الحنك الصلب	ـ Hard Palate
ـ الحنك اللين	ـ Soft Palate
ـ حواف اللسان	ـ Rims

(خ)

ـ خبر	ـ Predicate
ـ خشنة	- Strident
ـ الخطاب	ـ Discourse

(د)

دال	–Signifier

(ر)

ـ الرئتان	- Lungs
- الرسم الطيفي	ـ Spectrographic
ـ رعاية الموقف	ـSituation

(س)

ـ السبب	ـ Cause
ـ السبك	ـ Cohesion
. استعمال	–Usage
ـ سعة	ـ Ampilitude
ـ سمة تطريزية	- Prosodic Feature
ـ سمة تمييزية	ـ Distinctive Feature

(ش)

ـ شبه الصائتة (الأصوات)	ـ Semi-Vowels
ـ شبه المفخم	- Semi-emphatic
ـ الشرط	ـ Condition
. شذوذ	–Anomaly
. شِفرة	–Code
ـ الشفوية	ـ Bilabial

(ص)

ـ الصائتة	ـ The Vowels

. الصرف –Morphology

ـالصوائت Vowels

ـ الصوائت القصيرة و الطويلة ـ Short and long Vowels

ـ الصوت الصريري ـ Creaky Voice

ـ الصوت النفسي - ـBreathy Voice

ـ الصوامت ـ Consonants

(ط)

ـ طبقة الصوت ـ Pitch

ـ طرف اللسان ـ Blade of the tongue

ـ طريقة النطق ـ Manner of Articulation

(ع)

ـ عضم قاعدة اللسان ـ Hyoid bone

ـ العظم اللاّمي ـ Hyoid bone

ـ العضو الأساس ـ Principle member

ـ عضو النطق الرئيس ـ Primary Articulator

ـ علاقة الإضافة ـ Additive Relation

ـ علم الأنسجة ـ Histology

. علم الدلالة –Semantics

ـ علم الدلالة التوافقي ـ Combinatorial Semantics

ـ علم النصوص ـ Science of texts

(غ)

ـ الغرض ـ Purpose

ـ غير مفخم ـ Non emphatic

(ف)

ـ الفصل ـ Disjunction

ـ الفونيمات فوق المقطعية (فوق التركيبية) ـ Supra-segmental phonemes

ـ الفونيمات المفخمة ـ Velarized consonants

(ق)

ـ القبول ـAcceptabilite

ـ القصبة الهوائية Trachea(Wind Pipe)

ـ القصد ـ Intention

ـقصيدة ـ Poem

ـ القضايا ـ Propositions

. قرينة -Index

ـ قمم الحزمة ـ Formant Peaks

ـ قياس -Analogy

. قيمة -Value

(ك)

. كلمة -Word

ـ الكمية ـDuration

(ل)

ـ اللثة	ـ Alvealar /Teeth ridge
ـ اللثوية الحنكية	ـ Palato-Alveolar
ـ اللهاة	-Uvula
ـ اللهوية	ـ Uvular

(م)

ـ مؤخرة اللسان	ـBack or dorsum
ـ مدلول	–Signified
. مقطع	–Syllable
ـ المرجعية	ـReference
ـ المركبة	ـ Affricates
ـ المزمار	ـ Glottis
ـ المسلّمة	ـ Concession
ـ المصطلح	ـ Terminology
ـ مفخم	ـEmphatic
ـ المفخمات	ـ Independent emphatics
ـ مقدمة اللسان	ـ Front of the tongue
ـ المكررة	ـ Flaps /Trills
ـ المنهج الفونيمي و التطريزي	ـ The phonemic and prosodic approaches
ـ موضع النطق	ـPlace of articulation
ـ موضوع	ـ Subject
ـ موضعة	–Topicalisation

(ن)

ـ ناعمة	ـ Mellow
ـ نبر	–Stress
ـ نص علمي	ـScience Textbook
ـ نظم الكلام	ـSyntax
. نظام	–System
ـ النفسية	ـ Aspiration
. نمط	–Type
ـ النوعية	ـ Quality

(هـ)

ـالهمس و الجهر	ـVoicing and voiceness

(و)

ـ الوتران الصوتيان	ـ Vocal Bands
ـ وسط الحنك	ـHard palate
ـ الوسيلة	ـ Mean
ـ الوصف النصي	ـ Text Description
ـ الوصل	- Conjunction
ـ الوضوح السمعي	ـSonority

Abstract:

The Arabic language excels and shines with its various forms of eloquent expression, the significant diversity of its speech styles, especially after gaining new lexical wealth and meanings from the language of the wise revelation. The Quran has clearly influenced the Arabic style, giving it a new semantic direction not witnessed before, and introducing rhetorical styles that enabled it to ascend to eternal heights through this miraculous Quranic text.

Arabic's encounter with cultural diversity, openness to linguistic innovations, and its alignment with the evolving times demonstrate its ongoing development. The language has not remained untouched by this progression, affecting its structures and components, particularly its semantic aspect.

This evolution has not deviated from its linguistic system, making it flexible enough to assimilate everything new while maintaining its specificity.

This, among other reasons, has expanded the arena of semantic interplay, added some semantic ambiguity, and sometimes obscured the purpose of speech, clarifying only through indications the intended meaning and lifting the prevailing ambiguity and dispelling confusion and obscurity.

Linguistic patterning is considered one of the most important indicators in studying the patterns of expression and structures of the Arabic language. However, the study and research on the concept of linguistic patterning, its definition, formulation of its foundations and rules, and its crystallization into a theory of its own, have not received substantial attention and objective scientific study in our rich linguistic heritage, nor even in modern studies, to the best of my knowledge. Nevertheless, there are linguistic indications and glimpses of the concept explicitly, or under different names close to it, such as composition, weaving, and alignment, in the ancient past and concurrence, succession, and concordance in recent times.

It is possible to establish this science if efforts are combined, taking into account the specificities of our linguistic heritage. When the subject of linguistic patterning became available for study, and more research was possible, my interest in it increased. I attempted to crystallize a broader vision of its concept, consolidating its components after it went beyond the boundaries of the lexicographical and structural understanding to a broader concept that encompasses all linguistic units from sound to text.

I worked on applying these patterning concepts to the Quranic narrative through a study titled "Patterning of Stories and Their Semantics in the Quran - Surah Noah as a Model." The goal was to identify distinctive stylistic features, miraculous meanings through precise structuring, captivating style, and enchanting elucidation.

This led to questions such as whether the verses of the Quranic story in Surah Noah were patterned uniquely, distributed with meticulous distribution that aligns in sound, rhythm, structure, and composition with Noah's story and its general meanings. Simultaneously, are they in harmony with the general meanings of the Surah to the extent of being miraculous? These were among the questions that arose from the problematic of this study.

One of the most important motivations for choosing this topic, despite its seriousness, is the astounding truths contained in the Quran, which have captivated my attention through continuous immersion in the Quran. There are minute and miraculous aspects in its organization that drew my attention towards: the Quran's use of common words in the Arabic language, patterning them with unparalleled precision to the extent that no word can be substituted for another through apparent synonymy or close meaning, and patterning the words of the Quran, its verses, chapters, and stories in a specific and determined way that cannot be patterned conventionally; it goes beyond that.

On the one hand, there is the Quran's unique ability for renewal and continuous generosity that distinguishes it, not found in others, necessitating renewed and continuous research in it.

The importance of this study lies in understanding the potential linguistic contexts of usage, elucidating the intended meaning of speech and discourse, especially the precise and miraculous meanings of Quranic stories. Additionally, it aims to identify linguistic structures with precise meanings, some of which are subject to the standard of non-conventional patterning, where linguistic units are coupled in such a way that adheres to the field of horizontal proportional relationships, forming a linguistic unit that cannot be separated into its elements. It is characterized by the stability of its meaning and the contradiction of its literal meaning.

The translation aims to maintain the depth and nuances of the original Arabic text

التوقيع

يحي بوعتو